

الغرر من رسائل الأئمة الدرر

مجموع رسائل لأئمة الدعوة النجدية في
شرح كلمة التوحيد وبيان شروطها وقوادحها ونواقضها

إعداد: هاجد بن سليمان الرسي

شوال: ١٤٤٧ هجري

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

فهذا مجموع لطيف أودعت فيه ست عشرة رسالة من عيون رسائل أئمة الدعوة النجدية في شرح كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» وبيان شروطها وقوادحها، وكذلك نواقضها التي تُخرج فاعلها من دائرة الإسلام إلى دائرة الكفر. ولِمَا لهذا المجموع من أثر علمي وإصلاحي طيب على طالب العلم وعلى مجتمعات المسلمين بشكل عام؛ رأيت إعدادَه.

حيث إنه بهذه الرسائل التي ضمَّها المجموع المشار إليه وأمثالها تغير الحال في نجد والجزيرة العربية في القرن الثاني عشر وما بعده من التعلق بغير الله إلى التعلق بالله وحده لا شريك له.

فقراءة هذا المجموع في الدروس والدورات العلمية مفيد جدًا بإذن الله.

نفع الله بهذا المجموع كاتبه وقارئه وناشره، وصلى الله وبارك على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

وكتبه ماجد بن سليمان الرَّسِّي، في السابع عشر من شهر شوال لعام ١٤٤٧ هجري

majed.alrassi@gmail.com

واتس: ٠٠٩٦٦٥٠٥٩٠٦٧٦١

فهرس الرسائل

١. رسالة (أصل الدين وقاعدته أمران).
٢. ثلاثة الأصول
٣. القواعد الأربع
٤. الأصول الستة
٥. القول السديد في شرح شروط كلمة التوحيد «لا إله إلا الله».
٦. عشر رسائل في:
 - معنى «لا إله إلا الله»
 - ذكر شروطها
 - ما تنفيه هذه الكلمة وما تثبت
 - ضوابط لفهم الفرق بين الكفر الاعتقادي والعملي
٧. معنى «لا إله إلا الله»، وذكر شروطها ونواقضها
٨. رسائل متنوعة في التوحيد:
 - معنى الطاغوت ورؤوس أنواعه
 - ثلاثة المسائل
 - أنواع أعداء التوحيد
٩. كلمة عامة في أنواع التوحيد
١٠. معنى «لا إله إلا الله»، وذكر شروطها ونواقضها

١١. تحريم دعاء غير الله من كلام بعض علماء المذاهب الأربعة

١٢. معالم في توحيد الألوهية، وهي رسالتان في:

○ معنى كلمة التوحيد، وحكم من قالها ولم يَكْفُر بما يُعبد من دون الله

○ تعريف العبادة والتوحيد والإخلاص والإله والطاغوت

١٣. تقرير علو الرب عز وجل على جميع خلقه فوق السماء السابعة

١٤. بيان معنى الإسلام والإيمان، وأن الأعمال من الإيمان، والفرق بين مطلق الإيمان والإيمان

المطلق

١٥. أنموذج النصيحة الشرعية للمسلمين، ولولي أمر المسلمين، وتتضمن:

○ وصية بتقوى الله لعموم المسلمين

○ رسالتَي مناصحة لإمام المسلمين فيصل بن تركي آل سعود (رحمهم الله)

١٦. ترجمة الشيخ محمد عبد الوهاب، وبيان حقيقة دعوته، وإثبات أن منهجها مطابق لمنهج دعوة

النبي ﷺ في العقيدة والشريعة والسلوك

ويليه: رسالة مختصرة في بيان أن ما دعا إليه الشيخ ليس مذهباً خامساً

بداية الكتاب على بركة الله

رسالة (أصل الدين وقاعدته أمان)

تأليف

الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١٢٠٦ هـ)

مع شرحها لحفيده

الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (١٢٨٥ هـ)

رحمهما الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب^١ رحمه الله تعالى:

أصل دين الإسلام وقاعدته أمران:

الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والتحريض على ذلك، والموالة فيه، وتكفير من تركه.

الثاني: الإنذار عن الشرك في عبادة الله، والتغليظ في ذلك، والمعاداة فيه، وتكفير من فعله.

والمخالفون في ذلك أنواع ؛

فأشدهم مخالفة من خالف في الجميع.

ومن الناس من عبد الله وحده، ولم يُنكر الشرك، ولم يُعادِ أهله.

ومنهم من عاداهم^٢، ولم يُكفّرهم.

ومنهم من لم يحب التوحيد، ولم يبغضه.

ومنهم من كفّرهم^٣، وزعم أنه^٤ مسببة للصالحين.

ومنهم من لم يبغض الشرك، ولم يحبه.

ومنهم من لم يعرف الشرك، ولم ينكره.

ومنهم من لم يعرف التوحيد، ولم ينكره.

ومنهم - وهو أشد الأنواع خطرًا - من عمل بالتوحيد، لكن لم يعرف قدره، ولم يُبغض من تركه، ولم يكفرهم.

ومنهم من ترك الشرك، وكرهه، ولم يعرف قدره، ولم يعادِ أهله، ولم يكفرهم.

^١ الشيخ محمد بن المجددين لما اندرس من معالم دين الإسلام في شبه الجزيرة العربية في القرن الثاني عشر الهجري، أحيا الله به الدين إلى يومنا هذا، ونفع به ومؤلفاته، كلامه في العقيدة مبثوث في كتبه، ولد الشيخ محمد سنة ١١١٥ هـ وتوفي سنة ١٢٠٦ هـ، وكل من جاء بعده من علماء الجزيرة العربية عيالٌ عليه إلى يومنا هذا.

انظر ترجمته في كتاب «علماء نجد خلال ثمانية قرون» للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام، وانظر لزائماً كتاب «عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية» للشيخ د. صالح بن عبد الله العبود.

وله ترجمة حافلة بقلم حفيده الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وهي مثبتة في «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» (٣/٣٧٨-٤٢٩)، وكذا في «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (١/٣٧٢-٤٣٩).

^٢ أي: أهل الشرك.

^٣ أي: كفّر أهل التوحيد.

^٤ أي: التوحيد.

وهؤلاء^١ قد خالفوا ما جاءت به الأنبياء، من دين الله سبحانه وتعالى، والله أعلم.^٢

^١ أي المخالفين الذين تقدم ذكر أنواعهم.

^٢ انتهى كلامه رحمه الله، وهو مثبت في «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٢٢/٢).

الشرح

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن^١ رحمه الله تعالى شارحاً لكلام جده الشيخ محمد بن عبد الوهاب، رحمهما الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله رحمه الله تعالى:

أصل دين الإسلام وقاعدته أمران:

الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والتحريض على ذلك، والمخالفة فيه، وتكفير من تركه.

قلت: وأدلة هذا في القرآن أكثر من أن تُحصَر، كقوله تعالى ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله﴾ الآية^٢.
أمر الله تعالى نبيه أن يدعو أهل الكتاب إلى معنى «لا إله إلا الله» الذي دعا إليه العرب وغيرهم.
والكلمة هي «لا إله إلا الله»، ففسرها بقوله ﴿ألا نعبد إلا الله﴾، فقوله ﴿ألا نعبد﴾؛ فيه معنى «لا إله»، وهو نفي العبادة عما سوى الله.

^١ هو الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى، ولد سنة ١١٩٦ هـ في الدرعية، نشأ في بيت جده الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ودرس عليه وعلى أعمامه التوحيد والحديث والفقه، كما درس الحديث على بعض المشايخ في مصر، كالشيخ حسن القويسيني، والشيخ عبد الرحمن الجبرتي، والشيخ عبد الله باسودان، وكذا قرأ على مفتي الجزائر الشيخ محمد بن محمود الجزائري الحنفي الأثري، وقد أجازه هؤلاء المشايخ بجميع مروياتهم.

كما درس الشيخ عبد الرحمن على مشايخ آخرين في مصر في النحو والقراءات وغيرها.
وقد تتلمذ على الشيخ عبد الرحمن جم غفير من الطلبة، أبرزهم ابنه الشيخ عبد اللطيف.
وللشيخ عبد الرحمن عدة مصنفات، أشهرها كتابه «فتح المجيد»، وهو مختصر لكتاب ابن عمه، الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، «تيسير العزيز الحميد بشرح كتاب التوحيد»، وله أيضاً «قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين»، وهو حاشية على كتاب التوحيد.

كما ألف الشيخ عبد الرحمن رسائل كثيرة، وهي مبنوثة في «الدرر السنية من الأجوبة النجدية»، وكذا في «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية».

توفي رحمه الله عام ١٢٨٥ هـ بعد أن أبلى بلاءً حسناً في نصرة الإسلام، ودعوة الناس إلى التوحيد الخالص، ودحض البدع والشركيات في نجد وغيرها.

انظر ترجمته في مقدمة كتاب «فتح المجيد» بتحقيق أشرف بن عبد المقصود، والترجمة لحفيده، الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن حسن، رحمهم الله.

^٢ سورة آل عمران: ٦٤.

وقوله «إلا الله»، هو المستثنى في كلمة الإخلاص.

فأمره تعالى أن يدعُوهم إلى قصر العبادة عليه وحده ونفيها عمَّن سواه، ومثل هذه الآية كثير، يُبين أن الإلهية هي العبادة، وأنها لا يصلح منها شيء لغير الله، كما قال تعالى ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾^١، معنى قضى: أمر ووصى، قولان^٢، ومعناها واحد.

وقوله ﴿ألا تعبدوا﴾؛ فيه معنى «لا إله».

وقوله ﴿إلا إياه﴾؛ فيه معنى «إلا الله».

وهذا هو توحيد العبادة، وهو دعوة الرسل إذ قالوا لقومهم ﴿أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إياه﴾^٣. فلا بد من نفي الشرك في العبادة رأساً، والبراءة منه ومن فعله، كما قال تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون * إلا الذي فطرني﴾^٤، فلا بُد من البراءة من عبادة ما كان يُعبد من دون الله. وقال عنه عليه السلام ﴿وأعزلكم وما تدعون من دون الله﴾^٥، فيجب اعتزال الشرك وأهله بالبراءة منهما، كما صرح به في قوله تعالى ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده﴾^٦، والذين معه هم الرسل، كما ذكره ابن جرير. وهذه الآية تتضمن جميع ما ذكره شيخنا رحمه الله، من التحريض على التوحيد، ونفي الشرك، والموالاتة لأهل التوحيد، وتكفير من تركه بفعل الشرك المنافي له، فإن من فعل الشرك فقد ترك التوحيد، فإنهما ضدان لا يجتمعان، فمتى وجد الشرك انتفى التوحيد.

وقد قال تعالى في حال من أشرك ﴿وجعل الله أنداداً ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار﴾^٧، فكفره تعالى باتخاذ الأنداد وهم الشركاء في العبادة، وأمثال هذه الآيات كثيرة، فلا يكون مُوحداً إلا بنفي الشرك، والبراءة منه، وتكفير من فعله.

ثم قال رحمه الله تعالى:

الثاني: الإنذار عن الشرك في عبادة الله، والتغليظ في ذلك، والمعاداة فيه، وتكفير من فعله.

^١ سورة الإسراء: ٢٣ .

^٢ أي في تفسير الآية.

^٣ سورة المؤمنون: ٣٢ .

^٤ سورة الزخرف: ٢٦ - ٢٧ .

^٥ سورة مريم: ٤٨ .

^٦ سورة الممتحنة: ٤ .

^٧ سورة الزمر: ٨ .

فلا يتم مقام التوحيد إلا بهذا، وهو دين الرسل، أنذروا قومهم عن الشرك، كما قال تعالى ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾^١، وقال تعالى ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾^٢، وقال تعالى ﴿واذكر أبا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه أن لا تعبدوا إلا الله﴾^٣.

قوله: في عبادة الله.

العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة.

قوله: والتغليظ في ذلك.

وهذا موجود في الكتاب والسنة، كقوله تعالى ﴿ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين﴾* ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر إني لكم منه نذير مبين^٤، ولولا التغليظ لما جرى على النبي ﷺ وأصحابه من قريش ما جرى من الأذى العظيم، كما هو مذكور في السِّير مفصلاً، فإنه بادأهم بسبِّ دينهم وعيب أهلتهم.

قوله رحمه الله تعالى: والمعادة فيه.

كما قال تعالى ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد﴾^٥، والآيات في هذا كثيرة جداً، كقوله ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾^٦، والفتنة الشرك. ووسم تعالى أهل الشرك بالكفر فيما لا يُحصى من الآيات، فلا بد من تكفيرهم أيضاً، وهذا هو مقتضى «لا إله إلا الله»، كلمة الإخلاص، فلا يتم معناها إلا بتكفير من جعل لله شريكاً في عبادته، كما في الحديث الصحيح: من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يُعبد من دون الله؛ حرّم ماله ودمه، وحسابه على الله^٧. فقلوه (وكفر بما يعبد من دون الله) تأكيد للنفي، فلا يكون معصوم الدم والمال إلا بذلك، فلو شك أو تردّد لم يُعصم دمه وماله.

^١ سورة النحل: ٣٦ .

^٢ سورة الأنبياء: ٢٥ .

^٣ سورة الأحقاف: ٢١ .

^٤ سورة الذاريات: ٥٠ - ٥١ .

^٥ سورة التوبة: ٥ .

^٦ سورة الأنفال: ٣٩ .

^٧ رواه مسلم (٢٣) عن أبي مالك عن أبيه.

فهذه الأمور هي تمام التوحيد؛ لأن «لا إله إلا الله» قُيِّدَتْ في الأحاديث بقيود ثقال؛ بالعلم، والإخلاص، والصدق، واليقين، وعدم الشك، فلا يكون المرء مُوحِّدًا إلا باجتماع هذا كله، واعتقاده، وقبوله، ومحَبته، والمعاداة فيه، والموالاتة، فبمجموع ما ذكره شيخنا رحمه الله يحصل ذلك.

ثم قال رحمه الله تعالى:

والمخالف في ذلك أنواع، فأشدهم مخالفة من خالف في الجميع.

فقبل الشرك واعتقده دينًا، وأنكر التوحيد واعتقده باطلاً، كما هو حال الأكثر، وسببه الجهل بما دل عليه الكتاب والسنة من معرفة التوحيد وما ينافيه من الشرك والتنديد واتباع الأهواء وما عليه الآباء، كحال مَنْ قبلهم مِنْ أمثالهم من أعداء الرسل، فرموا أهل التوحيد بالكذب والزور والبهتان والفجور، وحجتهم «بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون»^١. وهذا النوع من الناس والذي بعده قد ناقضوا ما دلت عليه كلمة الإخلاص وما وُضِعَتْ له، وما تضمنته من الدين الذي لا يقبل الله دينًا سواه، وهو دينُ الإسلام الذي بعث الله به جميع أنبيائه ورسله، واتفقت دعوتهم عليه، كما لا يخفى فيما قص الله عنهم في كتابه.

ثم قال رحمه الله: ومن الناس مَنْ عَبَدَ الله وحده، ولم ينكر الشرك، ولم يُعَادِ أهله.

قلت: ومن المعلوم أن مَنْ لم ينكر الشرك لم يعرف التوحيد، ولم يأت به، وقد عرفت أن التوحيد لا يحصل إلا بنفي الشرك والكفر بالطاغوت المذكور في الآية.

ثم قال رحمه الله تعالى: ومنهم من عاداهم ولم يُكْفِرْهُمْ.

فهذا النوع أيضًا لم يأت بما دلت عليه «لا إله إلا الله» من نفي الشرك، وما تقتضيه من تكفير من فعله بعد البيان إجماعًا، وهو مضمون سورة الإخلاص و«قل يا أيها الكافرون»، وقوله في آية الممتحنة «كفرنا بكم». ومن لم يُكْفِرْ من كَفَرِ القرآن فقد خالف ما جاءت به الرسل من التوحيد وما يوجبه.

ثم قال رحمه الله: ومنهم من لم يحب التوحيد، ولم يبغضه.

فالجواب: أن مَنْ لم يُحِبِ التوحيد لم يكن مُوَحِّدًا، لأنه هو الدين الذي رضي الله تعالى لعباده، كما قال: «ورضيت لكم الإسلام دينًا»^٢، فلو رضي بما رضي به الله وعمل به لأحبه، ولا بُد من المحبة لعدم حصول الإسلام بدونها، فلا إسلام إلا بمحبة التوحيد.

^١ سورة الشعراء: ٧٤ .

^٢ سورة المائدة: ٣ .

قال شيخ الإسلام^١ رحمه الله: الإخلاص محبة الله وإرادة وجهه، فمن أحب الله أحب دينه، وما لا فلا، وبالمحبة يترتب عليها ما تقضيه كلمة الإخلاص من شروط التوحيد.

ثم قال رحمه الله تعالى: ومنهم من لم يبغض الشرك ولم يحبه.

قلت: ومن كان كذلك فلم ينف ما نفته «لا إله إلا الله» من الشرك والكفر بما يُعبد من دون الله والبراءة منه؛ فهذا ليس من الإسلام في شيء أصلاً، ولم يُعصم دمه ولا ماله، كما دلّ عليه الحديث المتقدم.

وقوله رحمه الله: ومنهم من لم يعرف الشرك ولم ينكره.

قلت: من لم يعرف الشرك ولم ينكره لم ينفه، ولا يكون موحدًا إلا من نفى الشرك، وتبرأ منه ومن فعله، وكفرهم، وبالجهل بالشرك لا يحصل شيء مما دلت عليه «لا إله إلا الله»، ومن لم يثُم بمعنى هذه الكلمة ومضمونها فليس من الإسلام في شيء، لأنه لم يأت بهذه الكلمة ومضمونها عن علم ويقين وصدق وإخلاص ومحبة وقبول وانقياد، وهذا النوع ليس معه من ذلك شيء وإن قال «لا إله إلا الله»، فهو لا يعرف ما دلت عليه ولا ما تضمنته.

ثم قال رحمه الله تعالى: ومنهم من لم يعرف التوحيد ولم ينكره.

فأقول: هذا كالذي قبله، لم يرفعوا رأسًا بما حُلفوا له من الدين الذي بعث الله به رسله، وهذه الحال حال من قال الله فيهم ﴿إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً﴾^٢.

وقوله رحمه الله: ومنهم - وهو أشد الأنواع خطرًا - من عمل بالتوحيد، ولم يعرف قدره، فلم يبغض من تركه، ولم يكفرهم.

فقوله رحمه الله: (وهو أشد الأنواع خطرًا)، لأنه لم يعرف قدر ما عمل به، فلم يجئ بما يُصحح توحيده من القيود الثقيل التي لا بُد منها، لما علمت أن التوحيد يقتضي نفى الشرك، والبراءة منه، ومُعَاداة أهله، وتكفيرهم مع قيام الحجة عليهم، فهذا قد يُغترُّ بحاله، وهو لم يجئ بما عليه من الأمور التي دلت عليها كلمة الإخلاص نفياً وإثباتاً.

وكذلك قوله رحمه الله: ومنهم من ترك الشرك وكرهه ولم يعرف قدره.

فهذا أقرب من الذي قبله لكن لم يعرف قدر الشرك، لأنه لو عرف قدره لفعل ما دلت عليه الآيات المحكمات، كقول الخليل ﴿إني براء مما تعبدون * إلا الذي فطرني﴾^٣، وقوله ﴿إنا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً﴾^١.

^١ أي ابن تيمية رحمه الله.

^٢ سورة الفرقان: ٤٤ .

^٣ سورة الزخرف: ٢٦ - ٢٧ .

فلا بُد لمن عرف الشرك وتركه من أن يكون كذلك؛ من الولاء والبراء من العابد والمعبود، وبُغض الشرك وأهله وعداوتهم، وهذان النوعان هما الغالب على أحوال كثير ممن يدعى الإسلام، فيقع منهم من الجهل بحقيقته ما يمنع الإتيان بكلمة الإخلاص وما اقتضته على الكمال الواجب الذي يكون به موحدًا، فما أكثر المغرورين الجاهلين بحقيقة الدين.

فإذا عرفت أن الله كَفَّرَ أهل الشرك ووصفهم به في الآيات المحكمات، كقوله ﴿ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر﴾^٢، وكذلك السُّنة^٣.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: (إن أهل التوحيد والسُّنة يُصَدِّقُونَهُمْ^٤ فيما أخبروا، ويطيعونهم فيما أمروا، ويحفظون ما قالوا، ويفهمونه ويعملون به، وينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ويجاهدون مَنْ خالفهم، ويفعلون ذلك تقريبًا إلى الله طلبًا للجزاء من الله لا منهم).

وأهل الجهل والغلو لا يميزون بين ما أمروا به ونُهِوا عنه، ولا بين ما صح عنهم وما كُذِبَ عليهم، ولا يفهمون حقيقة مرادهم، ولا يتحرون طاعتهم ومتابعتهم، بل هم جهال بما أتوا به، مُعْظَمُونَ لأغراضهم^٥.

قلت: ما ذكره شيخ الإسلام يشبه حال هذين النوعين الأخيرين.

بقي مسألة حدثت، تكلم بها شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو عدم تكفير المعين ابتداءً، لسبب ذكره رحمه الله تعالى أوجب له التوقف في تكفيره قبل إقامة الحجة عليه.

قال رحمه الله تعالى: فإن بعد معرفة ما جاء به الرسول نعلم بالضرورة أنه لم يشرع لأُمته أن يدعو أحدًا من الأموات، لا الأنبياء ولا الصالحين ولا غيرهم، لا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها، ولا بلفظ الاستعاذة ولا بغيرها، كما أنه لم يشرع لأُمته السجود لميت ولا إلى ميت ونحو ذلك، بل نعلم أنه نُهي عن كل هذه الأمور، وأن ذلك من الشرك الذي حرَّمه الله ورسوله.

ولكن لغلبة الجهل، وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين؛ لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يُبين لهم ما جاء به الرسول مما يخالفه. انتهى^٦.

^١ سورة الممتحنة: ٤ .

^٢ سورة التوبة: ١٧ .

^٣ هكذا في المطبوع، بدون ذكر جواب الشرط، والله أعلم؛ هل هو ذهول من المؤلف، أم سقط في النسخ، وعلى كل حال فسياق الكلام في البراءة من الشرك وأهله وعداوتهم، فيكون تقدير الكلام الساقط: «... وكذلك السُّنة؛ استوجب هذا عداوة الشرك والمشركين».

^٤ أي الرسل.

^٥ «الاستغاثة في الرد على البكري» (٤٩٩/٢)، وقد ضبطت النص منه، وتام الكلام: «إما لينالوا منهم منفعة، أو ليدفعوا بهم عن أنفسهم مَضَرَّة». (الناشر: مدار الوطن - الرياض)

^٦ «الاستغاثة في الرد على البكري» (٦٢٩/٢ - ٦٣٠)، وقد ضبطت النص منه.

قلت: فذكر رحمه الله تعالى ما أوجب له عدم إطلاق الكفر عليهم على التعيين خاصة إلا بعد البيان والإصرار، فإنه قد صار أمة وحده، لأن من العلماء من كَفَّرَه بنهيه لهم عن الشرك في العبادة، فلا يمكن أن يُعاملهم بمثل ما قال، كما جرى لشيخنا محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في ابتداء دعوته، فإنه إذا سمعهم يدعون زيدًا ابن الخطاب قال: (الله خير من زيد)، تمرينًا لهم على نفي الشرك بدين الكلام، نظرًا إلى المصلحة وعدم الثُّفرة، والله سبحانه أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.^١

^١ انتهى كلامه رحمه الله، وهو مثبت في «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٢٠٢/٢ - ٢١١).

ثلاثة الأصول

تأليف

الشيخ محمد بن عبد الوهاب، رحمه الله تعالى

(١١١٥ - ١٢٠٦ هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب^١ قدّس الله روحه:

اعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل:

الأولى: العلم، وهو معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.

الثانية: العمل به.

الثالثة: الدعوة إليه.

الرابعة: الصبر على الأذى فيه.

والدليل قوله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿والعصر * إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾.

قال الشافعي رحمه الله تعالى: لو ما أنزل الله حُجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم.

وقال البخاري رحمه الله تعالى: باب العلم قبل القول والعمل^٢، والدليل قوله تعالى ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك﴾^٣، فبدأ بالعلم قبل القول والعمل.

اعلم رحمك الله أنه يجب على كل مسلم ومسلمة تعلم ثلاث هذه المسائل والعمل بمن:

الأولى: أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملًا، بل أرسل إلينا رسولًا، فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار، والدليل قوله تعالى ﴿إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً * فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذًا وبيلًا﴾^٤.

الثانية: أن الله لا يرضى أن يُشرك معه أحد في عبادته، لا ملكٌ مُقَرَّب ولا نبي مرسل، والدليل قوله تعالى ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً﴾^٥.

الثالثة: أن من أطاع الرسول ووحد الله لا يجوز له موالاة من حادَّ الله ورسوله، ولو كان أقرب قريب، والدليل قوله تعالى ﴿لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادَّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك

^١ تقدم التعريف به في الرسالة الأولى.

^٢ «كتاب العلم» من «صحيح البخاري».

^٣ سورة محمد: ١٩ .

^٤ سورة المزمل: ١٥ - ١٦ .

^٥ سورة الجن: ١٨ .

كتب في قلوبهم الإيمان وأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَبَدَّخَلَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ^١.

اعلم أَرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة إبراهيم أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين، وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها، كما قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^٢، ومعنى (يعبدون): يوحّدون.

وأعظم ما أمر الله به: التوحيد وهو إفراد الله بالعبادة، وأعظم ما نهى عنه: الشرك وهو دعوة غيره معه، والدليل قوله تعالى ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾^٣.

فإذا قيل لك: ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها؟
فقل: معرفة العبد ربه ودينه ونبيه محمداً ﷺ .

فإذا قيل لك: من ربك؟
فقل: ربي الله الذي رباني وربّي جميع العالمين بنعمه، وهو معبودي ليس لي معبود سواه، والدليل قوله تعالى ﴿الحمد لله رب العالمين﴾، وكل ما سوى الله عالم، وأنا واحد من ذلك العالم.

فإذا قيل لك: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟
فقل: بآياته ومخلوقاته، ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر، ومن مخلوقاته السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهما، والدليل قوله تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾^٤، وقوله تعالى ﴿إِنْ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَغْشَى اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مَسْخَرَاتٌ بِأَمْرِه أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^٥.
والرب هو المعبود، والدليل قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾* الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون^٦، قال ابن كثير رحمه الله تعالى: الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة^٧.

^١ سورة المجادلة: ٢٢ .

^٢ سورة الذاريات: ٥٦ .

^٣ سورة النساء: ٣٦ .

^٤ هذا شروع في بيان الأصل الأول.

^٥ سورة فصلت: ٣٧ .

^٦ سورة الأعراف: ٥٤ .

^٧ سورة البقرة: ٢١ - ٢٢ .

وأَنواع العبادة التي أمر الله بها مثل الإسلام والإيمان والإحسان، ومنه الدعاء والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة والخشوع والخشية والإنابة والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والذبح والنذر وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها كلها الله تعالى، والدليل قوله تعالى ﴿وَأَن الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾، فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مُشْرِكٌ كافر، والدليل قوله تعالى ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾^٢. وفي الحديث: (الدعاء مُخ العبادة)^٣، والدليل قوله تعالى ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾^٤.

ودليل الخوف قوله تعالى ﴿فَلَا تَخَافُونَ وَخَافُونَ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾^٥.
 ودليل الرجاء قوله تعالى ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^٦.
 ودليل التوكل قوله تعالى ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾^٧، وقال ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾^٨.
 ودليل الرغبة والرهبة والخشوع قوله تعالى ﴿إِنَّمَا كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلِذَٰلِكَ تُخَفَّىٰ﴾^٩.
 ودليل الخشية قوله تعالى ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾^{١٠}.
 ودليل الإنابة قوله تعالى ﴿وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾^{١١}.
 ودليل الاستعانة قوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وفي الحديث: إذا استعنت فاستعن بالله^{١٢}.

^١ كلام الإمام ابن كثير رحمه الله ذكره الشيخ باختصار، وتام كلامه في تفسير الآية هو: ومضمونه: «أنه الخالق الرازق مالك الدار وساكنيها، ورازقهم، فهذا يستحق أن يعبد وحده ولا يُشْرَكُ به غيره...».

^٢ سورة المؤمنون: ١١٧ .

^٣ حديث ضعيف، رواه الترمذي (٣٣٧١)، ينظر: «ضعيف الترمذي» .

ويغني عنه قوله ﷺ: (الدعاء هو العبادة). رواه الترمذي (٢٩٦٩)، وأبو داود (١٤٧٩)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، والنسائي في «الكبرى» (١١٤٦٤)، وغيرهم عن النعمان بن بشير رضي الله عنه، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح أبي داود».

^٤ سورة غافر: ٦٠ .

^٥ سورة آل عمران: ١٧٥ .

^٦ سورة الكهف: ١١٠ .

^٧ سورة المائدة: ٢٣ .

^٨ سورة الطلاق: ٣ .

^٩ سورة الأنبياء: ٩٠ .

^{١٠} سورة البقرة: ١٥٠ .

^{١١} سورة الزمر: ٥٤ .

^{١٢} رواه الترمذي (٢٥١٦)، وأحمد (٣٠٣/١)، وهو في «صحيح الترمذي» للألباني.

ودليل الاستعاذة قوله تعالى ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾، و ﴿قل أعوذ برب الناس﴾.

ودليل الاستغاثة قوله تعالى ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم﴾^١.

ودليل الذبح قوله تعالى ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين * لا شريك له﴾^٢.

ومن السنة: لعن الله من ذبح لغير الله.^٣

ودليل النذر قوله تعالى ﴿يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً﴾^٤.

الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام بالأدلة، وهو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله، وهو ثلاث مراتب: الإسلام والإيمان والإحسان، وكل مرتبة لها أركان، فأركان الإسلام خمسة، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام .

فدليل الشهادة قوله تعالى ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾^٥، ومعناها: لا معبود بحق إلا الله.

(لا إله)، نافيةً لجميع ما يُعبد من دون الله، (إلا الله): مثبتاً العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته كما أنه لا شريك له في ملكه.

وتفسيرها الذي يوضحها قوله تعالى ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون * إلا الذي فطرني فإنه سيهدين * وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون﴾^٦، وقوله ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾^٧.

ودليل شهادة أن محمداً رسول الله قوله تعالى ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عِثُّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾^٨.

ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وأن لا يُعبد الله إلا بما شرع.

^١ سورة الأنفال: ٩ .

^٢ سورة الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣ .

^٣ رواه مسلم (١٩٧٨) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

^٤ سورة الإنسان: ٧ .

^٥ سورة آل عمران: ١٨ .

^٦ سورة الزخرف: ٢٦ - ٢٨ .

^٧ سورة آل عمران: ٦٤ .

^٨ سورة التوبة: ١٢٨ .

ودليل الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد قوله تعالى ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾^١.

ودليل الصيام قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾^٢.

ودليل الحج قوله تعالى ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾^٣.

المرتبة الثانية: الإيمان، وهو بضع وسبعون شعبة، فأعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان.^٤

وأركانه ستة: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره.

والدليل على هذه الأركان الستة قوله تعالى ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين﴾^٥.

ودليل القدر قوله تعالى ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾^٦.

المرتبة الثالثة: الإحسان ركن واحد، وهو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، والدليل قوله تعالى ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾^٧، وقوله ﴿وتوكل على العزيز الرحيم﴾ الذي يراك حين تقوم * وتقلبك في الساجدين * إنه هو السميع العليم^٨، وقوله ﴿وما تكون في شأنٍ وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عملٍ إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه﴾^٩.

والدليل من السنة حديث جبرائيل المشهور عن عمر رضي الله عنه قال:

^١ سورة البينة: ٥ .

^٢ سورة البقرة: ١٨٣ .

^٣ سورة آل عمران: ٩٧ .

^٤ رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظ البخاري: «الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان».

ولفظ مسلم: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول «لا إله إلا الله»، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان».

^٥ سورة البقرة: ١٧٧ .

^٦ سورة القمر: ٤٩ .

^٧ سورة النحل: ١٢٨ .

^٨ سورة الشعراء: ٢١٧ - ٢٢٠ .

^٩ سورة يونس: ٦١ .

بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم؛ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، فقال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام؟

فقال رسول الله ﷺ: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله ﷺ، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً.

قال: صدقت.

قال: فعجبنا له، يسأله ويُصدقه.

قال: فأخبرني عن الإيمان.

قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره.

قال: صدقت.

قال: فأخبرني عن الإحسان.

قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

قال: فأخبرني عن الساعة.

قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل.

قال: فأخبرني عن أماراتها.

قال: أن تلد الأمة رببتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان.

قال: ثم انطلق، فلبثنا ملياً، ثم قال لي: يا عمر، أتدري من السائل؟

قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: فإنه جبرائيل أتاكم يعلمكم دينكم.^٣

الأصل الثالث: معرفة نبيكم محمد ﷺ، وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، وله من العمر ثلاث وستون سنة، منها أربعون قبل النبوة، وثلاث وعشرون نبياً رسولاً، نُبِّيَ باقراً، وأرسل بالمدثر، وبلده مكة، وهاجر إلى المدينة، بعثه

^١ أي: بينما.

^٢ أي: علاماتها.

^٣ رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٨)، واللفظ له، وقد ضبطت اللفظ منه.

^٤ أي: أعلمه الله بكونه نبياً لما أنزلت عليه سورة (اقرأ باسم ربك الذي خلق) والمعروفة بسورة (العلق).

^٥ أي: افترض الله عليه أن يكون رسولاً إلى قومه برسالة الإسلام لما أنزلت عليه سورة (المدثر).

الله بالندارة عن الشرك ويدعو إلى التوحيد، والدليل قوله تعالى ﴿يا أيها المدثر * قم فأندر * وربك فكبر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر * ولا تمنن تستكثر * ولربك فاصبر﴾^١.
ومعنى ﴿قم فأندر﴾: يُنذر عن الشرك ويدعو إلى التوحيد.
﴿وربك فكبر﴾ أي: عظمه بالتوحيد.
﴿وثيابك فطهر﴾ أي: طهر أعمالك عن الشرك.
﴿والرجز فاهجر﴾، الرجز الأصنام، وهجرها تركها والبراءة منها وأهلها.

أَخَذَ على هذا عشر سنين يدعو إلى التوحيد، وبعد العشر عُرج به إلى السماء، وفُرضت عليه الصلوات الخمس، وصلى في مكة ثلاث سنين، وبعدها أُمر بالهجرة إلى المدينة، والهجرة: الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، (والهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام)^٢، وهي باقية إلى أن تقوم الساعة، والدليل قوله تعالى ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً﴾^٣ إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً * فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً^٤.
وقوله تعالى ﴿يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون﴾^٥.

قال البغوي رحمه الله تعالى: سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذين بمكة لم يهاجروا، ناداهم الله باسم الإيمان.
والدليل على الهجرة من السنة قوله ﷺ: لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها.^٥
فلما استقر بالمدينة أَمَرَ ببقية شرائع الإسلام، مثل الزكاة والصوم والحج والجهاد والأذان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من شرائع الإسلام، أخذ على هذا عشر سنين، وبعدها تُوَفِّي صلوات الله وسلامه عليه، ودينه باقٍ، وهذا دينه، لا خير إلا دَلُّ الأمة عليه، ولا شر إلا حذرنا منه، والخير الذي دل عليه التوحيد وجميع ما يحبه الله ويرضاه، والشر الذي حذر منه الشرك بالله وجميع ما يكرهه الله ويأباه.

^١ سورة المدثر: ١ - ٧ .

^٢ ما بين القوسين زيادة من «الدرر».

^٣ سورة النساء: ٩٧ - ٩٩ .

^٤ سورة العنكبوت: ٥٦ .

^٥ رواه أبو داود (٢٤٧٩)، وأحمد (٩٩/٤)، عن معاوية رضي الله عنه، وصححه الألباني كما في «صحيح أبي داود».

بعثه الله إلى الناس كافة، وافترض الله طاعته على جميع الثقلين؛ الجن والإنس، والدليل قوله تعالى ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾^١، وأكمل الله به الدين، والدليل قوله تعالى ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾^٢.

والدليل على موته ﷺ قوله تعالى ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾^٣ ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون^٤. والناس إذا ماتوا يُبعثون، والدليل قوله تعالى ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾^٥، وقوله تعالى ﴿والله أنبتكم من الأرض نباتاً﴾^٦ ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً^٧.

وبعد البعث محاسبون ومجزئون بأعمالهم، والدليل قوله تعالى ﴿ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى﴾^٨.

ومن كذب بالبعث كفر، والدليل قوله تعالى ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وري لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير﴾^٩.

وأرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين، والدليل قوله تعالى ﴿رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾^{١٠}.

وأولهم نوح عليه السلام وآخرهم محمد ﷺ، والدليل على أن أولهم نوح عليه السلام قوله تعالى ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾^{١١}.

وكل أمة بعث الله إليها رسولاً، من نوح إلى محمد، يأمرهم بعبادة الله وحده، وينهاهم عن عبادة الطاغوت، والدليل قوله تعالى ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾^{١٢}.

^١ سورة الأعراف: ١٥٨ .

^٢ سورة المائدة: ٣ .

^٣ سورة الزمر: ٣٠ - ٣١ .

^٤ سورة طه: ٥٥ .

^٥ سورة نوح: ١٧ - ١٨ .

^٦ سورة النجم: ٣١ .

^٧ سورة التغابن: ٧ .

^٨ سورة النساء: ١٦٥ .

^٩ سورة النساء: ١٦٣ .

^{١٠} سورة النحل: ٣٦ .

وافترض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، قال ابن القيم^١ رحمه الله تعالى: معنى الطاغوت: ما تجاوز به العبد حده من معبودٍ أو متبوعٍ أو مطاعٍ.

والطاغوت كثيرة، ورؤوسهم خمسة: إبليس لعنه الله، ومن عُبدَ وهو راضٍ، ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه، ومن ادَّعى شيئاً من علم الغيب، ومن حكم بغير ما أنزل الله، والدليل قوله تعالى ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرِّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾^٢، وهذا معنى (لا إله إلا الله).

وفي الحديث: رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله.^٣
والله أعلم، وصلى الله على محمد، وآله وصحبه وسلم.^٤

^١ هو محمد بن أبي بكر بن سعد الزُّرْعِيّ ثم الدمشقي، المعروف بابن قيم الجوزية، من علماء المائة الثامنة، لازم شيخه ابن تيمية إلى أن مات سنة ٧٢٨، فكان من كبار تلامذته، ثم حمل بعده لواء الدعوة والجهاد العلمي إلى أن مات سنة ٧٥١، كان واسع المعرفة والاطلاع، كثير المصنفات، قوي الحجة والاستنباط، واسع القبول، حتى صار من بعده عيالاً عليه، ومؤلفاته مقبولة عند جميع الناس، نصر العقيدة الإسلامية نصراً مؤزراً، وردَّ على المبتدعة نظماً ونثراً، لا سيَّما المتفلسفة والقبورية والمؤولة والمتصوفة، رحمه الله رحمة واسعة، فقد جدد هو وشيخه دين الله، فكانا منعطفاً في حياة الأمة الإسلامية. انظر ترجمته في «شذرات الذهب» لابن العماد، و«ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب، ومن أجمع من ترجم له الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رحمه الله في كتابه «ابن قيم الجوزية، حياته وآثاره».

^٢ سورة البقرة: ٢٥٦ .

^٣ رواه الترمذي (٢٦١٦) وابن ماجه (٣٩٧٣) وغيرهما، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، وصححه الألباني.

^٤ انتهى كلامه رحمه الله، وهو مثبت في «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (١٢٥/١ - ١٣٦)، و«مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب» (١٨٥/١ - ١٩٦)، وقد اعتمدت على الأخير كمصدر لضبط متن الرسالة.

القواعد الأربع

تأليف

الشيخ محمد بن عبد الوهاب، رحمه الله تعالى
(١١١٥ - ١٢٠٦ هـ)

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب^١ رحمه الله:

بسم الله الرحمن الرحيم

أسأل الله الكريم، رب العرش العظيم، أن يتولاك في الدنيا والآخرة، وأن يجعلك مباركاً أينما كنت، وأن يجعلك ممن إذا أُعطي شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر، فإن هؤلاء الثلاث عنوان السعادة.

اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة إبراهيم أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين، كما قال تعالى ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾^٢، فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته؛ فاعلم أن العبادة لا تُسمى عبادة إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة، فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت، كالحديث إذا دخل في الطهارة، فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل وصار صاحبه من الخالدين في النار؛ عرفت أن أهم ما عليك معرفة ذلك، لعل الله أن يُخلصك من هذه الشبكة، وهي الشرك بالله، الذي قال الله تعالى فيه ﴿إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾^٣، وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى في كتابه:

القاعدة الأولى: أن تعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مُقَرَّبُونَ بأن الله تعالى هو الخالق المدبِّر، وأن ذلك لم يُدخلهم في الإسلام، والدليل قوله تعالى ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أمَّن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾^٤.

القاعدة الثانية: أنهم يقولون ما دعوناهم وتوجهنا إليهم إلا لطلب القربة والشفاعة، فدليل القربة قوله تعالى ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار﴾^٥، ودليل الشفاعة قوله تعالى ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾^٦.

^١ تقدم التعريف به في الرسالة الأولى.

^٢ سورة الذاريات: ٥٦ .

^٣ سورة النساء: ١١٦ .

^٤ سورة يونس: ٣١ .

^٥ سورة الزمر: ٣ .

^٦ سورة يونس: ١٨ .

والشفاعة شفاعتان؛ شفاعة منفية وشفاعة مُثَبِّتة، فالشفاعة المنفية ما كانت تُطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، والدليل قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون﴾^١.

والشفاعة المثبتة هي التي تُطلب من الله، والشافع مُكْرَم بالشفاعة، والمشفوع له من رضي الله قوله وعمله بعد الإذن، كما قال تعالى ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾^٢.

والقاعدة الثالثة: أن النبي ﷺ ظهر على أناس مُتَفَرِّقين في عبادتهم، منهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء والصالحين، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار، ومنهم من يعبد الشمس والقمر، وقاتلهم رسول الله ﷺ ولم يُفَرِّق بينهم، والدليل قوله تعالى ﴿قاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾^٣.

ودليل الشمس والقمر قوله تعالى ﴿ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون﴾^٤.

ودليل الملائكة قوله تعالى ﴿ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً﴾^٥.

ودليل الأنبياء قوله تعالى ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب﴾^٦.

ودليل الصالحين قوله تعالى ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه﴾^٧.

ودليل الأشجار والأحجار قوله تعالى ﴿أفرأيتم اللات والعزى * ومناة الثالثة الأخرى﴾^٨.

وحديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: خرجنا مع النبي ﷺ إلى «حُنَيْن»^١ ونحن خُدثاء عهد بكفر^٢، وللمشركين سدره يعكفون عندها^٣ وينوطون بها أسلحتهم^٤ يقال لها «ذات أنواط»، فمررنا بسدره فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ... الحديث.^٥

^١ سورة البقرة: ٢٥٤ .

^٢ سورة البقرة: ٢٥٥ .

^٣ سورة الأنفال: ٣٩ .

^٤ سورة فصلت: ٣٧ .

^٥ سورة آل عمران: ٨٠ .

^٦ سورة المائدة: ١١٦ .

^٧ سورة الإسراء: ٥٧ .

^٨ سورة النجم: ١٩ - ٢٠ .

القاعدة الرابعة: أن مُشركي زماننا أغلظ شِرْكًا من الأولين، لأن الأولين يُشركون في الرخاء ويُجِلِّصون في الشدة، ومشركو زماننا شِرْكُهم دائم في الرخاء والشدة، والدليل قوله تعالى ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾^٦.

تمت، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.^٧

^١ حُئِن: موضع بين الطائف ومكة. انظر «معجم البلدان».

^٢ أي: كانوا كفارًا فأسلموا قريبًا.

^٣ العكوف: هو الإقامة وملازمة الشيء. انظر «النهاية».

^٤ ينوطون بها أسلحتهم أي: يُعلقون عليها أسلحتهم، يظنون أن هذا الفعل يزيدها مضاء بسبب بركة الشجرة.

^٥ وتامه: فقال النبي ﷺ: سبحان الله، هذا كما قال قوم موسى لموسى ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾، والذي نفسي بيده لتركبُن سنة من كان قبلكم.

أخرجه الترمذي (٢١٨٠) وأحمد (٢١٨/٥)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

^٦ سورة العنكبوت: ٦٥ .

^٧ انتهى كلامه رحمه الله، وهو مثبت في «الدرر السنية من الأجوبة النجدية» (٢٣/٢ - ٢٦)، و «مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب» (١٩٩/١ - ٢٠٢).

الأصول الستة

تأليف

الشيخ محمد بن عبد الوهاب، رحمه الله تعالى

(١١١٥ - ١٢٠٦ هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ^١ - رحمه الله -:

من أعجب العُجاب وأكبر الآيات الدالة على قدرة الملك الغلاب؛ ستة أصول بيَّنها الله تعالى بياناً واضحاً للعوام فوق ما يظن الظانون، ثم بعد هذا غَلِطَ فيها كثير من أذكِياء العالم وعُقلاء بني آدم إلا أقل القليل.

الأصل الأول

إخلاص الدِّين لله وحده لا شريك له، وبيان ضده الذي هو الشرك بالله، وكون أكثر القرآن في بيان هذا الأصل من وجوه شتى، بكلام يفهمه أبلد العامة، ثم لما صار على أكثر الأمة ما صار، أظهر لهم الشيطان الإخلاص في صورة تنقص الصالحين، والتقصير في حقهم، وأظهر لهم الشرك بالله في صورة محبة الصالحين وأتباعهم .

الأصل الثاني

أمر الله بالاجتماع في الدِّين ونهى عن التفرق فيه، فبيَّن الله هذا بياناً شافياً تفهمه العوام، ونحانا أن نكون كالذين تفرقوا واختلفوا قبلنا فهلكوا، وذكر أنه أمر المرسلين بالاجتماع في الدين ونهاهم عن التفرق فيه . ويزيده وضوحاً ما وردت به السنة من العجب العجاب في ذلك، ثم صار الأمر إلى أن الافتراق في أصول الدين وفروعه هو العلم والفقه في الدين، وصار الأمر بالاجتماع في الدِّين لا يقول به إلا زنديق أو مجنون !

الأصل الثالث

إن من تمام الاجتماع؛ السمع والطاعة لمن تأمر علينا، ولو كان عبداً حبشياً، فبيَّن الله هذا بياناً شافياً كافياً بوجوه من أنواع البيان شرعاً وقَدَرًا، ثم صار هذا الأصل لا يُعرف عند أكثر من يدَّعي العلم فكيف العملُ به؟!

^١ تقدم التعريف به في الرسالة الأولى.

الأصل الرابع

بيان العام والعلماء، والفقهاء والفقهاء، وبيان من تشبه بهم وليس منهم. وقد بين الله هذا الأصل في أول سورة البقرة من قوله: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة: من الآية ٤٠)، إلى قوله قبل ذكر إبراهيم - عليه السلام -: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا﴾ (البقرة: من الآية ١٢٢) كالأية الأولى.

ويزيده وضوحًا ما صرّحت به السُّنة في هذا من الكلام الكثير البين الواضح للعامي البليد، ثم صار هذا أغرب الأشياء، وصار العلم والفقهاء هو البدع والضلالات، وخيار ما عندهم لبس الحق بالباطل، وصار العلم الذي فرضه الله على الخلق ومدحه؛ لا يتفوه به إلا زنديق أو مجنون، وصار من أنكره وعاداه وجدّ في التحذير عنه والنهي عنه؛ هو الفقيه العالم!

الأصل الخامس

بيان الله سبحانه للأولياء، وتفريقه بينهم وبين المتشبهين بهم من أعدائه المنافقين والفجار . ويكفي في هذا آية آل عمران، وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران: ٣١)، والآية التي في المائدة وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ (المائدة: ٥٤)، وآية في سورة يونس وهي قوله: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (يونس: ٦٢-٦٣).

ثم صار الأمر عند أكثر من يدعي العلم وأنه من هُداة الخلق، وحفاظ الشرع؛ إلى أنَّ الأولياء لا بد فيهم من ترك اتباع الرسول، ومن اتبعه فليس منهم! ولا بد من ترك الجهاد، فمن جاهد فليس منهم! ولا بد من ترك الإيمان والتقوى، فمن تقيد بالإيمان والتقوى، فليس منهم!

يا ربنا نسألك العفو والعافية، إنك سميع الدعاء .

الأصل السادس

ردُّ الشبهة التي وضعها الشيطان في ترك القرآن والسنة، واتباع الآراء والأهواء المتفرقة المختلفة، وهي أن القرآن والسنة لا يعرفهما إلا المجتهد المطلق، والمجتهد هو الموصوف بكذا وكذا، أوصافًا لعلها لا توجد تامةً في أبي بكر وعمر، فإن لم يكن الإنسان كذلك، فليعرض عنهما فرضًا حتمًا لا شك ولا إشكال فيه، ومن طلب الهدى منهما، فهو إما زنديق وإما مجنون، لأجل صعوبة فهمهما.

فسبحان الله ومحمده! كم بين الله سبحانه شرعًا وقدرًا، خلقًا وأمرًا، في رد هذه الشبهة الملعونة من وجوه شتى، بلغت إلى حدِّ الضروريات العامة ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: الآية ١٨٧)، ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا

يُؤْمِنُونَ * إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ﴿١٠﴾، إلى قوله: ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ (يس: ٧-١١).

القول السديد في شرح شروط كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»^١

عناية

ماجد بن سليمان الرسي

شوال ١٤٣٣ هـ

^١ أصل هذا الشرح للشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، وهو مذكور في «الدرر السنية من الأجوبة النجدية» (٢٥٢/٢ - ٢٥٥)، وقد زدْتُ عليه بما يسر الله.

والذي ذكره الشيخ عبد الرحمن بن حسن في عِدَّة شروط «لا إله إلا الله» أنها سبعة، وقد زاد بعض العلماء الشرط الثامن، ونقله سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله في رسالته «الدروس المهمة لعامة الأمة».

توطئة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

فإن الغاية التي من أجلها خلق الله الجن والإنس هي أن يعبدوه وحده ولا يشركوا به شيئاً، قال تعالى ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾، والعبادة تشمل كل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة.

«فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد الكفار والمنافقين، والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك، والإحسان إلى البهائم، والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة.

وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمته، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك؛ هي من العبادة لله أيضاً»^١.

و ضد العبادة الشرك في عبادة الله، بأن يجعل الإنسان لله شريكاً يعبد كما يعبد الله، ويخافه كما يخاف الله، ويتقرب إليه بشيء من العبادات كما يتقرب لله، من دعاء وصلاة أو ذبح أو نذر أو غير ذلك.

والكلام في هذا البحث المختصر منصب على شرح الشروط الثمانية لتحقيق كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»، حيث إن تحقيق كلمة التوحيد في النفس من أهم المهمات، كيف لا، ودخول الجنة والنجاة من النار منوط بها؟

والذي استنبط شروط «لا إله إلا الله» هو الشيخ عبد الرحمن بن حسن^٢ رحمه الله تعالى، انظر كلامه في «الدرر السنية من الأجوبة النجدية» (٢٤٣/٢ - ٢٤٤، ٢٤٦)، كما عزاها له الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله، فقد قال كما في «الدرر السنية من الأجوبة النجدية» (٣٥٩/٢ - ٣٦٠):

«وأما شروطها التي ذكر شيخنا الشيخ عبد الرحمن بن حسن أنه لا بُد منها في شهادة «أن لا إله إلا الله»؛ فقال رحمه الله:

لا بُد في شهادة «أن لا إله إلا الله» من سبعة شروط، لا تنفع قائلها إلا باجتماعها :

الأول: العلم المنافي للجهل، فمن لم يعرف المعنى فهو جاهل بمدلولها.

الثاني: اليقين المنافي للشك، لأن من الناس من يقولها وهو شاك فيما دلت عليه من معناها.

الثالث: الإخلاص المنافي للشرك، فإن لم يخلص أعماله كلها لله فهو مشرك شركاً ينافي الإخلاص.

الرابع: الصدق المنافي للنفاق، لأن المنافقين يقولونها، ولكنه لم يطابق ما قالوه لما يعتقدونه، فصار قولهم كذباً لمخالفة الظاهر للباطن.

^١ نقلاً من «مجموع الفتاوى» لابن تيمية رحمه الله (١٤٩/١٠ - ١٥٠) بتصرف يسير.

^٢ تقدم التعريف به في الرسالة الأولى.

الخامس: القبول المنافي للرد، لأن من الناس من يقولها مع معرفته معناها، لكن لا يقبل ممن دعاه إليه، إمّا كبراً أو حسداً أو غير ذلك من الأسباب المانعة من القبول، فتجده يعادي أهل الإخلاص ويوالي أهل الشرك ويحبهم.

السادس: الانقياد المنافي للشرك، لأن من الناس من يقولها وهو يعرف معناها، لكنه لا ينقاد للإتيان بحقوقها ولوازمها من الولاء والبراء والعمل بشرائع الإسلام، ولا يلائمه إلا ما وافق هواه أو تحصيل دُنياه، وهذه حال كثير من الناس.

السابع: المحبة المنافية لصدّها.

انتهى ما ذكره الشيخ».

انتهى كلام الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله.

أسأل الله تعالى بأسمائه وصفاته العُلا أن يوفقنا والمسلمين جميعاً لإخلاص العمل لله وحده، وأن يجنبنا وإياهم طرق الشرك والضلال، والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

وكتبه، ماجد بن سليمان الرسي

الثامن والعشرين من شعبان لعام ١٤٣٣ هجري

هاتف: ٠٠٩٦٦٥٠٥٩٠٦٧٦١

المملكة العربية السعودية

rassi@gmail.comalmajed.

فهرست الشرح

مقدمة

باب شروط «لا إله إلا الله»

سرد شروط «لا إله إلا الله» الثمانية مع شرحها

براهين «لا إله إلا الله»

شرح شروط لا إله إلا الله

الشرط الأول: العلم بمعناها علمًا جازمًا، وضده الجهل به.

الشرط الثاني: القبول لها، وضده ردها وعدم الإيمان بما تقتضيه.

الشرط الثالث: الإخلاص فيها، وضده الوقوع في الشرك.

الشرط الرابع: المحبة لها ولما دلت عليه، وضده بغض تلك الكلمة.

فصل في أنواع الناس في باب الولاء للمؤمنين، والبراءة من الكافرين

الشرط الخامس: الانقياد لها، بفعل الأوامر وترك النواهي.

الشرط السادس: التيقن بها، وهو كمال العلم بها علمًا يقينيًا، وضده الشك فيما دلت عليه وتقتضيه.

الشرط السابع: الصدق فيها، وهو موافقة إيمان القلب بقول اللسان وعمل الجوارح، وضده النفاق.

الشرط الثامن: الكفر بما ينافيها، وضده الإيمان بما ينافيها أو بعضه.

استطراد في شرح معنى «الطاغوت»

فصل في فضل ذكر الله بـ «لا إله إلا الله»

خاتمة

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

فإن شهادة «لا إله إلا الله» هي أعظم شهادة في الوجود من أعظم شاهدٍ وهو الله جل وعز، قال تعالى ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾^١، فشهادة «لا إله إلا الله» هي أكمل الشهادات.

(«وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له»، كلمة قامت بها الأرض والسموات، وخلق لت لأجلها جميع المخلوقات، وبها أرسل الله تعالى رسله، وأنزل كتبه، وشرع شرائعه، ولأجلها نُصبت الموازين، ووُضعت الدواوين، وقام سوق الجنة والنار، وبها انقسمت الخليقة إلى المؤمنين والكفار، والأبرار والفجار، فهي منشأ الخلق والأمر، والثواب والعقاب، وهي الحق الذي خلقت له الخليقة، وعن حقوقها السؤال والحساب، وعليها يقع الثواب والعقاب، وعليها نُصبت القبلة، وعليها أُسست الملة، ولأجلها جُرّدت سيوفُ الجهاد، وهي حق الله على جميع العباد، فهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، وعنهما يُسأل الأولون والآخرون، فلا تزول قدمَا العبد بين يدي الله حتى يُسأل عن مسألتين: ماذا كنتم تعبدون، وماذا أجبتم المرسلين.^٢

فجواب الأولى بتحقيق «لا إله إلا الله» معرفة وإقرارًا وعملاً.

وجواب الثانية بتحقيق أن «محمدًا رسول الله» معرفة وإقرارًا وانقيادًا وطاعة.^٣

^١ سورة آل عمران: ١٨ .

^٢ دليل ذلك من الكتاب قوله تعالى ﴿وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون * من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون﴾، وقوله تعالى ﴿ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين﴾. سورة الشعراء: ٩٢ - ٩٣، وسورة القصص: ٦٥ .

وروى ابن جرير بإسناده عن أبي العالية في تفسير قوله تعالى ﴿فأوبك لنسألنهم أجمعين * عما كانوا يعملون﴾، قال: يُسأل العباد كلهم عن حُلَّتَيْن يوم القيامة؛ عما كانوا يعبدون، وعما أجابوا المرسلين.

تفسير سورة الحجر، الآيات ٩٢ - ٩٣ .

قال ابن القيم رحمه الله: وهاتان الكلمتان هما مضمون الشهادتين.

«الرسالة التبوكية»، ص ٨٠، الناشر: مكتبة الخراز - جدة.

^٣ قاله ابن القيم رحمه الله في «زاد المعاد» (٣٤/١)، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت.

وقريبًا منه ما قاله رحمه الله في «الداء والدواء» (ص ٣٠١)، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، الناشر: دار ابن الجوزي - الدمام.

وكلمة «لا إله إلا الله» تُسمى كلمة الإخلاص، والخالص هو ما كان صافيًا من الشوائب، والشوائب هنا هو ما يقدر في تحقيق كلمة «لا إله إلا الله»، فمن أخلص «لا إله إلا الله» فقد أخلص دينه لله عز وجل، ولم يجعل لأحد فيه شيئًا، وحقق قول الله فيه ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾^١.

وكلمة «لا إله إلا الله» تُسمى أيضًا بكلمة التوحيد، لأن مؤدّاها توحيد الله في العبادة، من: وَحَدَّ يُوَحِّدُ، إذا جعل الشيء واحدًا، وضدها الشرك، أي: اتخاذ معبود مع الله، أيًا كان ذلك المعبود ملكًا أو نبيًا أو قديرًا أو وليًا أو غير ذلك، وأيًا كانت تلك العبادة.

فكلمة «لا إله إلا الله» كلمة عظيمة، بل هي أعظم الكلمات التي يُذكر الله تعالى بها، وقد جاءت الآيات والأحاديث الكثيرة ببيان عِظَمِها، فمن ذلك قوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^٢، ففي هذه الآية نرى أن الله تعالى حصر الوحي في التوحيد بأداة الحصر «إنما»، قال الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي^٣ رحمه الله في بيان النكتة من حصر الوحي في توحيد الألوهية في الآية المتقدمة في قوله «إنما»:

حَصَرُ الوحي في توحيد الألوهية حصرٌ له في أصله الأعظم الذي يرجع إليه جميع الفروع، لأن شرائع كل الأنبياء داخلة في ضمن «لا إله إلا الله»، لأن معناها خلع كل الأنداد سوى الله في جميع العبادات، وإفراد الله بجميع أنواع العبادات، فيدخل في ذلك جميع الأوامر والنواهي القولية والفعلية والاعتقادية. انتهى^٤.

قلت: ونظير هذه الآية قوله تعالى في السورة نفسها ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾^٥.

وفي هذا التكرار لمهمة الأنبياء في سورة «الأنبياء» تأكيد على أهمية توحيد العبادة في حياة الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم.

^١ سورة الزمر: ١٤ .

^٢ سورة الأنبياء: ١٠٨ .

^٣ هو الشيخ العلامة الأصولي المفسر، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، من علماء القرن الرابع عشر المبرزين، كان غزير العلم، متوقد الذكاء، ذو حافظه نادرة، له نحو عشرين كتابًا، أكثرها في التفسير والفقه والعقيدة، أشهرها ذكرًا «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن»، و«مذكرات أصول الفقه على روضة الناظر»، وقد جمعت مؤلفاته في موسوعة علمية واحدة بعنوان «آثار الشيخ محمد الأمين الشنقيطي». توفي رحمه الله عام ١٣٩٣ هـ .

باختصار من ترجمته المذكورة في مقدمة كتاب «الأضواء»، الناشر: دار عالم الفوائد - مكة.

^٤ «دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب»، سورة الأنبياء: ١٠٨ .

^٥ سورة الأنبياء: ٢٥ .

ومما يدل من الأحاديث النبوية على عِظَم كلمة «لا إله إلا الله» حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي ﷺ: أن نوحًا قال لابنه عند موته: آمرك باثنتين، وأنهاك عن اثنتين، آمرك بلا إله إلا الله، فإن السماوات السبع والأرضين السبع لو وُضعت في كفة، ووضعت «لا إله إلا الله» في كِفَّةٍ؛ رجحت بِهِنَّ «لا إله إلا الله». ولو أن السماوات السبع في حلقة مُبهِمة^١ قصمتهن «لا إله إلا الله» .. الحديث.^٢

ومما يدل على عِظَم كلمة «لا إله إلا الله» أنها تصعد إلى الله ليس بينها وبينه حجاب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ما قال عَبْدٌ «لا إله إلا الله» قط مخلصًا إلا فتحت له أبواب السماء حتى تُقْضِي إلى العرش ما اجتنب الكبائر.^٣

ومما يدل على عِظَم كلمة «لا إله إلا الله» أن التلفظ بها أفضل شُعَب الإيمان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون - شعبة، فأفضلها قول «لا إله إلا الله»، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان.^٤

أقول: ولما كانت كلمة «لا إله إلا الله» بهذه المكانة، فقد قال سفيان بن عُيَيْنَةَ رحمه الله: ما أنعم الله على العباد نعمة أعظم من أن عَرَفَهُم «لا إله إلا الله».^٥

وكلمة «لا إله إلا الله» تتضمن نفياً وإثباتاً، نفى الألوهية والعبادة عما سِوى الله، وإثباتها لله وحده، فكل ما يُعبد من دون الله فإن «لا إله إلا الله» تدل على أن عبادته باطلة، أيًا كان ذلك المعبود، ملكًا أو نبيًا أو قبرًا أو وليًا أو غير ذلك، وأيًا كان نوع عبادته، دعاءً أو سجودًا أو ذبحًا أو نذرًا أو طوافًا أو غير ذلك، لأنه لا يستحق العبادة إلا الله وحده، كما قال تعالى ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾^٦، وقال تعالى ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾^٧.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله في تفسير سورة الفاتحة:

^١ مبهمة؛ أي: لا صدع فيها. انظر «لسان العرب»، مادة: بَهَم.

^٢ رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٤٨) وأحمد في «مسنده» (١٧٠/٢)، وصححه محققو «المسند»، وكذا الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٣٤).

^٣ رواه الترمذي (٣٥٩٠)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٦٤٨).

^٤ رواه البخاري (٩) ومسلم (٣٥)، واللفظ لمسلم.

^٥ انظر «كلمة الإخلاص» لابن رجب، فصل: فضائل كلمة التوحيد.

^٦ سورة الذاريات: ٥٦ .

^٧ سورة النحل: ٣٦، وانظر ما قاله الشنقيطي في «أضواء البيان» في تفسير هذه الآية الكريمة.

قوله تعالى ﴿إياك نعبد﴾: أشار في هذه الآية الكريمة إلى تحقيق معنى «لا إله إلا الله»، لأن معناها مُركَّب من أمرين: نفي وإثبات، فالنفي: خلع جميع المعبودات غير الله تعالى في جميع أنواع العبادات، والإثبات: إفراد رب السماوات والأرض وحده بجميع أنواع العبادات على الوجه المشروع.

وقد أشار إلى النفي من «لا إله إلا الله» بتقديم المعمول الذي هو «إياك»، وقد تقدم أن تقديم المعمول من صيغ الحصر. وأشار إلى الإثبات منها بقوله ﴿نعبد﴾.

وقد بُيِّن معناها^١ المشار إليه هنا مفصلاً في آيات أخر كقوله ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم^٢﴾، فصرح بالإثبات منها بقوله ﴿اعبدوا ربكم﴾، وصرح بالنفي منها في آخر الآية الكريمة بقوله ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون^٣﴾.

وكقوله ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت^٤﴾، فصرح بالإثبات بقوله ﴿أن اعبدوا الله﴾، وبالنفي بقوله ﴿واجتنبوا الطاغوت^٥﴾.

وكقوله ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى^٦﴾، فصرح بالنفي منها بقوله ﴿فمن يكفر بالطاغوت﴾، وبالإثبات بقوله ﴿ويؤمن بالله﴾.

وكقوله ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون * إلا الذي فطرني^٧﴾ الآية.

وكقوله ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون^٨﴾.

وقوله ﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يُعبدون^٩﴾. انتهى كلامه رحمه الله.^{١٠}

وقال ابن القيم رحمه الله في بيان معنى كلمة «لا إله إلا الله»:

وَرُوح هذه الكلمة وَسْرُها: إفراد الرب جل ثناؤه وتقدست أسماؤه بالحبّة والإجلال والتعظيم والخوف والرجاء، وتوابع ذلك من التوكل والإنابة والرغبة والرغبة، فلا يُحِب سواه، وكل ما يُحِبُّ غيرُه فإنما يُحِبُّ تبعاً لمحبتة، وكونه وسيلة إلى زيادة محبتة، ولا

^١ أي: كلمة «لا إله إلا الله».

^٢ سورة البقرة: ٢١.

^٣ سورة البقرة: ٢٢.

^٤ سورة النحل: ٣٦.

^٥ سيأتي مزيد بيان لمعنى الطاغوت في شرح الشرط الثامن إن شاء الله.

^٦ سورة لقمان: ٢٢.

^٧ سورة الزخرف: ٢٦ - ٢٧.

^٨ سورة الأنبياء: ٢٥.

^٩ سورة الزخرف: ٤٥.

^{١٠} «أضواء البيان»، تفسير سورة الفاتحة، باختصر يسير.

وانظر ما قاله رحمه الله في كتابه «أضواء البيان» في تفسير الآية الأخيرة من سورة الحجر.

يَخَافُ سِوَاهُ، وَلَا يَرْجُو سِوَاهُ، وَلَا يَتَوَكَّلُ إِلَّا عَلَيْهِ، وَلَا يَرْغِبُ إِلَّا إِلَيْهِ، وَلَا يَرْهَبُ إِلَّا مِنْهُ، وَلَا يَحْلِفُ إِلَّا بِاسْمِهِ، وَلَا يَنْذِرُ إِلَّا لَهُ، وَلَا يَتَابُ إِلَّا إِلَيْهِ، وَلَا يُطَاعُ إِلَّا أَمْرُهُ، وَلَا يُتَحَسَّبُ إِلَّا بِهِ، وَلَا يُسْتَعَانُ فِي الشَّدَائِدِ إِلَّا بِهِ، وَلَا يُلْتَجَأُ إِلَّا إِلَيْهِ، وَلَا يُسَجَدُ إِلَّا لَهُ، وَلَا يُذْبَحُ إِلَّا لَهُ وَبِاسْمِهِ، وَيَجْتَمِعُ ذَلِكَ كُلُّهُ فِي حَرْفٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ: أَنْ لَا يُعْبَدَ إِلَّا إِيَّاهُ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ، فَهَذَا هُوَ تَحْقِيقُ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.^١

فعبادة الله وحده واجتناب عبادة ما سواه هي محور دعوة الرسل، وهي لبُّ الدين وأساس الملة؛ وتحقيقها شرطٌ لدخول الجنة والنجاة من النار؛ وعليه فينبغي لمن كان قصده الله والدار الآخرة أن يحقق معنى هذه الشهادة في نفسه، ولا سبيل إلى ذلك إلا بمعرفة معنى هذه الشهادة، ومعرفة شروطها، وذلك أن هذه الكلمة لا تُقبل من قائلها بمجرد نطقها باللسان فقط؛ بل لا بُدَّ من أداء حقِّها وفرضها، واستيفاء شروطها الواردة في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فإنه من المعلوم أن كل طاعة يُتقرب بها العبد إلى الله لا تُقبل منه إلا بشروطها، فالصلاة لا تُقبل إلا بشروطها، كالإسلام والطهارة واستقبال القبلة، والحج لا يُقبل إلا بشروطه، كالإسلام والبلوغ ووجود المحرم بالنسبة للمرأة، وكذلك الأمر في «لا إله إلا الله»؛ فإنها لا تُقبل إلا بشروط معلومة قد جاء ذكرها في الكتاب والسنة، استقرأها بعض أهل العلم، ثم جمعوها في مصنفات لتقريبها للناس.^٢

^١ «الداء والدواء» (ص ٣٠١)، الناشر: دار ابن الجوزي - الدمام، باختصار يسير.

^٢ بتصرف من «فقه الأدعية والأذكار»، شروط «لا إله إلا الله»، للشيخ د. عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظه الله.

باب شروط «لا إله إلا الله»

إن مما استقر عند السلف الصالح رحمهم الله أن لشهادة «لا إله إلا الله» شروطاً، فقد قيل لوهب بن منبه^١: أليس مفتاح الجنة «لا إله إلا الله»؟

قال: بلى، ولكن ليس من مفتاح إلا وله أسنان، من أتى الباب بأسنانه فُتح له، ومن لم يأت الباب بأسنانه لم يفتح له.^٢

وقبل الشروع في ذكر تلك الشروط وشرحها فإنه يحسن التنبيه إلى أن الحق تبارك وتعالى أشار إلى أن القيام بشروط كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» من أوصاف أهل الجنة في كتابه العزيز في قوله ﴿والذين هم بشهاداتهم قائمون﴾^٣، وهذه الشهادة - وإن كان المقصود بها عموم الشهادات - فإن شهادة «لا إله إلا الله» هي أولى تلك الشهادات بالقيام بتحقيقها، وداخله في المقصود دخولاً أولياً.^٤

سرد شروط «لا إله إلا الله» الثمانية مع شرحها

اعلم رحمك الله أن شهادة «لا إله إلا الله» لا تنفع قائلها إلا بتحقيق ثمانية شروط، فإذا حققها العبد في نفسه فإنه يصدق عليه القول بأنه قد حقق كلمة «لا إله إلا الله» في نفسه، واستحق ثوابها، وأنه من أهلها، وإن لم يحققها كان نُطقه لها مجرد كلام، لم يدخله في دين الإسلام، كالمنافقين الذين يقولونها بألسنتهم لتكون سترًا لهم بين المؤمنين، وعاصمة لدمائهم وأموالهم، ولكنها لن تنفعهم عند الله يوم القيامة، لأنه لم ينعقد عليها اعتقاد القلب وعمل الجوارح، وفي الآخرة سيكونون في الدرك الأسفل من النار، كحال إخوانهم الكافرين، قال تعالى ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرًا﴾^٥.

والشروط الثمانية هي:

الشرط الأول: العلم بمعناها علمًا جازمًا، وضده الجهل به.

الشرط الثاني: القبول لها، وضده ردها وعدم الإيمان بما تقتضيه.

^١ وهب بن منبه تابعي ثقة كما قال العجلي، ولد في زمن عثمان سنة ٣٤ هـ، وروايته للحديث قليلة، وإنما غزارة علمه في الإسرائيليات وصحائف أهل الكتاب. انظر «السير» (٥٤٥/٤).

^٢ رواه أبو نعيم في «الحلية» (٦٨/٤)، (الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (رقم ٢٠٨)، (الناشر: مكتبة السوادي - جدة)، وإسحاق بن راهويه كما في «المطالب العالية» (ج ١٢ برقم: ٢٨٩٣)، الناشر: دار العاصمة - الرياض.

^٣ سورة المعارج: ٣٣.

^٤ انظر للفائدة ما قاله أهل التفسير في تفسير هذه الآية، وانظر أيضًا ما قاله ابن القيم رحمه الله في القيام بهذه الشهادة وأنواع الناس في القيام بها في كتابه «الداء والدواء»، ص ٣٠٢، الناشر: دار ابن الجوزي - الدمام.

^٥ سورة النساء: ١٤٥.

الشرط الثالث: الإخلاص فيها، وضده الوقوع في الشرك.

الشرط الرابع: المحبة لها ولما دلت عليه، وضده بغض تلك الكلمة.

الشرط الخامس: الانقياد لها، بأداء الأوامر وترك النواهي.

الشرط السادس: التيقن بها، وهو كمال العلم بها علمًا يقينيًا، وضده الشك فيما دلت عليه وتقتضيه.

الشرط السابع: الصدق فيها، وهو مُوافقة إيمان القلب بقول اللسان وعمل الجوارح، وضده النفاق.

الشرط الثامن: الكفر بما ينافيها، وضده الإيمان بما ينافيها أو بعضه.

وقد جَمَعَ الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي^١ رحمه الله شروط «لا إله إلا الله» في منظومته «سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد» فقال:

وبشروط سبعة قد قُيِّدَتْ وفي نصوص الوحي حقًا وردت

فإنه لم ينتفع قائلها بالنطق إلا حيث يستكملها

العلم واليقين والقبول والانقياد فادر ما أقول

والصدق والإخلاص والمحبة وفقك الله لما أحبه

كما جمع بعض العلماء شروط شهادة «لا إله إلا الله» الثمانية في بيتين:

علم يقين وإخلاص وصدقك مع محبة وانقياد والقبول لها

وزيد ثامنها الكفران منك بما سوى الإله من الأشياء قد أُلِها

براهين «لا إله إلا الله»

^١ هو الشيخ العلامة حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، أحد علماء المملكة العربية السعودية، وعَلِمَ من أعلام منطقة الجنوب، طلب العلم على الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي رحمه الله، صنف منظومات عدة في العقيدة والفقه والمصطلح والسيرة والفرائض والآداب، وقد قام الملك الراحل سعود بن عبد العزيز آل سعود رحمه الله بطباعة كتبه كلها، وله الكتاب المشهور «معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد»، تنقل في الدعوة بين قرى منطقته، استفاد منه طلبة علم كثر، صاروا فيما بعد علماء وقضاة ودعاة، توفي رحمه الله عن خمس وثلاثين سنة في عام ١٣٧٧ هجرية في مكة بعد أن قضى مناسك الحج على إثر ضربة شمس، رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته. باختصار من ترجمته لابنه د. أحمد بن حافظ الحكمي، وتقع في مقدمة كتابه «معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد»، الناشر: دار ابن الجوزي - الدمام.

وانظر ترجمته لتلميذه الشيخ زيد بن محمد المدخلي في مقدمة كتابه «الأفنان الندية شرح السبل السوية».

اعلم رحمك الله أن البرهان الأعظم على استحقاق الله تعالى لأن يُعبد وحده دون ما سواه هو تفرده تعالى بربوبية هذا الكون^١، لا شريك له في ذلك ولا معين، والرب هو من بيده الخلق والملك والرزق والأمر – أي أمر تدبير هذا الكون –، فلا خالق إلا الله، ولا مالك إلا هو، ولا رازق إلا هو، ولا أمر إلا هو، قال تعالى مبيناً تفرده بالخلق ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾^٢، وقال تعالى ﴿بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^٣، بديع أي مبدع^٤، والمعنى: مُوجِد السماوات والأرض. وقال تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^٥، ومعنى فاطر أي مُوجِد^٦.

ودليل انفراده بالملك قوله تعالى ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلِداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾^٧، وقوله ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾^٨، وقوله تعالى ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾^٩.

ودليل انفراده بالأمر – ويعبر عنه أيضاً بالتدبير – قوله تعالى ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾^{١٠}، وقوله ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^{١١}، وقوله ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾^{١٢}، وقوله ﴿وإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾^{١٣}.

فتدبير هذا الكون من إحياء وإماتة، ومطرٍ وجذبٍ، وغنى وفقرٍ، وصحةٍ ومرضٍ، وأمنٍ وخوفٍ، وغير ذلك مما يجري في هذا الكون؛ إنما هو بأمر الله تعالى.

ودليل انفراده بالرزق قوله تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يَمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ﴾^{١٤}.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله في كلام له عن الاستدلال بالخلق والرزق على استحقاق الله للعبادة دون ما سواه^{١٥}:

^١ وهو المعروف بتوحيد الربوبية.

^٢ سورة الأعراف: ٥٤ .

^٣ سورة البقرة: ١١٧ .

^٤ انظر «مفردات ألفاظ القرآن الكريم» للراغب الأصفهاني رحمه الله.

^٥ سورة فاطر: ١ .

^٦ انظر «مفردات ألفاظ القرآن الكريم» للراغب الأصفهاني رحمه الله.

^٧ سورة الإسراء: ١١١ .

^٨ سورة الملك: ١ .

^٩ سورة فاطر: ١٣ .

^{١٠} سورة يس: ٨٢ .

^{١١} سورة السجدة: ٥ .

^{١٢} سورة هود: ١٢٣ .

^{١٣} سورة الروم: ٤٠ .

من أعظم براهين عبادة الله وحده أنه خلقنا واخترعنا من العدم إلى الوجود، وخلقنا لنا من غرائب وعجائب صنعه كما نبين منه نموذجًا قليلًا هنا:

أولاً: الله في القرآن يجعل الفرق والعلامة الفارقة بين من يستحق أن يُعبد ومن لا يستحق أن يُعبد هي الإبراز والاختراع والإبداء من العدم إلى الوجود، فمن يَخْتَرَعك ويبرزك من العدم إلى الوجود عليك أن تعبد، ومن لا يَخْلُقك فهو محتاج إلى خالق - مثلك^٢ - فأنت وهو مُلَزَمَان بأن تعبدَا من خلقكما ولذا قال هنا ﴿اعبدوا ربكم الذي خلقكم﴾^٣، وقال جل وعلا ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق﴾^٤، ﴿أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار﴾^٥، وخالق كل شيء هو معبود كل شيء، وهذه الحالة التي خلقنا عليها خالق الكون هي من غرائب وعجائب صنع من خلقنا، وقد أمرنا أمرًا واجبًا على كل إنسان منا أن ينظر فيها^٦ ويتأمل حيث قال ﴿فلينظر الإنسان مم خلق﴾^٧، هذا أمر واجب من خالق الكون ...

وصور بني آدم على هذه الصورة، جعل الأنف هنا، والعينين هنا، ولم يشتهب اثنان، طبع كل إنسان على صورة مخالفة لصورة الآخر، وهذه الصورة التي وُضع عليها كل واحد هي سابقة في العلم الأزلي، ووُضع تنفيذًا على نحو ما سبق به العلم، ولو خُلِق ملايين الملايين زائدًا على من خُلِق لم يضق العلم، فكل واحد توجد له صورة مخالفة لصورة الآخر، حتى آثارهم في الأرض وأصوات نغماتهم وبصماتهم في الأوراق كلها مختلفة، هذه صنائع رب العالمين، وهذه أسرار قليلة من أسرار معنى ﴿ربكم الذي خلقكم﴾، يعني: فمن فعل فيكم هذا من الأفعال والغرائب والعجائب في كل عضو وكل مَطْرَحِ إبرة هو ربكم الذي يستحق أن تعبدوه.

ولا يخفى عليكم أن ربنا فعل فينا هذا من الغرائب والعجائب ونحن في بطون أمهاتنا، لم يحتج إلى أن يشق أم الواحد منا^٨ ولا أن يُنَجِّجها^٩ ولا يُنَوِّمها في صِحَّة^١، بل فعل كل هذه العمليات والأم لاهية تفرح وتمرح، لا تدري عن شيء مما يُفعل في

^١ تم النقل باختصار من كتاب «الرحلة إلى أفريقيا» (ص ٢٤ - ٣٠)، وهو كتاب ضم محاضرات قام بها الشيخ الشنقيطي إبان رحلته الدعوية لأفريقيا، وقد دُوِّنت تلك المحاضرات على أشرطة صوتية، ثم فُرِغَت ورتبت في الكتاب المذكور، وقد قام بتحقيق الكتاب الشيخ د. خالد بن عثمان السبب حفظه الله، ونشرته دار عالم الفوائد - مكة.

^٢ أي: هو مثلك.

^٣ سورة البقرة: ٢١ .

^٤ سورة النحل: ١٧ .

^٥ سورة الرعد: ١٦ .

^٦ الضمير عائد على حالة الخلق المشار إليها في السطر الذي قبله.

^٧ سورة الطارق: ٥ .

^٨ أي يشق بطنها .

^٩ أي يُخَدِّرها.

داخلها من غرائب صنع الله وعجائبه، ثم يُيسّر طريق الخروج، ونحن دائماً نذكر هذا لأن الله يلفتنا إليه حيث يقول ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظِلْمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾، ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة، ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾^١، وهو محل الشاهد، فهذا الذي يفعل هذا الخلق والإيجاد هذا هو الذي يستحق أن يُعبد

ثم زاد في البراهين العقلية ﴿الذي جعل لكم الأرض فراشاً﴾ يعني: هذا من غرائب صنعه وعجائب أمره التي تستدعي أن يُعبد وحده ويُعلم أنه الرب وحده.

وهذا الذي فرش هذه الأرض ليس بأخرق^٢ ﴿والأرض فرشناها فنعم الماهدون﴾^٣، جعلها ليست شديدة الاستعداد في أخذ الحر زمن الحر ولا لأخذ البرودة زمن البرودة، فلو جعل الأرض كلها من حديد أو من نحاس أو من رصاص أو قصدير هلك كل من عليها، جعلها رخوة لينة يعيش الخلق عليها، قابلة للزراعات وأنواع الغراسات وإجراء العيون والأنهار وبناء البيوت، ومثبتة مُوطّدة بالجبال، تدفن فيها الأموات كما قال ﴿ألم نجعل الأرض كفاتاً* أحياء وأمواتاً﴾^٤.

وقوله ﴿كفاتاً﴾ مصدر كَفَتَهُ إذا ضَمَّهُ، أي تكفّتكم وتضمّكم أحياءً على ظهرها وأمواتاً في القبور في بطنها، وهذه الأرض التي فرشها هذا الفرش بث فيها جل وعلا من هذه الجبال وعلى ألوان مختلفة ﴿ومن الجبال جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ* ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾^٥، بث فيها من أنواع الحيوانات والأشجار والثمار وأنواع الحبوب والزرع والمعادن والجبال مع اختلاف الألوان والأشكال والمنافع والأقدار والطعوم، ﴿وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يُسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾^٦.

^١ أي مستشفى صحي.

^٢ سورة الزمر: ٦ .

^٣ الأخرق هو الجاهل بعمله. انظر «النهاية».

^٤ سورة الذاريات: ٤٨ .

^٥ سورة المرسلات: ٢٥ - ٢٦ .

^٦ سورة فاطر: ٢٧ - ٢٨ .

^٧ سورة الرعد: ٤، وقد قال رحمه الله في التعليق عليها:

فالأرض التي تنبت فيها الثمار واحدة، لأن قطعها متجاورة، والماء الذي تُسقى به ماء واحد، والثمار تخرج متفاضلة مختلفة في الألوان والأشكال والطعوم والمقادير والمنافع.

فهذا أعظم برهان قاطع على وجود فاعل مختار، يفعل ما يشاء كيف يشاء، سبحانه جل وعلا عن الشركاء والأنداد.

«أضواء البيان»، تفسير سورة النحل: ١٣ .

ثم قال ﴿والسمااء بناء﴾ أي: وجعل هذه السمااء بناء سقفاً مرفوعاً، لا يتفطر ولا يتشقق، ولا يحتاج إلى ترميم ولا إصلاح مع أنه تمر عليه آلاف السنين ﴿فارجع البصر هل ترى من فطور﴾ * ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير^١ أي: فاتراً ذليلاً من عظم ما رأى.

[برهان الرزق: قول الله تعالى ﴿وأنزل من السمااء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾^٢]

هب أن الله جل وعلا خلق الماء وأبدعه بقدرته وإرادته ثم أنزله على هذا الأسلوب الغريب العجيب الهائل، ورويت الأرض وشربت، من هو الذي يقدر على أن يشق الأرض ويخرج منها بمسمار النبات؟! هب أن مسمار النبات^٣ خرج، من هو الذي يقدر على أن يخرج منه السنبلة؟ هب أن السنبلة خرجت، من هو الذي يقدر على أن يثبت فيها الحب؟ هب أن الحب خلُق، من الذي يقدر على أن يُنميه وينقله من طور إلى طور حتى يكون تاماً صالحاً للأكل، ﴿انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون﴾^٤، ولذا قال جل وعلا ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه﴾ * أنا صببنا الماء صباً * ثم شققنا الأرض﴾ يعني: عن النبات ﴿شقاً﴾ * فأنبتنا فيها حباً * وعنباً وقضباً﴾، هذا من غرائب وعجائب صنع رب العالمين جل وعلا ولذا قال ﴿وأنزل من السمااء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم﴾.

فإذا علمتم هذا وعرفتم أن خالق الكون هو الذي رفع هذه السمااء ودحى هذه الأرض^٥، وأبرزكم من العدم إلى الوجود، وأثبت لكم الأرزاق؛ لا تعادلوا بهذا من لا يقدر على شيء، ولا تصرفوا شيئاً من حقوقه إلى عاجز ضعيف لا يقدر على شيء، ولذا قال ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً﴾، نظراء تصرفون لهم حقوقه في العبادة، ﴿وأنتم تعلمون﴾ أنه الواحد الرب وحده المحيي المميت القادر على كل شيء، الذي يستحق أن يُعبد وحده. انتهى كلامه رحمه الله.

فصل

^١ وانظر ما قاله رحمه الله في «أضواء البيان»، تفسير سورة الأحقاف: ٣ من عند قوله: وبذلك تعلم أنه ما خلق السماوات والأرض وما بينهما إلا خلقاً متلبساً بأعظم الحق الذي هو إقامة البرهان القاطع على توحيده جل وعلا ...

^٢ سورة البقرة: ٢٢ .

^٣ ما بين المعقوفتين من وضع مقيده عفا الله عنه تمييزاً لكلام الشيخ بعضه عن بعض.

^٤ أي ساقه.

^٥ سورة الأنعام: ٩٩ .

^٦ الدحو هو المد والبسط. انظر «تفسير الطبري»، تفسير سورة النازعات: ٣٠ .

وقد كان المشركون في عهد النبي ﷺ يُقرُّون بربوبية الله تعالى مع إشراكهم به في العبادة، فأنكر الله عليهم ذلك، لأن الإقرار بالربوبية لا يكفي للدخول في الإسلام حتى يُضم إليه إفراؤه بالعبودية، قال تعالى لنبيه حاثًا له على أن يقول للمشركين المعترفين لله بالربوبية، المشركين معه غيره في العبادة ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٢٠﴾

استطراد

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي^٣ رحمه الله:

الطريق إلى العلم بأنه «لا إله إلا الله» أمور:

أحدها . بل أعظمها . تدبر أسمائه وصفاته وأفعاله الدالة على كماله وعظمته وجلاله، فإنها تُوجب بذل الجهد في التأله له والتعبد للرب الكامل الذي له كل حمدٍ ومجدٍ وجلالٍ وجمال.

الثاني: العلم بأنه تعالى المنفرد بالخلق والتدبير، فيُعلم بذلك أنه المنفرد بالألوهية.^٤

الثالث: العلم بأنه المنفرد بالنعم الظاهرة والباطنة، الدنيوية والدنيوية، فإن ذلك يُوجب تعلق القلب به ومحبته والتأله له وحده لا شريك له.

الرابع: ما نراه وما نسمعه من الثواب لأوليائه القائمين بتوحيده، من النصر والنعم العاجلة، ومن عقوبته لأعدائه المشركين به، فإن هذا داعٍ إلى العلم بأنه تعالى وحده المستحق للعبادة كلها.

الخامس: معرفة أوصاف الأوثان والأنداد التي عُبدت مع الله واتُّخذت آلهة، وأنها ناقصة من جميع الوجوه، فقيرة بالذات، لا تملك لنفسها ولا لعبديها نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، ولا ينصرون من عبدهم، ولا ينفعونهم بمثقال ذرة، من جلب خيرٍ أو دفع شر، فإن العلم بذلك يوجب العلم بأنه «لا إله إلا الله» وبُطلان إلهية ما سواه.

^١ سورة المؤمنون: ٨٤ - ٨٩ .

^٢ انظر ما قاله ابن كثير في تفسير هذه الآيات، وكذا ما قاله الشنقيطي في تفسير آية يونس: ٣١، وآية يوسف: ١٠٦، وآية الإسراء: ٩ من ابتداء قوله: ويكثر في القرآن العظيم الاستدلال على الكفار باعترافهم بربوبيته جل وعلا ... إلخ.

^٣ هو الشيخ العلامة المفسر الفقيه عبد الرحمن بن ناصر السعدي، من فحول علماء نجد، استوطن بلدة عنيزة من مدن القصيم، ولد عام ١٣٠٧ وتوفي عام ١٣٧٦ هجري، تتلمذ على يده عدد من الطلبة صاروا فيما بعد من علماء المسلمين، كالشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عجيل، والشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام، والشيخ محمد بن صالح العثيمين وغيرهم، رحمهم الله.

انظر ترجمته في كتاب «علماء نجد خلال ثمانية قرون»، للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام رحمه الله.

^٤ تقدم شرح هذا البرهان قبل فصلين.

السادس: اتفاق كتب الله على ذلك^١ وتواطؤها عليه.

السابع: أن خواص الخلق الذين هم أكمل الخليقة أخلاقاً وعقولاً ورأياً وصواباً وعلماً - وهم الرسل والأنبياء والعلماء الربانيون - قد شهدوا الله بذلك.

الثامن: ما أقامه الله من الأدلة الأفقية والنفسية^٢ التي تدل على التوحيد أعظم دلالة، وتُنادي عليه بلسان حالها بما أودعها من لطائف صنعته وبديع حكمته وغرائب خلقه، فهذه الطرق التي أكثر الله من دعوة الخلق بها إلى أنه «لا إله إلا الله»، وأبداها في كتابه وأعادها؛ عند تأمل العبد في بعضها لا بد أن يكون عنده يقين وعلم بذلك، فكيف إذا اجتمعت وتواطأت واتفقت، وقامت أدلة للتوحيد من كل جانب؟! فهناك يَرَسَخُ الإيمان والعلم بذلك في قلب العبد، بحيث يكون كالجبال الرواسي لا تُزَلْزَلُهُ الشُّبُه والخيلالات، ولا يزداد على تكرار الباطل والشُّبُه إلا نمواً وكمالاً، هذا وإن نظرت إلى الدليل العظيم والأمر الكبير، وهو تدبر هذا القرآن العظيم والتأمل في آياته؛ فإنه الباب الأعظم إلى العلم بالتوحيد، ويحصلُ به من تفاصيله وجملة ما لا يحصل في غيره. انتهى.^٣

^١ أي: على التوحيد.

^٢ أي الأدلة الكونية التي أقامها الله تعالى في الآفاق، وكذلك الآيات في النفس البشرية، كما قال تعالى ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾.

^٣ انظر «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»، تفسير سورة محمد، عند تفسير قوله تعالى ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾، الآية ١٨ .

شرح شروط لا إله إلا الله^١

الشرط الأول: العلم بمعناها علماً جازماً، وضده الجهل به.

معنى هذا الشرط أن يعلم العبد بأن الله وحده هو المستحق لجميع أنواع العبادة، وأن ما سوى الله لا يستحق أن يصرف له من العبادة شيئاً.

فقول «لا إله إلا الله»، أي لا معبود بحق إلا الله.

وقول: «وحده»؛ تأكيد لإثبات تفرد الله بالعبادة.

وقول: «لا شريك له»، تأكيد للنفي.

فانظر إلى هذه المؤكّدات الثلاثة لتفرد الله بحق العبادة، الأولى الحصر بـ (إلا)، والثانية قوله (وحده)، والثالثة قوله (لا شريك له).

وفي هذا تأكيدٌ بعد تأكيد، اهتماماً بمقام التوحيد.

فمن تلفظ بهذه الكلمة «لا إله إلا الله» وهو لا يعرف معناها فإنها لا تنفعه، لأنه لم يعتقد ما تدل عليه، كالذي يتكلم بلغة لا يفهمها.

ومما يبين معنى «لا إله إلا الله» قوله تعالى ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله﴾^٢، ومعنى ﴿سواء بيننا وبينكم﴾؛ أي نستوي نحن وأنتم في قصر العبادة على الله، وترك الشرك كله.

وقال الخليل عليه السلام ﴿إني براء مما تعبدون * إلا الذي فطرنى فإنه سيهدين * وجعلها كلمة باقية في عقبه﴾^٣. فهذا هو حقيقة معنى «لا إله إلا الله»، وهو البراءة من كل ما يُعبد من دون الله، وهو النفي، وإخلاص العبادة لله وحده، وهو الإثبات، وهذا هو معناها الذي دلّت عليه هذه الآيات وما في معناها، فمن تحقّق ذلك وعلمه فقد حصل له العلم^٤ بها.

^١ أصل هذا الشرح للشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، وهو مذكور في «الدرر السنية من الأجوبة النجدية» (٢٥٢/٢ - ٢٥٥)، وقد زدت عليه بما يسر الله.

والذي ذكره الشيخ عبد الرحمن بن حسن في عِدّة شروط «لا إله إلا الله» أنها سبعة، وقد زاد بعض العلماء الشرط الثامن، ونقله سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله في رسالته «الدروس المهمة لعامة الأمة».

^٢ سورة آل عمران: ٦٤.

^٣ سورة الزخرف: ٢٦ - ٢٨.

^٤ وهذا هو الشرط الأول من شروط «لا إله إلا الله».

قال الشيخ عبد الرحمن السَّعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون﴾^١: أي نطق بلسانه مقراً بقلبه عالماً بما شهد به، ويُشترط أن تكون شهادته بالحق، وهو الشهادة لله تعالى بالوحدانية، ولرسله بالنبوة والرسالة، وصحة ما جاؤوا به من أصول الدين وفروعه وحقائقه وشرائعه، فهؤلاء الذين تنفع فيهم شفاعة الشافعين، وهؤلاء الناجون من عذاب الله، الحائزون لثوابه. انتهى^٢.

قوله ﴿وهم يعلمون﴾؛ أي يعلمون بقلوبهم ما نطقت به ألسنتهم، فجعل العلم شرطاً للشهادة بالحق، أي شهادة «لا إله إلا الله».

وقال تعالى لنبيه ﷺ ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾^٣، فقوله ﴿فاعلم﴾؛ هو الشاهد من الآية، وهو الأمر بالعلم بمعنى «لا إله إلا الله».

وفي هذه الآية أمر الله بالعلم بلا إله إلا الله ثم قال بعدها ﴿واستغفر لذنبك﴾، فابتدأ بالأمر بالعلم ثم أمر بالعمل وهو الاستغفار، لينبه على تقديم العلم على العمل دائماً، ولهذا بوب البخاري رحمه الله في «صحيحه» باباً سماه: «باب العلم قبل القول والعمل»، وذكر هذه الآية.

قال الشيخ عبد الرحمن السَّعدي رحمه الله: العلم لا بُدَّ فيه من إقرار القلب ومعرفته بمعنى ما طُلب منه علمه، وتماه أن يعمل بمقتضاه، وهذا العلم الذي أمر الله به - وهو العلم بتوحيد الله - فرض عين على كل إنسان، لا يسقط عن أحد كائناً من كان، بل كلٌّ مضطر إلى ذلك. انتهى^٤.

ومن أدلة وجوب العلم بمعنى «لا إله إلا الله» حديث عثمان بن عفان مرفوعاً: قال رسول الله ﷺ: من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة.^٥

والشاهد قوله: (وهو يعلم)، فدَلَّ على أن العلم بالشهادة شرط لدخول الجنة، وحسبك بهذا شاهداً.

قلت: ولما كان العلم بالشيء وتحقيقه أمران نسيان يتفاوت فيهما الناس ما بين مُقِلٍّ ومستكثر؛ فإن الناس يتفاوتون في حظهم من «لا إله إلا الله» بحسب علمهم بمعنى هذه الكلمة.^٦

وختلاصة القول أن العلم بمعنى كلمة التوحيد وفهم مضمونها من شروط تحقيقها.

الشرط الثاني: القبول لها، وضده ردها وعدم الإيمان بما تقتضيه.

^١ سورة الزخرف: ٨٦ .

^٢ انظر تفسير الآية في كتابه «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان».

^٣ سورة محمد: ١٩ .

^٤ انظر «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»، تفسير سورة محمد: ١٩ .

^٥ رواه مسلم (٢٦).

^٦ بتصرف من كلام للشيخ عبد الرحمن بن حسن في «الدرر السنية» (٢٤٤/٢).

إذا عَرَفَ العبد شرط العلم؛ فلا بُدَّ له من **القبول** لما دلت عليه كلمة «لا إله إلا الله»، والقبول هو التصديق بالشيء مع الرضا به رضاً قلبياً، ودليل القبول من الكتاب قوله تعالى ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾^١.

قال الشيخ صالح بن فوزان الفوزان^٢ حفظه الله: ومن مقتضى «لا إله إلا الله» قبول تشريع الله في العبادات والمعاملات والتحليل والتحريم ورفض كل تشريع لا يوافق التشريع الإسلامي، قال تعالى ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾.

فلا بُدَّ من قبول تشريع الله في العبادات والمعاملات والحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه في الأحوال الشخصية وغيرها، ورفض القوانين الوضعية، ومعنى ذلك رفض جميع البدع والخرافات التي يبتدعها ويروجها شياطين الإنس والجن في العبادات، ومن تقبل ذلك فهو مشرك في الطاعة كما قال في هذه الآية ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾، وقال تعالى ﴿وإن أطمعتمهم إنهم لمشركون﴾، وقال تعالى ﴿اتخذوا أبحارهم ورهبانهم أربابا من دون الله﴾^٣. انتهى.

و ضد القبول الرد، سواء كان الرد عن جحود أو جهل، فمثال **الجحود** ما كان عليه حال مشركي قريش والعرب وأمثالهم من الكفار، فإنهم عرفوا ما دلت عليه لكن لم يقبلوا، بل استكبروا عن قبول الحق وردُّوه، قال تعالى واصفاً حالهم ﴿إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون﴾* ويقولون أئنا لتاركوا آلِهتنا لشاعر مجنون^٤، والذي دعاهم إلى الاستكبار عنها أنهم عرفوا أن «لا إله إلا الله» توجب ترك ما كانوا يعبدونه من دون الله من الأصنام.

وأما الجهل فهو حال من لم يعرف دين الإسلام أصلاً، فهذا لم يقبل «لا إله إلا الله»، وفي عذره بالجهل تفصيل معروف عند أهل العلم.

والقبول أمر قلبي ورضى اختياري، فهو أمر متعلق بالقلب، بخلاف الانقياد - وسيأتي الكلام عليه في موضعه إن شاء الله - فهو انقياد الجوارح لأوامر الله تعالى، فالقبول سبب والانقياد أثر، والله الهادي.

الشرط الثالث: الإخلاص فيها، وضده الوقوع في الشرك.

^١ سورة البقرة: ٢٨٥.

^٢ هو الشيخ الفقيه الذابُّ عن دين الله، العالم في العقيدة والفقه، المقدم في علوم الشريعة، طالما دافع عن العقيدة الإسلامية ورد على أهل البدع، جمعت ردوده فوقعت في ثلاث مجلدات، له مؤلفات كثيرة في فنون متنوعة، أوصى بالرجوع إليه الشيخان الجليلان عبد العزيز بن باز ومحمد بن عثيمين قبيل وفاتهما، حفظه الله ذخراً للإسلام والمسلمين.

^٣ «لا إله إلا الله، معناها مكانتها، فضلها، وآثارها في الفرد والمجتمع»، ص ٢١ - ٢٢، الناشر: دار العاصمة - الرياض.

^٤ سورة الصافات: ٣٥ - ٣٦.

الإخلاص ضده الشرك، ويكون بتجريد العبادات لله تعالى وحده، وتصفيته عن التوجه للمخلوقين، أيًا كان ذلك المخلوق، ملكًا أو نبيًا أو وليًا أو غير ذلك، وأيًا كانت تلك العبادات، من دعاء أو ذبح أو سجود أو غير ذلك، ودليل وجوب الإخلاص قوله تعالى ﴿فاعبد الله مخلصاً له الدين﴾^١، وقوله تعالى ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾^٢، وقوله تعالى ﴿قل إني أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾^٣ وأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ * قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم * قل الله أعبد مخلصاً له ديني * فاعبدوا ما شئتم من دونه﴾^٤. وعن حديث عتب بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: فإن الله قد حرّم على النار من قال «لا إله إلا الله»، **يبتغي** بذلك وجه الله.^٥

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه سأل النبي ﷺ: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال: أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال «لا إله إلا الله» **خالصاً** من قلبه، أو نفسه. ولفظ أحمد: **خالصة** من قبل نفسه.^٥ قال ابن كثير^٦ رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿فاعبد الله مخلصاً له الدين﴾^١ ألا لله الدين الخالص: أي: فاعبد الله وحده لا شريك له، وادع الخلق إلى ذلك، وأعلمهم أنه لا تصلح العبادة إلا له وحده، وأنه ليس له شريك ولا عديل ولا نديد، ولهذا قال تعالى ﴿ألا لله الدين الخالص﴾، أي لا يقبل من العمل إلا ما أخلص فيه العامل لله وحده لا شريك له. انتهى. وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله في تفسير آية البينة (٥): فما أُمِرُوا فِي سَائِرِ الشَّرَائِعِ إِلَّا أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، أي قاصدين بجميع عباداتهم الظاهرة والباطنة وجه الله وطلب الزلفى لديه، ﴿حنفاء﴾، أي معرضين مائلين عن سائر الأديان المخالفة لدين التوحيد. انتهى.^٧

وقوله ﴿حنفاء﴾؛ الحنف هو الميل، والمقصود هو الميل عن الشرك إلى التوحيد، وهو تأكيد لمعنى ﴿مخلصين﴾.

^١ سورة الزمر: ٢ - ٣ .

^٢ سورة البينة: ٥ .

^٣ سورة الزمر: ١١ - ١٥ .

^٤ رواه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٣٣)، ولفظ مسلم: لا يشهد أحد أن «لا إله إلا الله»، وأني رسول الله» فيدخل النار، أو تطعمه.

^٥ رواه البخاري (٩٩)، وأحمد (٣٧٣/٢).

^٦ هو عماد الدين، إسماعيل بن عمر بن كثير، البصري الأصل، الدمشقي الشافعي، ولد في مطلع القرن الثامن، درس على شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وبرع في الفقه والتفسير والنحو والتاريخ، له تصانيف مفيدة، أشهرها كتابه «تفسير القرآن العظيم»، وكتاب «البداية والنهاية» في التاريخ، توفي سنة ٧٧٤ .

انظر ترجمته في «الدرر الكامنة» لابن حجر، و «شذرات الذهب» لابن العماد، و «البدر الطالع» للشوكاني، رحمهم الله.

^٧ انظر تفسير الآية في كتابه «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان».

قوله: (قد حرم على النار)؛ أي على وجه التأييد، لأنه ثبت أن بعض المؤمنين يعذبون في النار على كبائر ارتكبوها، ثم يخرجهم إلى الجنة بعد تطهيرهم في النار.

أو أن المقصود أن الله حرم دخولهم في النار ابتداء لأنهم قاموا بما أمرهم الله، وانتهوا عما نهاهم الله عنه. وقوله: (أسعد الناس بشفاعتي)؛ من المعلوم أن هناك عدة شفعاء يوم القيامة، فالأنبياء يشفعون، والملائكة يشفعون، والمؤمنون يشفعون، والأطفال يشفعون، والقرآن يشفع، وغيرهم، والنبي ﷺ من جملة هؤلاء الشفعاء، فأسعد الناس بشفاعته يوم القيامة من قال «لا إله إلا الله» عن إخلاص، فخرج بهذا من قالها بلسانه وخالفها بجوارحه، بأن أشرك بجوارحه، فإن كثيراً ممن ينتسبون إلى الإسلام يقولونها، وهم مع هذا يدعون غير الله ويدبحون لغير الله، فهؤلاء لم يطابق قولهم فعلهم، فليس لهم من شفاعاة النبي ﷺ نصيب، فواعظهم خسارتهم.

وعن أبي شيبة الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من قال «لا إله إلا الله» مخلصاً بها قلبه؛ دخل الجنة.^١ والحاصل أن مطلب الإخلاص الوارد في هذه الآيات والأحاديث يدل دلالة واضحة على أنه من شروط صحة «لا إله إلا الله»، فإذا صرّف العبد شيئاً من عباداته لغير الله فقد انتقضت تلك الشهادة، لأنه إذا انتفى الشرط انتفى المشروط.

^١ رواه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمتاني» (٢٢٩/٤)، (الناشر: دار الراية - الرياض)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٦٥/٨).

الشرط الرابع: المحبة لها ولما دلت عليه، وضده بُغض تلك الكلمة.

ومن شروط «لا إله إلا الله» المحبة لها، أي محبة ما دلت عليه من الإخلاص ونفي الشرك، وهذا يقتضي حب أهلها، وحب الكتب التي تدعو إلى التوحيد الخالص، والعلماء الذين يدعون إليه.

ومحبة «لا إله إلا الله» تستلزم ضدها، وهو كُره من كره هذه الكلمة، واستكبر عنها، وهم الكفار.

فمن كره التوحيد، أو كره أهله، أو كره الكتب التي تدعو إليه، والعلماء الذين يدعون إليه لكونهم يدعون إليه؛ فقد نقض هذا الشرط.

وكذا من أحب ما يُعبد من دون الله من الأنداد والأصنام، أو أحب أعداء كلمة «لا إله إلا الله»، الذين لم يرفعوا بها رأساً، وهم الكفار، وترك معاداتهم؛ فقد نقص في تحقيق هذا الشرط، بل قد يصل به الأمر إلى حد الكفر إن عاونهم ضد المسلمين لقصد هدم الدين.

قال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله: (وعلاوة حب العبد ربه تقديم محابته وإن خالفت هواه، وبغض ما يُبغض ربه وإن مال إليه هواه، وموالاته من وإلى الله ورسوله، ومعاداة من عاداه، واتباع رسوله ﷺ، واقتفاء أثره وقبول هدايته، وكل هذه العلامات شروط في المحبة، لا يُتصور وجود المحبة مع انعدام شرط منها).

وقال تعالى في شأن الموالاتة والمعاداة فيه ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾^١.

قال ابن تيمية^٢ رحمه الله: ليس للقلوب سرور ولا لذة تامة إلا في محبة الله والتقرب إليه بما يُحبه، ولا تُمكن محبته إلا بالإعراض عن كل محبوب سواه، وهذا حقيقة «لا إله إلا الله»، وهي ملة إبراهيم الخليل عليه السلام وسائر الأنبياء والمرسلين، صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين^٣.

^١ سورة الممتحنة: ٤ .

^٢ «معارج القبول» (٢/٥٢٤ - ٥٢٥)، الناشر: دار ابن الجوزي - الدمام.

^٣ هو الإمام العلامة البحر الفقيه، شيخ الإسلام حقاً، أبو العباس، تقي الدين، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، الحارثي ثم الدمشقي، الملقب بابن تيمية، جدّد دين الإسلام بعدما استحكمت غربته، وأظلمت الدنيا بالبدع الكلامية وخرافات الصوفية وشركيات القبورية وإلحاد الفلاسفة والرافضة، فجدد الدعوة للإسلام الصافي على منهاج الكتاب والسنة، وجهر بالحق، وناظر أهل الباطل، وتحمل السجن في سبيل ذلك، فكتب الله لعلمه القبول، وسارت بمصنفاته الركبان، وصار من بعده من علماء السنة عيالاً عليه، أما تلاميذه فصار بعضهم من أئمة الإسلام، كابن القيم وابن كثير والذهبي وابن عبد الهادي وغيرهم، توفي رحمه الله سنة ٧٢٨ هـ، وقد جمع بعض المحققين أقوال من ترجم له في

قلت: وقد بُلي بعض المسلمين بمحبة الكفار، وهذا حرام، لأن محبة الكفار هو معنى موالاتهم، فإن الموالاتة هي المحبة، وموالاتة الكفار تدل بلا شك على وجود نقص في تحقيق شرط محبة كلمة «لا إله إلا الله»، لأن المحبة التامة تستلزم ضدها، وهو بغض ما يخالفها ومن يخالفها.^٢

وقد وردت آيات كثيرة في التحذير من موالاتة الكفار كقوله تعالى ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾^٣.

وقال النبي ﷺ: **أوثق عرى الإيمان؛ الحب في الله والبغض في الله.**^٤

وعن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان)، وفي لفظ: (لا يجد طعم الإيمان إلا من كان فيه ثلاث): من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يُحِبَّ المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يرجع في الكفر كما يكره أن يلقي في النار.^٥

وعن سهل بن معاذ عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه قال: من أعطى الله تعالى، ومنع الله تعالى، وأحب الله تعالى، وأبغض الله تعالى، وأنكح الله تعالى؛ فقد استكمل إيمانه.^٦

وعن أبي أمامة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله؛ فقد استكمل الإيمان.^٧

جامع نفيس، ووسموه بـ «الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون»، بإشراف الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله، ونشرته دار عالم الفوائد - مكة، فليرجع إليه من أراد الاستزادة.

^١ «مجموع الفتاوى» (٣٢/٢٨).

^٢ ومن هنا نعلم خطر ما وقع فيه كثير من شباب المسلمين من محبة بعض الكفار والتعلق بهم، كبعض المغنين أو اللاعبين، والله المستعان.

^٣ سورة المجادلة: ٢٢ .

^٤ أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٨٦/٤)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٣٢٧)، (الناشر: دار الكتب العلمية) عن البراء بن عازب رضي الله عنه، ورواه الطبراني في «الكبير» (٢٧٢/١٠) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وحسنه الألباني بمجموع طرقه في «الصحيحة» (١٧٢٨).

^٥ رواه البخاري (١٦) ومسلم (٤٣)، واللفظ للبخاري.

^٦ رواه الترمذي (٢٥١١) وأحمد (٤٣٨/٣) وأبو يعلى (٦٠/٣)، والطبراني في الكبير (٤١٢/٢٠)، وحسنه الألباني، وقال محققو «المسند»: صحيح لغيره.

^٧ أخرجه أبو داود (٤٦٨١) وصححه الألباني رحمه الله.

وقال ابن القيم رحمه الله: فلا تصح الموالاة إلا بالمعاداة، كما قال تعالى ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾^١، فلم يصح لخليل الله ﷺ هذه الموالاة والخللة إلا بتحقيق هذه المعاداة، فإنه لا ولاء إلا لله، ولا ولاء لله إلا بالبراءة من كل معبود سواه^٢.

ولما كانت محبة الكفار مُنْقِصَةً لتحقيق «لا إله إلا الله»؛ سمي الله محبة الكفار وترك معادتهم فسادًا، كما في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾^٣.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية الكريمة: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾؛ أي موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين، بأن واليتموهم كلهم أو عاديتموهم كلهم، أو واليتهم الكافرين وعاديتهم المؤمنين، ﴿تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾، فإنه يحصل بذلك من الشر ما لا ينحصر من اختلاط الحق بالباطل، والمؤمن بالكافر، وعدم كثير من العبادات الكبار، كالجهاد والهجرة وغير ذلك من مقاصد الشرع والدين التي تفوت إذا لم يُتَّخَذِ الْمُؤْمِنُونَ وَحْدَهُمْ أَوْلِيَاءَ، بعضهم لبعض. انتهى^٤.

تنبيه:

التعامل بين المسلمين والكفار - بإجراء صلح مثلاً أو هدنة أو بيع أو شراء ونحوها - لا يستلزم موالاة ولا تولي، بل هو من الأمور الجائزة.

وقد توفي النبي ﷺ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ، ودعاه يهودي إلى خبز شعير وإهالة سَنِيخة فأجابه عليه الصلاة والسلام، وهذا لم يقتض موالاة من جانبه عليه الصلاة والسلام، لأن مقصده الدعوة لا المؤانسة والركون التي هي من مقتضيات الموالاة. وفي قصة صلح الحديبية، وما حصل فيها من الصلح ووضع الحرب عشر سنين ما يكفي في بيان أن الصلح مع الكفار جائز. وقد وقع في زماننا هذا - القرن الخامس عشر الهجري - من بعض المتحمسين شيء من الغلو في فهم عقيدة البراءة من الكفار، فظن بعضهم جهلاً أن الهدنة مع الكفار الصلح معهم أو التعامل معهم يدخل في موالاتهم، وأن هذا حرام وليس بجائز في الشريعة مطلقاً، ثم اتهموا من فعل ذلك من الحكام بموالاة الكفار، بل ألصقوا هذا الاتهام ببعض العلماء الكبار لما أفتوا بجواز ذلك تحقيقاً للمصلحة العامة، ونُسُوا أو جَهِلُوا أن أفضل الخلق فعل ذلك.

والتعامل مع الكفار مما يدل على أن الإسلام دين صالح لكل زمان ومكان، وأنه ليس فيه أغلال ولا آصار، فإن مصالح المسلمين تقتضي التعامل مع المسلمين والكفار، بل ربما احتاج المسلمون للتعامل مع بعض الكفار الحريين، ولهذا ذكر بعض الفقهاء في بعض أبواب البيوع شروطاً للتعامل مع الكافر الحربي، ولم يمنعوهُ مطلقاً كما ظن بعضهم.

^١ سورة الشعراء: ٧٥ - ٧٧ .

^٢ «الداء والدواء»، الناشر: دار ابن الجوزي - الدمام.

^٣ سورة الأنفال: ٧٣ .

^٤ انظر تفسير الآية في كتابه «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان».

بل قد أجاز الإسلام الزواج من الكتابية - يهودية كانت أو نصرانية - بحسب الشروط المعروفة.
وأمر الإسلام أمر إيجاب أن يُحسّن المسلم لأبويه إن كانا كافرين، وهذا من التعامل، ولم يأمره بهجرهما.
فالخاص أن الكفر ليس موجب لقطع التعامل، ولا التعامل مستلزم لمودة الكافر ومولاته، ومن حرم ذلك فقد حرّم ما أحل الله، والله المستعان.

فصل في أنواع الناس في باب الولاء للمؤمنين، والبراءة من الكافرين

نختم الكلام في شرح الشرط الرابع بذكر خلاصة في هذا الباب في أنواع الناس في باب الولاء للمؤمنين، والبراءة من الكافرين، للشيخ محمد بن عبد الوهاب^١ رحمه الله تعالى، قال:

أصل دين الإسلام وقاعدته أمران:

الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والتحريض على ذلك، والموالة فيه، وتكفير من تركه.

الثاني: الإنذار عن الشرك في عبادة الله، والتغليظ في ذلك، والمعاداة فيه، وتكفير من فعله.

والمخالفون في ذلك أنواع ؛

فأشدهم مخالفة من خالف في الجميع.

ومن الناس من عبد الله وحده، ولم يُنكر الشرك، ولم يُعاد أهله.

ومنهم من عاداهم، ولم يُكفرهم.

ومنهم من لم يحب التوحيد، ولم يُبغضه.

ومنهم من كفرهم^٢، وزعم أنه^٣ مسببة للصالحين.

ومنهم من لم يُبغض الشرك، ولم يحبه.

ومنهم من لم يعرف الشرك، ولم ينكره.

ومنهم من لم يعرف التوحيد، ولم ينكره.

ومنهم - وهو أشد الأنواع خطرًا - من عمل بالتوحيد، لكن لم يعرف قدره، ولم يُبغض من تركه، ولم يكفرهم.

ومنهم من ترك الشرك، وكرهه، ولم يعرف قدره، ولم يعاد أهله، ولم يُكفرهم.

وهؤلاء^٤ قد خالفوا ما جاءت به الأنبياء، من دين الله سبحانه وتعالى، والله أعلم.^٥

الشرط الخامس: الانقياد لها، بفعل الأوامر وترك النواهي.

^١ تقدم التعريف به في الرسالة الأولى.

^٢ أي كفر أهل التوحيد.

^٣ أي التوحيد.

^٤ أي المخالفين الذين تقدم ذكر أنواعهم.

^٥ انتهى كلامه رحمه الله، وهو مثبت في «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٢٢/٢)، وقد شرح هذه الزبدة النفيسة حفيده الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى، وشرحه مثبت في «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٢٠٢/٢ - ٢١١).

ومن شروط «لا إله إلا الله» الانقياد لما دلت عليه، وهو العمل بالجوارح، بالعمل بما فرضه الله، وترك ما حرمه الله، ودليل الانقياد قوله تعالى ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلَمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ﴾^١، فقولته ﴿وَأَسْلَمُوا لَهُ﴾ هو الشاهد من الآية، لأن حقيقة الإسلام أن يُسلم العبد بقلبه وجوارحه لله تعالى، وينقاد له بالتوحيد والطاعة.

ومن الأدلة على وجوب الانقياد للشرعية قوله تعالى ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرٌ عِنْدَ رَبِّهِ﴾^٢، وقوله تعالى ﴿وَمَنْ يَسْلَمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾^٣، وقوله تعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾^٤.

فقولته ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا﴾ أي لا أحسن دينًا.

وإسلام الوجه لله هو الخضوع والانقياد له.

وإحسان العمل يتحقق بإخلاصه لله تعالى، ومتابعة رسوله ﷺ.

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية المتقدمة: يقول تعالى مخبراً عمن أسلم وجهه لله، أي أخلص له العمل وانقاد لأمره وشرعه، ولهذا قال ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾، أي في عمله، باتباع ما به أمر، وترك ما عنه زجر، ﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾، أي فقد أخذ موثقاً من الله متيناً أنه لا يعذبه. انتهى.^٥

وقال تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مِؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَالًّا مَبِينًا﴾^٦.

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: فهذه الآية عامة في جميع الأمور، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء فليس لأحد مخالفته، ولا اختيار لأحد هنا ولا رأي ولا قول، كما قال تبارك وتعالى ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيَسْلَمُوا تَسْلِيمًا﴾^٧، وفي الحديث: (والذي نفسي بيده؛ لا يؤمن أحدكم حتى

^١ سورة الزمر: ٥٤ .

^٢ سورة البقرة: ١١٢ .

^٣ سورة لقمان: ٢٢ .

^٤ سورة النساء: ١٢٥ .

^٥ وانظر ما قاله الشنقيطي في «أضواء البيان» في تفسير الآية نفسها من سورة النساء.

^٦ سورة الأحزاب: ٣٦ .

^٧ سورة النساء: ٦٥ .

يكون هواه تبعاً لما جئت به)¹، ولهذا شدد في خلاف ذلك فقال ﴿ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً﴾²، كقوله تعالى ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾³. انتهى.

ومما ينبغي التنبيه عليه أن الانقياد للشرعية من دلائل محبة الله تعالى، كما قال تعالى ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾⁴.

وقال الإمام الشافعي رحمه الله في أبيات منسوبة له:

تعصي الإله وأنت تزعم حبه هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حُبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

والفرق بين الانقياد والقبول أن القبول أمر قلبي، فهو أمر متعلق بالقلب، بخلاف الانقياد فهو انقياد الجوارح لأوامر الله تعالى، فالقبول سبب والانقياد أثر وعلامة، والله الهادي.

الشرط السادس: التيقن بها، وهو كمال العلم بها علمًا يقينًا، وضده الشك فيما دلت عليه وتقتضيه.

اليقين هو كمال العلم والتصديق، وضده الشك والريب، الذي هو حال المنافقين عيادًا بالله، ودليل وجوب اليقين قوله تعالى ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾⁵.

فاشترط لصدق إيمانهم بالله ورسوله كونهم لم يرتابوا، أي لم يشكوا فيما أمروا بالإيمان به، وعلى رأس ذلك الإيمان بكلمة «لا إله إلا الله» وما دلت عليه، من أفراد الله بالعبادة.

والدليل من السنة على أن اليقين شرط؛ قول النبي ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه: من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن «لا إله إلا الله» مستيقنًا بما قلبه فبشّره بالجنة.⁶

¹ رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٥) بنحوه، وضعفه ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (٣٩٣/٢) «الناشر: مؤسسة الرسالة»، وكذا وضعفه الألباني في «ظلال الجنة» (١٢/١).

² سورة الأحزاب: ٣٦.

³ سورة النور: ٦٣.

⁴ سورة آل عمران: ٣١.

⁵ سورة الحجرات: ١٥.

⁶ رواه مسلم (٣١) عن أبي هريرة رضي الله عنه ولفظه: كنا قعودًا حول رسول الله ﷺ، معنا أبو بكر وعمر في نفر، فقام رسول الله ﷺ من بين أظهرنا فأبطأ علينا، وخشينا أن يُقتطع دوننا، وفزعنا وقمنا، فكنت أول من فزع، فخرجت أبتغي رسول الله ﷺ حتى أتيت حائطًا للأنصار لبني النجار، فدرت به هل أجد له بابًا فلم أجد، فإذا ربيعٌ يدخل في جوف حائط من بئرٍ خارجة، والربيع الجدول، فاحتفزت (أي تضاممت ليسعني المدخل) كما يحتفز الثعلب، فدخلت على رسول الله ﷺ، فقال: أبو هريرة؟!

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله»، لا يلقي الله بهما عبد غير شاكٍ فيهما إلا دخل الجنة.^١

فاليقين يستلزم نفي الشك والريب، فمن لم يكن مستيقناً بما تستلزمه كلمة التوحيد فإن مجرد النطق بها لا ينفعه يوم القيامة ولا في قبره عند سؤال الملكين، لأنه مجرد نطق باللسان، لم ينعقد عليه اعتقاد القلب، ومن المعلوم أن الإيمان اعتقاد بالجنان، ونطق باللسان، وعمل بالأركان، أي الجوارح، يزيد بالطاعات، وينقص بالعصيان.

وفي حديث البراء بن عازب رضي الله عنه في سؤال الملكين للميت بعد دفنه دلالة على ذلك، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال في الكافر إنه يأتيه ملكان فيُجلِسانه، فيقولان له: من ربك؟

فيقول: هاه هاه، لا أدري.

فيقولان له: ما دينك؟

فيقول: هاه هاه، لا أدري.

فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟

فيقول: هاه هاه، لا أدري.^٢

فينادي من السماء أن كذب، فافرشوا له من النار^٣، وافتحوا له باب إلى النار، فيأتيه من حرّها وسَمومها، ويُضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلّاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، مُنتنّ الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعده.

فقلت: نعم يا رسول الله. قال: ما شأنك؟ قلت: كنت بين أظهرنا، فقامت فأبطأت علينا، فخشينا أن تقتطع دوننا ففزعنا، فكنت أول من فرغ، فأتيت هذا الحائط، فاحتفرت كما يحتفر الثعلب، وهؤلاء الناس ورائي. فقال: يا أبا هريرة، وأعطاني نعليه، قال: اذهب بنعليّ هاتين، فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن «لا إله إلا الله» مستيقناً بما قبله فبشره بالجنة. قال: نعم. قال: فلا تفعل، فإني أخشى أن يتكل الناس عليها، فخلّهم يعملون. قال رسول الله ﷺ: فخلّهم.

قوله: (من بئرٍ خارجةٍ) أي خارجة عن الحائط. انظر شرح النووي للحديث.

^١ رواه مسلم (٢٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في مسير، قال: فنفتت أزواد القوم، قال: حتى همّ بنحر بعض حامليهم (أي ركبهم وهي الإبل)، قال: فقال عمر: يا رسول الله، لو جمعت ما بقى من أزواد القوم فدعوت الله عليها.

قال: ففعل، قال: فجاء ذو البئر بيّره، وذو التمر بتمره، قال: وقال مجاهد: وذو النواة بنواه، قلت: وما كانوا يصنعون بالنوى؟ قال: كانوا يمصونه ويشربون عليه الماء، قال: فدعا عليها حتى ملأ القوم أزودهم، قال: فقال عند ذلك: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله»، لا يلقي الله بهما عبد غير شاكٍ فيهما إلا دخل الجنة.

^٢ هذا هو الشاهد من الحديث، وهو قوله (هاه هاه لا أدري)، فقد دلت على أنه لم يكن مستيقناً بما يستلزمه النطق بكلمة التوحيد، فهلك عباداً بالله كما سيأتي.

^٣ أي اجعلوا له فراشاً من النار.

فيقول: من أنت، فوجهك الوجه يجيء بالشر؟
فيقول: أنا عملك الخبيث.
فيقول: رب لا تقم الساعة.^١
فالشاك كافر عياداً بالله، لأنه ليس متيقناً من أصل دين الإسلام وهو شهادة «لا إله إلا الله».
وأما المؤمن المتيقن من شهادة «لا إله إلا الله» وما تتضمنه من عقائد فإنه يجيب الملكين بلا تردد ولا تلوُّظ، فقد جاء في نفس الحديث أن الملكان يأتیان المؤمن فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟
فيقول: ربي الله.
فيقولان له: ما دينك؟
فيقول: ديني الإسلام.
فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟
فيقول: هو رسول الله ﷺ.
فيقولان له: وما علمك؟
فيقول: قرأت كتاب الله، فأمنت به وصدقت.
فينادي منادٍ في السماء أن صدق عبدي، فافرشوه من الجنة^٢، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة.
قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويُفسح له في قبره مد بصره.
قال: ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرُّك، هذا يومك الذي كنت توعده، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير.
فيقول: أنا عملك الصالح.
فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي.
وروى البخاري في «صحيحه» عن هشام بن عروة عن امرأته فاطمة بنت المنذر عن أسماء بنت أبي بكر عن أختها عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: ... ولقد أوحى إلي أنكم تفتنون في القبور مثل أو قريباً من فتنة الدجال - لا أدري أيتهما قالت أسماء - يؤتى أحدكم فيقال له: ما علمك بهذا الرجل؟
فأما المؤمن أو **الموقن** - لا أدري أي ذلك قالت أسماء - فيقول: محمد رسول الله ﷺ، جاءنا بالبينات والهدى، فأجبنا وآمنا واتبعنا.

^١ أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٢٨٧/٤) في حديث طويل، وأبو داود (٤٧٥٣)، وصحح إسناده محققو «المسند» وقالوا: رجاله رجال الصحيح، وكذا صححه الألباني كما في «صحيح الجامع» (١٦٧٦) و «مشكاة المصابيح» (١٦٣٠).
^٢ أي اجعلوا له فراشا من الجنة.

فيقال له: نعم صالحًا، فقد علمنا إن كنت لموقنًا.

وأما المنافق أو المرتاب - لا أدري أيتهما قالت أسماء - فيقول: لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته.^١
فبيّن هذان الحديثان حال الموقن بكلمة التوحيد، وما يعجل له من النعيم في قبره، وكذا حال الشاك في كلمة التوحيد، وما يعجل له من العقوبة، والله المستعان.

والشك من صفات المنافقين أيضًا، قال تعالى في وصفهم ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾^٢، وقوله ﴿مَذْبُذِبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾^٣.
وقد بيّن الله تعالى أن الشك والريب الذي في قلوب المنافقين أنه مَرَضٌ، كما في قوله تعالى ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

الشرط السابع: الصدق فيها، وهو موافقة إيمان القلب بقول اللسان وعمل الجوارح، وضده النفاق.

ومن شروط تحقيق «لا إله إلا الله» **الصدق** المنافي للكذب، وهو تطابق العلم بمعنى كلمة «لا إله إلا الله» - ومحله العقل - مع الإيمان بها - ومحله القلب - مع النطق بها - ومحله اللسان - مع انقياد الجوارح لما دلت عليه تلك الكلمة، فيُصدّق العلم بالعقل إيمان القلب وقول اللسان وفعل الجوارح.

ودليل الصدق من الكتاب قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ فْتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾^٤.
أي يُتَبَيَّنُ في أموالهم وأنفسهم لنختبرهم، ليتبين المخلص من المنافق، والصادق من الكاذب.

ودليل الصدق من السنة ما رواه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ - ومعاذٌ رديفه على الرّحل - قال: يا معاذ بن جبل.

قال: لبيك يا رسول الله وسعديك.

قال: يا معاذ.

قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، ثلاثًا.

قال: ما من أحد يشهد أن «لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله» صدقًا من قلبه إلا حرمه الله على النار.

قال: يا رسول الله، أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟

^١ أخرجه البخاري (١٠٥٣)، والشك في اللفظين من عند هشام بن عروة، فإن ثبتت لفظة (الموقن) فالحديث صريح في شرط اليقين، والذي يظهر أن لفظة (الموقن) ثابتة، لأنه قال في نهاية الحديث: (فقد علمنا إن كنت لموقنًا)، فالتناسق باستعمال لفظة اليقين في السؤال والإجابة تشير إلى هذا، والله اعلم.

^٢ سورة التوبة: ٤٥ .

^٣ سورة النساء: ١٤٣ .

^٤ سورة العنكبوت: ٣ .

قال: إذا يتَّكلوا.

وأخبر بها معاذ عند موته تأثُّماً^٢.

وعن رفاعة الجهني رضي الله عنه قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ، حتى إذا كنا بالكديد - أو قال بُقْدِيد^٣ - فجعل رجال منا يستأذنون إلى أهلهم فيأذن لهم، فقام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ما بال رجال يكون شقُّ الشجرة التي تلي رسول الله ﷺ أبغض إليهم من الشَّقِّ الآخر؟

فلم نَرْ عند ذلك من القوم إلا باكيًا.

فقال رجل: إن الذي يستأذنك بعد هذا لسفيه.

فحمد الله وقال حينئذٍ: أشهد عند الله؛ لا يموت عبدٌ يشهد أن «لا إله إلا الله، وأني رسول الله» **صدقًا من قلبه**، ثم يُسدَّد؛ إلا سلك في الجنة.^٤

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إذا قال المؤذن: «الله أكبر، الله أكبر» فقال أحدكم: «الله أكبر، الله أكبر»، ثم قال: «أشهد أن لا إله إلا الله»، قال: «أشهد أن لا إله إلا الله»، ثم قال: «أشهد أن محمدًا رسول الله»؛ قال: «أشهد أن محمدًا رسول الله» ثم قال: «حي على الصلاة»؛ قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله»، ثم قال: «حي على الفلاح»؛ قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله»، ثم قال: «الله أكبر، الله أكبر»؛ قال: «الله أكبر، الله أكبر»، ثم قال: «لا إله إلا الله»؛ قال: «لا إله إلا الله» **من قلبه**؛ دخل الجنة.^٥

وروى ابن أبي حاتم في تفسير سورة آل عمران في قوله ﴿فإن أسلموا فقد اهتدوا﴾^٦ عن الربيع في قوله ﴿فقد اهتدوا﴾؛ قال: من تكلم بهذا **صدقًا من قلبه** - يعني الإيمان - فقد اهتدى.

و ضد الصدق الكذب، ويكون باعتقاد ما يُناقض «لا إله إلا الله»، أو النطق بما يخالفها باللسان، أو تخلف الجوارح عن العمل، وهذا كله من النفاق، قال تعالى عن المنافقين ﴿يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم﴾^٧.

^١ أي خشية الوقوع في إثم كتمان العلم، والذي دعاه أصلاً للكتمان هو خشيته أن يُسيء الناس فهم الحديث فيكتفوا بالشهادتين ويتركوا العمل، فإن عوام الناس الذين لا يعلمون حقوق الشهادتين يمكن أن يقع منهم ذلك، والله المستعان. انظر شرح الحديث لابن حجر رحمه الله في «الفتح».

^٢ رواه البخاري (١٢٨)، وأحمد في «مسنده» (٢٣٣/٥).

^٣ قُديد موضع بين مكة والمدينة. انظر «النهاية».

^٤ رواه أحمد في «مسنده» (١٦/٤)، وصحح إسناده محققو «المسند».

^٥ رواه مسلم (٣٨٥) واللفظ له، وابن خزيمة في «صحيحه» (٢١٨/١)، الناشر: المكتب الإسلامي.

^٦ آية رقم ٢٠.

^٧ سورة الفتح: ١١.

الشرط الثامن: الكفر بما ينافيها، وضده الإيمان بما ينافيها أو بعضه.

اعلم رحمنا الله وإياك أنه لما كان تحقيق الشهادتين لا يتأتى إلا بنفي وإثبات، أي نفي جميع ما يُعبد من دون الله، وإثبات عبادة الله وحده لا شريك له؛ زاد بعض أهل العلم شرطاً ثامناً لشروط تحقيق «لا إله إلا الله»، وهو الكفر بما يُنافيها، وهو المعبر عنه بالطاغوت، ودليل هذا الشرط من الكتاب قوله تعالى ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها﴾^١، فالكفر بالطاغوت في الآية الكريمة هو نفي ألوهية غير الله عن الله في كلمة «لا إله إلا الله» وخلع الشركاء والأنداد عن الله تعالى والتبرؤ منها، والإيمان بالله في الآية الكريمة هو إثبات الألوهية لله تعالى وحده في الكلمة نفسها، فمن حقق هذين الشرطين فقد حقق «لا إله إلا الله».

والسنة الشريفة تدل على وجوب الكفر بما ينافي «لا إله إلا الله»، فقد كان النبي ﷺ يبين للناس دائماً معنى الإسلام بذكر الأمرين: عبادة الله، واجتناب الشرك، وهو - أي اجتناب الشرك - معنى الكفر بالطاغوت، كما في حديث جبريل عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ بارزاً يوماً للناس فأثاه جبريل فقال: ما الإيمان؟ قال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه وبلقائه ورسوله وتؤمن بالبعث.

قال: ما الإسلام؟

قال: الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان.^٢

وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة.

فقال رسول الله ﷺ: تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة وتصل الرحم.^٣

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت مع النبي ﷺ في سفر، فأصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير فقلت: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار.

قال: لقد سألتني عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله عليه، تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت.^٤

وعن أبي أيوب الأنصاري، أن رسول الله ﷺ قال: من جاء يعبد الله لا يشرك به شيئاً، ويقوم الصلاة، ويؤدي الزكاة، ويصوم رمضان، ويجتنب الكبائر؛ فإن له الجنة.^٥

^١ سورة البقرة: ٢٥٧.

^٢ رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩)، والنسائي (٥٠٠٧)، وابن ماجه (٦٤).

^٣ رواه البخاري (١٣٩٦)، والنسائي (٤٦٧) واللفظ له.

^٤ رواه الترمذي (٢٦١٦)، وصححه الألباني رحمه الله.

^٥ رواه النسائي (٤٠٠٩)، وأحمد (٤١٣/٥)، وصححه الألباني.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ثلاثٌ مَنْ كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار.^١

وعن أبي مالك عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من قال «لا إله إلا الله»، وكفر بما يُعبد من دون الله؛ حُرِّمَ ماله ودمه، وحسابه على الله عزَّ وجل.^٢

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله معلقًا على هذا الحديث:

وهذا من أعظم ما يبين معنى «لا إله إلا الله»، فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصمًا للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحُرِّم ماله ودمه حتى يُضيف إلى ذلك الكفر بما يُعبد من دون الله، فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ولا دمه، فيا لها من مسألة ما أعظمها وأجلها، ويا له من بيان ما أوضحه، وحجة ما أقطعها للمنازع.^٣

فالحاصل من هذه الأحاديث وغيرها أن النبي ﷺ كان يبين دائمًا أن إفراد الله بالعبادة وعدم الإشراك به هو معنى «لا إله إلا الله»، وأنهما متلازمان.

استطرد في شرح معنى «الطاغوت»:

الطاغوت من الطغيان، وهو في اللغة تجاوز الحد، كما في قوله تعالى ﴿إنا لما طعنا الماء حملناكم في الجارية﴾^٤، أي تجاوز الماء حدَّه.

وفي الشرع فإن معنى الطاغوت ما جاوز به العبد حده الشرعي من متبوع أو معبود أو مطاع.

قال ابن القيم رحمه الله:

والطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حدَّه من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله، فهذه طواغيت العالم.^٥

فالمعبود كالأصنام والقبور المعبودة، **والمتبوع** كعلماء السوء، الذين يُحِلُّون ما حرم الله أو يُحَرِّمون ما أحل الله، كبعض علماء بني إسرائيل السابقين، وقساوسة النصارى وأحبار اليهود، الذين يُشَرِّعون من عند أنفسهم ويقولون هذا من عند الله، أو

^١ تقدم تخريجه.

^٢ تقدم تخريجه.

^٣ «كتاب التوحيد»، باب تفسير التوحيد وشهادة «أن لا إله إلا الله».

^٤ سورة الحاقة: ١١ .

^٥ «إعلام الموقعين عن رب العالمين» (١/٥٨ - ٥٩)، الناشر: دار الكتاب العربي - لبنان.

العلماء المنتسبين للإسلام، من الذين يجيزون دعاء أصحاب القبور والذبح لهم والنذر، والمطاع كإبليس أعاذنا الله منه، وهو رأس الطواغيت.

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في خاتمة كتابه «الأصول الثلاثة»:

والطواغيت كثيرة، ورؤوسهم خمسة: إبليس لعنه الله، ومن عُبد وهو راضٍ، ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه، ومن ادَّعى شيئاً من علم الغيب^١، ومن حكم بغير ما أنزل الله، والدليل قوله تعالى ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرِّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾^٢. انتهى.

قوله (إبليس لعنه الله)؛ ذكره الشيخ أول الطواغيت لأنه رأس الدعاة إلى الشرك وإلى الشر، ومن لم يعبد الله فهو عابد لإبليس، قال تعالى ﴿أَلَمْ أَعْهِدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَلَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ* وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾^٣. وقد سُمِّي إبليس إبليس لأنه أبْلَسَ من رحمة الله، أي أيس منها.

قوله (ومن عُبد وهو راضٍ)؛ أي مَنْ عَبَدَهُ النَّاسُ وهو راضٍ بتلك العبادة التي عبده الناس بها فهو طاغوت، ووجه كونه طاغوتاً أنه رضي بالكفر رضا قلبياً، واطمأن لذلك.

وفي قول المؤلف (وهو راضٍ) احتراز وقيد، لأن من الصالحين من عُبد وهو غير راضٍ عن عبادة الناس له، كعيسى عليه السلام، وكعلي بن أبي طالب، وكالحسين بن علي بن أبي طالب، وكبعض العلماء والصالحين المقبورين في أنحاء العالم الإسلامي، فهؤلاء غير راضين بعبادة الناس لهم، بالتوجه إليهم بالدعاء والذبح والنذر وغيره من العبادات، وهذا هو شأن الصالحين كلهم، وإنما الذي يرضى بعبادة نفسه هم مشايخ الضلال، الذين يريدون العلو في الأرض، كفرعون لعنه الله، وكبعض مشايخ الصوفية، الذين يرضون بتعظيم الناس لهم، بالتبرك بهم في حياتهم، والمجيء إلى قبورهم بعد مماتهم، ودعائهم، وطلب الحوائج منهم.

قوله (ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه)؛ هذا أعظم جُرمًا من الذي قبله، ورأس هؤلاء فرعون الذي قال للناس ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾^٤، وقال تعالى ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾^٥.

^١ ووجه كونه كافراً أنه مكذب لقوله تعالى ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾، وهذا من صنف المُطاعين لأن الناس يصدقونه فيطيعونه فيما يقول لهم.

^٢ سورة البقرة: ٢٥٧.

^٣ سورة يس: ٦٠.

^٤ سورة القصص: ٣٨.

^٥ سورة الأنبياء: ٢٩.

ويدخل في حكم هؤلاء مَنْ يَدْعُونَ الناس إلى عبادة غير الله، وَيُزَيِّنُونَ قولهم ويزخرفونه بالشبهات والأحاديث الباطلة المكذوبة، كعلماء السوء، فهؤلاء إخوان إبليس وأقرانه، ومن طواغيت العالم الكبار، سواء استجاب الناس لهم أم لم يستجيبوا لهم.

ويدخل فيهم من يُوصِي بأن يُدْفَن في مسجد، أو يُبْنَى على قبره قُبَّةٌ أو مشهدٌ، فهذا في الحقيقة يدعو الناس إلى تعظيم نفسه، وقد كان خيراً له أن يجعل وصيته في بناء مسجد أو نشر علم ونحو ذلك.

أقول: ورحم الله علي بن أبي طالب ورضي عنه، فإنه لما أُتِيَ بالزندقة - الذين قالوا أنه هو الله - أحرقهم بالنار، كما روى ابن حجر رحمه الله في «الجزء الثالث» من حديث أبي طاهر المخلص من طريق عبد الله بن شريك العامري عن أبيه قال: قيل لعلي: إن هنا قومًا على باب المسجد يَدْعُونَ أنك ربهم!

فدعاهم فقال لهم: ويلكم، ما تقولون؟

قالوا: أنت ربنا وخالقنا ورازقنا!

فقال: ويلكم، إنما أنا عَبْدٌ مثلكم، آكل الطعام كما تأكلون، وأشرب كما تشربون، إن أطعت الله أثابني إن شاء، وإن عصيته خشيت أن يعذبنني، فاتقوا الله وارجعوا.

فأبوا، فلما كان الغد غدوا عليه، فجاء قَنبر^١ فقال: قد والله رجعوا يقولون ذلك الكلام. فقال: أدخلهم.

فقالوا كذلك.^٢

فلما كان الثالث^٣ قال: لئن قلت ذلك لأقتلنكم بأخبث قِتلة.

فأبوا إلا ذلك، فأمر بِفَعْلَةٍ مَعَهُمْ مَرُورَهُمْ^٤، فخذ لهم أخدودًا بين باب المسجد والقصر، وقال: (احفروا)، فأبعدوا في الأرض، وجاء بالخطب فطرحه بالنار في الأخدود وقال: إني طارحكم فيها أو ترجعوا. فأبوا أن يرجعوا، فقفذ بهم فيها، حتى إذا احترقوا قال:

إني إذا رأيتُ أمراً مُنكَرًا أوقدتُ ناري ودعوتُ قَنبرًا

ثم قال الحافظ: وهذا سند حسن.^٦

^١ قَنبر هو مولى لعلي رضي الله عنه.

^٢ أي كقولهم في اليوم الأول.

^٣ أي اليوم الثالث.

^٤ الفَعْلَةُ صفة غالبية على من يعملون في الطين والحفر ونحو ذلك. انظر «لسان العرب».

^٥ المَرُّ هو المسحاة. انظر «لسان العرب».

^٦ «فتح الباري» شرح حديث (٦٩٢٢)، باختصار يسير.

وعلى هذا سار أئمة الهدى، قال علي بن عبد الله الطيالسي: مسحُ يدي علي أحمد بن حنبل، ثم مسحت يدي علي بدني وهو ينظر^١، فغضب غضبًا شديدًا، وجعل ينفض نفسه ويقول: (عمن أخذتم هذا؟!)، وأنكره إنكارًا شديدًا^٢.
قوله (ومن ادعى شيئًا من علم الغيب)؛ وجه كونه طاغوتًا أنه ادعى مشاركة الله في شيء من صفاته الخاصة به، وهي علم الغيب، قال تعالى ﴿قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله﴾^٣، وقال ﴿وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾^٤، ويدخل في هذا السحرة والكهنة والمنجمون والرّمّالون والذين يقرؤون الكف والفنجان ونحو ذلك، ويقولون للناس

ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (الناشر: دار الفكر - بيروت) (٤٢/٤٧٥-٤٧٦) في ترجمة علي بن أبي طالب، والأصبهاني في «طبقات المحدثين بأصبهان» (٢/٣٤٢-٣٤٣) (الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت) عن عثمان بن أبي عثمان قال: جاء أناس إلى علي بن أبي طالب من الشيعة، فذكره بنحوه.

فائدة: قال السمعاني في «الأنساب» (٥/٣٩٦) (الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت) في النسبة إلى (النصيري):
وهذه النسبة لطائفة من غلاة الشيعة يقال لهم النصيرية، والنسبة إليها نصيري، وهذه الطائفة ينتسبون إلى رجل اسمه نصير، وكان في جماعة قريبًا من سبعة عشر نفسًا كانوا يزعمون أن عليًا هو الله، وهؤلاء شر الشيعة، وكان ذلك في زمن علي، فحذّروهم وقال: إن لم ترجعوا عن هذا القول وتجددوا إسلامكم وإلا عاقبتكم عقوبة ما سُمع مثلها في الإسلام.
ثم أمر بأخذود، وحُفِر في رُحبة جامع الكوفة، فأشعل فيه النار، وأمرهم بالرجوع فما رجعوا، فأمر غلامه قنبر حتى ألقاهم في النار، فهرب واحد من الجماعة اسمه نصير، واشتهر هذا الكفر منه، وأن عليًا لما ألقاهم في النار التفت واحد وقال: الآن تحققت أنه هو الله، لأنه بلغنا عن النبي ﷺ أنه قال: لا يعذب بالنار إلا رُثُها، وكان علي يرميهم في النار وينشد:

إني إذا أبصرتُ أمـرًا منكـرًا أوقـدتُ ناري ودعـوتُ قـنبرًا

ولما بلغ ابن عباس ما فعل علي رضي الله عنه قال: لو كنت مكان علي رضي الله عنه كنت أقتلهم وما كنت أحرقهم.
وهذه الطائفة بالحديثة، بلدة على الفرات.

سمعت الشريف عمر بن إبراهيم الحسيني شيخ الزيدية بالكوفة يقول: لما انصرفت من الشام دخلت الحديثة مجتازًا، فسألوا عن اسمي فقلت: عمر، فأرادوا أن يقتلوني لأن اسمي عمر، حتى قلت إني علوي وإني كوفي، فتخلصت منهم، وإلا كادوا أن يقتلوني. انتهى كلام السمعاني.
وروى البخاري بسنده عن عكرمة قال: أتني علي رضي الله عنه بزنادقة فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تعذبوا بعذاب الله)، ولقتلهم، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من بدّل دينه فاقتلوه). «صحيح البخاري» (٦٩٢٢).

^١ أي بقصد التبرك كما يفعله بعض الناس هداهم الله!

^٢ «طبقات الحنابلة» (١/٢١٦)، ترجمة رقم (٣١٦)، الناشر دار الكتب العلمية.

^٣ سورة النمل: ٦٥.

^٤ سورة الأنعام: ٥٩.

(أنت ستُوفق في زواجك وأنت لن توفق)، أو يدَّعون معرفة مكان الضالة، ونحو ذلك، والذي يأتي هؤلاء يكون كافرًا بنص حديث النبي ﷺ: من أتى كاهنًا أو عرافًا فصدَّقه بما يقول؛ فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ^١.

قوله (ومن حكم بغير ما أنزل الله)؛ أي: ومن حكم بغير ما أنزل الله فإنه طاغوت، والدليل قوله تعالى ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً﴾^٢، والطاغوت هنا وصف عام لجميع الشرائع والقوانين الوضعية المخالفة للشرعية الإسلامية، كأعراف الجاهلية والعوائد القبليَّة والأنظمة الدستورية ونحوها، التي تتضمن حدودًا تعزيرية وعقوبات مخالفة للشرعية الإسلامية، سواء المتعلقة بعقوبة القتل أو السرقة أو الزنا أو غير ذلك، فمن حكم بها معتقدًا أنها مساوية للشرعية الإسلامية أو أفضل منها أو اعتقد جواز الحكم بها؛ فهذا كافر لا شك في كفره، لأنه ساوى الله بغيره في حكمته وفي أمره، فإن التشريع حق خاص بالله تعالى، وهو من مقتضيات ربوبيته، فكما أنه لا يخلق غيره فكذلك لا يأمر غيره، ﴿ألا له الخلق والأمر﴾^٣، فمن حكم بغير الشرعية الإسلامية معتقدًا جواز فعله، أو أن حكمه أفضل أو مساوي لحكم الله ورسوله فقد كفر عيادًا بالله.

وأما من حكم من حُكَّام المسلمين أو من قُضاتهم بغير ما جاءت به الشرعية الإسلامية معتقدًا حرمة ذلك، ولكنه حكم به اتباعًا لهواه، أو طلبًا لرِشوة أو مُحَاباة لأحد؛ فهذا عاصٍ من العصاة، قد ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب، ولكنه لا يكفر كحال الأول.

والواجب بكل حال التحاكم لأحكام الشرعية الإسلامية، فإن الله حكيم خبير رحيم، يعلم ما يصلح الناس وما يضرهم، وصدق الله ﴿ومن أحسن من الله حُكْمًا لقوم يوقنون﴾^٤، وقال تعالى ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾^٥.

^١ رواه أحمد (٤٢٩/٢)، وحسنه محققو «المسند».

ورواه أبو داود (٣٩٠٤)، والترمذي (١٣٥)، والنسائي في «الكبرى» (٨٩٦٨)، وابن ماجه (٦٣٩)، بالفاظ متقاربة ليس فيها ذكر العراف، وهذا لفظ الترمذي: من أتى حائضًا أو امرأة في دبرها أو كاهنًا، فصدقه بما يقول؛ فقد كفر بما أنزل على محمد. وصححه الألباني رحمه الله.

^٢ سورة النساء: ٦٠.

^٣ سورة الأعراف: ٥٤.

^٤ سورة المائدة: ٥٠.

^٥ انظر للاستزادة في هذه المسألة كلامًا للشيخ ابن عثيمين رحمه الله في كتابه «شرح ثلاثة الأصول» (ص ١٥٤ - ١٥٩)، الناشر: دار الثريا - الرياض.

وانظر أيضًا «دروس في شرح نواقض الإسلام» للشيخ صالح الفوزان (ص ٩٩ - ١٠٩)، ط ٧، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض.

وكذا «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٣٢٦/٢)، للشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله.

والحاصل أن من آمن بالله ولم يكفر بالطاغوت لا يكون مسلمًا، وإنما يكون مسلمًا إذا جمع بين الإيمان بالله والكفر بالطاغوت، باعتقاد بطلان الآلهة الباطلة، وترك عبادتها، وبغضها، وبغض أهلها.

فصل في فضل ذكر الله بـ «لا إله إلا الله»

هذه بعض الأحاديث الواردة في فضل ذكر «لا إله إلا الله»، نُعْطِرُ بِهَا بَحْثَنَا؛ وَنُخْتَمُ بِهَا كَلَامَنَا، جَعَلَنَا اللَّهُ مِمَّنْ يَحْقُقُهَا بِقَوْلِهِ وَفَعَلَهُ، فَإِنْ مَنْ حَقَّقَ كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ ذَكَرَ اللَّهُ بِهَا بِقَدْرِ مَا حَقَّقَهُ مِنْهَا.

وقد تقدّم ذكر جملة من الأحاديث فيها بيان أن من قال «لا إله إلا الله» مخلصًا وصادقًا من قلبه غير شاكٍّ فيها دخل الجنة، وهذه طائفة أخرى من الأحاديث الواردة في نفس الباب:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:

من قال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير» مائة مرة؛ كانت له عدل عشر رقاب^١، وكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَنُحِيتَ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ.^٢

وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:

من قال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير» عشر مرار؛ كان كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ.^٣

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَقْرَأُ أَمْتَكَ مِنْ السَّلَامِ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التَّرْبَةِ، عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنْهَا قِيَعَانٌ^٤، وَأَنَّ غَرَاسَهَا: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَ«لا إله إلا الله»، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.^٥

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

من قال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير»، أَوْ مَنَحَ مِئْثَةً^٦، أَوْ هَدَى زُقَاقًا^١؛ كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً.^٢

^١ أي أجر عتق عشر رقاب.

^٢ رواه البخاري (٦٤٠٣) ومسلم (٢٦٩١).

^٣ رواه البخاري (٦٤٠٤) ومسلم (٢٦٩٣)، واللفظ لمسلم.

^٤ قيعان جمع قاع، وهو المكان المستوي الواسع يعلوه ماء، فيكون كالغدير. انظر «النهاية».

^٥ رواه الترمذي (٣٤٦٢) والطبراني في «الكبير» (١٧٣/١٠)، وما بين القوسين زيادة للطبراني، والحديث صححه الألباني في «الصحيحة» (١٠٥).

^٦ المئثحة هي الشاة أو الناقة ذات اللبن، والمعنى: وهبه ذات لبن. انظر «النهاية».

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من كان آخر كلامه «لا إله إلا الله» وجبت له الجنة.^٣ قال ابن القيم رحمه الله: ولهذا حرّم الله على النار من شهد أن لا إله إلا الله حقيقة الشهادة، ومُحال أن يدخل النار من تحقق بحقيقة هذه الشهادة وقام بها، كما قال تعالى ﴿والذين هم بشهاداتهم قائمون﴾، فيكون قائماً بشهادته في ظاهره وباطنه، في قلبه وقالبه، فإن من الناس من تكون شهادته مبيّنة، ومنهم من تكون نائمة فإذا نُبِّهت انتبّهت، ومنهم من تكون مضطجعة، ومنهم من تكون إلى القيام أقرب.

وهي^٤ في القلب بمنزلة الروح في البدن، فروحٌ ميتة، وروحٌ مريضة إلى الموت أقرب، وروحٌ إلى الحياة أقرب، وروحٌ صحيحة قائمة بمصالح البدن.

فحياة الروح بحياة هذه الكلمة فيها، كما أن حياة البدن بوجود الروح فيه، وكما أن من مات على هذه الكلمة فهو في الجنة يتقلب فيها؛ فمن عاش على تحقيقها والقيام بها فروحُهُ تتقلب في جنة المأوى، وعيشه أطيب عيش، قال تعالى ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى * فإن الجنة هي المأوى﴾^٥، فالجنة مأواه يوم اللقاء.^٦

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبد ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألّقاها إلى مريم^٧، وروحٌ منه^٨، والجنة حق، والنار حق؛ أدخله الله الجنة على ما كان من العمل.^٩

وفي رواية لمسلم: أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء.^{١٠}

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، علمني عملاً يُقربني إلى الجنة ويباعدني من النار. فقال: إذا عملت سيئة فاعمل حسنة، فإنها عشر أمثالها.

قلت: يا رسول الله، أفمن الحسنات «لا إله إلا الله»؟

قال: نعم، هي أحسن الحسنات.^١

^١ أي دَلَّ ضالّاً أو أعمى إلى الطريق، وهو المعبر عنه بالزقاق. انظر «النهاية».

^٢ رواه الترمذي (١٩٥٧) وأحمد (٢٨٦/٤ - ٢٨٧) والبخاري في «الأدب المفرد» (٨٩٠)، وصححه الألباني ومحققو «المسند».

^٣ رواه أحمد (٢٣٣/٥)، وصححه محققو «المسند».

^٤ أي كلمة «لا إله إلا الله».

^٥ سورة النازعات: ٤٠ - ٤١.

^٦ «الداء والدواء» (ص ٣٠٢)، الناشر: دار ابن الجوزي - الدمام، باختصار يسير.

^٧ معنى أن المسيح كلمة الله أي أن الله خلقه بكلمة (كن) فكان المسيح في بطن أمه مريم. انظر تفسير ابن كثير، سورة النساء: ١٧١

^٨ معنى أن المسيح روحٌ منه أي من الله، هو الذي خلقها كسائر أرواح الناس. انظر تفسير ابن كثير، سورة النساء: ١٧١.

^٩ رواه البخاري (٣٤٣٥).

^{١٠} رواه مسلم (٢٨).

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال:

خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير»^٢.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

أفضل الذكر «لا إله إلا الله»، وأفضل الدعاء «الحمد لله»^٣.

● ومن فضائل كلمة التوحيد أن من قالها في الدنيا وصلى وزكى فإنه يُحكم له بالإسلام، فيكون معصوم الدم والمال، فلا يُجَاهَدُ مع الكفار إذا حصل بين المسلمين وبينهم حرب، بل هو مسلم يُحسب مع المسلمين، وحسابه على الله في الآخرة، فإن كان فعل ذلك صادقاً ومخلصاً لله تعالى كان ذلك عاصماً له من الخلود في النار وموجباً لدخول الجنة، وأما إن كان فعل ذلك نفاقاً ليعصم دمه وماله كان حكمه في الآخرة حكم المنافقين والكافرين، تحرم عليه الجنة ويتوجب له الخلود في النار أبد الآباد.

ودليل ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيُؤْمِنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ^٤.

ومن فضائلها أن من قالها عند الموت دخل الجنة وإن أصابه من عذاب النار ما أصابه، أي أنه لا يخلد في النار إن مات مسلماً ومات عليها، والدليل على ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لَقِنَا مَوْتَائِمَ «لا إله إلا الله»، فإنه من كان آخر كلمته «لا إله إلا الله» عند الموت دخل الجنة يوماً من الدهر وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه^٥.

^١ رواه أحمد (١٦٩/٥)، وقال محققو «المسند»: حسن لغيره.

^٢ رواه الترمذي (٣٥٨٥)، وحسنه الألباني، وانظر «السلسلة الصحيحة» (١٥٠٣).

^٣ رواه الترمذي (٣٣٨٣)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١١٠٤).

^٤ رواه مسلم (٢١)، وفي الباب عن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمر وجابر وأنس بن مالك وغيرهم رضي الله عنهم، وكلها مخرجة في الصحيح.

^٥ رواه ابن حبان (٢٧٢/٧)، وصححه الشيخ شعيب الأرناؤوط، وانظر «أحكام الجنائز» للألباني، باب: تلقين المحتضر.

فائدة: يظن كثير من الناس أن الذي ينبغي في التلقين هو مجرد إسماع الميت كلمة «أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله»، من غير أمرٍ له بطريقة مباشرة أن يقولها، والصواب أن السنة أن يؤمر بذلك، والدليل حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ عاد رجلاً من الأنصار، فقال: يا خال، قل «لا إله إلا الله». فقال: أخال أم عم؟ فقال: لا، بل خال. فقال: فخير لي أن أقول «لا إله إلا الله»؟ فقال النبي ﷺ: نعم.

رواه أحمد (١٥٤/٣)، وقال الألباني رحمه الله في إسناده: صحيح على شرط مسلم.

انظر هذه الفائدة في كتابه «أحكام الجنائز وبدعها»، باب: تلقين المحتضر.

ومن فضائلها أنه من قالها خالصًا من قلبه كان من أسعد الناس بشفاعة النبي ﷺ له يوم القيامة، وقد تقدّم ذكر الحديث الوارد في هذا عن أبي هريرة رضي الله عنه في معرض الكلام على شرط الإخلاص.

خاتمة

هذه هي شروط هذه الكلمة العظيمة «لا إله إلا الله»، التي خلقت السماوات والأرض من أجلها، ومن أجلها بُعثت الرسل، وأنزلت الكتب، وقام سوق الجهاد، وخلقت الجنة والنار، وفقنا الله للعلم بها وتحقيقها والعمل بمقتضاها، والحذر من الوقوع فيما يُناقضها أو يُقصصها من الأقوال والأفعال والاعتقادات، (فكم من عامٍ اجتمعت فيه هذه الشروط والتزمها، ولو قيل له اعدّها لم يُحسن ذلك، وكم حافظٍ لألفاظها يجري فيها كالسهم وتراه يقع كثيرًا فيما يناقضها، والتوفيق بيد الله، والله المستعان).^١

تم الكتاب بحمد الله، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

^١ قاله الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي رحمه الله في كتابه «معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد» (٢/٥١٨)، الناشر: دار ابن الجوزي - الدمام.

عشر رسائل في:

○ معنى «لا إله إلا الله»

○ ذِكْرُ شروطِها

○ ما تنفيه هذه الكلمة وما تُثبتُهُ

○ ضوابط لفهم الفرق بين الكفر الاعتقادي والعملي

تأليف

الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١٢٠٦ هـ)، وحفيده

الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (١٢٨٥ هـ)، وابنه

الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (١٢٩٣ هـ)

رحمهم الله تعالى

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب^١ رحمه الله مبيِّناً معنى كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه كلمات في بيان شهادة أن «لا إله إلا الله»، وبيان التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، وهو أفرض من الصلاة والزكاة وصوم رمضان، فرحم الله امرأً نصح نفسه، وعرف أن وراءه جنة وناراً، وإن الله عزَّ وجلَّ جعل لكل منهما أعمالاً، فإن سأل عن ذلك وجد رأس أعمال أهل الجنة توحيد الله تعالى، فمن أتى به يوم القيامة فهو من أهل الجنة قطعاً، ولو كان عليه من الذنوب مثل الجبال.

ورأس أعمال أهل النار الشرك بالله، فمن مات على ذلك - فلو أتى يوم القيامة بعبادة الله الليل والنهار، والصدقة والإحسان - فهو من أهل النار قطعاً، كالنصارى الذين يبنون أحدهم صومعة في البرية، ويزهد في الدنيا، ويتعبد الليل والنهار، لكنه خلط ذلك بالشرك بالله، تعالى الله عن ذلك، قال الله عزَّ وجلَّ ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً﴾^٢، وقال تعالى ﴿مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء﴾^٣.

فرحم الله امرأً تنبه لهذا الأمر العظيم قبل أن يعصَّ الظالم على يديه ويقول ﴿يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً﴾^٤.

نسأل الله أن يهدينا وإخواننا المسلمين إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم، وأن يجنبنا طريق المغضوب عليهم، وهم العلماء الذين علموا ولم يعملوا، وطريق الضالين، وهم العباد الجهال، فما أعظم هذا الدعاء، وما أحوج من دعا به أن يُخضر قلبه في كل ركعة إذا قرأ بها بين يدي الله تعالى أن يهديه وأن ينجيّه، فإن الله قد ذكر أنه يستجيب هذا الدعاء الذي في «الفاحة» إذا دعا به الإنسان من قلب حاضر.

فنقول:

«لا إله إلا الله» هي العروة الوثقى، وهي كلمة التقوى، وهي الحنيفية - ملة إبراهيم -، وهي التي جعلها الله عزَّ وجلَّ كلمة باقية في عقبه، وهي التي خلقت لأجلها المخلوقات، وبها قامت الأرض والسموات، ولأجلها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب، قال الله تعالى ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾^٥، وقال تعالى ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسلاً أن اعبدوا الله واجتنبوا

^١ تقدم التعريف به في الرسالة الأولى.

^٢ سورة الفرقان: ٢٣.

^٣ سورة إبراهيم: ١٨.

^٤ سورة الفرقان: ٢٧.

^٥ سورة الذاريات: ٥٦.

الطاغوت^١، وقال معنى هذه الكلمة، وأما التلغظ باللسان مع الجهل بمعناها فلا ينفع، فإن المنافقين يقولونها وهم تحت الكفار في الدرك الأسفل من النار.

فاعلم أن معنى هذه الكلمة نفي الإلهية عما سوى الله تبارك وتعالى، وإثباتها كلها لله وحده لا شريك له، ليس فيها حق لغيره، لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل، كما قال تعالى ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِ الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ * لقد أحصاهم وعدهم عدًّا * وكلهم آتية يوم القيامة فردًّا^٢، وقال تعالى ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾^٣، وقال تعالى ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تَجَادَلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾^٤ الآية.

فإذا قيل: (لا خالق إلا الله)؛ فهذا معروف، لا يخلق الخلق إلا الله، لا يشاركه في ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل، وإذا قيل (لا يرزق إلا الله)؛ فكذلك، فإذا قيل «لا إله إلا الله» فكذلك، فتفكر رحمك الله في هذا، واسأل عن معنى «الإله» كما تسأل عن معنى الخالق والرازق.

واعلم أن معنى «الإله» هو المعبود، هذا هو تفسير هذه اللفظة بإجماع أهل العلم، فمن عبد شيئاً فقد اتخذته إلهاً من دون الله، وجميع ذلك باطل إلا إله واحد، وهو الله وحده تبارك وتعالى علوًّا كبيراً.

والعبادة أنواع كثيرة، لكني أمثلها بأنواع ظاهرة لا تنكر، من ذلك السجود، فلا يجوز لعبد أن يضع وجهه على الأرض ساجداً إلا لله وحده لا شريك له، لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل ولا لولي.

ومن ذلك الذبح، فلا يجوز لأحد أن يذبح إلا لله وحده، كما قرن الله بينهما في القرآن في قوله تعالى ﴿قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ وَنَسَكْتُ وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ * لا شريك له^٥، والنسك هو الذبح وقال ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾^٦، فتفطن لهذا.

واعلم أن من ذبح لغير الله من جني أو قبر فكما لو سجد له، وقد لعنه رسول الله ﷺ، في الحديث الصحيح قال: لعن الله من ذبح لغير الله^٧.

ومن أنواع العبادة الدعاء، كما كان المؤمنون يدعون الله وحده ليلاً ونهاراً، في الشدة والرخاء، لا يشك أحد أن هذا من أنواع العبادة، فتفكر رحمك الله فيما حدث في الناس اليوم من دعاء غير الله في الشدة والرخاء، هذا يريد سفرًا فيأتي عند قبر

^١ سورة النحل: ٣٦ .

^٢ سورة مريم: ٩٣ - ٩٥ .

^٣ سورة النبأ: ٣٨ .

^٤ سورة النحل: ١١١ .

^٥ سورة الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣ .

^٦ سورة الكوثر: ٢ .

^٧ رواه مسلم (١٩٧٨) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

أو غيره فيدخل عليه بماله عَمَّن يَنْهَبُهُ^١، وهذا تلحقه الشدة في البر أو البحر، فيستغيث بعبد القادر أو شمسان أو نبي من الأنبياء أو ولي من الأولياء أن ينجيه من هذه الشدة.

فيقال لهذا الجاهل: إن كنت تعرف أن «الإله» هو المعبود، وتعرف أن الدعاء من العبادة، فكيف تدعو مخلوقاً ميتاً عاجزاً، وتترك الحي القيوم الحاضر الرءوف الرحيم القدير؟!

فقد يقول هذا المشرك: (إن الأمر بيد الله، ولكن هذا العبد الصالح يشفع لي عند الله وتنفعني شفاعته وجاهه)، ويظن أن ذلك يسلمه من الشرك!

فيقال لهذا الجاهل: المشركون عباد الأصنام الذين قاتلهم رسول الله ﷺ وغنم أموالهم وأبناءهم ونساءهم كلهم يعتقدون أن الله هو النافع الضار الذي يدبر الأمر، وإنما أرادوا ما أردت من الشفاعة عند الله، كما قال تعالى ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾^٢، وقال تعالى ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾^٣، وإلا فهم يعترفون بأن الله هو الخالق الرازق النافع الضار، كما أخبر الله عنهم بقوله ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾^٤.

فليتدبر اللبيب العاقل الناصح لنفسه الذي يعرف أن بعد الموت جنة وناراً هذا الموضع، ويعرف الشرك بالله الذي قال الله فيه ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾^٥، وقال ﴿إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار﴾^٦، فما بعد هذا البيان بيان إذا كان الله عز وجل قد حكى عن الكفار أنهم مقرون أنه هو الخالق الرازق المحيي المميت الذي يدبر الأمر، وإنما أرادوا من الذين يعتقدون فيهم التقرب والشفاعة عند الله تعالى.

وكم آية في القرآن ذكر الله فيها هذا كقوله تعالى ﴿قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون﴾* سيقولون لله ﴿إلى قوله ﴿فأنى تسحرون﴾^٧، وكقوله ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله﴾^٨، ﴿ولئن

^١ أي: يدخل على صاحب القبر يطلب منه أن يعيده أن يُنْتَهَب ماله في سفره.

^٢ سورة يونس: ١٨ .

^٣ سورة الزمر: ٣ .

^٤ سورة يونس: ٣١ .

^٥ سورة النساء: ٤٨ .

^٦ سورة المائدة: ٧٢ .

^٧ سورة المؤمنون: ٨٤ - ٨٩ .

^٨ سورة العنكبوت: ٦١ .

سألتهم من نزل من السماء ماءً فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله ﴿الآية﴾^١، وغير ذلك من الآيات التي أخبر الله بها عنهم أنهم أقرؤا بهذا الله وحده، وأنهم ما أرادوا من الذين يعتقدون فيهم إلا الشفاعة، لا غير ذلك.

فإن احتج بعض المشركين أن أولئك يعتقدون في الأصنام وهي حجارة وخشب، ونحن نعتقد في الصالحين؛ قيل له: والكفار أيضاً منهم من يعتقد في الصالحين، مثل الملائكة وعيسى بن مريم، وفي الأولياء مثل العزير واللات والعزى وناس من الجن وغيرهم، وذكر الله عزَّ وجلَّ ذلك في كتابه فقال في الذين يعتقدون في الملائكة ليشفعوا لهم ﴿ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون * قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون﴾^٢، وقال ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾^٣.

وقال فيمن اعتقد في عيسى ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾ الآية^٤، وقال ﴿قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرراً ولا نفعاً والله هو السميع العليم﴾^٥، فإذا كان عيسى بن مريم وهو من أفضل الرسل قيل فيه هذا، فكيف بعبد القادر وغيره أن يملك ضرراً أو نفعاً؟!

وقال في حق الأولياء ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً * أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً﴾^٦.

قال طائفة من السلف: كان أقوام يدعون الملائكة وعزيراً والمسيح، فقال الله: هؤلاء عبيدي كما أنتم عبيدي، يرجون رحمتي كما ترجون أنتم رحمتي، ويخافون عذابي كما تخافون عذابي.^٧

فرحمَ الله امرأً تفكر في هذه الآية العظيمة وفيما نزلت فيه، وعرف أن الذين اعتقدوا فيهم إنما أرادوا التقرب إلى الله والشفاعة عنده، وهذا كله يدور على كلمتين:

الأولى: أن تعرف أن الكفار يعرفون أن الله سبحانه هو الخالق الرازق الذي يدبر الأمر وحده، وإنما أرادوا التقرب بهؤلاء إلى الله تعالى.

^١ سورة العنكبوت: ٦٣ .

^٢ سورة سبأ: ٤٠ - ٤١ .

^٣ سورة الأنبياء: ٢٨ .

^٤ سورة النساء: ١٧١ .

^٥ سورة المائدة: ٧٦ .

^٦ سورة الإسراء: ٥٦ - ٥٧ .

^٧ انظر تفسير الآية المذكورة في تفسير الطبري.

والثانية: أن تعرف أن منهم أناساً يعتقدون في أناس من الأنبياء والصالحين، مثل عيسى والعزير والأولياء، فصاروا هم والذين يعتقدون في الأصنام من الحجر والشجر واحداً، فلما قاتلهم رسول الله ﷺ لم يُفرّق بين الذين يعتقدون في الأوثان من الخشب والحجر وبين الذين يعتقدون في الأنبياء والصالحين، على أن أهل زماننا هذا يعتقدون في الحجارة على القبور والشجر الذي عليها.

إذا تبين هذا وأنه ليس من دين الله، وقال بعد ذلك المشرك: (هذا بين، نعرفه من أول)؛ فقل له: إذا كان أصحاب رسول الله ﷺ لم يعرفوا هذا إلا بعد التعلم، ومن الشرك أشياء ما عرفوها إلا بعد سنين، وأنت عرفت هذا بلا تعلم، فأنت أعلم منهم!

بل الأنبياء لم يعرفوا هذا إلا بعد أن علمهم الله تعالى، قال الله تعالى لأعلم الخلق محمد ﷺ ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾¹، وقال تعالى ﴿ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكوننَّ من الخاسرين﴾* بل الله فاعبد وكن من الشاكرين².

فإذا كان هذا نبينا؛ فما بال الخليل إبراهيم عليه السلام يوصي بها أولاده وهم أنبياء؟ قال تعالى ﴿ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾³، و﴿قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾⁴، فإذا كان هذا أمر لا يُخاف على المسلمين منه، فما بال الخليل يخاف على نفسه وعلى بنيه وهم أنبياء حيث قال ﴿رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾⁵؟

وما بال العليم الحكيم لما أنزل كتابه ليخرج الناس من الظلمات إلى النور جعله في هذا الأمر وكثر الكلام فيه، وبينه، وضرب فيه الأمثال، وحذّر منه، وأبدى وأعاد؟

فإذا كان الناس يفهمونه بلا تعلم، ولا يُخاف عليهم من الوقوع فيه؛ فما بال رب العالمين جعل أكثر كتابه فيه؟ فسبحان من طبع على قلب من شاء من خلقه فأصمهم وأعمى أبصارهم.

وأنت يا مَنْ مَنَّ الله عليه بالإسلام، وعرف أن ما من إله إلا الله، لا تظن أنك إذا قلت: (هذا هو الحق، وأنا تارك ما سواه، لكن لا أعرض للمشركين، ولا أقول فيهم شيئاً)؛ لا تظن أن ذلك يحصل لك به الدخول في الإسلام، بل لا بد من بُغضهم، وبُغض من يحبهم، ومَسَبَّتْهم ومعاداتهم، كما قال أبوك إبراهيم والذين معه ﴿إنا براء منكم ومما تعبدون من دون الله

¹ سورة محمد: ١٩ .

² سورة الزمر: ٦٥ - ٦٦ .

³ سورة البقرة: ١٣٢ .

⁴ سورة لقمان: ١٣ .

⁵ سورة إبراهيم: ٣٥ .

كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده^١، وقال تعالى ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ الآية^٢، وقال تعالى ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾^٣.

ولو يقول رجل: (أنا أتبع النبي ﷺ، وهو على الحق، لكن لا أتعرض للآلات والعزى، ولا أتعرض أبا جهل وأمثاله، ما عليّ منهم)؛ لم يصح إسلامه.

وأما مجادلة بعض المشركين بأن هؤلاء الطواغيت ما أمروا الناس بهذا ولا رضوا به؛ فهذا لا يقوله إلا مشرك مكابر، فإن هؤلاء ما أكلوا أموال الناس بالباطل ولا ترأسوا عليهم ولا قَرَّبوا من قَرَّبوا إلا بهذا، وإذا رأوا رجلاً صالحاً استحقروه، وإذا رأوا مشركاً كافراً تابعاً للشيطان قَرَّبوه وأحبوه وزَوَّجوه بناتهم، وعدُّوا ذلك شرفاً!

وهذا القائل يعلم أن قوله ذلك كذب، فإنه لو يحضر عندهم ويسمع بعض المشركين يقول: (جاءني شدة فَتَحَيْثُ^٤ الشيخ أو السيد فنذرت له فخلصني)؛ لم يجسر أن يقول هذا القائل: (لا يضر ولا ينفع إلا الله)، بل لو قال هذا وأشاعه في الناس لأبغضه الطواغيت، بل لو قَدَرُوا على قتله لقتلوه، وبالجملة؛ لا يقول هذا إلا مشرك مكابر، وإلا فدعواهم هذه، وتخويفُهم الناس، وذكرهم السَّوَالِفِ^٥ الكفرية التي بآبائهم شيء مشهور لا ينكره من عرف حالهم، كما قال تعالى ﴿شاهدين على أنفسهم بالكفر﴾^٦.

ولنختم الكتاب بذكر آية من كتاب الله فيها عبرة لمن اعتبر، قال تعالى في حق الكفار ﴿وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه﴾^٧، فذكر عن الكفار أنهم إذا جاءتهم الشدة تركوا غيره وأخلصوا له الدين، وأهل زماننا إذا جاءتهم الشدة والضر نخوا غير الله، سبحانه وتعالى عن ذلك.

فرحمَ الله مَنْ تفكَّر في هذه الآية وغيرها من الآيات، وأما مَنْ مَنَّ الله عليه بالمعرفة فليحمد الله تعالى، وإن أشكل عليه شيء فليسأل أهل العلم عما قال الله ورسوله، ولا يبادر بالإنكار، لأنه إن ردَّ ردَّ على الله، قال الله تعالى ﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون﴾^٨.

^١ سورة الممتحنة: ٤ .

^٢ سورة البقرة: ٢٥٦ .

^٣ سورة النحل: ٣٦ .

^٤ أي استنحيته، والمعنى استشرت فيه نخوته ليغيثني.

^٥ السوَالِف أي القصص.

^٦ سورة التوبة: ١٧ .

^٧ سورة الإسراء: ٦٧ .

^٨ سورة السجدة: ٢٢ .

واعلم رحمك الله أن أشياء من أنواع الشرك الأكبر وقع فيه بعض المصنفين على جهالة، لم يفتن له، من ذلك قوله في «البردة»:

يا أكرم الخلق ما لي من الود به سواك عند حلول الحادث العمم

وفي «الهمزية»^١ جنس هذا وغيره أشياء كثيرة، وهذا من الدعاء الذي هو من العبادة التي لا تصلح إلا لله وحده، وإن جادل بعض المشركين بجلالة هذا القائل وعلمه وصلاحه، وقال بجهله: (كيف هذا؟)؛ فقل له: أعلم منه وأجل: أصحاب موسى الذين اختارهم الله وفضلهم على العالمين حين قالوا ﴿يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة﴾^٢، فإذا خفي هذا على بني إسرائيل مع جلالتهم وعلمهم وفضلهم فما ظنك بغيرهم؟

وقل لهذا الجاهل: أصلح من الجميع وأعلم أصحاب محمد ﷺ، لما مروا بشجرة قالوا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط.

فحلف رسول الله ﷺ أن هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة﴾^٣. ففي هذا عبرتان عظيمتان:

الأولى: أن النبي ﷺ صرح أن من اعتقد في شجرة أو تبرك بها أنه قد اتخذها إلهاً، وإلا فأصحاب رسول الله ﷺ يعرفون أنها لا تخلق ولا ترزق، وإنما ظنوا أن النبي ﷺ إذا أمرهم بالتبرك بها صار فيها بركة.

والعبرة الثانية: أن الشرك قد يقع فيمن هو أعلم الناس وأصلحهم وهو لا يدري، كما قيل: (الشرك أخفى من ديب النمل)^٤، بخلاف قول الجاهل: (هذا بيّن نعره).

^١ «الهمزية» منظومة أبيات فيها غلو فاحش بالنبي ﷺ يصل إلى مساواته بالله في بعض صفاته، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

^٢ سورة الأعراف: ١٣٨ .

^٣ رواه الترمذي (٢١٨٠) واللفظ له، وأحمد (٢١٨/٥)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي».

^٤ روى أبو يعلى في «مسنده» (٦١) عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: شهدت النبي ﷺ مع أبي بكر - أو قال: حدثني أبو بكر - عن النبي ﷺ أنه قال: الشرك أخفى فيكم من ديب النمل.

فقال أبو بكر: وهل الشرك إلا من دعا مع الله إلهاً آخر. فقال رسول الله ﷺ: الشرك أخفى فيكم من ديب النمل.

ثم قال: ألا أدلك على ما يذهب عنك صغير ذلك وكبيره؟ قل: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك مما لا أعلم.

والحديث صححه الشيخ ناصر الدين الألباني في «الأدب المفرد» (٧١٦)، وأشار في «السلسلة الضعيفة» تحت الحديث (٣٧٥٥) إلى ما يشهد له.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه خطب الناس فقال: (يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من ديب النمل).

فقام إليه عبد الله بن حزن وقيس بن المضارب فقالا: والله لتخرجن مما قلت أو لنأتين عمر، مأذون لنا أو غير مأذون.

قال: بل أخرج مما قلت، خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: أيها الناس، اتقوا هذا الشرك، فإنه أخفى من ديب النمل.

فقال له من شاء الله أن يقول: وكيف نتقيه وهو أخفى من ديب النمل يا رسول الله؟

فإذا أشكل عليك من هذا شيء، وأردت بيانه من كلام أهل العلم، وإنكارهم جنس الشرك الذي حرمه الله؛ فهو موجود، وأعني كلام العلماء في هذا إن أردت من الحنابلة، وإن أردت من غيرهم، والله أعلم.^١

قال: قولوا: اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلم.

رواه أحمد في «مسنده» (٤٠٣/٤) وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٦).

وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦٢/١) عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾: قال: الأنداد هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن يقول: والله وحياتك يا فلانة وحياتي، ويقول: لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها (فلان)، فإن هذا كله به شرك.

^١ انتهى كلامه رحمه الله، وهو مثبت في كتاب «الدرر السنية من الأجوبة النجدية» (١٠٠/٢ - ١١٢).

بسم الله الرحمن الرحيم

سُئِلَ الشيخ محمد بن الوهاب^١ رحمه الله عن معنى «لا إله إلا الله» فأجاب:

اعلم رحمك الله تعالى أن هذه الكلمة هي الفارقة بين الكفر والإسلام، وهي كلمة التقوى، وهي العروة الوثقى، وهي التي جعلها إبراهيم عليه السلام كلمة باقية في عقبه^٢ لعلهم يرجعون، وليس المراد قولها باللسان مع الجهل بمعناها، فإن المنافقين يقولونها وهم تحت الكفار، في الدرك الأسفل من النار، مع كونهم يُصَلُّون ويتصدقون، ولكن المراد قولها مع معرفتها بالقلب، ومحبتها ومحبة أهلها وبغض من خالفها ومعاداته، كما قال النبي ﷺ: (من قال لا إله إلا الله مخلصاً)^٣، وفي رواية: (خالصاً من قلبه)^٤، وفي رواية: (صادقاً من قلبه)^٥، وفي حديث آخر: (من قال «لا

^١ تقدم التعريف به في الرسالة الأولى.

^٢ أي في ذريته.

^٣ روى ابن حبان (٢٠٠) وأحمد (٢٣٦/٥)، واللفظ لابن حبان، عن جابر رضي الله عنهما أن معاذاً لما حضرته الوفاة قال: اكشفوا عني سَجَفَ القُبَّة، سمعت رسول الله ﷺ يقول: من شهد أن «لا إله إلا الله» مخلصاً من قلبه دخل الجنة.

وصححه الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لـ «صحيح ابن حبان»، وكذا حققوا «المسند».

والسَجَف هو الستر. انظر «لسان العرب».

^٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه سأل النبي ﷺ: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال: أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال «لا إله إلا الله» خالصاً من قلبه، أو نفسه.

رواه البخاري (٩٩)، وأحمد (٣٧٣/٢).

ولفظ أحمد: خالصة من قِبَل نفسه.

^٥ الصواب: (صدقاً من قلبه)، والحديث رواه البخاري (١٢٨) عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ - ومعاذ رديفه على الرَّحَل -

قال: يا معاذ بن جبل. قال: لبيك يا رسول الله وسعديك. قال: يا معاذ. قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، ثلاثاً. قال: ما من أحد يشهد

أن «لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله» صدقاً من قلبه إلا حَرَّمَهُ الله على النار. قال: يا رسول الله، أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟

قال: إِذَا يَتَكَلَّمُوا.

وأخبر بها معاذ عند موته تأثماً. انتهى.

ومعنى قوله (إِذَا يَتَكَلَّمُوا) أي لا تخبرهم فيعتمدوا على مجرد النطق بها دون تحقيق معناها، ففعل معاذ ذلك ولم يخبر بالحديث، ولكن لما دنا أجله أخبر بالحديث خشية الوقوع في إثم كتمان العلم.

وفي الباب عن رِفاعة الجهني رضي الله عنه قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ، حتى إذا كنا بالكديد - أو قال: بقُديد - فجعل رجال منا

يستأذنون إلى أهلهم فيأذن لهم، فقام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ما بأل رجل يكون شقُّ الشجرة التي تلي رسول الله ﷺ

أبغض إليهم من الشق الآخر؟ فلم نر عند ذلك من القوم إلا باكياً. فقال رجل: إن الذي يستأذنك بعد هذا لسفيه. فحمد الله وقال حينئذ:

أشهد عند الله؛ لا يموت عبد يشهد أن «لا إله إلا الله، وإني رسول الله» صدقاً من قلبه، ثم يُسَدَّد؛ إلا سلك في الجنة.

إله إلا الله»، وكفر بما يُعبد من دون الله^١، إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على جهالة أكثر الناس بهذه الشهادة.

واعلم أن هذه الكلمة نفْي وإثبات، نفْي الإلهية عما سوى الله سبحانه وتعالى من المرسلين، حتى محمد ﷺ، ومن الملائكة حتى جبريل، فضلاً عن غيرهما من الأولياء^٢ والصالحين، وإثباتها لله عز وجل.

إذا فهمت ذلك؛ فتأمل الألوهية التي أثبتها الله تعالى لنفسه ونفاها عن محمد ﷺ وجبريل وغيرهما أن يكون لهم منها مثقال حبة من خردل.^٣

فاعلم أن هذه الألوهية هي التي تسميها العامة في زماننا «السر» و «الولاية»، والإله معناه الولي الذي فيه السرُّ، وهو الذي يسمونه «الفقير» و «الشيخ»، وتُسَمِّيهِ العامة «السيد»، وأشباه هذا، وذلك أنهم يظنون أن الله جعل لخواص الخلق عنده منزلة يرضى أن يلتجئ الإنسان إليهم ويرجوهم ويستغيث بهم ويجعلهم واسطة بينه وبين الله، فالذين يزعم أهل الشرك في زماننا أنهم وسائطهم الذين^٤ يسميهم الأولون «الإله^٥»، والواسطة هو «الإله»، فقول الرجل «لا إله إلا الله» إبطال للوسائط.

وإذا أردت أن تعرف هذا معرفة تامة فذلك بأمرين:

رواه أحمد في «المسند» (١٦/٤)، وصحح إسناده محققو «المسند» حفظهم الله.

وروى مسلم (٣٨٥) واللفظ له وابن خزيمة (٢١٨/١) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إذا قال المؤذن: «الله أكبر، الله أكبر» فقال أحدكم: «الله أكبر، الله أكبر»، ثم قال: «أشهد أن لا إله إلا الله»، قال: «أشهد أن لا إله إلا الله»، ثم قال: «أشهد أن محمداً رسول الله»؛ قال: «أشهد أن محمداً رسول الله» ثم قال: «حي على الصلاة»؛ قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله»، ثم قال: «حي على الفلاح»؛ قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله»، ثم قال: «الله أكبر، الله أكبر»؛ قال: «الله أكبر، الله أكبر»، ثم قال: «لا إله إلا الله»؛ قال: «لا إله إلا الله» من قلبه؛ دخل الجنة.

وروى ابن أبي حاتم في تفسير قوله تعالى ﴿فإن أسلموا فقد اهتدوا﴾ (آل عمران: ٢٠) عن الربيع في قوله ﴿فقد اهتدوا﴾؛ قال: من تكلم بهذا صدقاً من قلبه - يعني الإيمان - فقد اهتدى.

^١ رواه مسلم (٢٣) عن أبي مالك عن أبيه، وأبو مالك هو سعد بن طارق الأشجعي، ثقة، وأبوه هو طارق بن أشيم الأشجعي، صحابي.

^٢ في نسخة: الأنبياء.

^٣ أي: أن يكون لهم مثقال حبة خردل من هذه الألوهية.

^٤ التسمية بـ «السر» هو إشارة لألوهية بعض من يوصف بالولاية عند بعض عامة الناس، وانظر ما قاله رحمه الله في تسمية ما عبد من دون الله بـ «السر» في «الدرر السنية» (٤١/٢)، والتسمية بـ «السيد» في «الدرر السنية» (٧٠/١).

^٥ هكذا في المطبوع من النسختين، ولعل الأولى: هم الذين ...

^٦ في نسخة مجموع «المؤلفات»: «الآله».

الأول: أن تعرف أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ وقتلهم وأباح أموالهم واستحل نساءهم كانوا مُقَرَّبِينَ لله سبحانه بتوحيد الربوبية، وهو أنه لا يَخْلُق ولا يرزق ولا يحيي ولا يميت ولا يدبر الأمور إلا الله وحده، كما قال تعالى ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يَدْبِرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾^١.

وهذه مسألة عظيمة جلييلة مهمة؛ وهي أن تعرف أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ شاهدون بهذا كله ومُقَرَّبُونَ به، ومع هذا لم يُدخلهم ذلك في الإسلام، ولم يَحْرِمَ دماءهم ولا أموالهم، وكانوا أيضاً يتصدقون ويحجون ويعتصرون ويتعبدون ويتركون أشياء من المحرمات خوفاً من الله عز وجل.

ولكن الأمر الثاني هو الذي كَفَرَهُمْ وأحل دماءهم وأموالهم؛ وهو أنهم لم يشهدوا الله بتوحيد الألوهية، وهو أن لا يُدعى ولا يُرجى إلا الله وحده لا شريك له، ولا يُستغاث بغيره، ولا يُذبح لغيره، ولا يُنذر لغيره، لا لِمَلَكٍ مُقَرَّبٍ، ولا نبي مُرسل، فمن استغاث بغيره فقد كفر، ومن ذبح لغيره فقد كفر، ومن نذر لغيره فقد كفر، وأشبه ذلك.

وتمام هذا أن تعرف أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ كانوا يدعون الصالحين مثل الملائكة وعيسى وأمه وعزير وغيرهم من الأولياء، فكفروا بهذا مع إقرارهم بأن الله سبحانه هو الخالق الرازق المدبر، إذا عرفت هذا عرفت معنى «لا إله إلا الله»، وعرفت أن من نخأ^٢ نبياً أو ملكاً أو نذبه أو استغاث به فقد خرج من الإسلام، وهذا هو الكفر الذي قاتلهم عليه رسول الله ﷺ.

فإن قال قائل من المشركين: نحن نعرف أن الله هو الخالق الرازق المدبر، لكن هؤلاء الصالحون مُقَرَّبُونَ، ونحن ندعوهم وننذر لهم وندخل عليهم ونستغيث بهم، ونريد بذلك الوجاهة والشفاعة، وإلا فنحن نفهم أن الله هو الخالق الرازق المدبر، فقل:

كلامك هذا مذهب أبي جهل وأمثاله، فإنهم يدعون عيسى وعزيراً والملائكة والأولياء يريدون ذلك، كما قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾^٣، وقال تعالى ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾^٤.

فإذا تأملت هذا تأملاً جيداً، وعرفت أن الكفار يشهدون الله بتوحيد الربوبية، وهو تفرده بالخلق والرزق والتدبير، وهم يَنَحُّونَ عيسى والملائكة والأولياء، يقصدون أنهم يقربونهم إلى الله زلفى، ويشفعون لهم عنده، وعرفت أن من الكفار - خصوصاً النصارى منهم - من يعبد الله الليل والنهار، ويذهب في الدنيا، ويتصدق بما دخل عليه منها، معتزلاً في صومعة عن

^١ سورة يونس: ٣١ .

^٢ أي استثار نخوته بأن طلب منه العون، ومقصود المؤلف الإشارة إلى فعل المشركين من طلب العون من غير الله، نبياً أو غيره.

^٣ سورة الزمر: ٣ .

^٤ سورة يونس: ١٨٣ .

الناس، وهو مع هذا كافر عدو لله مخلد في النار بسبب اعتقاده في عيسى أو غيره من الأولياء، يدعو له أو يذبح له أو ينذر له؛ تبين^١ لك كيف صفة الإسلام الذي دعا إليه نبيك محمد ﷺ، وتبين لك أن كثيراً من الناس عنه بمعزل، وتبين لك معنى قوله ﷺ: بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ^٢.

فألله الله يا إخواني، تمسكوا بأصل دينكم، وأوليه وآخره، وأُسسه ورأسه؛ شهادة «أن لا إله إلا الله»، واعرفوا معناها، وأحبوها، وأحبوا أهلها، واجعلوهم إخوانكم ولو كانوا بعيدين، واكفروا بالطواغيت وعادوهم وأبغضوهم، وأبغضوا من أحبهم أو جادل عنهم أو لم يُكفّرهم، أو قال: (ما عليّ منهم)^٣، أو قال: (ما كلّفني الله بهم)، فقد كذب على الله وافترى، فقد كلّفه الله تعالى بهم، وافترض عليه الكفر بهم والبراءة منهم ولو كانوا إخوانه وأولاده، فالله الله يا إخواني، تمسكوا بذلك^٤ لعلكم تلقون ربكم وأنتم لا تشركون به شيئاً، اللهم توفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين.

ولنختم الكلام بآية ذكرها الله في كتابه تُبين لك أن كفر المشركين من أهل زماننا أعظم من كفر الذين قاتلهم رسول الله ﷺ؛ قال الله تعالى ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مِنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضُوا وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾^٥.

^١ قوله (تبين) معطوفة على (عرفت) في أول الفقرة.

^٢ ورد الخبر بغربة الإسلام في أربعة أحاديث صحيحة، وهي:

الأول: حديث ابن عمر رضي الله عنهما الذي رواه مسلم (١٤٦) ولفظه: إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، وهو يَأْرُزُ بين المسجدين كما تَأْرُزُ الحية إلى جحرها.

ومعنى (يَأْرُزُ) أي ينضم ويجتمع. انظر «شرح النووي على مسلم».

الثاني: حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي رواه مسلم (١٤٥) واللفظ له وابن ماجه (٣٩٨٦)، قال: قال رسول الله ﷺ: بدأ الإسلام غريباً، وسيعود كما بدأ غريباً، فطوبى للغرباء.

الثالث: حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الذي رواه الترمذي (٢٦٢٩) ولفظه: إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء.

والحديث صححه الألباني كما في «صحيح الترمذي».

الرابع: روى أحمد في مسنده (١٨٤/١) واللفظ له، وأبو يعلى في «مسنده» (٩٩/٢) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول:

إن الإيمان بدأ غريباً وسيعود كما بدأ، فطوبى يومئذٍ للغرباء إذا فسد الناس، والذي نفس أبي القاسم بيده؛ ليأْرُزَ الإيمان بين هذين المسجدين كما تَأْرُزُ الحية في جحرها.

قال محققو «المسند»: إسناده جيد.

^٣ هذه عبارة عامية عند أهل نجد تعني: ليس لي شأن بهم، أي لا أحب الطواغيت ولا أكرههم.

^٤ أي بأصل دينكم، وهو الأمر المذكور في بداية القطعة.

^٥ سورة الإسراء: ٦٧.

فقد ذكر الله عن الكفار أنهم إذا مسهم الضر تركوا السادات والمشائخ^١، فلم يدعوا أحداً منهم ولم يستغيثوا به، بل يُخلِصُونَ لله وحده لا شريك له، ويستغيثون به وحده، فإذا جاء الرخاء أشركوا.

وأنت ترى المشركين من أهل زماننا، ولعل بعضهم يدَّعي أنه من أهل العلم، وفيه زهد واجتهاد وعبادة، إذا مسه الضر يستغيث بغير الله، مثل معروف^٢ أو عبد القادر الجيلاني، وأجلُّ من هؤلاء، مثل زيد بن الخطاب والزبير، وأجلُّ من هؤلاء، مثل رسول الله ﷺ، فالله المستعان، وأعظم من ذلك وأطم أنهم يستغيثون بالطواغيت والكفرة والمردة، مثل شمسان وإدريس – ويقال له الأشقر – ويوسف وأمثالهم، والله سبحانه وتعالى أعلم، والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على خير خلقه، محمد، وآله وصحبه أجمعين.^٣

^١ لعل الصواب: المشايخ، جمع شيخ. انظر «لسان العرب»، مادة: شيخ.

^٢ أي معروف الكرخي.

^٣ انتهى كلامه رحمه الله، وكلامه مثبت في كتاب «الدرر السنية من الأجوبة النجدية» (١١٦/٢ - ١٢٠) و«مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب» (٣٦٣/١ - ٣٦٩)، وبينهما فروق يسيرة، وقد انتقيتُ منها ما هو أليق بالسياق، والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب^١، أجزل الله له الأجر والثواب، وأسكنه الجنة بغير حساب:

هذه كلمات في معرفة شهادة أن «لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله»، وقد غلط أهل زماننا فيها، وأثبتوا لفظها دون معانيها، وقد يأتون بأدلة على ذلك تلبس على الجاهل المسكين، ومن ليس له معرفة في الدين، وذلك يفضي إلى أعظم المهالك.

فمن ذلك قوله ﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن «لا إله إلا الله»، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم ... الحديث.^٢

وكذلك قوله ﷺ: لما سُئِلَ عن شفاعته؛ من أحق بها يوم القيامة؟

قال: من قال «لا إله إلا الله» خالصاً من قلبه.^٣

وقوله ﷺ: من كان آخر كلامه «لا إله إلا الله» دخل الجنة.^٤

وكذلك حديث عتبان: فإن الله قد حرم على النار من قال «لا إله إلا الله» يبتغي بذلك وجه الله.^٥

وهذه الأحاديث الصحيحة إذا رآها هذا الجاهل أو بعضها، أو سمعها من غيره؛ طابت نفسه وقرّت عينه، واستفزه المساعدة على ذلك، وليس الأمر كما يظنه هذا الجاهل المشرك، فلو أنه دعا غير الله، أو ذبح له، أو حلف به، أو نذر له، لم

^١ تقدم التعريف به في الرسالة الأولى.

^٢ رواه البخاري في «الصحيح»، (١٣٩٩، ١٤٠٠) ولفظه: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما توفي رسول الله ﷺ وكان أبو بكر رضي الله عنه، وكفر من كفر من العرب، فقال عمر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا «لا إله إلا الله»، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله؟

فقال: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها.

قال عمر رضي الله عنه: فوالله ما هو إلا أن شرح الله صدر أبي بكر رضي الله عنه، فعرفت أنه الحق.

^٣ تقدم تخريجه.

^٤ رواه أبو داود (٣١١٦) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، وأحمد في «مسنده» (٢٣٣/٥)، وصححه الألباني ومحققو «المسند».

^٥ رواه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٣٣)، ولفظ مسلم: لا يشهد أحد أن «لا إله إلا الله، وأني رسول الله» فيدخل النار، أو تطعمه.

^٦ لعله يقصد بالمساعد قرين الإنسان من الشياطين ممن يأمر بالشر، فإن لكل إنسان قريناً، ودليله حديث عائشة رضي الله عنها الذي رواه مسلم (٢٨١٥) أن رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلاً، قالت: فغرت عليه، فجاء فرأى ما أصنع، فقال: مالك يا عائشة، أغرت؟

فقلت: وما لي لا يغار مثلي على مثلك؟

فقال رسول الله ﷺ: أقد جاءك شيطانك؟

ير ذلك شركاً ولا محرماً ولا مكروهاً، فإذا أنكر عليه أحدٌ بعض ما ينافي التوحيد لله والعمل بما أمر الله؛ استأمر ونفر، وعارض بقوله: (قال رسول الله، وقال رسول الله)، وهذا لم يدر حقيقة الحال، فلو كان الأمر كما قال؛ لما قال الصديق رضي الله عنه في أهل الردة: والله لو منعوني عناقاً، أو قال عقلاً، كانوا يؤدُّونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه.^١

أفيظن هذا الجاهل أنهم لم يقولوا «لا إله إلا الله»؟

وما يصنع هذا الجاهل بقول رسول الله ﷺ في الخوارج: (أينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم)^٢، (فإنهم شر قتيل تحت أديم السماء)^٣.

أفيظن هذا الجاهل أن الخوارج الذين قال فيهم رسول الله ﷺ هذا أنهم لم يقولوا «لا إله إلا الله»؟

وقال ﷺ: يخرج في هذه الأمة (ولم يُقل: منها) قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز حلقهم - أو حناجرهم - .^٤

قالت: يا رسول الله، أو معي شيطان؟

قال: نعم.

قلت: ومع كل إنسان؟

قال: نعم.

قلت: ومعك يا رسول الله؟

قال: نعم، ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم.

^١ انظر «صحيح البخاري»، (١٣٩٩، ١٤٠٠).

^٢ رواه البخاري (٦٩٣٠) وقامه: فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة، ومسلم (١٠٦٦)، عن علي رضي الله عنه.

^٣ أديم السماء هو ما ظهر منها. انظر «لسان العرب».

^٤ ما بين القوسين هو من كلام أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، رواه عنه أحمد في «المسند» (٢٥٣/٥) عن أبي غالب قال:

لما أتني برؤوس الأزارقة فُصِبت على دَرَج دمشق؛ جاء أبو أمامة، فلما رآهم دمعت عيناه فقال: كلاب النار، ثلاث مرات، هؤلاء شر قتلى قُتلوا تحت أديم السماء، وخير قُتلى قُتلوا تحت أديم السماء الذين قتلهم هؤلاء.

قال: فقلت: فما شأنك دمعت عيناك؟

قال: رحمة لهم، إنهم كانوا من أهل الإسلام.

قال: قلنا: أبرأيك قلت هؤلاء كلاب النار، أو شيء سمعته من رسول الله ﷺ؟

قال: إني لجريء، بل سمعته من رسول الله ﷺ غير مرة ولا اثنين ولا ثلاث، قال: فعَدَّ مراراً.

قلت: حسَّنه الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله كما «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (٤٠٩/١).

والأزارقة فرقة من فرق الخوارج.

^٥ رواه البخاري (٦٩٣٠) وقد ضبطت النص منه، ومسلم (١٠٦٤)، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وكذلك أهل حلقة الذكر لما رآهم أبو موسى في المسجد، في كل حلقة رجل يقول: سَبِّحُوا مائة، هَلِّلُوا مائة ... الحديث. فلما أنكر عليهم صاحب رسول الله ﷺ قالوا: والله ما أردنا إلا الخير. قال: كم من مُريدٍ للخير لم يصبه، إن رسول الله ﷺ حدثنا أن قومًا يقرؤون القرآن لا يجاوز حلوقهم، أو قال: تراقبهم^١. وإيُّ الله، لا أدري أن يكون فيكم أكثرهم. فما كان إلا قليلاً حتى رأوا أولئك يُطاعِنون^٢ أصحاب رسول الله ﷺ يوم النهروان مع الخوارج^٣!

وقد جاء في وصفهم أيضاً حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الذي رواه البخاري (٥٠٥٨) أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وعملكم مع عملهم، ويقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر في التَّصل فلا يرى شيئاً، وينظر في القدح فلا يرى شيئاً، وينظر في الرَّيش فلا يرى شيئاً، ويتمارى في الفُوق.

^١ قال ابن الجوزي في «غريب الحديث»: الترقوة: العظم المشرف في أعلى الصدر، وهما ترقوتان، والجمع تراقي.

^٢ يعني: يحاربون، كُنَى بالطَّعان عن المحاربة.

^٣ رواه الدارمي في «سننه»، المقدمة، باب كراهة أخذ الرأي، ونصه:

أخبرنا الحكم بن المبارك، أنا عمرو بن يحيى قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه قال:

كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة، فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري فقال: أخرج إليكم أبو عبد الرحمن بعد؟

قلنا: لا، فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعاً، فقال له أبو موسى:

يا أبا عبد الرحمن، إني رأيت في المسجد أنفاً أمراً أنكرته، ولم أر والحمد لله إلا خيراً.

قال: فما هو؟

فقال: إن عشت فستراه، قال: رأيت في المسجد قومًا جُلُفًا جلوسًا ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل، وفي أيديهم حصاً، فيقول: (كَبِّروا مائة)، فيكبرون مائة، فيقول: (هَلِّلُوا مائة)، فيهللون مائة، ويقول: (سَبِّحُوا مائة)، فيسبحون مائة.

قال: فماذا قلت لهم؟

قال: ما قلت لهم شيئاً انتظر رأيك - أو انتظر أمرك - .

قال: أفلا أمرتهم أن يُعْذُّوا سيئاتهم، وَضَمِنْتَ لَهُمْ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ؟

ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلق فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟

قالوا: يا أبا عبد الرحمن، حصاً نَعْذُّ به التكبير والتهليل والتسبيح.

قال: فَعْذُّوا سيئاتكم، فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد، ما أسرع هلكتكم، هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل، وأنثيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم على ملة هي أهدى من ملة محمد أو مفتتحو باب ضلالة.

قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير.

قال: وكم من مُريدٍ للخير لن يصيبه، إن رسول الله ﷺ حدثنا أن قومًا يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وإيُّ الله، ما أدري لعل أكثرهم منكم.

ثم تولى عنهم، فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الحلق يُطاعِنونا يوم النهروان مع الخوارج.

أفيظن هذا الجاهل المشرك أنهم يشركون لكونهم يُسبحون ويُهللون ويكبرون؟ وكذلك المنافقون على عصر رسول الله ﷺ، يجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، ويصلون مع رسول الله ﷺ الصلوات الخمس، ويحجون معه، قال الله تعالى ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾^١، أفيظن هذا الجاهل أنهم لم يقولوا «لا إله إلا الله»؟

وكذلك قاتل النفس بغير الحق يقتل، أفيظن هذا الجاهل أنه لم يقل «لا إله إلا الله»، وأنه لم يقلها خالصاً من قلبه؟ فسبحان مَنْ طبع على قلب من شاء من عباده، وأخفى عليه الصواب، وأسلكه مسلك البهائم والدواب، ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾^٢، حتى قال هؤلاء الجهلة ممن ينتسب إلى العلم والفقه: قَبِلْنَا مَنْ أَمَّهَا لَا يَكْفُر.^٣

ف «لا إله إلا الله» نفي وإثبات الإلهية كلها لله، فمن قصد شيئاً من قبر أو شجر أو نجم، أو ملكٍ مقرب، أو نبي مرسل، لجلب نفع وكشف ضرر، فقد اتخذها إلهاً من دون الله، مكذِّب بـ «لا إله إلا الله»، يُستتاب، فإن تاب وإلا قتل.

فإن قال هذا المشرك: (لم أقصد إلا التبرك، وإني لأعلم أن الله هو الذي ينفع ويضر)؛ فقل له: إن بني إسرائيل ما أرادوا إلا ما أردت، كما أخبر الله عنهم أنهم لما جاوزوا البحر ﴿فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾، فأجابهم بقوله ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾^٤، الآيتين.

وحديث أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى «حُنين» ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: (يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط)، فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر، إنها السنن، قُلْتُمُ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾، لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ.^٥

وقال تعالى ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾^٦، وفي الصحيح عن ابن عباس وغيره: كان يلت السَّويق^٧ للحاج فمات، فعكفوا على قبره.

^١ سورة النساء: ١٤٥ .

^٢ سورة الفرقان: ٤٤ .

^٣ أي: من توجَّه إلى القبلة في صلاته - وهي الكعبة - فإنه لا يكفر، ولو عمل ما عمل! هكذا قالوا.

^٤ سورة الأعراف: ١٣٨ - ١٣٩ .

^٥ رواه الترمذي (٢١٨٠) واللفظ له، وأحمد (٢١٨/٥)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي».

^٦ سورة النجم: ١٩ .

^٧ السويق هو طعام يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير، سمي بذلك لانسياقه في الخلق، واللث هو الخلط بالماء أو السمن. انظر «المعجم الوسيط» و«تفسير غريب ما في الصحيحين» للحميدي.

فيرجع هذا المشرك يقول: (هذا في الشجر والحجر، وأنا اعتقد في أناس صالحين، أنبياء وأولياء، أريد منهم الشفاعة عند الله، كما يشفع ذو الحاجة عند الملوك، وأريد منهم القربة إلى الله)!

فقل له: هذا دين الكفار بعينه، كما أخير سبحانه بقوله ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾^١، وقوله ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾^٢.

وقد ذكر أن^٣ أناساً يعبدون المسيح وعزيراً، فقال الله: هؤلاء عبيدي، يرجون رحمتي كما ترجونها، ويخافون عذابي كما تخافونه، وأنزل الله سبحانه ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً﴾^٤ الآيتين^٥.

وقال تعالى ﴿ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون﴾^٦ قالوا سبحانه ﴿الآيتين﴾^٦.

والقرآن، بل والكتب السماوية من أولها إلى آخرها، مصرحة ببطلان هذا الدين وكفر أهله، وأنهم أعداء الله ورسوله، وأنهم أولياء الشيطان، وأنه سبحانه لا يغفر لهم ولا يقبل عملاً منهم،

كما قال تعالى ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾^٧.

وقال تعالى ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً﴾^٨.

وقال تعالى ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾^٩، قال ابن مسعود وابن عباس: لا تجعلوا له أكفاء من الرجال، تطيعونهم في معصية الله.^{١٠}

وقال رجل للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت.

قال: أجعلني لله نداً؟ قل: ما شاء الله وحده.^{١١}

^١ سورة الزمر: ٣ .

^٢ سورة يونس: ١٨ .

^٣ (أن) ليست في المطبوع، فلعلها ساقطة فأثبتتها، لأنه لا يستقيم الكلام بدونها.

^٤ سورة الإسراء: ٥٦ - ٥٧ .

^٥ انظر تفسير الطبري للآية المذكورة.

^٦ سورة سبأ: ٤٠ - ٤١ .

^٧ سورة النساء: ٤٨ .

^٨ سورة الفرقان: ٢٣ .

^٩ سورة البقرة: ٢٢ .

^{١٠} انظر تفسير الطبري للآية المذكورة.

^{١١} رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٨٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ورواه النسائي في «الكبرى» (10759) (الناشر: مؤسسة الرسالة) بلفظ: أجعلني لله عدلاً.

ورواه البيهقي (٢١٧/٣) وأحمد (٢١٤/١) بلفظ: أجعلني والله عدلاً؟ بل ما شاء الله وحده.

وهو حديث حسن كما قال محققو «المسند»، وانظر «السلسلة الصحيحة» (١٣٩).

وللفائدة، فقد روى النسائي في «الكبرى» (10758) عن جابر رضي الله عنهما أن رجلاً أتى النبي ﷺ فكلّمه فقال: ما شاء الله، (يعني: وشئت).

فقال: ويلك، أجعلتني والله عدلاً؟ قل: ما شاء الله وحده.

وروى الطيالسي (٤٣١) عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده.

ورواه النسائي في «الكبرى» (١٠٧٥٥)، وأبو داود (٤٩٨٠)، والبيهقي في «الكبرى» (٢١٦/٣)، وأحمد في «مسنده» (٣٨٤/٥) بلفظ: قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان.

وصححه الألباني كما في «السلسلة الصحيحة» (١٣٧).

وروى أحمد في «مسنده» (٧٢/٥) عن طفيل بن سخبرة أخي عائشة لأمها أنه رأى فيما يرى النائم كأنه مرّ برهط من اليهود فقال: من أنتم؟

قالوا: نحن اليهود.

قال: إنكم أنتم القوم لولا أنكم تزعمون إن غزيراً ابن الله.

فقال اليهود: وأنتم القوم لولا أنكم تقولون: (ما شاء الله وشاء محمد).

ثم مر برهط من النصارى فقال: من أنتم؟

قالوا: نحن النصارى.

فقال: إنكم أنتم القوم لولا أنكم تقولون: (المسيح ابن الله).

قالوا: وإنكم أنتم القوم لولا أنكم تقولون: (ما شاء الله وما شاء محمد).

فلما أصبح أخبر بها من أخبر، ثم أتى النبي ﷺ فأخبره فقال: هل أخبرت بها أحداً؟

قال عفان: قال: نعم.

فلما صلوا خطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن طفيلاً رأى رؤيا فأخبر بها من أخبر منكم، وإنكم كنتم تقولون كلمة كان يمنعني الحياء منكم إن أتاكم عنها، قال: لا تقولوا: ما شاء الله وما شاء محمد.

وصححه الألباني كما في «السلسلة الصحيحة» (١٣٨).

ورواه عبد الرزاق (١٩٨١٣) في مصنفه، وابن حبان كما في «مؤلفه» (١٩٩٨).

وروى البيهقي في «الكبرى» (٢١٦/٣) والنسائي في «المجتبى» (٣٧٨٢) - واللفظ للبيهقي - عن قتيلة بنت صيفي الجهني قالت: جاء حبر من الأحرار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، نعم القوم أنتم لولا أنتم تُشركون.

قال: سبحان الله! وما ذلكم؟

قال: تقولون إذا حلفتُم: بالكعبة.

فأمهل النبي ﷺ ثم قال: من حلف فليحلف برب الكعبة.

ثم قال: نعم القوم أنتم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء فلان.

فأمهل رسول الله ﷺ ثم قال: من قال (ما شاء الله) فليجعل بينهما: ثم شئت.

وقال ﷺ لأصحابه: أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر.
فسئل عنه فقال: الرياء.^١

وبالجملة فأكثر أهل الأرض مفتونون بعبادة الأصنام والأوثان، ولم يتخلص من ذلك إلا الحنفاء، أتباع ملة إبراهيم عليه السلام، وعبادتها في الأرض من قبل قوم نوح كما ذكر الله، وهي كلها ووقوفها^٢ وسدانتها^٣ وحجابتها^٤ والكتب المصنفة في شرائع عبادتها طبق الأرض^٥، قال إمام الحنفاء «واجبني وبني أن نعبد الأصنام»^٦، كما قص الله ذلك عنهم في القرآن، وأنجي الرسل وأتباعهم من الموحدين.

وكفى في معرفة كثرتهم وأنهم أكثر أهل الأرض ما صح عن النبي ﷺ أن بعث النار^٧ من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون^٨، قال الله تعالى «فأبى أكثر الناس إلا كفوراً»^٩، وقال «وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله»^{١٠}، وقال «وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين»^{١١}.

وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٣٦).

قال محققو «المسند» (٣٨٠/٣٨) وفقهم الله: ويُقاسُ على هذا كل لفظ يوهم التسوية بين الخالق وبين المخلوق، مثل قول العامة وأشباههم: توكلنا على الله وعليك، وما لي غير الله وغيرك، وباسم الله والشعب، مما ينبغي تجنبه والانتهاز عنه والتوبة منه، أدباً مع الله سبحانه.
^١ رواه أحمد (٤٢٨/٥) عن محمود بن لبيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر.

قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟

قال: الرياء، يقول الله عز وجل لهم يوم القيامة إذا جزيي الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء.

قال محققو «المسند»: إسناده جيد، رجاله رجال الصحيح.

^٢ ووقوفها جمع وقف، أي الأوقاف المخصصة لها.

^٣ السدانة هي الخدمة، والسادن هو الخادم.

^٤ حجابتها أي حفظها والقيام عليها. انظر «النهاية».

^٥ أي مملأها.

^٦ سورة إبراهيم: ٣٥.

^٧ أي الذين يبعثون لدخول النار.

^٨ رواه البخاري (٣٣٤٨)، ومسلم (٢٢٢) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

^٩ سورة الإسراء: ٨٩.

^{١٠} سورة الأنعام: ١١٦.

^{١١} سورة يوسف: ١٠٣.

ولما أراد سبحانه إظهار توحيده وإكمال دينه، وأن تكون كلمته هي العليا، وكلمة الذين كفروا هي السفلى، بعث محمداً ﷺ خاتم النبيين، وحبيب رب العالمين، وما زال في كل جيل مشهوراً، وفي توراة موسى وإنجيل عيسى مذكوراً، إلى أن أخرج الله تلك الدرة بين بني كنانة وبني زهرة، فأرسله على حين فترة من الرسل، وهداه إلى أقوم السبل، فكان له ﷺ من الآيات والدلالات على نبوته قبل مبعثه ما يُعجز أهل عصره، فمن ذلك قوله ﷺ: أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني أنه خرج منها نور أضاءت له بُصرى من أرض الشام.^١

وُولِدَ ﷺ ليلة الاثنين، الثاني عشر من ربيع الأول، عام الفيل، وانشق إيوان^٢ كسرى ليلة مولده، حتى سُمِعَ انشقاقه، وسقط أربع عشرة شُرْفة^٣، وهو باقٍ إلى اليوم آية من آيات الله، وخمدت نار فارس، ولم تحمد قبل ذلك، وغاضت بحيرة «ساوة»، وكانت بحيرة عظيمة في مملكة العراق، عراق العجم وهدان، تسير فيها السفن، وهي أكثر من ستة فراسخ، فأصبحت ليلة مولده يابسة ناشفة كأن لم يكن بها ماء، واستمرت على ذلك حتى بُني مكان «ساوة»، وباقية إلى اليوم.

وأرسلت الشهب على الشياطين، كما أخبر الله بقوله ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾^٤، وأنبتة الله نباتاً حسناً، وكان أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقاً، وأعزهم جواراً، وأعظمهم حلماً، وأصدقهم حديثاً، حتى سماه قومه (الأمين)، لما جعل الله فيه من الأحوال الصالحة والخصال المرضية.

وَوَصَلَ بُصْرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ مَرَّتَيْنِ، فَرَأَاهُ بِحِيرَا الرَّاهِبِ فَعَرَفَهُ، وَأَخْبَرَ عَمَهُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَمَرَ بِرَدِّهِ، فَرَدَّهُ مَعَ بَعْضِ غُلَمَانِهِ^٥، وَقَالَ لِعَمِهِ: (احتفظ به، فلم نجد قدماً أشبه من القَدَمِ الذي بالمقام^١ من قدمه).^٢

^١ رواه أحمد (١٢٧/٤، ١٢٨)، والطبراني في «مسند الشاميين» (١٤٥٥)، وابن حبان (٣١٣/١٤)، وهذا لفظ ابن حبان: عن العرياض بن سارية الفزاري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

إني عند الله مكتوب بخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأخبركم بأول ذلك: دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني أنه خرج منها نور أضاءت لها منه قصور الشام.

وقال محققو «المسند»: حديث صحيح لغيره.

^٢ الإيوان والإوان بيت مؤزج غير مسدود الوجه. انظر «أساس البلاغة».

^٣ رواه البيهقي في «دلائل النبوة»، خبر انشقاق الإيوان وخمود نار فارس، (١٢٦/١)، تحقيق د. عبد المعطي أمين قلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية — بيروت.

^٤ سورة الجن: ٩.

^٥ قال محمد بن سعد في «الطبقات»، باب «ذكر أبي طالب وضمه رسول الله ﷺ إليه، وخروجه معه إلى الشام في المرة الأولى»:

أخبرنا خالد بن خدّاش، حدثنا معتمر بن سليمان، سمعت أبي يحدث عن أبي مجلز أن عبد المطلب، أو أبا طالب، - شك خالد - قال: لما مات عبد الله عطف على محمد ﷺ، فكان لا يسافر سفرًا إلا كان معه فيه، وإنه توجه نحو الشام فنزل منزلاً فأتاه فيه راهب فقال: إن فيكم

رجلاً صالحاً، ثم قال: أين أبو هذا الغلام؟

قال: فقال: هأنذا وليه، أو قيل: هذا وليه.

واستمرت كفالة أبي طالب كما هو مشهور، وبُعِضت إليه الأوثان ودين قومه، فلم يكن شيء أبغض إليه من ذلك.

والدليل على أنه رسول الله ﷺ من العقل والنقل، أما النقل فواضح، وأما العقل فنَبَّه عليه القرآن، من ذلك تركُّ الله خلقه بلا أمر ولا نهي لا يُناسب في حق الله، ونبه عليه في قوله ﴿وما قدرُوا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم﴾^٣.

ومنها أن قول الرجل: (إني رسول الله)؛ إما أن يكون خير الناس، وإما أن يكون شرهم وأكذبهم، والتمييز بين ذلك سهل يُعرف بأمور كثيرة، ونبه على ذلك بقوله ﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين * تنزل على كل أفك أثيم﴾ الآيات^٤. ومنها شهادة الله بقوله ﴿قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾^٥. ومنها شهادة أهل الكتاب بما في كتبهم، كما في الآية.

ومنها - وهي أعظم الآيات العقلية - هذا القرآن الذي تحداهم الله بسورة من مثله، ونحن إن لم نعلم وجه ذلك من جهة العربية، فنحن نعلمها من معرفتنا بشدة عداوة أهل الأرض له، علمائهم وفصحائهم، وتكريره هذا واستعجازهم به، ولم يتعرَّضوا لذلك على شدة حرصهم على تكذيبه وإدخال الشبه على الناس.

ومنها تمام ما ذكرنا؛ وهو إخباره سبحانه أنه لا يقدر أحد أن يأتي بسورة مثله إلى يوم القيامة، فكان كما ذكر، مع كثرة أعدائه في كل عصر، وما أعطوا من الفصاحة والكمال والعلوم.

ومنها نُصرة من اتبعه ولو كانوا أضعف الناس.

ومنها خذلان مَنْ عَادَاه وعقوبته في الدنيا ولو كانوا أكثر الناس وأقوَاهم.

قال: احتفظ بهذا الغلام ولا تذهب به إلى الشام، إن اليهود حُشد، وإني أخشاهم عليه.

قال: ما أنت تقول ذاك، ولكن الله يقوله، فزُدْه، وقال: اللهم إني أستودعك محمداً.

ثم إنه مات.

^١ أي: مقام إبراهيم.

^٢ وهَمَّ الشيخ رحمه الله، فالذي قال هذا قوم من بني مُدَلج وليس بحيرا الراهب، وهذا نص كلام ابن سعد في «الطبقات الكبرى» باب «ذكر ضم عبد المطلب رسول الله ﷺ إليه بعد وفاة أمه، وذكر وفاة عبد المطلب، ووصية أبي طالب برسول الله ﷺ»: «

وقال قوم من بني مدلج لعبد المطلب: احتفظ به، فإننا لم نَرِ قدماً أشبه بالقدم التي في المقام منه.

فقال عبد المطلب لأبي طالب: اسمع ما يقول هؤلاء، فكان أبو طالب يحتفظ به.

^٣ سورة الأنعام: ٩١ .

^٤ سورة الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٣ .

^٥ سورة الرعد: ٤٣ .

ومنها أنه رجل أمِّي لا يخط ولا يقرأ الخط، ولا أخذ عن العلماء، ولا ادَّعى ذلك أحدٌ من أعدائه مع كثرة كذبهم وبهتانهم، ومع هذا أتى بالعلم الذي في الكتب الأولى، كما قال تعالى ﴿وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك إذًا لارتاب المبطلون﴾^١.

^١ سورة العنكبوت: ٤٨ .

وقال رحمه الله تعالى^١:

ولما بلغ أربعين سنة؛ بعثه الله بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، ولما أتى قومه بـ «لا إله إلا الله» قالت قريش «أجعل الآلهة إلهاً واحداً».

قال الترمذي: حدثني محمد بن صالح، عن عاصم بن عمرو بن قتادة، وزيد بن مروان، وغيرهم، قالوا: قام رسول الله ﷺ ثلاث سنين مستخفياً، ثم أعلن في الرابعة، فدعا عشر سنين، يوافي الموسم كل عام فيقول: (أيها الناس قولوا «لا إله إلا الله» ثفلحوا، وتملكوا بها العرب، وتدين لكم بها العجم، فإذا متم كنتم ملوكاً في الجنة)، وأبو هب وراءه يقول: لا تطيعوه، فإنه صابئ كذاب، فيردون عليه أقبح الرد.^٢

ولما أمره الله بالهجرة هاجر، وأظهر الله دينه على الدّين كله، وقاتل جميع المشركين، ولم يميز بين من اعتقد في نبي ولا ولي ولا شجر ولا حجر، ومازال يعلم الناس التوحيد، ويقمع من دعاة الشرك كل شيطان مريد، حتى أزال الله الجهل والجهال، وبان للناس من التوحيد ساطع الجمال.

^١ هذه رسالة أخرى للشيخ تقع بعد الأولى مباشرة في كتاب «الدرر» الذي نقلت منه.

^٢ روى ابن سعد في «الطبقات»، باب ذكر دعاء رسول الله ﷺ قبائل العرب في المواسم، عن عبد الله بن كعب بن مالك وعن الزهري وعن عاصم بن عمر بن قتادة وي زيد بن رومان، قالوا:

أقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاث سنين من أول نبوته مستخفياً، ثم أعلن في الرابعة، فدعا الناس إلى الإسلام عشر سنين، يوافي المواسم كل عام، يتبع الحاج في منازلهم في المواسم، بعكاظ ومجنة وذو المجاز، يدعوه إلى أن يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه ولهم الجنة، فلا يجد أحداً ينصره ولا يجيبه، حتى إنه ليسأل عن القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة ويقول: يا أيها الناس، قولوا «لا إله إلا الله» ثفلحوا، وتملكوا بها العرب، وتذل لكم العجم، وإذا آمنتم كنتم ملوكاً في الجنة.

وأبو هب وراءه يقول: (لا تطيعوه فإنه صابئ كاذب، فيردون على رسول الله ﷺ أقبح الرد ويؤذونه ويقولون: أسرتك وعشيرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك)، ويكلمونه ويجادلونهم، ويكلمهم ويدعوه إلى الله ويقول: اللهم لو شئت لم يكونوا هكذا.

ورواه ابن خزيمة في «صحيحه» (٨٢/١) عن طارق المحاري رحمه الله قال: رأيت رسول الله ﷺ مرّ في سوق ذي المجاز وعليه حلة حمراء، وهو يقول: (يا أيها الناس، قولوا «لا إله إلا الله» ثفلحوا)، ورجل يتبعه يرميه بالحجارة قد أدمى كعبيه وعرقوبيه وهو يقول: يا أيها الناس، لا تطيعوه فإنه كذاب.

فقلت: من هذا؟

قالوا: غلام بني عبد المطلب.

فقلت: من هذا الذي يتبعه يرميه بالحجارة؟

قالوا: هذا عبد العزى أبو هب.

قال الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله: هذا حديث صحيح.

انظر «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (٤٤١/١).

وعن أنس قال: قال أناس: يا رسول الله، يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا.

فقال ﷺ: يا أيها الناس، أنا محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل.¹

وعن عبد الله بن الشَّحِير قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى النبي ﷺ فقلت: أنت سيدنا.

فقال: السيد الله تبارك وتعالى.²

وعن عمر أن رسول الله ﷺ قال: لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله.³

وما زال ﷺ معلماً لأصحابه هذا التوحيد، ومحذراً من الشرك، حتى أتاهم وهم يتذاكرون الدجال فقال: ألا أخبركم بما هو

أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: الشرك الخفي، يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل.⁴

وحتى قال: لا تحلفوا بآبائكم، من حلف بالله فليصدق، ومن حلف له بالله فليرض، ومن لم يرض فليس من الله.⁵

وحتى قال: لا يقل أحدكم: ما شاء الله وشاء فلان.¹

¹ حديث صحيح، رواه أحمد (١٥٣/٣، ٢٤١)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٢٤٨) (٢٤٩)، وابن حبان (٦٢٤٠)، وصححه محققو «المسند» وقالوا في (٢٣/٢٠): على شرط مسلم.

² حديث صحيح، رواه أبو داود (٤٨٠٦)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٠٧٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢١١)، وأحمد (٢٤/٤)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود»، وقامه: قلنا: وأفضلنا فضلاً، وأعظمنا طولاً.

فقال: قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان.

ومعنى طولاً: أي أعظمنا عطاءً وعلوًا على الأعداء. انظر «عون المعبود».

³ رواه البخاري (٣٤٤٥) واللفظ له، وأحمد (٢٣/١)، والدارمي (٢٧٨٧).

⁴ رواه ابن ماجه (٤٢٠٤)، وحسنه الألباني كما في «صحيح ابن ماجه».

وروى ابن خزيمة (٩٣٧) من طريق أبي خالد سليمان بن حبان وعيسى بن يونس، كلاهما عن سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد رضي الله عنه قال: خرج النبي ﷺ فقال: أيها الناس، إياكم وشرك السرائر. قالوا: يا رسول الله، وما شرك السرائر؟

قال: يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته جاهداً لما يرى من نظر الناس إليه، فذلك شرك السرائر.

ورواه ابن أبي شيبه (٨٤٠٣) «باب الرجل يحسن صلاته حيث يراه الناس»، عن سعد بن إسحاق به.

ورواه البيهقي في «الكبرى» (٢٩٠-٢٩١) به عن محمود بن لبيد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: خرج النبي ﷺ فقال: وذكره.

والحديث حسنه الألباني كما في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣١).

⁵ رواه ابن ماجه (٢١٠١)، وصححه الألباني كما في «صحيح ابن ماجه».

وحتى قال: لا تقولوا: لولا الله وفلان.^٢

وحتى قال: لا يقل أحدكم: عبدي وأمتي.^٣

وحتى قال: من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك.^٤

وحذّرهم من الشرك بالله في الأقوال والأعمال، حتى قال: إنما أنا بشر، يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم كتاب الله، فيه الهدى والنور، ومن تركه كان على الردى.^٥

وحتى قال: إن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.^٦

^١ تقدم تخريجه.

^٢ حديث ضعيف، رواه إسحاق بن راهويه في «مسنده» (٢٤٠٩) فقال: أخبرنا أحمد بن أيوب عن أبي حمزة السكري عن عبد الله بن يسار الجهني قال: أخبرني امرأة منا أنها سمعت النبي ﷺ يخطب وهو يقول: لا يقول أحدكم: لولا الله وفلان، فإن كان لا بُدَّ فاعلاً فليقل: ولولا الله ثم فلان.

قال الشيخ أبو مالك الرياشي حفظه الله:

رجاله ثقات، غير أحمد بن أيوب شيخ ابن راهويه، قال عنه ابن حبان في «الثقات»: مستقيم الحديث.

إلا أن في سند الحديث انقطاعاً بين أبي حمزة السكري وعبد الله بن يسار الجهني، وذلك لأن عبد الله بن يسار من كبار الطبقة الثالثة، وأبي حمزة السكري من الطبقة السابعة، وبينهما مفاوز، ويغني عنه الأحاديث الثابتة المتقدمة. انتهى.

^٣ رواه مسلم (٢٢٤٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه، ونصه: أن رسول الله ﷺ قال: لا يقولن أحدكم: عبدي وأمتي، كُلُّكم عبيد الله، وكل نسائكم إماء الله، ولكن ليقُل: غلامي وجاريتي، وفتاتي وفتاتي.

^٤ رواه الترمذي (١٥٣٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما، وصححه الألباني رحمه الله.

ورواه أبو داود (٣٢٥١) وابن حبان (٤٣٥٨) وأحمد (٦٩/٢)، وأبو عوانة (٥٩٦٧) بلفظ: من حلف بغير الله فقد كفر.

وهذا اللفظ هو المعتمد كما قال الشيخ محمد علي آدم الأثيوبي حفظه الله، فقد روى الترمذي هذا الحديث وشك الراوي فيه فقال: فقد كفر - أو أشرك - .

^٥ روى مسلم في صحيحه (٢٤٠٨) عن زيد بن أرقم قال: قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى «خُمًّا» بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: أما بعد، ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين؛ أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به.

وفي رواية: كتاب الله فيه الهدى والنور، من استمسك به وأخذ به كان على الهدى، ومن أخطأه ضل.

ورواه أحمد (٣٦٦/٤) وغيره.

ولم أجد في أي من الروايات التي وقفت عليها قوله: ومن تركه كان على الردى.

^٦ رواه مسلم (٨٦٧)، وابن خزيمة (١٧٨٥)، والنسائي في الكبرى (١٧٩٩)، واللفظ له، عن جابر رضي الله عنهما.

ورواه ابن ماجه (٤٦) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وحتى أنه لم يترك النهي عند الموت، والتحذير لنا من هذا الشرك، حتى قال: اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.^١

وحتى قال: دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب ... الحديث.^٢

وحتى حذَّره عن الكفر بنعمة الله، قيل: هو قول الرجل هذا مالي ورثته عن آبائي. وقال بعضهم: هو كقوله: الريح طيبة، والملاح حاذق، ونحو ذلك.

ولما ذكر شيخ الإسلام تقي الدين^٣ الأحاديث: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن «لا إله إلا الله»^٤)، وكذلك حديث ابن عمر في الصحيحين: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن «لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله»، وقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة)^٥؛ قال:

إن الصلاة من حقها، والزكاة من حقها، كما قال الصديق لعمر، ووافقه عمر وسائرهم^٦ على ذلك، ويكون ذلك أنه إذا قالها قد شرع^٧ في العصمة وإلا بطلت.

وقد قال النبي ﷺ كل واحد من الحديثين في وقت، ليعلم المسلمون أن الكافر إذا قالها وجب الكفُّ عنه، ثم صار القتال مجرداً إلى الشهادتين، ليعلم أن تمام العصمة يحصل بذلك لئلا يقع شبهة، وأما مجرد الإقرار فلا يعصمهم على الدوام^٨، كما وقعت لبعض الصحابة، حتى جلاها الصديق رضي الله عنه، ووافقه عمر^٩.

^١ رواه أحمد (٢٤٦/٢)، وأبو يعلى (٦٦٨١) والحميدي في «مسنده» (٤٤٥/٢).

ورواه مالك في كتاب قصر الصلاة في السفر، باب جامع الصلاة عن عطاء بن يسار مرفوعاً، وقد وصله البزار، ولفظه: (وثناً يُعبد).
ورواه ابن أبي شيبة في «المصنف» برقم (١١٨١٨) عن زيد بن أسلم مرسلاً، والحديث صححه الألباني رحمه الله في «تحذير الساجد» (ص ١٨)، وقال محققو «المسند»: إسناده قوي.

^٢ رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٣٠٢٨)، وأحمد في «الزهد»، كتاب المقدمة، وأبو نعيم في «الحلية» (٢٦١/١) عن سلمان الفارسي موقوفاً، وصححه الشيخ عبد القادر الأرناؤوط رحمه الله كما في تخرجه لأحاديث كتاب «التوحيد»، باب ما جاء في الذبح لغير الله.
^٣ أي ابن تيمية رحمه الله.

^٤ تقدم تخرجه.

^٥ رواه البخاري (٢٥) ومسلم (٢٢)، ونصّه: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن «لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله»، وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله.

^٦ أي سائر الصحابة.

^٧ أي إذا قالها فقد عُصِمَ دمه وماله، وإلا لم يكن معصوم الدم والمال.

^٨ ينبغي التنبيه إلى أن هذه العصمة تنتقض إذا ارتكب قاتل الشهادتين ناقضاً من نواقض الإسلام، كدعاء غير الله مثلاً.

^٩ وكان هذا لما جحد أقوام فرضية الزكاة مع إقرارهم بفرضية الصلاة، فظن عمر أن قول «لا إله إلا الله» عاصم لدمائهم وأموالهم، فبين له أبو بكر أن من فرق بين الإقرار بفرضية الصلاة وفرضية الزكاة فقد نقض «لا إله إلا الله» كما تقدم في الحديث السابق.

وقال أيضاً رحمه الله^٢:

لما بلغ رسول الله ﷺ أربعين سنة؛ بعثه الله بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، ونذكر قبل ذلك شيئاً من أمور الجاهلية وما كانت عليه قبل بعثته:

قال قتادة: ذكر لنا أنه كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الهدى وشريعة من الحق، ثم اختلفوا بعد ذلك، فبعث الله لهم نوحاً، وكان أول رسول أرسل لأهل الأرض، قال ابن عباس في قوله تعالى ﴿كان الناس أمة واحدة﴾^٣، قال: على الإسلام.

وكان أول ما كادهم الشيطان به تعظيم الصالحين، كما ذكر الله ذلك في كتابه ﴿وقالوا لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا ودّاً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً﴾^٤.

قال الكلبي: هؤلاء قوم صالحون، فماتوا في شهر، فجزع عليهم أقاربهم، وقال لهم رجل: هل لكم أن تعمل لكم خمسة أصنام على صورهم؟

قالوا: نعم، فنحت لهم خمسة أصنام، ونصبها لهم.^٥

وفي غير حديثه: قال أصحابهم: لو صورنا صورهم كان أشوق لنا إلى العبادة، فكان الرجل يأتي أباه وابن عمه فيعظمه، حتى ذهب القرن الأول، ثم جاء القرن الآخر وعظموهم أشد من الأول، ثم جاء القرن الثالث فقالوا: ما عظم أولونا هؤلاء إلا وهم يرجون شفاعتهم، فعبدوهم.^٦

فلما بعث الله نوحاً، وأغرق من أغرق، وأهبط الماء هذه الأصنام من أرض إلى أرض، حتى قذفها إلى أرض جدة، فلما نصب الماء بقيت على الشاطئ، فسفت^٧ الريح عليها حتى وارتها، ثم عمّر نوح وذريته الأرض، وبقوا على الإسلام ما شاء الله، ثم حدث فيهم الشرك.

^١ «شرح العمدة» (٦٢/٤ - ٦٣).

^٢ هذه رسالة الثالثة للشيخ، تقع بعد الرسالة الثانية مباشرة في كتاب «الدرر» الذي نقلت منه.

^٣ البقرة: ٢١٣.

^٤ سورة نوح: ٢٣.

^٥ كتاب «الأصنام» (ص ٥١).

^٦ رواه ابن الجوزي بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما في «التبصرة» (٣٥/١)، تحقيق د. مصطفى عبد الواحد، الناشر دار الكتاب المصري، مصر، ط ١.

^٧ أي سفت عليها التراب، حتى وارت تلك الأصنام وأخفتها.

وما من أمة إلا ويبعث الله فيها رسولاً يأمرهم بعبادة الله وحده وينهاهم عن الشرك، فمنهم عاد التي لم يخلق مثلها في البلاد، بعث الله لهم هوداً عليه السلام، وكانوا في ناحية الجنوب بين اليمن وعمان، فكذبوه فأرسل الله عليهم الريح فأهلكتهم، ونجا الله هوداً ومن معه.

ثم بعث الله صالحاً إلى ثمود، وكانوا بالشمال بين الشام والحجاز ﴿فاستحبوا العمى على الهدى﴾^١، فأرسل الله عليهم صيحةً فأهلكتهم، ونجا الله صالحاً ومن معه.

ثم بعد ذلك أخرج إليهم إبراهيم عليه السلام، وأهل الأرض إذ ذاك كلهم كفار، فكذبوه إلا ابنة عمه سارة، زوجته، ولوطاً أيضاً، فأكرمه الله ورفع قدره، وجعله إماماً للناس، وجعل في ذريته النبوة والكتاب.

ومنذ ظهور إبراهيم لم يُعدم التوحيد في الأرض، كما قال تعالى ﴿وجعلها كلمة باقية في عقبه^٢ لعلهم يرجعون﴾^٣، وكان له ابنان، أحدهما إسحاق عليه السلام، وهو أبو بني إسرائيل، وإسرائيل يعقوب بن إسحاق، والثاني إسماعيل عليه السلام، وهو أبو العرب، وقصته وأمه مشهورة لما وضعها عليه السلام في مكة وكان هو في الشام، فنشأ إسماعيل عليه السلام في أرض العرب، فصار له ولأولاده ولاية البيت ومكة.

فلم يزلوا بعده على دين إسماعيل، حتى نشأ فيهم عمرو بن لُحْي بن قمعة، فمَلَكَ مكة، وكان معظماً فيهم بسبب الدين والدنيا، فسار إلى الشام، وآرأهم يعبدون الأوثان، فاستحسن ذلك وزينه لأهل مكة، ثم اقتدى بهم أهل الحجاز، وكان له رِئِّيٌّ^٤ من الجن فأتاه، فقال: (عَجِّلَ السَّيْرَ وَالظَّنَّ مِنَ تَهَامَةٍ، بِالسَّعْدِ وَالسَّلَامَةِ، أَتَيْتُ جَدَّةً، تَجِدُ فِيهَا أَوْثَاناً مَعْدَةً، فَأَوْرِدْهَا تَهَامَةً وَلَا تَهَبْ، ثُمَّ ادْعُ الْعَرَبَ إِلَى عِبَادَتِهَا تُجَبَّ).^٥

فأتى جدَّة فاستشارها ثم حملها، فلما حضر الحج دعا العرب إلى عبادتها فأجابوه، ففرقها في كل قبيلة واحد، فلم تزل تُعبد حتى بُعث رسول الله ﷺ فكسرها، وقال: رأيت عمرو بن عامر يجر قُصْبَهُ^٦ في النار.^٧

^١ سورة فصلت: ١٧ .

^٢ أي في ذريته.

^٣ سورة الزخرف: ٢٨ .

^٤ الرِّئِّيُّ هو التابع من الجن يتعرَّض للرجل. انظر «النهاية».

^٥ «الأصنام» للكلي (ص ٥٤)، (تحقيق أحمد زكي باشا، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٤).

^٦ أي أمعاءه.

^٧ رواه البخاري (٤٦٢٣)، ومسلم (٢٨٥٦)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وكان أول من سبَّ السوائب^١، وغيرَ دين إبراهيم، ونصب الأوثان، وكان أهل الجاهلية إذ ذاك فيهم بقايا من دين إبراهيم، مثل تعظيم البيت، والطواف به، والحج والعمرة، وإهداء البدن^٢، وكانت نزار^٣ تقول في إهلالها: لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك.^٤

ومن أقدم أصنامهم (مناة) على ساحل البحر، بـ «قديد» بين مكة والمدينة، ولم يكن أحد أشد تعظيماً له من الأوس والخزرج، فبعث رسول الله ﷺ علياً فهدمها عام الفتح، ثم اتخذوا اللات بالطائف، وكان أصله رجلاً صالحاً يلت السويق للحاج، فمات فعكفوا على قبره، فلما أسلمت ثقيف بعث رسول الله ﷺ المغيرة بن شعبه فهدمها.

ثم اتخذوا العزى، وكانت بوادي «نخلة»، وبنوا عليها بيتاً، وكانوا يسمعون منه الصوت، فلما فتح رسول الله ﷺ مكة؛ بعث خالد بن الوليد فأتاها فعَضدها^٥، وكانت ثلاث سَمَرَات^٦، فلما عضد الثالثة إذ هو بِجَنَّةٍ نافشة شعرها، فقال خالد:

يَا عُزَّى كَفَرَانُكَ لَا سَبْحَانُكَ إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ أَهَانَكَ

ثم ضربها ففلق رأسها فإذا هي حُمَمَةٌ^٧.

^١ السائبة هي الناقة، كانت تسبب، أي تترك ترعى في الصحراء، فلا تمنع من مرعى ولا تطرد عن ماء تعظيماً لها، يفعلون ذلك تقريباً لطواغيتهم التي كانوا يعبدونها، وانظر «صحيح البخاري» (٤٦٢٣).

^٢ البدنة هي الناقة التي تم لها خمس سنين، فهذه تُهدى للبيت، فتذبح ويقسم لحمها على فقراء مكة.

^٣ نزار: حي من العرب، ينتسب إليهم النبي ﷺ، فإن النبي ﷺ هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. انظر «زاد المعاد» (٧١/١).

^٤ روى مسلم في «صحيحه» (١١٨٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان المشركون يقولون: (لبيك لا شريك لك).

قال: فيقول رسول الله ﷺ: ويلكم قَدْ قَدْ.

فيقولون: إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك.

يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت.

وقول النبي ﷺ: (قَدْ قَدْ) أي يكفي هذا، فاقترضوا عليه.

^٥ عضدها أي قطعها. انظر «مختار الصحاح».

^٦ السمر ضرب من الشجر ذو شوك، صغار الورق، قصار الشوك، وله برمة صفراء، يأكلها الناس، وليس في الشجر ذو الشوك شيء أجود خشباً من السمر، واحدها سمرة. انظر «لسان العرب».

^٧ الحُمَم: الفحم البارد، الواحدة حِمَمَةٌ. انظر «كتاب العين» للخليل بن أحمد الفراهيدي.

^٨ انظر «السنن الكبرى» للنسائي (١١٤٨٣)، و«مسند أبي يعلى» (٩٠٢)، و«أخبار مكة» للأزرقي (١٩٨/١)، باب ما جاء في اللات والعزى.

وكان من العرب من يتعلق على الملائكة يريدون شفاعتهم، وهم بنو ملح، وكان منهم من يدعو الجن، وكانت النصارى تدعو عيسى وأمه، وكان من الناس من يدعو أناساً صالحين غير ما ذكرنا، وهو أول أنواع الشرك وقوعاً في الأرض كما تقدم، وامتألت أرض العرب وغيرها من الأوثان والشرك بالله، وكان لكل قوم شيء يقصدونه غير ما كان عند الآخرين. فلما بُعث رسول الله ﷺ بالتوحيد قالوا ﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب﴾^١. ولما فتح رسول الله ﷺ مكة وجد حول البيت ثلاثمائة وستين صنماً، وجعل يطعن في وجوهها ويقول ﴿جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً﴾^٢، وهي تساقط على رؤوسها، ثم أمر بها فأخرجت من المسجد وحُرقت^٣. وقال بعض الصحابة في اللات:

لا تنصروا اللات إن الله مُهلِكُها وكيف ينصركم من ليس ينتصرُ
 إن التي حُرقت بالسَّددِ فاشتعلت فلم تقَاتِلْ لدى أحجارها هَدْرُ
 وصلى الله على محمد.^٥

^١ سورة ص: ٥ .

^٢ سورة الإسراء: ٨١ .

^٣ انظر حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الذي رواه البخاري (٤٢٨٧، ٤٢٨٨)، ومسلم (١٧٨١).

^٤ قاله شداد بن عارض الجشمي حين هُدمت وحُرقت، ينهى ثقيفاً عن العود إليها والغضب لها. انظر «الأصنام» للكلبي (ص ١٧).

^٥ انتهى كلامه رحمه الله، وهو عبارة عن ثلاث رسائل متتالية، وهي مثبتة في «الدرر السنية من الأجوبة النجدية» (٨٤/٢ - ١٠٠).

بسم الله الرحمن الرحيم

سُئِلَ الشيخ عبد الرحمن بن حسن^١ قدس الله روحه ونور ضريحه عما في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: من قال «لا إله إلا الله»، وكفر بما يُعبد من دون الله؛ حرم ماله ودمه، وحسابه على الله عزَّ وجل.^٢
فأجاب:

اعلم أن «لا إله إلا الله» هي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، وهي العروة الوثقى، وكلمة التقوى، وهي الكلمة التي جعلها إبراهيم الخليل عليه السلام باقية في عقبه^٣ لعلهم يرجعون، ومعناها نفي الشرك في الإلهية عما سوى الله، وإفراد الله تعالى بالإلهية.

والإلهية هي تأله القلب بأنواع العبادة، كالحبة والخضوع، والذل والدعاء، والاستعانة، والرجاء والخوف، والرغبة والرهبة، وغير ذلك من أنواع العبادة التي ذكر الله في كتابه العزيز، أمراً وترغيباً للعباد أن يعبدوا بها ربهم وحده.

وهي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، وكل فرد من أفراد العبادة لا يستحق أن يُقصد به إلا الله وحده، فمن صرّفه لغير الله فقد أشركه في حق الله الذي لا يصلح لغيره، وجعل له أنداداً.

وقد عمّت البلوى بهذا الشرك الأكبر بأرباب القبور والأشجار والأحجار، واتخذوا ذلك ديناً، زعموا أن الله يحب ذلك ويرضاه، وهو الشرك الذي لا يغفره الله، كما قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ الآية^٤، وقال تعالى ﴿إِنَّهُ مَنْ يَشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾^٥.

وقال^٦ في معنى هذا التوحيد ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾^٧، أي أمر ووَصَّى، وهذا معنى «لا إله إلا الله»، فقوله ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا﴾ هو معنى «لا إله» في كلمة الإخلاص، وقوله ﴿إِلَّا إِيَّاهُ﴾ هو معنى الاستثناء في «لا إله إلا الله»، ونظائر هذه الآية في القرآن كثير كما سنذكر بعضه.

^١ تقدم التعريف به في الرسالة الأولى.

^٢ رواه مسلم (٢٣) عن أبي مالك عن أبيه، وأبو مالك هو سعد بن طارق الأشجعي، ثقة، وأبوه هو طارق بن أشيم الأشجعي، صحابي.

^٣ أي ذريته.

^٤ سورة النساء: ٤٨ .

^٥ سورة المائدة: ٧٢ .

^٦ أي الله تعالى.

^٧ سورة الإسراء: ٢٣ .

وقال تعالى ﴿وَأَن الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾^١، وهذا نهي عام يتناول كل مدعو من ملك أو نبي أو غيرهما، فإن ﴿أحداً﴾ نكرة في سياق النهي وهي تعميم، وأمثلة هذه الآية كثيرة، كقوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾^٢. وفي حديث معاذ الذي في الصحيحين: فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً^٣. وفيهما أيضاً: من مات وهو يدعو من دون الله ندّاً دخل النار.^٤

وإخلاص العبادة لله تعالى هو التوحيد الذي جحدته المشركون قديماً وحديثاً، ولما قال رسول الله ﷺ لقومه وغيرهم من أحياء العرب: (قولوا «لا إله إلا الله» تفلحوا)^٥؛ قالوا ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ * وَانْطَلِقِ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَن امشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾^٦.

فعرفوا معنى «لا إله إلا الله» وأنه توحيد العبادة لكن جحدوه، كما قال عن قوم هود ﴿أَجِئْنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ﴾^٨، وقال تعالى عن مشركي هذه الأمة ﴿إِنَّمَا كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾^٩،

^١ سورة الجن: ١٨ .

^٢ سورة الجن: ٢٠ .

^٣ رواه البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠).

^٤ رواه البخاري (٤٤٩٧)، وأحمد (٣٧٤/١، ٤٢٥)، ولم يخرجهم مسلم كما وهم المؤلف رحمه الله.

ولفظ البخاري: عن عبد الله قال النبي ﷺ كلمة وقلت أخرى؛ قال النبي ﷺ: من مات وهو يدعو من دون الله ندّاً دخل النار. وقلت أنا: من مات وهو لا يدعو لله ندّاً دخل الجنة.

ولفظ أحمد: قال رسول الله ﷺ كلمة وقلت أخرى؛ قال رسول الله ﷺ يقول: من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة. قال: وقلت: من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار.

^٥ تقدم تخريجه.

^٦ سورة ص: ٥ - ٧ .

^٧ روى ابن جرير في «تفسيره» عند تفسير هذه الآية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مرض أبو طالب، فأثاه رسول الله ﷺ يعود، وهم حوله جلوس، وعند رأسه مكان فارغ، فقام أبو جهل فجلس فيه، فقال أبو طالب: يا ابن أخي، ما لقومك يَشْكُونُكَ؟ قال: يا عم، أريدهم على كلمة تدين لهم بها العرب، وتؤدي إليهم بها العجم الجزية. قال: ما هي؟

قال: «لا إله إلا الله».

فقاموا وهم يقولون: ﴿ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق﴾، ونزل القرآن ﴿ص * وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾، ذي الشرف، ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾، حتى قوله ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾.

^٨ سورة الأعراف: ٧٠ .

^٩ سورة الصافات: ٣٥ - ٣٦ .

عرفوا أن المراد من «لا إله إلا الله» ترك الشرك في العبادة، وأن يتركوا عبادة ما سواه مما كانوا يعبدونه من ملك أو نبي أو شجر أو حجر أو غير ذلك.

فإخلاص العبادة لله هو أصل دين الإسلام الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه، وهو سرُّ الخلق، قال تعالى لنبيه ﷺ ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَآبٌ﴾^١، وقال تعالى ﴿وَمَنْ يَسْلَمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾^٢، فإسلام الوجه هو إخلاص الأعمال الباطنة والظاهرة كلها لله تعالى.

وهذا هو توحيد الإلهية وتوحيد العبادة وتوحيد القصد والإرادة، ومن كان كذلك فقد استمسك بالعروة الوثقى وهي «لا إله إلا الله»، فإن مدلولها نفي الشرك وإنكاره، والبراءة منه، وإخلاص العبادة لله وحده، وهو معنى قول الخليل عليه السلام ﴿إِنِّي وَجْهَتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^٣.

وهذا هو الإخلاص الذي هو دين الله، الذي لم يرضَ لعباده ديناً سواه، كما قال تعالى ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ * أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾^٤، والدين هو العبادة، وقد فسره أبو جعفر ابن جرير في تفسيره بالدعاء، وهو بعض أفراد العبادة، كما في السنن من حديث أنس: (الدعاء مخ العبادة)^٥، وحديث النعمان بن بشير (الدعاء هو العبادة)^٦، أي معظمها، وذلك أنه يجمع من أنواع العبادة أموراً سنذكرها إن شاء الله تعالى.

وقال تعالى ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾^٧، وقال ﴿قُلْ اللَّهُ أَعْبَدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾^٨، وقال تعالى ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾^٩، والدعاء في هذه الآية هو الدعاء بنوعيه؛ دعاء العبادة ودعاء المسألة.

وقال ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾^{١٠}، والحنيف هو الراغب عن الشرك، المنكر له، وقد فسره ابن القيم رحمه الله بتفسير شامل لمدلول «لا إله إلا الله» فقال: (الحنيف: المُقبل على الله، المُعرض عن كل ما سواه)^{١١}، وهذا التوحيد هو الذي أنكره أعداء الرسل من أولهم إلى آخرهم.

^١ سورة الرعد: ٣٦ .

^٢ سورة لقمان: ٢٢ .

^٣ سورة الأنعام: ٧٩ .

^٤ سورة الزمر: ٢ - ٣ .

^٥ رواه الترمذي (٣٣٧١)، وهو ضعيف، في سننه عبد الله بن لهيعة، ويغني عنه الحديث الذي بعده.

^٦ رواه الترمذي (٢٩٦٩)، وأبو داود (١٤٧٩)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، والنسائي في «الكبرى» (١١٤٦٤)، وأحمد في «المسند» (٢٦٧/٤)، وابن حبان (٨٩٠)، والحاكم (٤٩١/١)، وغيرهم عن النعمان بن بشير، وصححه الشيخ ناصر في «صحيح أبي داود» (١٤٧٩).

^٧ سورة الزمر: ١١ .

^٨ سورة الزمر: ١٤ .

^٩ سورة غافر: ١٤ .

وقد بيّن تعالى ضلالهم بالشرك، كما قال تعالى ﴿واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً﴾^٢، وقال تعالى ﴿قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين﴾^٣، وهذا المذكور في هذه الآية هو توحيد الربوبية، ومشركو العرب والأمم لم يحدوه، بل أقروا به لله، فصار حجة عليهم فيما جحدوه من الإلهية، ولهذا قال بعد هذه الآية ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون﴾^٤، وقال تعالى ﴿ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطاناً وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير﴾^٥، والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً، بل القرآن من أوله إلى آخره يدل على هذا التوحيد مطابقة وتضمناً والتزاماً.

وهو الدين الذي بُعث به المرسلون من أولهم إلى آخرهم، كما قال تعالى ﴿واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله﴾^٦، فدلّت هذه الآية وما قبلها على أن الله تعالى إنما أراد من عباده أن يخلصوا له العبادة وهي أعمالهم، ونهاهم أن يجعلوا له شريكاً في عباداتهم وإراداتهم التي لا يستحقها غيره كما تقدم، قال تعالى ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً﴾^٧، وقال تعالى ﴿فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين﴾^٨، وقال تعالى ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود﴾^٩، والمراد تطهيره عن الشرك في العبادة، ولهذا قال تعالى ﴿ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأجلّت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور * حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾^{١٠}.

^١ سورة البينة: ٥ .

^٢ قاله في «جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنعام ﷺ»، (الفصل الخامس، في ذكر إبراهيم خليل الرحمن ﷺ)، (ص ٣٠٥ - ٣٠٦)، ونصه: فالأمة هو القدوة المعلم للخير، والقانت: المطيع لله تعالى، الملازم لطاعته، والحنيف: المقبل على الله تعالى، المعرض عما سواه.

^٣ سورة الفرقان: ٣ .

^٤ سورة الأحقاف: ٤ .

^٥ سورة الأحقاف: ٥ .

^٦ سورة الحج: ٧١ .

^٧ سورة الأحقاف: ٢١ .

^٨ سورة النساء: ٣٦ .

^٩ سورة الحج: ٣٤ .

^{١٠} سورة الحج: ٢٦ .

^{١١} سورة الحج: ٣٠ - ٣١ .

وقد بين الله تعالى في مواضع من القرآن معنى كلمة الإخلاص «لا إله إلا الله»، ولم يَكِلْ عبادة في بيان معناها إلى أحد سواه، وهو صراطه المستقيم، كما قال تعالى ﴿وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾^١، وقال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^٢، فعبر عن معنى «لا إله» بقوله ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾، وعبر عن معنى «إلا الله» بقوله ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾، فتبين أن معنى «لا إله إلا الله» هو البراءة من عبادة كل ما سوى الله، وإخلاص العبادة بجميع أنواعها لله تعالى كما تقدم، وهذا واضح بيّن لمن جعل الله له بصيرة ولم تتغير فطرته، ولا يخفى إلا على من عَمِيََتْ بصيرته بالعوائد الشركية، وتقليد من خرج من الصراط المستقيم من أهل الأهواء والبدع والضلال، ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾^٣.

وقال تعالى في بيان معناها ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^٤.

والمعنى: أي بعض من كان^٥ من نبي أو غيره كالْمسيح بن مريم والعُزَيْر ونحوهما. وفي قوله ﴿أَلَّا نَعْبُدَ﴾؛ معنى «لا إله».

وقوله «إلا الله»؛ هو المستثنى في كلمة الإخلاص.

وهذا التوحيد هو الذي دعا إليه النبي ﷺ أهل الكتاب وغيرهم من الإنس والجن، كما قال تعالى ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^٦.

وقد قال تعالى في معنى هذه الكلمة عن أصحاب الكهف ﴿وَإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾^٧، ففي قوله ﴿وَإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ معنى «لا إله».

وقوله «إلا الله» هو المستثنى في كلمة الإخلاص.

وقال تعالى ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا﴾ إلى قوله ﴿لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهاً﴾^٨، فتقرر بهذا أن الإلهية هي العبادة، وأن مَنْ صَرَفَ شيئاً لغير الله فقد جعله لله ندّاً، والقرآن كله في تقرير معنى «لا إله إلا الله» وما تقتضيه وما تستلزمه، وذكر ثواب أهل التوحيد، وعقاب أهل الشرك.

^١ سورة يس: ٦١ .

^٢ سورة الزخرف: ٢٦ - ٢٨ .

^٣ سورة النور: ٤٠ .

^٤ سورة آل عمران: ٦٤ .

^٥ في المطبوع: (بعض كان)، فعله خطأ مطبعي، والصواب: (بعض من كان)، والمقصود: بعض من كان يُعْبَدُ من نبي أو غيره.

^٦ سورة يوسف: ١٠٨ .

^٧ سورة الكهف: ١٦ .

ومع هذا البيان الذي ليس فوقه بيان؛ كثر الغلط في المتأخرين من هذه الأمة في معنى هذه الكلمة، وسببه تقليد المتكلمين الخائضين، فظن بعضهم أن معنى «لا إله إلا الله» إثبات وجود الله تعالى، ولهذا قَدَّروا الخبر المحذوف في «لا إله إلا الله» وقالوا (لا إله موجود إلا الله)، ووجوده تعالى قد أَقَرَّ به المشركون الجاحدون لمعنى هذه الكلمة، وطائفة ظنوا أن معناها قدرته على الاختراع، وهذا معلوم بالفطرة وما يُشاهد من عظيم مخلوقات الله تعالى، كخَلْق السَّمَاوَات والأرض وما فيهما من عجائب المخلوقات، وبه استدل الكليم موسى عليه الصلاة والسلام على فرعون لما قال ﴿وما رب العالمين﴾* قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين* قال لمن حوله ألا تستمعون* قال ربكم ورب آبائكم الأولين﴾^١، وفي سورة بني إسرائيل ﴿لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر﴾، وفرعون يعرف الله، ولكن جَحَدَهُ مكابرةً وعناداً، وأما غير فرعون من أعداء الرسل من قومهم ومشركي العرب ونحوهم فأقروا بوجود الله وربوبيته كما قال تعالى ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم﴾^٢، وقال تعالى ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾^٣، فلم يدخلهم ذلك في الإسلام لما جحدوا ما دلت عليه «لا إله إلا الله» من إخلاص العبادة بجميع أفرادها لله وحده. وفي الحديث الصحيح: من مات وهو يدعو لله ندًا دخل النار.^٤

وتقدم قول قوم هود ﴿أجئتنا لعبد الله وحده﴾^٥، دليل على أنهم أقروا بوجوده وربوبيته وأنهم يعبدونه، لكنهم أبوا أن يجردوا العبادة لله وحده دون آلهتهم التي كانوا يعبدونها معه، فالخصومة بين الرسل وأممهم ليست في وجود الرب وقدرته على الاختراع، فإن الفطر والعقول دلتهم على وجود الرب، وأنه رب كل شيء ومليكه، وخالق كل شيء، والمتصرف في كل شيء، وإنما كانت الخصومة في ترك ما كانوا يعبدونه من دون الله، كما قال تعالى ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إني لكم نذير مبين﴾* ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم﴾^٦، وقال تعالى ﴿وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾* إنما تعبدون من دون الله آوثاناً وتخلقون إفكاً إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون* وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾^٧،

^١ سورة الكهف: ١٤ .

^٢ سورة الشعراء: ٢٣ - ٢٦ .

^٣ سورة الزخرف: ٩ .

^٤ سورة الزخرف: ٨٧ .

^٥ تقدم تخرجه .

^٦ سورة الأعراف: ٧٠ .

^٧ سورة هود: ٢٥ - ٢٦ .

^٨ سورة العنكبوت: ١٦ - ١٨ .

فالشرك في العبادة هو الذي عَمَّتْ به البلوى في الناس قديماً وحديثاً كما قال تعالى ﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين﴾^١.

وقد أخبر النبي ﷺ أن هذه الأمة تأخذ مأخذ القرون قبلها، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، ولهذا أنكر كثير من أعداء الرسل في هذه الأزمنة وقبلها على من دعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده، وجحدوا ما جحدته الأمم المكذبة من التوحيد، واقتلدوا بمن سلف من أعداء الرسل في مَسَبَّتِهِمْ من دعاهم إلى إخلاص العبادة لله ونسبته إلى الخطأ والضلال، كما رأينا ذلك في كلام كثير منهم كابن كمال المشهور بالشرك والضلال، وقد كُمل في جهله وضلاله، وأتى في كلامه بأجل المحال، وقد اشتهر عنه بأخبار الثقات أنه يقول: (عبد القادر في قبره يسمع، ومع سمعه ينفع)، وما يُشعره أنه في قبره الآن رفات كحال الأموات، وهذا قول شنيع، وشرك فظيع، ألا ترى أن الحي الذي قد كملت قوته، وصَحَّتْ حاسة سمعه وبصره، لو ينادي من مسافة فرسخٍ أو فرسخين لم يمكنه سماع نداء من ناداه؟ فكيف يسمع ميت من مسافة شهر أو شهرين أو دون ذلك أو أكثر، وقد ذهبت قوته وفارقته روحه وبطلت حواسه؟!

هذا من أعظم ما نُحِيلُهُ^٢ العقول وتنكره الفطر، وفي كتاب الله عزَّ وجلَّ ما يبطله، قال الله تعالى ﴿ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير﴾^٣ إن تدعوهم لا يسمعون دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير^٤، فأخبر الخبير جل وعلا أن سماعهم ممتنع، واستجابتهم لمن دعاهم ممتنعة، فهؤلاء المشركون لما استغرقوا في الشرك ونشئوا عليه أتوا في أقوالهم بالمستحيل، ولم يصدقوا الخبير في إخباره، وقال تعالى ﴿والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون﴾^٥ أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون^٦، فذكره تعالى أنهم أموات دليل على بطلان دعوتهم، وكذلك عدم شعورهم يبين تعالى بهذا جهل المشرك وضلاله، فأحق عزَّ وجلَّ في كتابه الحق وأبطل الباطل ولو كره المشركون، لكن هؤلاء لما عظم شركهم نزلوا الأموات في علم الغيب منزلة علام الغيوب، الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، وشبَّهوهم برب العالمين، سبحانه وتعالى عما يشركون، قال الله تعالى ﴿أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يُخلَقون﴾^٧ ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون^٨، وليس عند هؤلاء الملاحدة ما يصدون به العامة عن أدلة الكتاب والسنة التي فيها النهي عن الشرك في العبادة إلا قولهم: (قال أحمد بن حجر الهيتمي، قال فلان، وقال فلان: يجوز التوسل بالصالحين)، ونحو ذلك من العبارات الفاسدة، فنقول: هذا وأمثاله ليسوا بحجة تنفع عند الله وتخلصكم من عذابه، بل

^١ سورة الروم: ٤٢ .

^٢ أي تعرف العقول استحالتة.

^٣ سورة فاطر: ١٣ - ١٤ .

^٤ سورة النحل: ٢٠ - ٢١ .

^٥ سورة الأعراف: ١٩١ - ١٩٢ .

الحجة ما في كتاب الله وسنة رسول ﷺ الثابتة عنه، وما أجمع عليه سلف الأمة وأئمتها، وما أحسن ما قاله الإمام مالك رحمه الله: أوكلمنا^١ جاءنا رجل أجدل من رجل، نترك ما نزل به جبرائيل على محمد ﷺ لجدله؟!^٢

إذا عُرف ذلك فالتوسل يُطلق على شيئين، فإن كان ابن حجر وأمثاله أرادوا سؤال الله بالرجل الصالح؛ فهذا ليس في الشريعة ما يدل على جوازه، ولو جاز لما ترك الصحابة السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم التوسل بالنبي ﷺ بعد وفاته كما كانوا يتوسلون بدعائه في حياته إذا قحطوا، وثبت عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه خرج بالعباس بن عبد المطلب عام الرمادة بمحضر من السابقين الأولين يستسقون، فقال عمر: اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا.^٣

ثم قال: ارفع يديك يا عباس، فرفع يديه يسأل الله تعالى، ولم يسأله بجاه النبي ﷺ ولا بغيره، ولو كان هذا التوسل حقاً كانوا إليه أسبق وعليه أحرص.

فإن كانوا أرادوا بالتوسل دعاء الميت والاستشفاع به فهذا هو شرك المشركين بعينه، والأدلة على بطلانه في القرآن كثيرة جداً، فمن ذلك قوله تعالى ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلَا يَعْقِلُونَ﴾* قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السماوات والأرض ثم إليه ترجعون^٤، فالذي له ملك السماوات والأرض هو الذي يأذن في الشفاعة، كما قال تعالى ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^٥.

وقال تعالى ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذِنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾^٦، وهو لا يرضى إلا بالإخلاص في الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، كما صرح به النبي ﷺ في حديث أبي هريرة وغيره.

وأنكر تعالى على المشركين اتخاذ الشفعاء فقال تعالى ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَنْبِئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^٧، فبين تعالى في هذه

^١ في المطبوع: وكلمنا، ولعله تصحيف.

^٢ قال الإمام أحمد في «العلل ومعرفة الرجال» (٧٢/٢) برقم (١٥٨٥): حدثنا إسحاق بن الطباع قال: رأيت مالك بن أنس يعيب الجدل والمراء في الدين، قال: أفكلما كان رجل أجدل من رجل؛ أردنا أن نؤد ما جاء به جبريل إلى النبي ﷺ.

ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٨٤٩٠).

^٣ رواه البخاري (١٠١٠)، والطبراني في «الأوسط» (٢٤٥٨) عن عمارة بن عبد الله بن أنس عن أنس رضي الله عنه.

^٤ أي التوسل بالنبي ﷺ.

^٥ سورة الزمر: ٤٣ - ٤٤.

^٦ سورة البقرة: ٢٥٥.

^٧ سورة النجم: ٢٦.

^٨ سورة يونس: ١٨.

الآية أن هذا هو شرك المشركين، وأن الشفاعة ممتنعة في حقهم لما سألوها من غير وجهها، وأن هذا شرك نَزَّه نفسه عنه بقوله تعالى ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾، فهل فوق هذا البيان بيان؟

وقال تعالى ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار﴾^١، فكفَّروهم بطلبهم من غيره أن يقربوهم إليه.

وقد تقدم بعض الأدلة على النهي عن دعوة غير الله والتغليظ في ذلك، وأنه في غاية الضلال، وأنه شرك بالله وكفر به، كما قال تعالى ﴿ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون﴾^٢.

فمن أراد النجاة فعليه التمسك بالوحيين الذين هما حبل الله، وليدع عنه بُنَيَّات^٣ الطريق، كما قال تعالى ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾^٤.

وقد مثَّلَ النَّبِيُّ ﷺ الصراط المستقيم، وخط خطوطاً عن يمينه وعن شماله، وقال: هذه هي السبل، وعلى كل سبيل شيطان يدعو إليه.

والحديث في الصحيح وغيره عن عبد الله بن مسعود.^٥

وكل من زاغ عن الهدى وعارض أدلة الكتاب والسنة بُزُخِرَفِ أهل الأهواء فهو شيطان.

فصل

والعقل إذا تأمل ما عارض به أولئك الدعاة إلى الشرك بالله في عبادته - كابن كمال وغيره - من دعا الناس إلى إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له؛ فالعقل يعلم أن معارضتهم قد اشتملت على أمور كثيرة:

الأمر الأول: أنهم أنكروا ما جاءت به الرسل من توحيد العبادة، وما نزلت فيه الكتب الإلهية من هذا التوحيد، فهم في الحقيقة إنما عارضوا الرسل والكتب المنزلة عليهم من عند الله.

^١ سورة الزمر: ٣ .

^٢ سورة المؤمنون: ١١٧ .

^٣ بُنَيَّات الطريق هي الطرق الصغار التي تتشعب من الجادة. انظر «تاج اللغة».

^٤ سورة الأنعام: ١٥٣ .

^٥ ليس الحديث في الصحيحين ولا في أحدهما، بل أخرجه أحمد (٤٣٥/١) وغيره عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ولفظه:

خطاً لنا رسول الله ﷺ خطاً ثم قال: هذا سبيل الله، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله ثم قال: هذه سبل - قال يزيد (وهو أحد الرواة):

متفرقة - على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم قرأ ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾.

والحديث حسن كما قاله محققو «المسند» وفقهم الله.

الأمر الثاني: تضمنت معارضتهم قبول الشرك الأكبر ونصرتة، وهو الذي أرسل الله رسله وأنزل كتبه بالنهي عنه، وقد خالفوا جميع الرسل والكتب، فهم في الحقيقة قد أنكروا على من دان بهذا التوحيد ودعا إليه من الأولين والآخرين.

الأمر الثالث: وقد تضمنت معارضتهم أيضاً مسبّة من دعا إلى التوحيد وأنكر الشرك، أسوة أعداء الرسل، كقوم نوح إذ قالوا ﴿إنا لنراك في ضلال مبين﴾^١، وقال قوم هود ﴿إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين﴾^٢، وقول من قال من مشركي العرب للنبي ﷺ ﴿إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤوا ظلماً وزوراً﴾^٣، فالظلم والزور في كلام هؤلاء المنكرين للتوحيد أمر ظاهر يعرفه كل عاقل منصف، فقد تناولت مسبّتهم كل من دعا إلى الإسلام وعمل به من الأولين والآخرين، كما أن من كذب رسولاً بما جاء به من الحق فقد كذب المرسلين، كما ذكره الله تعالى في قصص الأنبياء، فمن أنكّر ما جاءت به الرسل فهو عدوّ لهم.

الأمر الرابع: وتضمنت معارضتهم أيضاً الكذب والإفك والبهتان وزخرف القول في ذلك، أسوة أعداء الرسل، الذين قال الله فيهم ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوّاً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً﴾^٤، فهذه حال كل داعية إلى الشرك بالله في عبادته من الأولين والآخرين، فإذا تأمل اللبيب ما زخرفوه وأتوا به من الفسر والأكاذيب وجدها كما قال تعالى ﴿كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفّاه حسابه والله سريع الحساب﴾^٥.

والأمر الخامس: معارضة أولئك للآيات المحكمات البينات التي هي في غاية البيان والبرهان وبيان ما ينافي التوحيد من الشرك والتنديد، فعارضوا بقول أناس من المتأخرين لا يجوز الاعتماد عليهم في أصول الدين، فيقولون: (قال ابن حجر الهيتمي، قال البيضاوي، قال فلان)، ولا ريب أن الزمخشري وأمثاله من المعطلة أعلم من هؤلاء وأدرى في فنون العلم، لكنهم أخطئوا كخطأ هؤلاء، وفي تفسير الزمخشري من دسائس الاعتزال ما لا يخفى، وليسوا بأعلم منه.

وعلى كل حال فليسوا بحجة يعارض بها نصوص الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة وأئمتها من الدين الحنيف، الذي هو ملة إبراهيم الخليل عليه السلام ودين الرسل الذي قال الله تعالى فيه ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه﴾^٦، فأولئك المعارضون للحق ممن ذكرنا وأمثالهم فيهم شبه بمن قال الله فيهم ﴿وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها

^١ سورة الأعراف: ٦٠ .

^٢ سورة الأعراف: ٦٦ .

^٣ سورة الفرقان: ٤ .

^٤ سورة الأنعام: ١١٢ .

^٥ سورة النور: ٣٩ .

^٦ سورة الشورى: ١٣ .

إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون* قال أولو جنتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون^١، وهذا على تقدير أنهم أصابوا في النقل عنهم، ولعلمهم أخطئوا وكذبوا عليهم، والله أعلم.

والأدلة بالإجماع ثلاثة: الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها، وأما القياس الصحيح فعند بعض العلماء حجة إذا لم يخالف كتاباً ولا سنة، فإن خالف نصاً أو ظاهراً لم يكن حجة، وهذا هو الذي أجمع عليه العلماء سلفاً وخلفاً، وتفصيل ذلك في كتب أصول الفقه.

وأما قوله ﷺ في الحديث الصحيح^٢: (وكفر بما يُعبد من دون الله)؛ فهذا شرط عظيم لا يصح قول «لا إله إلا الله» إلا بوجوده، وإن لم يوجد لم يكن من قال «لا إله إلا الله» معصوم الدم والمال، لأن هذا هو معنى «لا إله إلا الله»، فلم ينفعه القول بدون الإتيان بالمعنى الذي دلت عليه من ترك الشرك والبراءة منه وممن فعله، فإذا أنكر عبادة كل ما يُعبد من دون الله وتبرأ منه وعادى من فعل ذلك صار مسلماً معصوم الدم والمال، وهذا معنى قول الله تعالى ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾^٣.

وقد قُيدت «لا إله إلا الله» في الأحاديث الصحيحة بقيود ثقال لا بُد من الإتيان بجميعها قولاً واعتقاداً وعملاً، فمن ذلك حديث عتبان الذي في الصحيح: (فإن الله قد حرم على النار من قال «لا إله إلا الله» يبتغي بذلك وجه الله)^٤، وفي حديث آخر: (صدقاً من قلبه)^٥، (خالصاً من قلبه)^٦، (مستيقناً بما قلبه)^٧، (غير شاك)^٨، فلا تنفع هذه الكلمة قائلها إلا

^١ سورة الزخرف: ٢٣ - ٢٤ .

^٢ هذا شروع في إجابة السؤال الذي هو عنوان هذه المقالة.

^٣ سورة البقرة: ٢٥٦ .

^٤ من هنا شرع الشيخ في شرح شروط «لا إله إلا الله» بإيجاز.

^٥ رواه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٣٣)، عن عتبان بن مالك رضي الله عنه، ولفظ مسلم: لا يشهد أحد أن «لا إله إلا الله»، وأني رسول الله» فيدخل النار، أو تطعمه.

^٦ رواه البخاري (١٢٨) وأحمد في «مسنده» (٢٣٣/٥) عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وقد تقدم نقل سياق الحديث بطوله، وذكر بعض الأحاديث المتعلقة بالباب.

^٧ رواه البخاري (٩٩)، وأحمد (٣٧٣/٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقد تقدم نقل سياق الحديث بطوله.

^٨ رواه مسلم (٣١) عن أبي هريرة رضي الله عنه ولفظه: كنا قعوداً حول رسول الله ﷺ، معنا أبو بكر وعمر في نفر، فقام رسول الله ﷺ من بين أظهرنا فأبطأ علينا، وخشينا أن يُقتطع دوننا، وفزعنا وقمنا، فكنت أول من فزع، فخرجت أبتغي رسول الله ﷺ حتى أتيت حائطاً للأَنْصار لبني النجار، فدرت به هل أجد له باباً فلم أجد، فإذا ربيعٌ يدخل في جوف حائط من بئرٍ خارجةٍ، والربيع الجدول، فاحتفرت (أي تضامث ليسعني المدخل) كما يحتفر الثعلب، فدخلت على رسول الله ﷺ، فقال: أبو هريرة؟! فقلت: نعم يا رسول الله. قال: ما شأنك؟ قلت: كنت بين أظهرنا، فقامت فأبطأت علينا، فخشينا أن تُقتطع دوننا ففزعنا، فكنت أول من فزع، فأُتيت هذا الحائط، فاحتفرت كما يحتفر الثعلب، وهؤلاء الناس ورائي. فقال: يا أبا هريرة، وأعطاني نعليه، قال: اذهب بنعلي هاتين،

بهذه القيود إذا اجتمعت له، مع العلم بمعناها ومضمونها، كما قال تعالى ﴿ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون﴾^٢، وقال تعالى لنبية ﷺ ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾^٣، فمعناها يقبل الزيادة، لقوة العلم وصلاح العمل.^٤

فلا بُدَّ من العلم بحقيقة معنى هذه الكلمة علماً يُنافي الجهل، بخلاف من يقولها وهو لا يعرف معناها. ولا بُدَّ من اليقين المنافي للشك فيما دلت عليه من التوحيد.

ولا بُدَّ من الإخلاص المنافي للشرك، فإن كثيراً من الناس يقولها وهو يشرك في العبادة ويُنكر معناها ويُعادي من اعتقده وعمل به.

ولا بُدَّ من الصدق المنافي للكذب، بخلاف حال المنافق الذي يقولها من غير صدق، كما قال تعالى ﴿يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم﴾^٥.

ولا بُدَّ من القبول المنافي للرد، بخلاف من يقولها ولا يعمل بها.

ولا بُدَّ من المحبة لما دلت عليه من التوحيد والإخلاص وغير ذلك، والفرح بذلك المنافي لخلاف هذين الأمرين.

ولا بُدَّ من الانقياد بالعمل بها وما دلت عليه مطابقة وتضمناً والتزاماً، وهذا هو دين الإسلام الذي لا يقبل الله ديناً سواه.

وأنت أيها الرجل ترى كثيراً ممن يدّعي العلم والفهم قد عكس مدلول «لا إله إلا الله» كابن كمال ونحوه من الطواغيت، فيثبتون ما نفتته «لا إله إلا الله» من الشرك في العبادة، ويعتقدون ذلك الشرك ديناً، وينكرون ما دلت عليه من الإخلاص ويشتمون أهله، وقد قال تعالى ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين * ألا لله الدين الخالص﴾^٦.

فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن «لا إله إلا الله» مستقيماً بها قلبه فبشره بالجنة. قال: نعم. قال: فلا تفعل، فإني أخشى أن يتكل الناس عليها، فخلّهم يعملون. قال رسول الله ﷺ: فخلّهم.

قوله: (من بئرٍ خارجةٍ) أي خارجة عن الحائط. انظر شرح النووي للحديث.

^١ رواه مسلم (٢٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في مسير، قال: فنفتت أزواد القوم، قال: حتى همَّ بنحر بعض حامليهم (أي ركابهم وهي الإبل)، قال: فقال عمر: يا رسول الله، لو جمعت ما بقى من أزواد القوم فدعوت الله عليها.

قال: ففعل، قال: فجاء ذو البئر ببئرٍ، وذو التمر بتمره، قال: وقال مجاهد: وذو النواة بنواه، قلت: وما كانوا يصنعون بالنوى؟ قال: كانوا يمصونه ويشربون عليه الماء، قال: فدعا عليها حتى ملأ القوم أزودتهم، قال: فقال عند ذلك: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله»، لا يلقي الله بهما عبد غير شاكٍّ فيهما إلا دخل الجنة.

^٢ سورة الزخرف: ٨٦ .

^٣ سورة محمد: ١٩ .

^٤ أي أن إدراك معنى «لا إله إلا الله» يقبل الزيادة، لأن العلم بها يقبل الزيادة.

^٥ سورة الفتح: ١١ .

^٦ سورة الزمر: ٢-٣ .

وهذا النوع من الناس الذين قد فُتِنُوا وَفُتِنُوا يستجهلون أهل الإسلام ويستهنئون بهم، أسوةً من سلف من أعداء الرسل، وقد قال الله تعالى في أمثال هؤلاء ﴿وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذَكَرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾^١.

^١ سورة الزمر: ٤٥ .

^٢ انتهى كلامه رحمه الله، وهو مثبت في «الدرر السنية من الأجوبة النجدية» (٢/٢٢٦ - ٢٤٥).

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب^١ رحمه الله تعالى في بيان معنى «لا إله إلا الله»، وشروطها، ومعنى العبادة، وأنواع التوحيد، وأقسام العلم النافع، قال رحمه الله:

أما الكلام في معنى «لا إله إلا الله» فأقول وبالله التوفيق:

أما هذه الكلمة العظيمة فهي التي شهد الله بها لنفسه، وشهد بها له ملائكته وأولو العلم من خلقه، كما قال تعالى ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾^٢، ف «لا إله إلا الله» هي كلمة الإسلام، لا يصح إسلام أحد إلا بمعرفة ما وضعت له ودلت عليه وقبوله والانقياد للعمل به، وهي كلمة الإخلاص المنافي للشرك، وكلمة التقوى التي تقي قائلها من الشرك بالله، فلا تنفع قائلها إلا بشروط سبعة:

الأول: العلم بمعناها نفياً وإثباتاً.

الثاني: اليقين، وهو كمال العلم بها، المنافي للشك والريب.

الثالث: الإخلاص المنافي للشرك.

الرابع: الصدق المانع من النفاق.

الخامس: المحبة لهذه الكلمة ولما دلت عليه، والسرور بذلك.

السادس: القبول المنافي للرد، فقد يقولها من يعرفها لكن لا يقبلها ممن دعاه إليها تعصباً وتكبراً، كما قد وقع من كثير.

السابع: الانقياد بحقوقها، وهي الأعمال الواجبة، إخلاصاً لله وطلباً لمرضاته.

إذا عرفت ذلك؛ فقولك «لا إله إلا الله»؛ ف «لا» نافية للجنس، و«الإله» هو المألوه بالعبادة، وهو الذي تأله القلوب وتقصده رغبة إليه في حصول نفع أو دفع ضرر، كحال من عبد الأموات والغائبين والأصنام، فكل معبود مألوه بالعبادة. وخبر «لا» المرفوع محذوف، تقديره: حق. وقوله «إلا الله» استثناء من الخبر المرفوع.

^١ تقدم التعريف به في الرسالة الأولى.

^٢ سورة آل عمران: ١٨ .

فإن الله سبحانه هو الحق، وعبادته وحده هي الحق، وعبادة غيره منتفية بـ «لا» في هذه الكلمة، قال الله تعالى ﴿ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل﴾^١، فالله ما سواه باطل، فدلّت الآية على أن صرف الدعاء الذي هو مخ العبادة عنه لغيره باطل.

فتبين أن الإلهية هي العبادة، لأن الدعاء من أفرادها، فمن صرف منها شيئاً لغيره تعالى فهو باطل، والقرآن كله يدل على أن الإلهية هي العبادة، كما قال تعالى ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون * إلا الذي فطرني﴾^٢، فذكر البراءة من كل معبود سوى الله ولم يستثن إلا عبادة من فطره، ثم قال ﴿وجعلها كلمة باقية في عقبه﴾^٣، أي «لا إله إلا الله»، فعبر عن الإلهية بالعبادة في النفي والإثبات.

وقال تعالى ﴿قل إنما أَدْعُوا ربي ولا أشرك به أحداً﴾^٤، فقله ﴿قل إنما أَدْعُوا ربي﴾ هو معنى «إلا الله» في كلمة الإخلاص، وقوله ﴿ولا أشرك به أحداً﴾ هو المنفي في كلمة الإخلاص بـ «لا إله»، فتبين أن «لا إله إلا الله» دلت على البراءة من الشرك في العبادة في حق كل ما سوى الله.

وقال الله تعالى ﴿قل إني أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾^٥، والدِّين هو العبادة.

وقال تعالى ﴿قل إنما أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكُ بِهِ إِلِيهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَآبُ﴾^٦، ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إليهم إله واحد﴾^٧، أي الذي لا تصلح الإلهية إلا له وحده، فانتفتت الإلهية وبطلت في حق كل ما سوى الله، والقرآن يبين بعضه بعضاً ويفسره، والرسول إنما يفتتحون دعوتهم بمعنى «لا إله إلا الله» ﴿اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾^٨، ﴿يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾^٩.

فتبين أن الإلهية هي العبادة، ولهذا قال قوم هود لما قال ﴿يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾، ﴿قالوا أجبنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا﴾^{١٠}، فتبين بالآية أنهم لم يستنكفوا من عبادة الله، لكنهم أبوا أن يخلصوا العبادة لله وحده،

^١ سورة الحج: ٦٢ .

^٢ سورة الزخرف: ٢٦ - ٢٧ .

^٣ سورة الزخرف: ٢٨ .

^٤ سورة الجن: ٢٠ .

^٥ سورة الزمر: ١١ .

^٦ سورة الرعد: ٣٦ .

^٧ سورة الكهف: ١١٠ .

^٨ سورة المؤمنون: ٣٢ .

^٩ سورة الأعراف: (٥٩-٦٥)، (٧٣-٨٥)، وهود: (٦١-٨٤).

^{١٠} سورة الأعراف: ٧٠ .

فلم ينفوا ما نفته «لا إله إلا الله»، فاستوجبوا ما وقع بهم من العذاب لعدم قبولهم ما دعاهم إليه من إخلاص العبادة، كما قال تعالى ﴿واذكر أخا عادٍ إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه﴾، وهم الرسل جميعهم ﴿ألا تعبدوا إلا الله﴾^١، وهذا هو معنى كلمة الإخلاص الذي اجتمعت عليه الرسل. فقلوه ﴿ألا تعبدوا﴾ هو معنى ﴿لا إله﴾، وقوله ﴿إلا الله﴾ هو المستثنى في كلمة الإخلاص، فهذا هو تحقيق معناها بحمد الله. وإنذار الرسل جميعهم أمهم عن الشرك في العبادة، وأن يخلصوها لله وحده لا شريك له، فما ذكرناه في هذه الآيات في معناها كافٍ وافٍ شافٍ، والله الحمد والمنة.

وأما تعريف العبادة فقد قال العلامة ابن القيم رحمه الله في «الكافية الشافية»:

وعبادة الرحمن غاية حُبّه مع ذل عابده هما قطبان
وعليهما فلك العبادة دائر ما دار حتى قامت القطبان
ومدّاه بالأمر أمر رسوله لا بالهوى والنفس والشيطان

فذكر أصل العبادة التي يصلح العمل مع حصولها إذا كان على السنة، فذكر قُطْبَيْهَا وهما غاية المحبة لله في غاية الذل له، والغاية تفوت بدخول الشرك، وبه يبطل هذا الأصل، لأن المشرك لا بُدَّ أن يُحِبَّ معبوده ولا بُدَّ أن يذل له، فَفَسَدَ الأصل بوجود الشرك فيه، ولا تحصل الغاية فيهما إلا بانتفاء الشرك وقصر المحبة والتذلل لله وحده، وبهذا تصلح جميع الأعمال المشروعة، وهي المراد بقوله (وعليهما فلك العبادة دائر)، والدائر هي الأعمال، ولا تصلح إلا بمتابعة السنة. وهذا معنى قول الفضيل بن عياض رحمه الله في قوله تعالى ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾^٢، قال: أخلصه وأصوبه. قالوا: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟

قال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص ما كان لله، والصواب ما كان على السنة.^٣

^١ سورة الأحقاف: ٢١ .

^٢ سورة الملك: ٢ .

^٣ رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩٨/٨)، قال: حدثنا أبي، ثنا محمد بن أحمد بن يزيد ومحمد بن جعفر قالوا: ثنا إسماعيل بن يزيد، ثنا إبراهيم بن الأشعث قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول:

الغبطة من الإيمان والحسد من النفاق، والمؤمن يغبط ولا يحسد، والمنافق يحسد ولا يغبط، والمؤمن يستر ويعظ وينصح، والفاجر يهتك ويُعَيَّر ويُفشي.

وسمعه يقول: قيل لسفيان بن عيينة: ويل لك إن لم يُعَفَّ عنك، إذا كنت تزعم أنك تعرفه وأنت تعمل لغيره.

وأما أقسام التوحيد فهي ثلاثة: توحيد الإلهية، وهي العبادة كما تقدم، فهي تعلّق بأعمال العبد وأقواله الباطنة والظاهرة، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة.^١ فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك بالله، فهذا هو الذي أرسلت الرسل وأنزلت الكتب بالإنذار عنه، وترتبت عليه عقوبات الدنيا والآخرة في حق من لم يتب منه.

ويسمى هذا التوحيد إذا كان لله وحده «توحيد القصد والطلب والإرادة»، وهو الذي جحدته المشركون من الأمم، وقد بعث الله نبيّاً محمداً ﷺ بالأمر به والنهي عما يُنافيه من الشُّرك، فأبى المشركون إلا التمسك بالشرك الذي عهدوه من أسلافهم، فجاهدهم ﷺ على هذا الشرك وعلى إخلاص العبادة لله وحده، كما قال تعالى ﴿وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب * أجعل الآلهة إلهاً واحداً﴾ إلى قوله ﴿وانطلق الملائكة منهم أن امشوا واصبروا على آهتكم إن هذا لشيء يراد﴾^٢.

النوع الثاني: «توحيد الربوبية»، وهو العلم والإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء ومليكه، وهو المدبر لأمر خلقه جميعهم، كما قال تعالى ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار﴾ إلى قوله ﴿ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾^٣، وقال ﴿قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون * سيقولون لله قل أفلا تذكرون﴾ إلى قوله ﴿فأنى تُسحرون﴾^٤، وأمثال هذه الآيات في القرآن كثير، وهذا النوع قد أقرّ به المشركون كما دلّت عليه الآيات.

وسمّعه يقول: كان يقال: لا يزال العبد بخير ما إذا قال قال لله، وإذا عمل عمل لله.

سمّعه يقول في قوله ﴿يلبّوكم أيكم أحسن عملاً﴾، قال: أخلصه وأصوبه، فإنه إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يُقبل، حتى يكون خالصاً، والخالص إذا كان لله، والصواب إذا كان على السنة. وسمّعه يقول: ترك العمل من أجل الناس هو الرياء، والعمل من أجل الناس هو الشرك. انتهى مختصراً.

^١ «مجموع الفتاوى» (١٠/١٤٩).

ومما قاله رحمه الله في هذا الباب (٢٨٢/١٥-٢٨٣): والإيمان اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، والكفر اسم جامع لكل ما يبغضه الله وينهى عنه، وإن كان لا يكفر العبد إذا كان معه أصل الإيمان وبعض فروع الكفر من المعاصي، كما لا يكون مؤمناً إذا كان معه أصل الكفر وبعض فروع الإيمان.

^٢ سورة ص: ٤ - ٦.

^٣ سورة يونس: ٣١.

^٤ سورة المؤمنون: ٨٤ - ٨٩. قال ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿فأنى تُسحرون﴾: أي فكيف تذهب عقولكم في عبادتكم معه غيره مع اعترافكم وعلمكم بذلك.

قلت: ووجه المقارنة بين المسحور وبين من اتخذ مع الله إلهاً آخر أن المسحور قد ذهب عقله بتأثير السحر، فكذلك من اتخذ مع الله إلهاً آخر مع اعترافه بأن الله تعالى هو الرازق المالك المدبر، فإنه قد شابه بفعله المسحور الذي ذهب عقله.

والنوع الثالث: «توحيد الأسماء والصفات»، وهو أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ من صفات الكمال التي تعرّف بها سبحانه إلى عبادته، وينفي ما لا يليق بجلاله وعظمته. وهذا النفي أقسام، ذكرها العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في «الكافية الشافية». فأهل السنة والجماعة سلفاً وخلفاً يثبتون لله هذا التوحيد على ما يليق بجلال الله وعظمته، إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل، وهذا النوع والذي قبله هو «توحيد العلم والاعتقاد».

وأما تعريف التوحيد^١ فقد ذكره ابن القيم رحمه الله تعالى في «الكافية الشافية» بقوله:

فَالصَّدَقُ وَالْإِخْلَاصُ زَكَاةُ ذَلِكَ التَّوْحِيدِ	توحيد الركنتين للنبين
وَحَقِيقَةُ الْإِخْلَاصِ تَوْحِيدُ الْمَرْبِ	اد فلا يُزاحمه مَرادُ ثَانٍ
وَالصَّدَقُ تَوْحِيدُ الْإِرَادَةِ وَهُوَ بَدَلُ	ل الجهد لا كسلاً ولا مُتَوَانٍ

ثم ذكر توحيد المتابعة^٢ فقال:

وَالسَّنَةُ الْمُتَّبَعَةُ لِسَالِكِهَا فَتَو	حيد الطريق الأعظم السلطان
فَلَوْاحِدٌ كُنْ وَاحِدًا فِي وَاحِدٍ	أعني طريق الحق والإيمان

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الإخلاص بمثل ما ذكره ابن القيم رحمه الله فقال: الإخلاص محبة الله وإرادة وجهه.^٣ وأما أقسام العلم النافع الذي يجب معرفته واعتقاده فهو يتضمن ما سبق ذكره^٤، وهو ثلاثة أقسام ذكرها العلامة ابن القيم رحمه الله في «الكافية الشافية»، قال:

وَالْعِلْمُ أَقْسَامٌ ثَلَاثَةٌ مَا لَهَا	من رابع (خُلُوًّا عَنِ الرَّوْعَانِ) ^٥
عِلْمٌ بِأَوْصَافِ الْإِلَهِ وَفِعْلُهُ	وكذلك الأسماء للرحمن
وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ الَّذِي هُوَ دِينُهُ	وَجَزَاؤُهُ يَوْمَ الْمَعَادِ الثَّانِ

وبهذا تم الجواب عما أوردناه، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.^١

^١ أي توحيد الألوهية.

^٢ أي متابعة النبي ﷺ.

^٣ لم أجده بهذا النص، وأقرب ما وجدته قوله رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (٢٤٥/٢٢): النية أصلها حب الله ورسوله وإرادة وجهه.

^٤ أي من أقسام التوحيد الثلاثة.

^٥ هكذا وهو خطأ، والصواب: (والحق ذو تبيين).

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن^٢ رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلم تسليماً.

اعلم أن أعظم شهادة وأفرضها على الخلق - قولاً وعملاً واعتقاداً - ما شهد الله به لنفسه من اختصاصه بالإلهية دون جميع خلقه أزل^٣لاً وأبد^٤اً، قال تعالى ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾^٥، فكرر الشهادة به في هذه الآية، وأخبر أن ملائكته وأولي العلم شهدوا له بذلك جل وعلا، وأخبر عباده بهذه الشهادة، ودعاهم إلى أن يشهدوا له بها، قال تعالى ﴿الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثاً﴾^٦، وقال تعالى ﴿الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى﴾^٧، وقال ﴿وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة﴾^٨، وأخبر أنه بعث بهذه الشهادة الرسل جميعهم فقال ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾^٩.

فبيّن في هذه الآية وأمثالها كقوله ﴿أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾^{١٠} أن الإلهية هي العبادة، فإن «الإله» هو المألوه الذي تأله القلوب محبة وتعظيماً وتذللاً وخضوعاً وتوكلاً ورغبة إليه ورهبة وخوفاً ورجاءً، وغير ذلك من أنواع العبادة. وقال تعالى ﴿ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل﴾^{١١}، وبين تعالى ما تضمنته هذه الشهادة من النفي والإثبات بقوله عن خليله عليه السلام أنه قال لأبيه وقومه ﴿إني براء مما تعبدون * إلا الذي فطرني فإنه سيهدين * وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون﴾^{١٢}، والكلمة هي «لا إله إلا الله»، فعبر عنها الخليل بمعناها،

^١ انتهى كلامه رحمه الله، وهو مثبت في «الدرر السنية من الأجوبة النجدية» (٢/٢٤٥ - ٢٥٢).

^٢ تقدم التعريف به في الرسالة الأولى.

^٣ الأزل بالتحريك هو القدم، ومنه قولهم: (هذا شيء أزلي) أي قديم، وذكر بعض أهل العلم أن أصل هذه الكلمة قولهم للقديم: لم يزل. انظر «لسان العرب».

^٤ سورة آل عمران: ١٨.

^٥ سورة النساء: ٨٧.

^٦ سورة طه: ٨.

^٧ سورة القصص: ٧٠.

^٨ سورة الأنبياء: ٢٥.

^٩ سورة المؤمنون: ٣٢.

^{١٠} سورة الأنعام: ١٠٢.

^{١١} سورة الزخرف: ٢٦ - ٢٨.

فنفي ما نفته هذه الكلمة من الشرك في العبادة بالبراءة من كل ما يعبد من دون الله، واستثنى الذي فطره وهو الله سبحانه، الذي لا يصلح من العبادة شيء لغيره، كما قال تعالى ﴿أَلَرَّ * كِتَابَ أَحْكَمْتَ آيَاتِهِ ثُمَّ فَصَلْتَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ * أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾^١، فقلوله ﴿أَلَا تَعْبُدُوا﴾ فيه معنى «لا إله»، وقلوله ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ هو المستثنى في هذه الكلمة العظيمة، وفي هذه الآيات نفى الإلهية عما سوى الله نفياً عاماً بـ «لا» النافية للجنس، وأثبت الإلهية له وحده دون كل ما سواه. والآيات في معنى هذه الكلمة كثيرة في القرآن، قال تعالى ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾^٢، فقلوله ﴿أَلَا تَعْبُدُوا﴾ نفى استحقاق العبادة لغيره، وأثبتها لنفسه بقلوله ﴿إِلَّا إِيَّاهُ﴾^٣. وقال تعالى ﴿أَمْرٌ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾^٤.

وأمر نبيه ﷺ أن يدعو أهل الكتاب إلى معنى هذه الكلمة وما تضمنته من النفي والإثبات، فقال تعالى ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾^٥، فتضمنت هذه الآية معنى «لا إله إلا الله» من نفي الإلهية عما سوى الله وتفرد بالعبادة دون كل ما سواه، ومعنى ﴿تَعَالَوْا﴾ أي هلموا وأقبلوا إلى أن نكون نحن وأنتم في توحيد الله مجتمعين على ذلك، ثم قرر تعالى بقلوله ﴿وَلَا نَشْرِكْ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ الآية^٦.

وهذه الكلمة هي التي دعا رسول الله ﷺ قريشاً والعرب أن يقولوها ويعملوا بها، وقال لهم: (قولوا «لا إله إلا الله» تفلحوا، كلمة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم، وتكونون بها ملوكاً في الجنة)^٧، فقالوا ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنْ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾^٨، و﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾^٩، وذلك أنهم نشئوا في الفترة^{١٠} بعد عبادة الأصنام، حين استخرجها عمرو بن لحي الخزاعي وفرّقها في القبائل، وهي الأصنام التي عبدها قوم نوح فعبدها^{١١}، وكثرت عبادة الأوثان والأصنام، فصار عند الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً على صورة من كانوا يعبدونه، وعبدوا اللات والعزى ومناة وذا الخلصة وغيرها مما لا

^١ سورة هود: ١-٢ .

^٢ سورة الإسراء: ٢٣ .

^٣ سورة يوسف: ٤٠ .

^٤ سورة آل عمران: ٦٤ .

^٥ سورة آل عمران: ٦٤ .

^٦ تقدم تخريجه.

^٧ سورة ص: ٥ .

^٨ سورة ص: ٧ .

^٩ أي الفترة التي بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

^{١٠} أي قريش.

يحصى كثرة، ولذلك أنكروا معنى «لا إله إلا الله» لما دعاهم النبي ﷺ إلى ترك عبادة ما كانوا يعبدونه من دون الله، فأبوا أن ينفوا ما نفته من عبادة الأوثان والأصنام وأن يُخلصوا العبادة لله وحده.

ولمعرفتهم معنى هذه الكلمة نحوأ أبا طالب عن أن يقولها عند موته لما قال له رسول الله ﷺ: أي عم، قل «لا إله إلا الله»، كلمة أحاج لك بها عند الله.

فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، ترغب عن ملة عبد المطلب؟^٢ علموا أنه لو قالها لترك عبادة غير الله وأنكرها، لمعرفتهم ما دلت عليه من النفي والإثبات، قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾* ويقولون أننا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون^٣.

وأما هذه الأمة فلما كثّر الشرك فيهم كما كثّر في أولئك، وبُنيت المساجد على القبور وعُبدت، وبُنيت المشاهد على اسم من بنيت باسمه من الصالحين وعُبدت؛ صاروا يقولون «لا إله إلا الله» والشرك قد قام في قلوبهم واتخذوه ديناً، فأثبتوا ما نَفَتَه هذه الكلمة من عبادة غير الله، وأنكروا ما دلت عليه من الإخلاص، فعكسوا مدلول هذه الكلمة العظيمة بكونهم أثبتوا ما نفته من الشرك ونفوا ما أثبتته من الإخلاص الذي هو حق الله على عباده، فيقول قائلهم «لا إله إلا الله» وقد اعتقد عكس ما دلت عليه، وهذا غاية الجهل والضلال، يقول كلمة تتضمن النفي والإثبات فلا يعرف ما نفت ولا ما أثبتت، هذا وهم فيما يقرؤونه ويُقرئونه في مذاهبهم، وما كانوا يتعاطونه من العلوم؛ لا يجهلون مثل هذا.

وكثير منهم له في علم المعقول^٤ اليد الطولى، فسبحان الله؟ كيف جهلوا من ذلك ما دعت إليه الرسل من توحيد الله ونفي الشرك الذي نحوأ أمهم عنه، كما هو صريح في القرآن، لا يخفى على من له أدنى فهم إن وُقِّقَ لَقَهْمِهِ؟! فوضعوا الشرك موضع التوحيد بالقبول والعمل، ووضعوا التوحيد موضع الشرك بالإنكار على من دعا إليه وعداوته.

فبهذا يتبين لك معنى ما أخبر به النبي ﷺ من قوله: (بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ)^٥، فلا غربة للإسلام أعظم من هذه الغربة التي عليها الأكثرون في هذه القرون المتأخرة.

^١ وفي البخاري برقم (١٣٦٠) بلفظ: أشهد.

^٢ رواه البخاري (٣٨٨٤)، ومسلم (٢٤) عن سعيد بن المسيب عن أبيه.

^٣ سورة الصافات: ٣٥ - ٣٦.

^٤ لعله يقصد به علم المنطق.

^٥ رواه مسلم (١٤٦) عن ابن عمر رضي الله عنهما ولفظه: إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، وهو يأرّز بين المسجدين كما تأرّز الحية إلى جحرها.

ومعنى (يأرّز) أي ينضم ويجتمع. انظر «شرح النووي».

وقد تقدم ذكر أحاديث في هذا الباب في تخريج سابق.

وقد ذكر العلماء رحمهم الله من أهل السنة والجماعة في معنى «لا إله إلا الله»، وبيان ما نفتته وما أثبتته؛ ما يفيد العلم اليقيني بمعناها الذي أوجب الله تعالى معرفته، وما تضمنته من النفي والإثبات.

قال الوزير أبو المظفر في «الإفصاح»:

قوله: (شهادة أن «لا إله إلا الله»؛ يقتضي أن يكون الشاهد عالماً بأن «لا إله إلا الله»، كما قال تعالى ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾^١.

قال: واسم «الله» مرتفع بعد ﴿إلا﴾، من حيث إنه الواجب له الإلهية، فلا يستحقها غيره سبحانه.

قال: وجملة الفائدة في ذلك أن تعلم أن هذه الكلمة مشتملة على الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، فإنك لما نفيت الإلهية وأثبتت الإيجاب لله تعالى؛ كنت ممن كفر بالطاغوت وآمن بالله.

قال ابن القيم رحمه الله في «البدائع»:

فدلالتها - أي «لا إله إلا الله» - على إثبات الإلهية أعظم من دلالة قولنا (الله إله)، ولا يستريب أحدٌ في هذا البتة^٢. انتهى بمعناه.

وقال رحمه الله: الإله هو الذي تأله القلوب محبة وإنابة وإجلالاً وإكراماً وتعظيماً ودُلاً وخضوعاً وخوفاً ورجاءً وتوكلاً^٣.

وقال ابن رجب: والإله هو الذي يطاع فلا يعصى، هيبه له وإجلالاً، ومحبة وخوفاً ورجاءً، وتوكلاً عليه، وسؤالاً منه ودعاء له، ولا يصلح ذلك كله إلا لله عز وجل، فمن أشرك مخلوقاً في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية كان ذلك قدحاً في إخلاصه في قول «لا إله إلا الله» ونقصاً في توحيدِهِ، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك^٤. وقال أبو عبد الله القرطبي في تفسيره: «لا إله إلا الله»، أي لا معبود إلا هو.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: الإله هو المألوه، والمألوه هو الذي يستحق أن يُعبد، وكونه يستحق أن يعبد هو بما اتصف به من الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب، المخضوع له غاية الخضوع^٥.

^١ سورة محمد: ١٩.

^٢ انظر «بدائع الفوائد» (٩٢٥/٣-٩٢٦)، الناشر: دار عالم الفوائد - مكة.

^٣ «إغاثة اللفهان» (ص ٧٢).

^٤ «كلمة الإخلاص» (ص ٢٥)، الناشر: دار الشريف - الرياض.

ومما قاله رحمه الله في هذا الباب (ص ٢٥):

وتحقيق هذا المعنى وإيضاحه أن قول العبد «لا إله إلا الله» يقتضي أن لا إله له غير الله.

تنبیه: أدخل المؤلف رحمه الله - تبعاً لمن نقل عنه وهو الشيخ عبد الرحمن بن حسن مؤلف «فتح المجيد» - كلام ابن القيم مع كلام ابن رجب في فقرة واحدة على أنها من كلام ابن القيم، وقد ضبطت النص وعزوته لكل واحد منهما، والله أعلم.

^٥ «مجموع الفتاوى» (٢٤٩/١٠)، وقد ضبطت النص منه.

وقال رحمه الله تعالى^١: (فإن الإله هو المحبوب المعبود الذي تأله القلوب بحبها، وتخضع له وتذل له وتخافه وترجوه، وتنبئ إليه في شدائدها، وتدعوه في مهماتها، وتتوكل عليه في مصالحها، وتلجأ إليه وتطمئن بذكره، وتسكن إلى حُبِّه، وليس ذلك إلا لله وحده.

ولهذا كانت «لا إله إلا الله» أصدق الكلام، وكان أهلها أهل الله وحزبه، والمنكرون لها أعداؤه وأهل غضبه ونقمته، فهذه المسألة قطب رعى الدين الذي عليه مداره، وإذا صحت صح بها كل مسألة وحال وذوق، وإذا لم يُصحَّحها العبد فالفساد لازم له في علومه وأعماله وأحواله وأقواله).

وقال البقاعي: («لا إله إلا الله» أي انتفى انتفاء عظيمًا أن يكون معبودًا بحق غير الملك الأعظم، فإن هذا العلم هو أعظم الذكرى المنجية من أهوال الساعة، وإنما يكون علمًا إذا كان نافعًا، وإنما يكون نافعًا إذا كان مع الإذعان والعمل بما تقتضيه، وإلا فهو جهل صرف).

وهذا الذي ذكرناه عن شيخ الإسلام والبقاعي هو الموجود في كلام أهل السنة جميعهم.

إذا عرفت ذلك؛ فمما يدل على غربة الإسلام؛ ما أخبر به النبي ﷺ من وقوع الشرك في هذه الأمة، كما في الصحيح من حديث ثوبان: وحتى تعبدَ فئامًا من أمتي الأوثان.^٢

وأخرج أبو داود عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: تدور رحى الإسلام لخمس وثلاثين، أو ست وثلاثين، أو سبع وثلاثين، فإن يهلكوا فسييل من هلك، وإن يقيم لهم دينهم يقيم تسعين عامًا.

قال: قلت: أما بقي أو مما مضى؟

قال: مما مضى.^٣

ومما يُبين غربة الإسلام وشدتها ما جرى من الملوك والقضاة والرؤساء على شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من العداوة والحبس وشدّة الإنكار عليه لما دعاهم إلى ما تضمنته «لا إله إلا الله» ومعناها الذي تقدم عنه وعن أمثاله من العلماء، وقد ردوا عليه بشبهات واهية وضلالات في الضلال متناهية، رد عليهم رحمه الله تعالى في «منهاج السنة»، و«اقتضاء الصراط

وقال أيضًا (٢٠٢/١٣): والإله هو المألوه، أي المستحق لأن يؤله أي يعبد، ولا يستحق أن يؤله ويعبد إلا الله وحده، وكل معبود سواه من لدن عرشه إلى قرار أرضه باطل.

^١ القائل هو ابن القيم وليس شيخه ابن تيمية كما وهم الشيخ، قال ذلك في كتابه «طريق المهجرتين»، فصل في محبة العوام (ص ٦٩٥)، تحقيق محمد أجيل الصلاحي، الناشر: دار عالم الفوائد - مكة.

^٢ لم أجده في الصحيح، وإنما رواه أبو داود (٤٢٥٢)، وأحمد (٢٧٨/٥)، وصححه الألباني كما في «صحيح أبي داود»، وكذا صححه محققو «المسند».

^٣ «سنن أبي داود» (٤٢٥٤)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٧٦).

المستقيم» وكتاب «الاستغاثة في الرد على ابن البكري»، ورد على أهل البدع جميعهم من الفلاسفة والمتكلمين كالجهمية والمعتزلة والأشاعرة.

وذكر رحمه الله أن هؤلاء كلهم وإن كثرت أبحاثهم ومصنفاتهم فما منهم من يعرف ما دلت عليه كلمة الإخلاص «لا إله إلا الله»، فلم يعرفوا التوحيد الذي أثبتته، ولا الشرك الذي نَفَتَه، هذا معنى كلامه، وتلميذه العلامة ابن القيم في بيان أنواع التوحيد والرد على أهل البدع؛ المصنفات الكثيرة المفيدة، فمن أحسنها «إغاثة اللهفان» وكتاب «الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعتزلة»، وللحافظ ابن عبد الهادي «الصارم المنكي في الرد على السبكي».

ولهم أصحاب كثير أخذوا عنهم، فلما طال الأمد بعدهم صارت كتبهم في أيدي أناس جهلة، وفي خزائن الكتب الموقوفة، فلم يلتفتوا إليها، فرجعوا إلى ما كان عليه من قبلهم ممن مضى من المبتدعة، وكثر الشرك في القرى والأمصار، وصاروا لا يعرفون من التوحيد إلا ما تدعيه الأشاعرة من تأويل صفات الرب والإلحاد فيها، فصاروا كذلك، حتى نُسي العلم وعم الشرك والبدع إلى منتصف القرن الثاني عشر، فإنه لا يعرف إذ ذاك عالم أنكر شركاً أو بدعة مما صار في آخر هذه الأمة.

فشرح الله صدر شيخنا^١، فضلاً من الله ونعمة عظيمة منَّ بها تعالى في آخر هذا الزمان، فعَرَفَ من الحق ما عرف شيخ الإسلام ابن تيمية وأصحابه، بتدبره الآيات المحكمات، وصحيحه البخاري ومسلم والسنن والمسانيد والآثار، ومعرفة ما كان عليه رسول الله ﷺ والتابعون وأتباعهم، وما عليه سلف الأمة وأئمتها والأئمة من أهل الحديث والتفسير والفقهاء، كالأئمة الأربعة ومن أخذ عنهم، فتبين له التوحيد وما يُنافيه، والسنة وما يناقضها.

فدعا الناس من أهل قريته وما قُرب منها أن يتركوا عبادة أرباب القبور والطواغيت، وعبادة الأشجار والأحجار، والذبح للجن ونحو ذلك، وكل هذا قد وقع في قرى نجد وغيرها كالبوادي، فلما أنكر ذلك كرهوا ذلك منه، وطرده أهل قريته عنها وهي حرملاً، وصار في العُيُنة يدعو إلى دين الإسلام، وينهى عن الشرك وعبادة الأوثان، وقيل ذلك طائفة منهم ومن أهل الدرعية، ثم بعد ذلك ضاق نطاق أمير العُيُنة لما رآه قد أنكر قوله الخلق الكثير والجم الغفير، وقد نصب له العداوة أهل القرى والأمصار والبادي والحاضر، فأمره أن ينتقل من بلده عنه.

وصار في الدرعية عند محمد بن سعود وأولاده وإخوانه وبعض الأعيان من جماعته، فصار لهم قبول لهذه الدعوة، فصبروا على عداوة الناس قريتهم وبعيدهم، وكلُّ قَصَدَهم بالحرب، فثبتهم الله على قلتهم وكثرة مَنْ خَالَفَهُمْ، وقُتِلَ من قتل من أعيانهم، فصبروا وصارت الحرب بينهم سجلاً، والله يحميهم ويقوي قلوبهم، وما جرى بينهم وبين عدوهم مذكور في التاريخ.

فأظهر الله هذا الدِّين في نجد والبادية، حتى لم يكن فيهم من يُنازع ويجادل، لأن الله أبطل كل شبهة بما أبداه هذا الشيخ ببيانه ومصنفاته التي صارت في أيدي المسلمين، وانتشرت دعوته في الأمصار، وقبلها القليل منهم ممن له التفات إلى ما ينفعه،

^١ يقصد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

بخلاف من لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هدى الله وهم الأكثرون، فله الحمد على هذه النعمة العظيمة، فيا سعادة من هُدي إلى معرفة حقيقة دين الإسلام واتبعه.

وقد وجدت للعلامة ابن القيم رحمه الله كلامًا في «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة» يتعين نقله هنا لعظيم فائدته وشدة الحاجة إليه، قال رحمه الله تعالى:

(هذا فصل عظيم النفع جليل القدر، إنما ينتفع به من عرف نوعي التوحيد: القولي العلمي الخبيري، والتوحيد القصدي الإرادي العملي، كما دل على الأول سورة ﴿قل هو الله أحد﴾ وعلى الثاني سورة ﴿قل يا أيها الكافرون﴾، وكذلك دل على الأول قوله ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا﴾ الآية^١، وعلى الثاني قوله تعالى ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾ الآية^٢.

ولهذا كان النبي ﷺ يقرأ بهاتين السورتين في سنة الفجر وسنة المغرب، ويقرأ بهما في ركعتي الطواف، ويقرأ بالآيتين في سنة الفجر، لتضمنهما التوحيد العلمي والعملي.

والتوحيد العلمي أساسه إثبات صفات الكمال للرب، ومباينته لخلقه، وتنزيهه عن العيوب والنقائص والتمثيل، والتوحيد العملي أساسه تجريد القصد، بالحب والخوف والرجاء والتوكل والإنابة والإستعانة والاستغاثة، والعبودية بالقلب واللسان والجوارح لله وحده.

ومدار ما بعث الله به رسله وأنزل به كتبه على هذين التوحيدين، وأقرب الخلق إلى الله أقومهم بهما علماً وعملاً، ولهذا كانت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أقرب الخلق إلى الله، وأقربهم إليه وسيلة أولو العزم، وأقربهم الخليلان، وخاتمهم سيد ولد آدم وأكرمهم على الله، لكمال توحيدهم وعبوديتهم لله.

فهذان الأصلان هما قطب رحى القرآن وعليهما مداره، وبيانهما من أهم الأمور، والله سبحانه بينهما غاية البيان بالطرق الفطرية والعقلية والنظرية والأمثال المضروبة، ونوع سبحانه الطرق في إثباتهما أكمل التنويع، بحيث صارت معرفة القلوب الصحيحة والفطر السليمة لها بمنزلة رؤية الأعين المبصرة التي لا آفة بها للشمس والقمر والنجوم والأرض والسماء، فذاك للبصيرة بمنزلة هذه للبصر.

فإن سُلِّط التأويل على التوحيد الخبيري العلمي كان تسليطه على التوحيد العملي القصدي أسهل، وانمحت رسوم التوحيد، وقامت معالم التعطيل والشرك، ولهذا كان الشرك والتعطيل متلازمين، لا ينفك أحدهما عن صاحبه، وإمام المعتولين

^١ سورة البقرة: ١٣٦ .

^٢ سورة آل عمران: ٦٤ .

المشركين فرعون، فهو إمام كل معطل ومشرك إلى يوم القيامة، كما أن إمام الموحدين إبراهيم ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما إلى يوم القيامة).^١

وقال أيضًا لما ذكر سبب عبادة الأصنام التي صورها قوم نوح على صور الصالحين:

(وما زال الشيطان يوحى إلى عباد القبور ويلقي إليهم أن البناء والعكوف عليها من محبة أهل القبور من الأنبياء والصالحين، وأن الدعاء عندها مستجاب، ثم ينقلهم من هذه المرتبة إلى الدعاء بالمقبور والإقسام به على الله، فإن شأن الله أعظم من أن يُقسم به عليه، أو يُسأل بأحد من خلقه، فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى دعائه وعبادته وسؤاله الشفاعة واتخاذ قبره وثناً، تُعلق عليه القناديل والستور، ويطاف به ويستلم ويقبل، ويحج إليه ويذبح عنده.

فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى دعاء الناس إلى عبادته واتخاذهم عيداً ومنسكاً، ورأوا أن ذلك أنفع لهم في دنياهم وأخراهم، وكل هذا قد عُلم بالاضطرار من دين الإسلام أنه مُضاد لما بَعَثَ الله به رسوله ﷺ من تجريد التوحيد وألا يعبد إلا الله.

فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى أن من نحى عن ذلك فقد تنقص أهل الرتب العالية وحطهم عن منزلتهم، وزعم أنه لا حرمة لهم ولا قدر، وغضب المشركون واشتأزت قلوبهم^٢، كما قال تعالى ﴿وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْتَأَزَتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذَكَرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾^٣، وسرى ذلك في نفوس كثير من الجهال والطغام، وكثير ممن ينتسب إلى العلم والدين، حتى عادوا أهل التوحيد ورموهم بالعظائم ونفروا الناس عنهم، ووالوا أهل الشرك وعظموهم، وزعموا أنهم أولياء الله وأنصار دينه ورسوله، ويأبى الله ذلك ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائِهِ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾^٤.^٥

انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

(وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِثْلَ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنْ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذَّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾^{*} ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز^٦. فتأمل هذا المثل الذي أمر الناس كلهم باستماعه، فمن لم يستمعه فقد عَصَى أمره، كيف تضمن إبطال الشرك وأسبابه بأصح برهان في أوجز عبارة وأحسنها وأحلاها، وأسجل على جميع آلهة المشركين أنهم لو اجتمعوا كلهم في صعيد واحد، وساعد

^١ انتهى نقله عن ابن القيم، وقد ضبطت كلامه من النسخة المحققة (٢/٤٠١-٤٠٣)، الناشر: دار العاصمة - الرياض.

^٢ أي غضب أولئك القبوريون لمّا نهاهم الموحّدون عن عبادة المقبورين، وإشراكهم إياهم مع الله في العبادة.

^٣ سورة الزمر: ٤٥ .

^٤ سورة الأنفال: ٣٤ .

^٥ باختصار وتصرف من «إغاثة اللهفان»، ص ٣٩٠ - ٣٩٨، الناشر: دار ابن الجوزي - الدمام.

^٦ سورة الحج: ٧٣-٧٤ .

بعضهم بعضًا وعاونهُ بأبلغ المعاونة؛ لعجزوا عن خلق ذباب واحد، ثم بين ضعفهم وعجزهم عن استنقاذ ما يسلبهم الذباب إياه حين يسقط عليهم؟

فأي إله أضعف من هذا الإله المطلوب ومن عابده الطالب؟

فهل قَدَّر القوي العزيز حق قدره من أشرك معه آلهة هذا شأنها؟

فأقام سبحانه حُجَّة التوحيد، وبيَّن إفك أهل الشرك والإلحاد بأعذب ألفاظ وأحسنها، لم يستكرهها غموض، ولم يشنها تطويل، ولم يعبها تقصير، ولم تُزِر بها زيادة ولا نقص، بل بلغت في الحسن والفصاحة والإيجاز ما لا يتوهم مُتوهم ولا يظن ظان أن يكون أبلغ في معناها منها، وتحتها من المعنى الجليل القدر، العظيم الشريف القدر، البالغ في النفع القدر، ما هو أجل من الألفاظ).^١

انتهى، والله أعلم، وصلى الله على محمد.^٢

^١ ما بين القوسين نقله الشيخ رحمه الله عن ابن القيم في «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة» (٢/٤٦٦-٤٦٧)، الناشر: دار العاصمة - الرياض.

^٢ انتهى كلامه رحمه الله، وهو مثبت في «الدرر السنية من الأجوبة النجدية» (٢/٢١١ - ٢٢٦).

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن^١ رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم رحمك الله أن كلمة الإخلاص «لا إله إلا الله» لا تنفع قائلها إلا بمعرفة معناها، وهو نفي الإلهية عما سوى الله تعالى، والبراءة من الشرك في العبادة، وإفراد الله بالعبادة بجميع أنواعها، كما قال تعالى ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله﴾^٢.

ومعنى ﴿سواء بيننا وبينكم﴾ أي: نستوي نحن وأنتم في قَصْرِ العبادة على الله، وترك الشرك كله.

وقال الخليل عليه السلام ﴿إني براءٌ مما تعبدون﴾^٣ إلا الذي فطرني فإنه سيهدين * وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون^٤، فهذا هو حقيقة معنى «لا إله إلا الله»، وهو البراءة من كل ما يُعبد من دون الله، وإخلاص العبادة له وحده، وهذا هو معناها الذي دلت عليه هذه الآيات وما في معناها، فمن تحقق ذلك وعلمه فقد حصل له العلم^٥ بها، المنافي لما عليه أكثر الناس - حتى من ينتسب إلى العلم - من الجهل بمعناها.

فإذا عرفت ذلك، فلا بُدَّ له من القبول^٥ لما دلت عليه، وذلك ينافي الرد، لأن كثيراً ممن يقولها ويعرف معناها لا يقبلها، كحال مشركي قريش والعرب وأمثالهم، فإنهم عرفوا ما دلت عليه من البراءة لكن لم يقبلوه، فصارت دماءهم وأموالهم حلالاً لأهل التوحيد، فإنهم كما قال تعالى ﴿إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون﴾^٦ ويقولون أننا لطاركو آلهتنا لشاعر مجنون^٦، عرفوا أن «لا إله إلا الله» توجب ترك ما كانوا يعبدونه من دون الله.

ولا بُدَّ أيضاً من الإخلاص^٧ المنافي للشرك، كما قال تعالى ﴿قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين﴾^٨ وأمرت لأن أكون أول المسلمين^٩ إلى قوله ﴿قل الله أعبد مخلصاً له ديني﴾^٩ فاعبدوا ما شئتم من دونه^٨.

وفي حديث عتبان: من قال «لا إله إلا الله»، يبتغي بذلك وجه الله...^٩

^١ تقدم التعريف به في الرسالة الأولى.

^٢ سورة آل عمران: ٦٤ .

^٣ سورة الزخرف: ٢٦ - ٢٨ .

^٤ هذا هو الشرط الأول من شروط تحقيق «لا إله إلا الله».

^٥ هذا هو الشرط الثاني من شروط تحقيق «لا إله إلا الله».

^٦ سورة الزخرف: ٣٥ - ٣٦ .

^٧ هذا هو الشرط الثالث من شروط تحقيق «لا إله إلا الله».

^٨ سورة الزمر: ١١ - ١٥ .

^٩ رواه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٣٣)، ولفظ مسلم: لا يشهد أحد أن «لا إله إلا الله»، وأني رسول الله» فيدخل النار، أو تطعمه.

ولا بد أيضًا من المحبة^١ المنافية لضعدها، فلا يحصل لقائلها معرفة وقبولٌ إلا بمحبةٍ ما دلت عليه من الإخلاص ونفي الشرك، فمن أحبَّ الله أحب دينه، ومن لا فلا، كما قال تعالى ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حُبًا لله﴾^٢، فصارت محبتهم لله ولدينه خاصة، فأحبوا لله ولدينه، ووالوا لله ولدينه، فأحبوا من أحبه الله، وأبغضوا من أبغضه الله، وفي الحديث: (وهل الدين إلا الحب والبغض)^٣، ولهذا وجب أن يكون الرسول ﷺ أحبَّ إلى العبد

^١ هذا هو الشرط الرابع من شروط تحقيق «لا إله إلا الله»..

^٢ سورة البقرة: ١٦٥ .

^٣ رواه الحاكم في «المستدرک» (٢٩١/٢) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:

الشرك أخفى من ديب الذر على الصفا في الليلة الظلماء، وأدناه أن تحب على شيء من الجور وتبغض على شيء من العدل، وهل الدين إلا الحب والبغض؟ قال الله عز وجل ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وتعقبه الذهبي في «تليخيص المستدرک» بقوله: عبد الأعلى، قال الدارقطني: ليس بثقة.

وضعه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٨٢٣/٢) لنفس العلة، ونقل عن ابن حبان قوله في عبد الأعلى: لا يجوز الاحتجاج به بحال.

وكذا ضعَّف عبدُ الأعلى يحيى بن معين، انظر «المجروحين» لابن حبان.

ويغني عنه حديث أبي أمامة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: من أحبَّ الله، وأبغض الله، وأعطى الله، ومنع الله، فقد استكمل الإيمان.

أخرجه أبو داود (٤٦٨١) وصححه الألباني رحمه الله.

وأخرج أحمد في «مسنده» (١٤٦/٥) وأبو داود في «سننه» (٤٥٩٩) عن أبي ذر رضي الله عنه قال: خرج إلينا رسول الله ﷺ فقال: أتدرون أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل؟

قال قائل: الصلاة والزكاة.

وقال قائل: الجهاد.

قال: إن أحب الأعمال إلى الله عز وجل الحب في الله والبغض في الله.

قال محققو «المسند»: حسن لغيره.

وأخرج أحمد (٢٨٦/٤) وغيره عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كنا جلوسًا عند النبي ﷺ فقال: ... إن أوسط عرى الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله.

قال محققو «المسند»: حديث حسن بشواهده.

وروى ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٤٣٤) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله.

وروى ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٤١٢) عن مجاهد قال: أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض فيه.

وروى ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٤٢٨) عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: من أقام الصلاة وآتى الزكاة وسمع وأطاع فقد توسَّط الإيمان، وأحبَّ الله وأبغض الله وأعطى الله ومنع الله فقد استكمل الإيمان.

وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤٩٦/٢) في تفسير العروة الوثقى عن سالم بن أبي الجعد قال: العروة الوثقى؛ الحب في الله والبغض في الله.

من نفسه وولده ووالده والناس أجمعين، فإن شهادة «لا إله إلا الله» تستلزم شهادة «أن محمدًا رسول الله»، وتقتضي متابعتة، كما قال تعالى ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾^١.

ولا بُدَّ أيضاً من الانقياد^٢ لحقوق «لا إله إلا الله»، بالعمل بما فرضه الله، وترك ما حرمه الله، والتزام ذلك، وهو ينافي الشرك، فإن كثيراً ممن يدّعي الدين يستخف بالأمر والنهي، ولا يبالي بذلك، وحقيقة الإسلام أن يُسَلِّمَ العبدُ بقلبه وجوارحه لله تعالى، وينقاد له بالتوحيد والطاعة، كما قال تعالى ﴿بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه﴾^٣، وقال تعالى ﴿ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾^٤.

وإحسان العمل لا بُدَّ فيه من الإخلاص، ومتابعة ما شرعه الله ورسوله.

ولا بُدَّ أيضاً لقائل هذه الكلمة من اليقين^٥ بمعناها، المنافي للشك والرَّيب، كما في الحديث الصحيح: (مستيقناً بها قلبه)^٦، (غير شاكٍّ فيهما)^٧، ومن لم يكن كذلك فإنها لا تنفعه، كما دل عليه حديث سؤال الميت في قبره.

ولا بُدَّ أيضاً من الصدق^٨ المنافي للكذب، كما قال تعالى عن المنافقين ﴿يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم﴾^٩، فالصادق يعرف معنى هذه الكلمة ويقبله ويعمل بما تقتضيه وما يلزم قائلها من واجبات الدين، فيُصَدِّقَ قلبه لسانه.

فلا تصح هذه الكلمة إلا إذا اجتمعت هذه الشروط، وبالله التوفيق.^{١٠}

^١ سورة آل عمران: ٣١.

^٢ هذا هو الشرط الخامس من شروط تحقيق «لا إله إلا الله».

^٣ سورة البقرة: ١١٢.

^٤ سورة لقمان: ٢٢.

^٥ هذا هو الشرط السادس من شروط تحقيق «لا إله إلا الله».

^٦ رواه مسلم (٣١) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقد تقدم نقل سياق الحديث بطوله.

^٧ رواه مسلم (٢٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقد تقدم نقل سياق الحديث بطوله.

^٨ هذا هو الشرط السابع من شروط تحقيق «لا إله إلا الله».

^٩ سورة الفتح: ١١.

^{١٠} انتهى كلامه رحمه الله، وهو مثبت في «الدرر السنية من الأجوبة النجدية» (٢/٢٥٢-٢٥٥)، و «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية»، المجلد الثاني، القسم الأول، ص ٥ - ٧، وبينهما فروق يسيرة، وقد أثبت ما هو مناسب للسياق، والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب^١ رحمه الله تعالى:

اعلم رحمك الله أن معنى «لا إله إلا الله» نفي وإثبات، «لا إله» نفي، «إلا الله» إثبات، تنفي أربعة أنواع، وتثبت أربعة أنواع.

المنفي: الآلهة والطواغيت والأنداد والأرباب.

ف «الإله»: ما قصدته بشيء من جلب خير أو دفع ضرر فأنت متخذه إلهًا.

والطواغيت: من عبد وهو راضٍ، أو ترشَّح للعبادة مثل شمسان أو تاج أو أبو حديدة.

والأنداد: ما جذبك عن دين الإسلام من أهل أو مسكن أو عشيرة أو مال فهو ندٌّ، لقوله تعالى ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا يحبونهم كحب الله﴾^٢.

والأرباب: من أفتاك بمخالفة الحق وأطعته مصدقًا، لقوله تعالى ﴿اتخذوا أربابهم ورهبانهم أربابًا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾^٣.

وتثبت^٤ أربعة أنواع^٥:

القصدي: كونك ما تقصد إلا الله، والتعظيم والمحبة لقوله عز وجل ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾^٦، والخوف والرجاء لقوله تعالى ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عبادة وهو الغفور الرحيم﴾^٧.

فمن عرف هذا قطع العلائق من غير الله، ولا يكبر عليه جهامة الباطل^٨، كما أخبر الله عن إبراهيم - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - بتكسيه الأصنام وتبرييه من قومه، لقوله تعالى ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه

^١ تقدم التعريف به في الرسالة الأولى.

^٢ سورة البقرة: ١٦٥ .

^٣ سورة التوبة: ٣١ .

^٤ أي كلمة «لا إله إلا الله».

^٥ الذي سيذكره الشيخ خمسة أنواع تنفيها كلمة «لا إله إلا الله» وليس أربعة، فلعله سهو منه، وهي توحيد القصد، والمحبة والتعظيم والخوف والرجاء.

^٦ سورة البقرة: ١٦٥ .

^٧ سورة يونس: ١٠٧ .

^٨ الجهامة هي السحابة لا ماء فيها، وجهامة الباطل: أي سحابة الباطل.

إذ قالوا لقومهم إنا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كَفَرْنَا بكم وبدًا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدًا حتى تؤمنوا بالله وحده^١.

^١ سورة الممتحنة: ٣ .

^٢ انتهى كلامه رحمه الله، وهو مثبت في «الدرر السنية من الأجوبة النجدية» (١٢٢/٢ - ١٢٣).

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب^١ رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين.

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، أما بعد:

فاعلم رحمك الله أن الله تعالى خَلَقَ الخلق ليعبُدوه ولا يشركوا به شيئاً، قال تعالى ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾^٢، والعبادة هي التوحيد، لأن الخصومة بين الأنبياء والأمم فيه، كما قال تعالى ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾^٣.

والتوحيد ثلاثة أصول؛ توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الذات والأسماء والصفات.

الأصل الأول: توحيد الربوبية، وهو الذي أقر به المشركون في زمن رسول الله ﷺ، ولا أدخلهم في الإسلام، وقاتلهم رسول الله ﷺ، واستحل دماءهم وأموالهم، وهو توحيد الله بفعله، والدليل عليه قوله تعالى ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾^٤، وقوله ﴿قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون﴾ * سيقولون لله قل أفلا تذكرون * قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم * سيقولون لله قل أفلا تتقون * قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون * سيقولون لله قل فأنى تُسحرون﴾^٥، والآيات على هذا كثيرة جداً، أكثر من أن تُحصَر، وأشهر من أن تُذكر.

والأصل الثاني وهو توحيد الألوهية، فهو الذي وقع فيه النزاع في قديم الدهر وحديثه، وهو توحيد الله بأفعال العباد، كالدعاء والرجاء والخوف والخشية والاستعانة والاستعاذة والمحبة والإنابة والنذر والذبح والرغبة والرغبة والخشوع والتذل والتعظيم.

فدليل الدعاء قوله تعالى ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾^٦ الآية، وكل نوع من هذه الأنواع عليه دليل من القرآن.

وأصل العبادة تجريد الإخلاص لله تعالى وحده، وتجريد المتابعة للرسول ﷺ، قال تعالى ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً﴾^١، وقوله تعالى ﴿فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون﴾^٢، ﴿وما أرسلنا من

^١ تقدم التعريف به في الرسالة الأولى.

^٢ سورة الذاريات: ٥٦ .

^٣ سورة النحل: ٣٦ .

^٤ سورة يونس: ٣١ .

^٥ سورة المؤمنون: ٨٤ - ٨٩ .

^٦ سورة غافر: ٦٠ .

قبلك من رُسُولٍ إِلَّا نوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ^٢، وقوله تعالى ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿وَمَا دَعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ^٤﴾، وقوله ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ^٥﴾، وقوله تعالى ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا^٦﴾، وقوله تعالى ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ^٧﴾.

الأصل الثالث وهو توحيد الذات والأسماء والصفات، كما قال تعالى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ^٨﴾، وقوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ^٩﴾، وقال تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ^٩﴾.

واعلم أن ضد التوحيد الشرك، وهو ثلاثة أنواع: شرك أكبر، وشرك أصغر، وشرك خفي.

والدليل على الشرك الأكبر قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا^{١٠}﴾، وقوله تعالى ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ^{١١}﴾.

وهو أربعة أنواع:

النوع الأول: شرك الدعوة، والدليل عليه قوله تعالى ﴿فَإِذَا رَكبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ * لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ^{١٢}﴾.

^١ سورة الجن: ١٨ .

^٢ سورة الأعراف: ١٥٨ .

^٣ سورة الأنبياء: ٢٥ .

^٤ سورة الرعد: ١٤ .

^٥ سورة الحج: ٦٢ .

^٦ سورة الحشر: ٧ .

^٧ سورة آل عمران: ٣١ .

^٨ سورة الأعراف: ١٨٠ .

^٩ سورة الشورى: ١١ .

^{١٠} سورة النساء: ١١٦ .

^{١١} سورة المائدة: ٧٢ .

^{١٢} سورة العنكبوت: ٦٥ - ٦٦ .

النوع الثاني: شرك النية، وهى الإرادة والقصد، والدليل عليه قوله تعالى ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون * أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون﴾¹.

النوع الثالث: شرك الطاعة، والدليل عليه قوله تعالى ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾²، وتفسيرها الذي لا إشكال فيه هو طاعة العلماء والعُباد في معصية الله سبحانه، لا دعاؤهم إياهم، كما فسرهما رسول الله ﷺ لعدي بن حاتم لما سأله فقال: لسنا نعبدهم، فذكر له أن عبادتهم طاعتهم في المعصية.

النوع الرابع: شرك المحبة، والدليل عليه قوله تعالى ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب﴾ إلى قوله ﴿وما هم بخارجين من النار﴾³.

والنوع الثاني⁴ شرك أصغر وهو الرياء، والدليل عليه قوله تعالى ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾⁵.

والنوع الثالث شرك خفي⁶، والدليل عليه قوله ﷺ: الشرك في هذه الأمة أخفى من ديب النمل على الصفاة السوداء في ظلمة الليل⁷.

¹ سورة هود: ١٥ - ١٦ .

² سورة التوبة: ٣١ .

³ سورة البقرة: ١٦٥ - ١٦٧ .

⁴ أي من أنواع الشرك.

⁵ سورة الكهف: ١١٠ .

⁶ الشرك الخفي شرك أصغر في الأصل، وسمي خفياً لأنه دقيق لا يفتطن له عامة الناس، وهو شرك في الألفاظ دون الأعمال وقصد القلوب، اللهم إلا إذا اعتقد قائله المساواة بين الله وبين خلقه فهنا يكون أكبر.

⁷ أخرجه الحاكم عن عائشة رضي الله عنها، ولفظه: الشرك أخفى في أمي من ديب النمل على الصفا في الليلة الظلماء.

وهو ضعيف جداً كما بينه الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٣٧٥٥).

ويغني عنه ما رواه أبو يعلى (٦١) عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: شهدت النبي ﷺ مع أبي بكر - أو قال: حدثني أبو بكر - عن

النبي ﷺ أنه قال: الشرك أخفى فيكم من ديب النمل.

فقال أبو بكر: وهل الشرك إلا من دعا مع الله إلهاً آخر.

فقال رسول الله ﷺ: الشرك أخفى فيكم من ديب النمل.

وكفارته قوله ﷺ: اللهم إن أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم، وأستغفرك من الذنب الذي لا أعلم.^١

والكفر كفران؛ كفر يخرج من الملة، وهو خمسة أنواع:

النوع الأول كفر التكذيب، والدليل عليه قوله تعالى ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين﴾.^٢

النوع الثاني كفر الاستكبار والإباء مع التصديق، والدليل عليه قوله ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾.^٣

النوع الثالث كفر الشك، وهو كفر الظن، والدليل عليه قوله تعالى ﴿ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبدي هذه أبداً﴾* وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً* قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً؟^٤

ثم قال: ألا أدلك على ما يذهب عنك صغير ذلك وكبيره؟ قل: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك مما لا أعلم. والحديث صححه الشيخ ناصر الدين الألباني في «الأدب المفرد» (٧١٦)، وأشار في «السلسلة الضعيفة» تحت الحديث (٣٧٥٥) إلى ما يشهد له.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه خطب الناس فقال: (يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من ديب النمل).

فقام إليه عبد الله بن حزن وقيس بن المضارب فقالا: والله لتخرجن مما قلت أو لنأتين عمر، مأذون لنا أو غير مأذون.

قال: بل أخرج مما قلت، خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: أيها الناس، اتقوا هذا الشرك، فإنه أخفى من ديب النمل.

فقال له من شاء الله أن يقول: وكيف نتقيه وهو أخفى من ديب النمل يا رسول الله؟

قال: قولوا: اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلم.

رواه أحمد في «مسنده» (٤٠٣/٤) وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٦).

كما ورد هذا الوصف للشرك موقوفاً على ابن عباس رضي الله عنهما، فقد روى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦٢/١) عند قول الله تعالى ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً﴾، قال: الأنداد هو الشرك، أخفى من ديب النمل على صفة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن يقول: والله وحياتك يا فلانة وحياتي، ويقول: لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها (فلان)، فإن هذا كله به شرك.

^١ تقدم تخريجه في التعليق السابق، وبكل حال فإنه ينبغي مع ذكر الكفارة التوبة والاستغفار إلى الله من الشرك دقيقه وجليله، لأن الشرك من المعاصي، وقد شرع الله الاستغفار من عموم المعاصي، والله أعلم.

^٢ سورة العنكبوت: ٦٨ .

^٣ سورة البقرة: ٣٤ .

^٤ سورة الكهف: ٣٥ - ٣٧ .

النوع الرابع كفر الإعراض، والدليل عليه قوله تعالى ﴿والذين كفروا عما أُنذروا معرضون¹﴾.

النوع الخامس كفر النفاق، الدليل عليه قوله تعالى ﴿ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون²﴾.

وكفر أصغر³ لا يخرج من الملة، وهو كفر النعمة، والدليل عليه قوله تعالى ﴿وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله⁴﴾، وقوله ﴿إن الإنسان لظَلُومٌ كَفَّارٌ⁵﴾.

وأما النفاق فهو نوعان؛ نفاق اعتقادي ونفاق عملي.

فأما الاعتقادي فهو ستة أنواع: تكذيب الرسول، أو تكذيب بعض ما جاء به الرسول، أو بغض الرسول، أو بغض ما جاء به الرسول، أو المسرة⁶ بانخفاض دين الرسول، أو الكراهية لانتصار دين الرسول. فهذه الأنواع الستة صاحبها من أهل الدرك الأسفل من النار، نعوذ بالله من الشقاق والنفاق.

وأما النفاق العملي فهو خمسة أنواع: إذا حدث كذب، وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر، وإذا اتّمن خان، وإذا وعد أخلف.

والله سبحانه وتعالى أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كبيراً.⁷

¹ سورة الأحقاف: ٣ .

² سورة المنافقون: ٣ .

³ وهو النوع الثاني من أنواع الكفر.

⁴ سورة النحل: ١١٢ .

⁵ سورة إبراهيم: ٣٤ .

⁶ أي: الإسرار بذلك في النفس.

⁷ انتهى كلامه رحمه الله، وهو مثبت في «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٦٦/٢ - ٧٢).

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن^١ رحمه الله تعالى:

فصل

ولفظ الظلم والمعصية والفسوق والفجور والموالة والمعاداة والركون والشرك ونحو ذلك من الألفاظ الواردة في الكتاب والسنة؛ قد يُراد بها مُسمَّاهَا المطلق وحقيقتها المطلقة، وقد يُراد بها مطلق الحقيقة، والأول هو الأصل عند الأصوليين، والثاني لا يُحمل الكلام عليه إلا بقربة لفظية أو معنوية، وإنما يعرف ذلك بالبيان النبوي وتفسير السنة، قال تعالى ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾^٢ الآية، وقال تعالى ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾^٣ بالبينات والزبر وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾^٤.

وكذلك اسم المؤمن والبرِّ والتَّقِي؛ يراد بها عند الإطلاق والثناء غير المعنى المراد في مقام الأمر والنهي، ألا ترى أن الزاني والسارق والشارب ونحوهم يدخلون في عموم قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة﴾^٥ الآية، وقوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا﴾^٦ الآية، وقوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم﴾^٧.

^١ هو الشيخ عبد اللطيف ابن الشيخ عبد الرحمن بن حسن ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى، ولد سنة ١٢٢٥ هـ في بلدة العلم والعلماء؛ الدرعية، درس على يد عدد من المشايخ، منهم والده الشيخ عبد الرحمن بن حسن، وكذا ابن عمه الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، والشيخ محمد بن محمود الجزائري، مفتي الديار الجزائرية في وقته، وغيرهم. وبعد تضلعه في العلم تتلمذ عليه عدد من التلاميذ، أشهرهم الشيخ الأديب الذاب عن دين الله بشعره ونظمه؛ سليمان بن سحمان رحمه الله تعالى.

له العديد من الكتب والرسائل، أما الكتب فأشهرها «مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام»، وأيضاً «منهاج التأسيس في كشف شبهات داود بن جرجيس».

أما الرسائل فجمعها تلميذه الشيخ سليمان في المجلد الثالث من «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية»، وبعضها مفرق في بعض المجلدات الأخرى، كما يقع بعضها في «الدرر السنية من الأجوبة النجدية».

توفي رحمه الله سنة ١٢٩٣ هـ.

باختصار وتصرف من ترجمته في مقدمة كتابه «مصباح الظلام»، والترجمة من إعداد الشيخ د. عبد العزيز بن عبد الله الزير حفظه الله.

^٢ سورة إبراهيم: ٤ .

^٣ سورة النحل: ٤٣ - ٤٤ .

^٤ سورة المائدة: ٦ .

^٥ سورة الأحزاب: ٦٩ .

^٦ سورة المائدة: ١٠٦ .

ولا يدخلون في مثل قوله ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾^١، وقوله ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾^٢ الآية.

وهذا هو الذي أوجبَ للسلف ترك تسمية الفاسق باسم الإيمان والبرِّ، وفي الحديث: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبةً تهبه يرفع الناس إليه أبصارهم فيها وهو مؤمن)^٣، وقوله: (لا يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه)^٤، لكن نفى الإيمان هنا لا يدل على كفره^٥، بل يُطلق عليه اسم الإيمان ولا يكون كمن كفر بالله ورسوله، وهذا هو الذي فهمه السلف وقرروه في باب الرد على الخوارج والمرجئة ونحوهم من أهل الأهواء، فافهم هذا، فإنه مَضَلَّةٌ أفهام، ومَزَلَّةٌ أقدام.

وأما إلحاق الوعيد المرتب على بعض الذنوب والكبائر فقد يمنع منه مانعٌ في حق المعين^٦، كحب الله ورسوله، والجهاد في سبيله، وزُجْحان الحسنات، ومغفرة الله ورحمته، وشفاعة المؤمنين، والمصائب المكفِّرة، في الدُّور الثلاثة^٧، ولذلك لا يشهدون لمعين من أهل القبلة بجنة ولا نار، وإن أطلقوا الوعيد كما أطلقه القرآن والسنة فهم يُفَرِّقُونَ بين العام المطلق والخاص المقيد، وكان عبد الله بن حمار يشرب الخمر، فأُتي به إلى رسول الله ﷺ فَلَعَنَهُ رجل وقال: (ما أكثر ما يؤتى به إلى رسول الله ﷺ)، فقال النبي ﷺ: (لا تلعه، فإنه يحب الله ورسوله)^٨، مع أنه لعن الخمر وشاربها وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والحمولة إليه.

^١ سورة الحجرات: ١٥ .

^٢ سورة الحديد: ١٩ .

^٣ رواه البخاري (٦٧٧٢)، ومسلم (٥٧)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

^٤ رواه البخاري (٦٠١٦) عن أبي شريح رضي الله عنه، ولفظه أن النبي ﷺ قال: والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن. قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه.

^٥ يقرر الشيخ هنا أن ارتكاب المعاصي من الكبائر والصغائر لا يقتضي انتفاء الإيمان، ليكون صاحبه كافراً خارجاً من الملة الإسلامية، كلا، بل المقصود هو نفى كمال الإيمان، فيكون صاحبه ناقص الإيمان، مع بقاءه على وصف الإسلام والإيمان، وإنما جاء إطلاق نفى الإيمان عن صاحبه رَجْراً، ومما يبين ذلك أن الله خاطب بعض العصاة بلفظ الإيمان، فقال في حق الطائفتين المتقاتلتين ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾، مع أن مقاتلة المسلم لأخيه من الكبائر، وقال للذي شرب الخمر — كما سيأتي — أنه يحب الله ورسوله، وهذا يدل على إيمانه، وغير ذلك من الأمثلة التي سيذكرها الشيخ.

^٦ أي الشخص المعين وليس في عموم الناس.

^٧ أي الدنيا والبرزخ والآخرة، مما يقع فيها من الأمور التي تتحول دون إلحاق الوعيد به.

^٨ روى البخاري (٦٧٨٠) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن رجلاً على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله، وكان يلقب حمزاً، وكان يُضْحِكُ رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ قد جَلَدَهُ في الشراب، فأُتي به يوماً فأمر به فجُلِدَ، فقال رجل من القوم: اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتى به.

وتأمل قصة حاطب بن أبي بلتعة وما فيها من الفوائد، فإنه هاجر إلى الله ورسوله، وجاهد في سبيله، لكن حدث منه أنه كتب بسّر رسول الله ﷺ إلى المشركين من أهل مكة، يخبرهم بشأن رسول الله ﷺ ومسيره لجهادهم، ليتخذ بذلك يدًا عندهم تحمي أهله وماله بمكة، فنزل الوحي بخبره، وكان قد أعطى الكتاب ظعينة^١ جعلته في شعرها، فأرسل رسول الله ﷺ عليًا والزبير في طلب الظعينة، وأخبرهما أنهما يجدانها في روضة «خاخ»، فكان ذلك، وتهدّداها حتى أخرجت الكتاب من صفائرها^٢، فأتي به رسول الله ﷺ، فدعا حاطب بن أبي بلتعة، فقال له: ما هذا؟

فقال: يا رسول الله، إني لم أكفر بعد إيماني، ولم أفعل هذا رغبة عن الإسلام، وإنما أردت أن تكون لي عند القوم يدٌ أحمي بها أهلي ومالي.

فقال ﷺ: صدّكم، خلّوا سبيله.

واستأذن عمر في قتله فقال: دعني أضرب عنق هذا المنافق.

فقال: وما يدريك أن الله اطّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم.^٣

وأنزل الله في ذلك سورة الممتحنة فقال ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾ الآيات.

فدخل حاطب في المخاطبة باسم الإيمان، ووَصَفَ به، وتناولَ التَّهْيِ بعمومه، وله خصوصُ السبب الدالّ على إرادته، مع أن في الآية الكريمة ما يُشعر أن فعلَ حاطبٍ نوعٌ موالاةٍ، وأنه أبلغَ إليهم بالمودة، وأن فاعل ذلك قد ضل سواء السبيل. لكن قوله (صدّكم، خلّوا سبيله) ظاهر في أنه لا يكفر بذلك إذا كان مؤمنًا بالله ورسوله، غير شاكٍّ ولا مُرتابٍ، وإنما فعل ذلك لغرض دنيوي، ولو كفر لما قال: خلّوا سبيله.

ولا يقال: (قوله ﷺ لعمر: ما يدريك لعل الله اطّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) هو المانع من تكفيره، لأننا نقول: لو كفر لما بقي من حسناته ما يمنع من لحاق الكفر وأحكامه، فإن الكفر يهدم ما قبله، لقوله تعالى ﴿ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله﴾^٤، وقوله ﴿ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون﴾^٥، والكفر محبط للحسنات والإيمان بالإجماع، فلا يُظن هذا.^٦

فقال النبي ﷺ: لا تلعنوه، فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله.

^١ قال ابن الأثير في «النهاية»: وأصل الظعينة الراحلة التي يُرحل ويُظعن عليها أي يسار، وقيل للمرأة ظعينة لأنها تظعن مع الزوج حيثما ظعن، أو لأنها تُحمل على الراحلة إذا ظنعت، وقيل: الظعينة المرأة في الهودج، ثم قيل للهودج بلا امرأة، وللمرأة بلا هودج: ظعينة.

^٢ جمع ضفيرة، قال الخطابي: صَفَرَت المرأة شعرها إذا أدخلت بعضه في بعض.

^٣ انظر «صحيح البخاري» (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤) عن علي رضي الله عنه.

^٤ سورة المائدة: ٥.

^٥ سورة الأنعام: ٨٨.

^٦ هنا انتهى الشيخ من بيان المقصود من الآيات والأحاديث الواردة في نفي الإيمان عن مُرتَكبي الكبائر، وسيشرع الآن في بيان معنى الموالاة.

وأما قوله تعالى ﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾^١، وقوله ﴿لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادُّون من حاد الله ورسوله﴾^٢، وقوله ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين﴾^٣، فقد فسرتة السنة وقيدته وخصته بالموالة المطلقة العامة.

وأصل الموالة هو الحب والنصرة والصدقة، ودون ذلك مراتب متعددة، ولكل ذنب حظُّه وقسطه من الوعيد والدم، وهذا عند السلف الراسخين في العلم من الصحابة والتابعين معروف في هذا الباب وفي غيره، وإنما أشكل الأمر وخفيت المعاني والتبست الأحكام على خلوف من العجم والمؤلدين^٤، الذين لا دراية لهم بهذا الشأن^٥، ولا ممارسة لهم بمعاني السنة والقرآن، ولهذا قال الحسن رضي الله عنه: (من العُجْمَةُ^٦ أتوا)^٧.

وقال عمرو بن العلاء لعمرو بن عبيد لما ناظره في مسألة خلود أهل الكبائر في النار، واحتج ابن عبيد أن هذا وعد، والله لا يخلف وعده، يشير إلى ما في القرآن من الوعيد على بعض الكبائر والذنوب بالنار والخلود، فقال له ابن العلاء: (من العُجْمَةُ أتيت، هذا وعيد لا وعد)، وأنشد قول الشاعر:

وإني وإن أوعدته أو وعدته لمُخْلِفٌ إيعادي ومُنْجِرٌ موْعدي^٨

^١ سورة المائدة: ٥١ .

^٢ سورة المجادلة: ٢٢ .

^٣ سورة المائدة: ٥٧ .

^٤ المؤلدين جمع مؤلّد، وهو الرجل العربي غير المحض، ويُطلق أيضاً على من وُلِدَ عند العرب ونشأ بينهم، والقصور عندهم يكمن في عدم استيعابهم للغة العربية، ففهموها فهماً ناقصاً، ثم انعكس ذلك على فهمهم للقرآن والسنة، فإذا تولوا منصب توجيه وتعليم نقلوا ذلك الفهم الناقص والخطأ للناس، وقدماً قيل: فاقد الشيء لا يعطيه، والله المستعان.

^٥ ابتدأ الشيخ هنا في تقرير أن من أعظم أسباب الضلال في فهم بعض المسائل الشرعية العقدية هي العُجْمَةُ، وانظر معناها في التعليق اللاحق.

^٦ العُجْمَةُ: هي تأثر اللسان العربي باللغة الأعجمية، يقال فلان فيه عُجْمَةٌ، وهي سبب رئيس لعدم فهم المصطلحات الشرعية فهماً سليماً، بخلاف من وُلِدَ بين العرب، وخالفهم مخالطة كاملة، وتكلم بلسانهم منذ نعومة أظفاره، وتعلم اللغة، فإن فهمه للكلام العربي سيكون سليماً، ولسانه سيكون فصيحاً، سواء كان الشخص عربياً أو أعجمياً.

^٧ قال البخاري في «خلق أفعال العباد»، باب ما نَقَشَ النبي ﷺ في خاتمه من كتاب الله تعالى، وما جاءت به الحاجة: وقال الحسن البصري: إنما أهلكتهم العجمة.

وقال المروزي في مقدمة كتاب «السنة»: قال الحسن: إنما أتى القوم من قبَلِ العجمة.

^٨ قال ابن بطة في «الإبانة» (٣٠٢/٢)، كتاب القدر، «ذكر الأئمة المضلين الذين أحدثوا الكلام في القدر»:

حدثنا أبو حفص عمر بن أحمد بن عبد الله بن شهاب قال: حدثنا أبي قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم الوراق قال: حدثنا سوار بن عبد الله قال: حدثنا عبد الملك الأصمعي قال:

كنا عند أبي عمرو بن العلاء قال: فجاء عمرو بن عبيد فقال: يا أبا عمرو، يُخلف الله وعده؟

وقال بعض الأئمة فيما نقل البخاري أو غيره: إن من سعادة الأعجمي والعربي إذا أسلمَا أن يُوفَقَا لصاحب سُنّة، وإن من شقاوتهما أن يمتحنا وييسرا لصاحب هوى وبدعة.

ونضرب لك مثلاً هو أن رجلين تنازعا في آيات من كتاب الله، أحدهما خارجي^١ والآخر مرجئي^٢.

قال الخارجي: إن قوله ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾^٣ دليل على حبوط أعمال العصاة والفجار وبطلانها، إذ لا قائل أنهم من عباد الله المتقين.

قال المرجئي: هي في الشرك، فكل من اتقى الشرك يُقبل منه عمله، لقوله تعالى ﴿مَنْ جَاءَ الْحَسَنَةَ فَلَهُ عَشْرُ أَثْمَالِهَا﴾^٤.

قال الخارجي: قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنْ لَهُ نَارُ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾^٥ يُرَدُّ ما ذهبَ إليه.

قال المرجئي: المعصية هنا الشرك بالله واتخاذ الأنداد معه لقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^٦.

قال: لا.

قال: رأيت من وعده الله على عمل عقاباً، أليس هو منجزه له؟

فقال له أبو عمرو: يا أبا عثمان، من العجمة أوتيت، لا يُعدُّ عاراً ولا خُلُقاً أن تَعِدَ شراً ثم لا تفي به، بل تَعُدُّه فضلاً وكرماً، إنما العار أن تَعِدَ خيراً ثم لا تفي به.

قال: ومعروف ذلك في كلام العرب؟

قال: نعم.

قال: أين هو؟

قال أبو عمرو: قال الشاعر:

لا يهرب ابن العم ما عشتُ صولتي ولا أحتني من صولة المتهدد
وإنني وإن أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

انتهى.

قلت: ومعنى (أحتني) أي أنكسر وأهزم.

وقوله (من العجمة أوتيت)، يعني بسبب تأثرك باللسان الأعجمي دُخِلَ عليك فلم تفهم المراد من الكلام.

^١ الخارجي نسبة إلى فرقة الخوارج، والتي من وجوه انحرافها تكفير مرتكب الكبيرة، فشارب الخمر — مثلاً — عندهم كافر.

^٢ المرجئي نسبة لفرقة المرجئة، سميت بذلك لأنها ترجى العمل عن مسمى الإيمان، فيقولون: لا يضرُ مع الإيمان ذنب، وهذه الفرقة — كما ترى — على الجانب الآخر من طريقة الخوارج، وكلاهما ضال.

^٣ سورة المائدة: ٢٧ .

^٤ سورة الأنعام: ١٦٠ .

^٥ سورة الجن: ٢٣ .

^٦ سورة النساء: ٤٨ .

قال الخارجي: قوله ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا﴾^١ دليل على أن الفاسق من أهل النار الخالدين فيها. قال له المرجئ: قوله في آخر الآية ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾^٢ دليل على أن المراد من كَذَّبَ الله ورسوله، والفاسق من أهل القبلة مؤمن كامل الإيمان.

ومن وقف على هذه المناظرة من جُفَّال الطلبة والأعاجم ظن أنها الغاية المقصودة، وعَضَّ عليها بالنواجذ، مع أن كِلَا القولين لا يُرتضى، ولا يَحْكُمُ بإصابته أهل العلم والهدى، وما عند السلف والراسخين في العلم خلاف هذا كَلِّه، لأن الرجوع إلى السنة المبينة للناس ما نُزِّلَ إليهم واجب، وأما أهل البدع والأهواء فيستغنون عنها بآرائهم وأهوائهم وأذواقهم.^٣

وقد بلغني أنكم تأولتم قوله تعالى في سورة محمد ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نُزِّلَ اللَّهُ سَنطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾^٤ على بعض ما يجري من أمراء الوقت من مكاتبة أو مصالحة أو هدنة لبعض رؤساء الضالين والملوك المشركين^٥، ولم تنظروا لأول الآية وهي قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدَوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى﴾^٦، ولم تفقهوا المراد من هذه الطاعة، ولا المراد من الأمر المعروف المذكور في هذه الآية الكريمة، وفي قصة صلح الحديبية، وما طلبه المشركون واشترطوه وأجابهم إليه رسول الله ﷺ ما يكفي في ردِّ مفهومكم ودحضِ أباطيلكم.^٧

فصل

وهنا أصول؛ أحدها: أن السنة والأحاديث النبوية هي المبيّنة للأحكام القرآنية وما يُراد من النصوص الواردة في كتاب الله في باب معرفة حدود ما أنزل الله، كمعرفة المؤمن والكافر، والمشرِك والمُؤجَّد، والفاجر والبر، والظالم والتقي، وما يراد بالموالاة والتولي، ونحو ذلك من الحدود، كما أنها المبيّنة لما يراد من الأمر بالصلاة على الوجه المراد في عددها وأركانها وشروطها

^١ سورة السجدة: ١٨ .

^٢ سورة السجدة: ٢٠ .

^٣ انتهى الشيخ هنا من بيان ما يترتب على العُجْمَة من سوء فهم لمعاد الله ومراد رسوله ﷺ .

^٤ سورة محمد: ٢٦ .

^٥ عاد الشيخ هنا لمسألة الموالاة، ليبين أن التعامل بين المسلمين والكفار - بإجراء صلح مثلاً أو هدنة ونحوها - لا يستلزم موالاة ولا تولي، وأنه من الأمور الجائزة.

قلت: وقد توفي النبي ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي، ودعاه يهودي إلى خبز شعير وإهالة سِنَخَة فأجابه عليه الصلاة والسلام، وهذا لم يقتضِ موالاة من جانبه عليه الصلاة والسلام، لأن مقصده الدعوة، لا الموانسة والركون التي هي من مقتضيات الموالاة.

^٦ سورة محمد: ٢٥ .

^٧ وقد وقع في وماننا هذا - القرن الخامس عشر الهجري - من بعض المتحمسين شيء من هذا، فلما ظنوا - جهلاً - أن الهدنة مع الكفار أو الصلح معهم ليس بجائز في الشريعة مطلقاً؛ اتهموا من فعل ذلك من الحكام بموالاة الكفار، بل ألصقوا هذا الاتهام ببعض العلماء الكبار لما أفتوا بجواز ذلك تحقيقاً للمصلحة العامة، والله المستعان.

وواجباتها، وكذلك الزكاة فإنه لم يظهر المراد من الآيات الموجبة ومعرفة النصاب والأجناس التي تجب فيها من الأنعام والثمار والنقود ووقت الوجوب واشتراط الحول في بعضها ومقدار ما يجب في النصاب وصِفَتِهِ إلا ببيان السنة وتفسيرها.

وكذلك الصوم والحج جاءت السنة ببيانهما وحدودهما وشروطهما ومفسداتهما ونحو ذلك مما توقف بيانه على السنة، وكذلك أبواب الربا وجنسه ونوعه وما يجري فيه وما لا يجري، والفرق بينه وبين البيع الشرعي، وكل هذا البيان أُخذ عن رسول الله ﷺ برواية الثقات العدول عن مثلهم إلى أن تنتهي السنة إلى رسول الله ﷺ، فمن أهمل هذا وأضاعه فقد سدَّ على نفسه باب العلم والإيمان، ومعرفة معاني التنزيل والقرآن.

الأصل الثاني: أن الإيمان أصل له شعب متعددة^١، كل شعبة منها تسمى إيمانًا، فأعلاها شهادة أن «لا إله إلا الله»، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، فمنها ما يزول الإيمان بزواله إجماعًا كشعبة الشهادتين، ومنها ما لا يزول بزواله إجماعًا كترك إمطة الأذى عن الطريق، وبين هاتين الشعبتين شعب متفاوتة، منها ما يلحق بشعبة الشهادة ويكون إليها أقرب، ومنها ما يلحق بشعبة إمطة الأذى عن الطريق ويكون إليها أقرب، والتسوية بين هذه الشعب في اجتماعها مخالف للنصوص وما كان عليه سلف الأمة وأئمتها.

وكذلك الكفر أيضًا ذو أصل وشعب، فكما أن شُعبَ الإيمان إيمانٌ؛ فشُعبُ الكفر كفرٌ، والمعاصي كلها من شُعب الكفر كما أن الطاعات كلها من شُعب الإيمان، ولا يُسَوَّى بينهما في الأسماء والأحكام.

وفرَّق بين من ترك الصلاة أو الزكاة أو الصيام أو أشرك بالله أو استهان بالمصحف، وبين من سرق أو زنى أو شرب أو انتهب، أو صدر منه نوعٌ موالاةٍ كما جرى لحاطب، فمن سَوَّى بين شعب الإيمان في الأسماء والأحكام، أو سَوَّى بين شعب الكفر في ذلك؛ فهو مخالف للكتاب والسنة، خارج عن سبيل سلف الأمة، داخل في عموم أهل البدع والأهواء.

الأصل الثالث: أن الإيمان مركَّبٌ من قول وعمل، والقول قسمان: قول القلب وهو اعتقاده، وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الإسلام.

والعمل قسمان: عمل القلب، وهو قصده واختياره ومحبهه ورضاه وتصديقه، وعمل الجوارح كالصلاة والزكاة والحج والجهاد ونحو ذلك من الأعمال الظاهرة، فإذا زال تصديق القلب ورضاه ومحبهه لله وصدقته؛ زال الإيمان بالكلية، وإذا زال شيء من الأعمال كالصلاة والحج والجهاد مع بقاء تصديق القلب وقبوله فهذا محل خلاف؛ هل يزول الإيمان بالكلية إذا ترك

^١ عاد الشيخ هنا لمسألة الإيمان، ليبين أن الإيمان له شُعب متعددة، ثم عقب ذلك ببيان أن الإيمان مركب من قول وعمل، ثم بين أن الكفر له شعب متعددة، بعضها مخرج من الملة، وبعضها ليس بمخرج، فمن فهم هذه الضوابط فقد وُفِّق لفهم السلف الصالح رضي الله عنهم، وأما من جعله شيئًا واحدًا إما مؤمن خالص أو كافر خالص فقد ضلَّ فهُمُّهُ وزَلَّتْ قدمه، والله الهادي.

أحد الأركان الإسلامية كالصلاة والحج والزكاة والصيام أو لا يزول؟ وهل يكفر تاركه أو لا يكفر؟ وهل يُفَرَّق بين الصلاة وغيرها أو لا يُفَرَّق؟

فأهل السنة مُجمعون على أنه لا بُد من عمل القلب الذي هو محبته ورضاه وانقياده، والمرجئة تقول: (يكفى التصديق فقط، ويكون به مؤمناً)، والخلاف في أعمال الجوارح هل يكفر أو لا يكفر واقع بين أهل السنة، والمعروف عند السلف تكفير من ترك أحد المباني الإسلامية، كالصلاة والزكاة والصيام والحج.

والقول الثاني: أنه لا يَكْفُر إلا من جحدها.

والثالث: الفرق بين الصلاة وغيرها.

وهذه الأقوال معروفة.

وكذلك المعاصي والذنوب، التي هي فعل المحظورات، فَرَّقوا فيها بين ما يُصادم أصل الإسلام وينافيه وما دون ذلك، وبين ما سماه الشارع كفراً وما لم يُسمَّه، هذا ما عليه أهل الأثر المتمسكون بسنة رسول الله ﷺ، وأدلة هذا مبسطة في أماكنها.

الأصل الرابع: أن الكفر نوعان: كُفر عمل، وكُفر جحود وعناد، وهو^١ أن يكفر بما عَلِمَ أن الرسول ﷺ جاء به من عند الله، جحوداً وعناداً، من أسماء الرب وصفاته وأفعاله وأحكامه التي أصلها توحيد وعبادته وحده لا شريك له، وهذا مضاد للإيمان من كل وجه.

وأما كفر العمل فمنه ما يُضاد الإيمان كالسجود للصنم، والاستهانة بالمصحف، وقتل النبي ﷺ وسبه.

وأما الحكم بغير ما أنزل الله وترك الصلاة فهذا كفر عمل لا كفر اعتقاد، وكذلك قوله ﷺ: (لا ترجعوا بعدي كفاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض)^٢، وقوله: (من أتى حائضاً، أو امرأة في دبرها، أو كاهناً فصدقه بما يقول؛ فقد كفر بما أنزل على محمد)^٣، فهذا من الكفر العملي، وليس كالسجود للصنم والاستهانة بالمصحف وقتل النبي ﷺ وسبه، وإن كان الكل يُطلق عليه الكفر.

وقد سَمَّى الله سبحانه من عمل ببعض كتابه وترك العمل ببعضه مؤمناً بما عمل به وكافراً بما ترك العمل به، قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تَخْرُجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ إلى قوله ﴿أَفْتَوْمُنُونِ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾^٤ الآية، فأخبر تعالى أنهم أَقْرَبُوا بِمِيثَاقِهِ الذي أمرهم به والتزموه، وهذا يدل على تصديقهم به، وأخبر أنهم عَصَوْا أمره،

^١ أي كفر الجحود والعناد.

^٢ رواه البخاري (١٧٣٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ومسلم (٦٦) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

^٣ رواه الترمذي (١٣٥)، وابن ماجه (٦٣٩)، وأحمد (٤٠٨/٢)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه الألباني رحمه الله.

^٤ سورة البقرة: ٨٤ - ٨٥.

وَقَتَلَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ فَرِيقًا آخَرِينَ، وَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ، وَهَذَا كُفْرٌ بِمَا أُخِذَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّهُمْ يَفْدُونُ مَنْ أُسِرَ مِنْ ذَلِكَ الْفَرِيقِ، وَهَذَا إِيْمَانٌ مِنْهُمْ بِمَا أُخِذَ عَلَيْهِمْ فِي الْكِتَابِ، وَكَانُوا مُؤْمِنِينَ بِمَا عَمَلُوا بِهِ مِنَ الْمِيثَاقِ، كَافِرِينَ بِمَا تَرَكُوهُ مِنْهُ.

فَالْإِيْمَانُ الْعَمَلِيُّ يَضَادُّهُ الْكُفْرُ الْعَمَلِيُّ، وَالْإِيْمَانُ الْإِعْتِقَادِيُّ يَضَادُّهُ الْكُفْرُ الْإِعْتِقَادِيُّ، وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: (سَبَابُ الْمُسْلِمِ فَسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ)^١، فَفَرَّقَ بَيْنَ سَبَابِهِ وَقِتَالِهِ، وَجَعَلَ أَحَدَهُمَا فَسُوقًا لَا يَكْفُرُ بِهِ، وَالْآخَرَ كُفْرًا، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ إِنَّمَا أَرَادَ الْكُفْرَ الْعَمَلِيَّ لَا الْإِعْتِقَادِيَّ، وَهَذَا الْكُفْرُ لَا يَخْرُجُهُ مِنَ الدَّائِرَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْمِلَّةِ بِالْكَلِيَّةِ، كَمَا لَمْ يُخْرِجِ الزَّانِي وَالسَّارِقُ وَالشَّارِبُ مِنَ الْمِلَّةِ، وَإِنْ زَالَ عَنْهُ اسْمُ الْإِيْمَانِ.

وهذا التفصيل قول الصحابة، الذين هم أعلم الأمة بكتاب الله وبالإسلام والكفر ولوازمهما، فلا تُتَلَقَّى هذه المسائل إلا عنهم، والمتأخرون لم يفهموا مرادهم فانقسموا فريقين؛ فريق أخرجوا من الملة بالكبائر^٢، وقَضَوْا عَلَى أَصْحَابِهِمْ بِالْخُلُودِ فِي النَّارِ، وفريق جعلوهم مؤمنين كاملي الإيمان^٣، فأولئك غلوا وهؤلاء جفوا، وهَدَى اللَّهُ أَهْلَ السَّنَةِ لِلطَّرِيقَةِ الْمَثَلِيِّ وَالْقَوْلِ الْوَسْطِيِّ، الَّذِي هُوَ فِي الْمَذَاهِبِ كَالْإِسْلَامِ فِي الْمَلَلِ، فَهَاهُنَا كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ، وَنِفَاقٌ دُونَ نِفَاقٍ، وَشُرْكٌ دُونَ شُرْكٍ، وَظُلْمٌ دُونَ ظُلْمٍ، فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^٤، قَالَ: (لَيْسَ هُوَ الْكُفْرُ الَّذِي تَذْهَبُونَ إِلَيْهِ).

رواه عنه سفيان وعبد الرزاق.^٥

وفي رواية أخرى: كفر لا يَنْقِلُ عَنْ الْمِلَّةِ.^٦

وعن عطاء: كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق.^١

^١ رواه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤)، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

^٢ أي أخرجوا أصحاب الكبائر من المسلمين.

^٣ وهم المرجئة.

^٤ سورة المائدة: ٤٤ .

^٥ قال الحاكم في «مستدركه» (٣١٣/٢): أخبرنا أحمد بن سليمان الموصلي، ثنا علي بن حرب، ثنا سفيان بن عيينة عن هشام بن حجير عن طاوس قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنه ليس بالكفر الذي يذهبون إليه، إنه ليس كفرًا ينقل عن ملة، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾، كفر دون كفر.

وقال المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٥٧٣) (تحقيق كمال بن السيد سالم، الناشر: مكتبة العلم - مصر): حدثنا محمد بن يحيى، ثنا عبد الرزاق، عن سفيان، عن رجل، عن طاوس، عن ابن عباس، قال: كفر لا ينقل عن الملة.

^٦ قال المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٥٧٤): حدثنا إسحاق، أنا وكيع عن سفيان عن سعيد المكي عن طاوس قال: ليس بكفر ينقل عن الملة.

وهذا بيّن في القرآن لمن تأمله، فإن الله سبحانه سمى الحاكم بغير ما أنزل الله كافراً، وسمى الجاحد لما أنزل الله على رسوله كافراً، وليس الكُفران على حد سواء، وسمى الكافر ظالماً في قوله ﴿والكافرون هم الظالمون﴾^٢، وسمى من يتعد حدوده في النكاح والطلاق والرجعة والخُلع ظالماً وقال ﴿ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه﴾^٣، وقال يونس عليه السلام ﴿إني كنت من الظالمين﴾^٤، وقال آدم عليه السلام ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا﴾^٥، وقال موسى ﴿رب إني ظلمت نفسي﴾^٦، وليس هذا الظلم مثل ذلك الظلم.

وسمى الكافر فاسقاً في قوله ﴿وما يُضِلُّ به إلا الفاسقين﴾^٧، وقوله ﴿ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون﴾^٨، وسمى العاصي فاسقاً في قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾^٩، وقال في الذين يرمون المحصنات ﴿وأولئك هم الفاسقون﴾^{١٠}، وقال ﴿فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج﴾^{١١}، وليس الفسوق كالفسوق. وكذلك الشرك شركان؛ شرك ينقل عن الملة وهو الشرك الأكبر، وشرك لا ينقل عن الملة وهو الشرك الأصغر، كشرك الرياء.

وقال تعالى في الشرك الأكبر ﴿إنه من يُشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾^{١٢}، وقال تعالى ﴿ومن يُشرك بالله فكأنما خرَّ من السماء فتخطفه الطير﴾^١ الآية.

^١ قال المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٥٧٥): حدثنا إسحاق، أنا وكيع عن سفيان عن ابن جريج عن عطاء قال: كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق.

ثم قال المروزي: قالوا: وقد صدق عطاء، قد يسمى الكافر ظالماً، ويسمى العاصي من المسلمين ظالماً، فظلم ينقل عن ملة الإسلام وظلم لا ينقل، قال الله ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾، وقال ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾.

يراجع بحث الألباني في «الصحيحة» (٢٥٥٢، ٢٧٠٤).

^٢ سورة البقرة: ٢٥٤ .

^٣ سورة الطلاق: ١ .

^٤ سورة الأنبياء: ٨٧ .

^٥ سورة الأعراف: ٢٣ .

^٦ سورة القصص: ١٦ .

^٧ سورة البقرة: ٢٦ .

^٨ سورة البقرة: ٩٩ .

^٩ سورة الحجرات: ٦ .

^{١٠} سورة النور: ٤ .

^{١١} سورة البقرة: ١٩٧ .

^{١٢} سورة المائدة: ٧٢ .

وقال تعالى في شرك الرياء ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾^٢.
وفي الحديث: (أَخَوْفُ مَا أَخَافَ عَلَيْكُمُ الشَّرْكَ الْأَصْغَرَ)^٣، وفي الحديث: (مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ)^٤.
ومعلوم أن حَلْفَهُ بِغَيْرِ اللَّهِ لَا يَخْرِجُهُ عَنِ الْمِلَّةِ، وَلَا يُوجِبُ لَهُ حُكْمَ الْكُفَارِ^٥، ومن هذا قوله ﷺ:
الشرك في هذه الأمة أخفى من ديبب النمل.^٦

^١ سورة الحج: ٣١ .

^٢ سورة الكهف: ١١٠ .

^٣ رواه أحمد (٤٢٨/٥) عن محمود بن لبيد أن رسول الله ﷺ قال: إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر.
قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟

قال: الرياء، يقول الله عز وجل لهم يوم القيامة إذا جزي الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تُراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء.

قال محققو «المسند»: إسناده جيد، رجاله رجال الصحيح.

^٤ رواه أبو داود (٣٢٥١) والترمذي (١٥٣٥) وأحمد (٦٩/٢) وابن حبان (٤٣٥٨) وأبو عوانة (٥٩٦٧)، عن ابن عمر رضي الله عنهما، وصححه الألباني رحمه الله.

وهذا اللفظ هو المعتمد كما قال الشيخ محمد علي آدم الأثيوبي حفظه الله، وللعلم فقد روى الترمذي هذا الحديث وشكَّ الراوي فيه فقال: فقد كفر - أو أشرك - .

^٥ فائدة: لما كان الحلف بغير الله له ناشئ من تعظيم المحلوف به؛ فالحلف بغير الله له حالتان: الأولى: أن يُعْظَمَ الحالف بغير الله المحلوف به عند حلفه به - عند حلفه به - تعظيماً كتعظيم الله فهذا شرك أكبر.

الثانية: أن يعْظَمَ تعظيماً دون تعظيم الله، فهذا شرك أصغر، يجب تركه والتوبة منه، لأنه ذريعة للنوع الأول.

وهذا النوع يعتبر من أنواع الشرك الخفي الذي هو شرك أصغر في الأصل، وشمي حَفِيًّا لأنه دقيق لا يتفطن له عامة الناس.

^٦ روى أبو يعلى في «مسنده» (٦١) عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: شهدت النبي ﷺ مع أبي بكر - أو قال: حدثني أبو بكر - عن النبي ﷺ أنه قال: الشرك أخفى فيكم من ديبب النمل.

فقال أبو بكر: وهل الشرك إلا من دعا مع الله إلهاً آخر.

فقال رسول الله ﷺ: الشرك أخفى فيكم من ديبب النمل.

ثم قال: ألا أدلك على ما يذهب عنك صغير ذلك وكبيره؟ قل: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك مما لا أعلم.

والحديث صححه الشيخ ناصر الدين الألباني في «الأدب المفرد» (٧١٦)، وأشار في «السلسلة الضعيفة» تحت الحديث (٣٧٥٥) إلى ما يشهد له.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه خطب الناس فقال: (يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من ديبب النمل).

فقام إليه عبد الله بن حزن وقيس بن المضارب فقالا: والله لتخرجن مما قلت أو لنأتين عمر، مأذون لنا أو غير مأذون.

قال: بل أخرج مما قلت، خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: أيها الناس، اتقوا هذا الشرك، فإنه أخفى من ديبب النمل.

فقال له من شاء الله أن يقول: وكيف نتقيه وهو أخفى من ديبب النمل يا رسول الله؟

فانظر كيف انقسم الشرك والكفر والفسوق والظلم إلى ما هو كفر ينقل عن الملة، وإلى ما لا ينقل عن الملة.

وكذلك النفاق نفاقان؛ نفاق اعتقادي ونفاق عملي، والنفاق الاعتقادي مذكور في القرآن في غير موضع، أوجب لهم تعالى به الدرك الأسفل من النار، والنفاق العملي جاء في قوله ﷺ: أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها؛ إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر.^١

وكقوله ﷺ: آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان.^٢ قال بعض الأفاضل: وهذا النفاق قد يجتمع مع أصل الإسلام، ولكن إذا استحكمت وكُمِّلَ فقد ينسلخ صاحبه من الإسلام بالكلية وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم، فإن الإيمان ينهى عن هذه الخلال، فإذا كُمِّلَت للعبد ولم يكن له ما ينهيه عن شيء منها؛ فهذا لا يكون إلا مُنَافِقًا خالصًا. انتهى.

الأصل الخامس أنه لا يلزم من قيام شعبة من شُعَب الإيمان بالعبد أن يسمى مؤمنًا، ولا يلزم من قيام شعبة من شعب الكفر أن يسمى كافرًا وإن كان ما قام به كفرًا، كما أنه لا يلزم من قيام جزء من أجزاء العلم أو من أجزاء الطب أو من أجزاء الفقه أن يسمى عالمًا أو طبيبًا أو فقيهًا.

وأما الشعبة نفسها فيطلق عليها اسم الكفر، كما في الحديث: (اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت)^٣، وحديث: (من حلف بغير الله فقد كفر)^٤، ولكنه لا يستحق اسم الكفر على الإطلاق. فمن عرف هذا عرف فقه السلف، وعمق علومهم، وقلة تكلفهم، قال ابن مسعود:

قال: قولوا: اللهم إنا نعوذ بك من أن نُشْرِكَ بك شيئًا نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلم. رواه أحمد في «مسنده» (٤٠٣/٤) وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٦). وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦٢/١) عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: قال: الأنداد هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن يقول: والله وحياتك يا فلانة وحياتي، ويقول: لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتني اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها (فلان)، فإن هذا كله به شرك.

^١ رواه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، واللفظ للبخاري.

^٢ رواه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

^٣ رواه مسلم (٦٧)، وأحمد (٤٩٦/٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

^٤ تقدم تحريجه، وبيان أن لفظ: (من حلف بغير الله فقد أشرك) هو اللفظ المعتمد.

من كان منكم متأسياً فليتأس بأصحاب محمد ﷺ، فإنهم كانوا أبَرَّ هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً، قوم اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم.^١

وقد كاد الشيطان بني آدم بمكيدتين عظيمتين، لا يبالي بأيّهما ظَفَرَ، أحدهما: الغلو ومجاوزة الحد والإفراط، والثاني هو الإعراض والتّرك والتفريط.

قال ابن القيم لما ذكر شيئاً من مكائد الشيطان:

قال بعض السلف: (ما أمر الله سبحانه بأمرٍ إلا وللشيطان فيه نزغتان؛ إما إلى تفريطٍ وتقصير، وإما إلى مجاوزة وغلو، ولا يبالي بأيّهما ظَفَرَ).

وقد اقتطع^٢ أكثر الناس إلا أقل القليل في هذين الواديين؛ وادي التقصير، ووادي المجاوزة والتعدي، والقليل منهم جدّاً الثابت على الصراط الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه.

وعَدَّ رحمه الله كثيراً من هذا النوع إلى أن قال:

وقصَّرَ يقوم حتى قالوا: إيمان أفسق الناس وأظلمهم كإيمان جبريل وميكائيل، فضلاً عن أبي بكر وعمر.^٣

وتجاوز بآخرين حتى أخرجوا من الإسلام بالكبيرة الواحدة.^٤

قال ناسخ الرسالة: هذا آخر ما وُجِدَ من هذه الرسالة العظيمة المنافع، القاضية بالبراهين والدلائل القواطع، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلّم.

^١ «جامع بيان العلم وفضله» (١٨١٠)، الناشر: دار ابن الجوزي - الدمام.

^٢ أي قُطِعَ عليه الطريق، والقاطع هو الشيطان أعادنا الله منه، فقد اقتطع أكثر الناس إلا القليل.

^٣ وهؤلاء هم المرجئة.

^٤ وهؤلاء هم الخوارج.

^٥ «إغاثة اللهفان» (٢٢٤/١-٢٢٥)، الناشر: دار ابن الجوزي - الدمام.

وهنا انتهى كلامه رحمه الله، وهو مثبت في «الدرر السنية من الأجوبة النجدية» (١/٤٧٠ - ٤٨٥) و«مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» (٧/١٩ - ٢)، وبينهما فروقات يسيرة، وقد اخترتُ منها ما هو أنسب للسياق، أما الأحاديث والآثار فضبطتها من مصادرها.

معنى «لا إله إلا الله»، وذكر شروطها ونواقضها

تأليف

الشيخ سليمان بن سحمان (١٣٤٩ هـ)

رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ سليمان بن سحمان^١ رحمه الله تعالى في بيان معنى كلمة الإخلاص «لا إله إلا الله»:

اعلم رحمك الله أن كلمة الإخلاص «لا إله إلا الله» هي الكلمة التي قامت بها الأرض والسموات، وفطر الله عليها جميع المخلوقات، وعليها أُسِّسَت الملة، ونُصِبَت القبلية، ولأجلها جُرِّدَت سيوف الجهاد، وبها أمر الله جميع العباد، فهي فطرة الله التي فطر الناس عليها، ومفتاح عبوديته التي دعا الأمم على ألسُنِ رسله إليها، وهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، وأساس الفرض والسُّنة، فإذا عرفت هذا؛ فاعلم أن «لا إله إلا الله» لا تنفع قائلها إلا بعد معرفة معناها، والعمل بمقتضاها، وأنها لا تنفعه إلا بعد الصدق والإخلاص واليقين، لأن كثيراً ممن يقولها في الدرك الأسفل من النار.

فلا بُدَّ في شهادة «أن لا إله إلا الله» من اعتقاد بالجنان، ونطق باللسان، وعمل بالأركان، فإن اختل نوع من هذه الأنواع لم يكن الرجل مسلماً، فإذا كان الرجل مسلماً وعاملاً بالأركان ثم حدث منه قول أو فعل أو اعتقاد يناقض ذلك؛ لم ينفعه قول «لا إله إلا الله»، وأدلة ذلك في الكتاب والسنة وكلام أئمة الإسلام أكثر من أن تحصر.

وقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن قتادة قال: حدثنا أنس بن مالك أن النبي ﷺ - ومعاذ رضي الله عنه رديفه^٢ على الرحل - قال: يا مُعَاذُ.

قال: لبيك يا رسول الله وسعديك.

قال: يا معاذ.

قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، ثلاثاً.

قال: ما من أحد يشهد «أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله» صدقاً من قلبه إلا حرم الله تعالى عليه النار.

^١ هو الشيخ سليمان بن سحمان بن مصلح من آل عامر من قبيلة خثعم، ولد في قرية السُّقا من بلدان أبحا، درس على الشيخ عبد الرحمن ابن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، ودرس كذلك على ابنه عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن، ولازمهما عشر سنوات، ودرس كذلك على الشيخ حمد بن عتيق سبعة عشرة سنة، كما درس على الشيخ حمد بن فارس، أُلِّفَ كُتُباً كثيرة تقرب من الأربعين كتاباً، وله أشعار كثيرة، فقد كان أديباً بارِعاً، وشاعراً خَرِيباً، سَخَّرَ لسانه للدفاع عن عقيدة أهل السنة، له دواوين في الدفاع عن الإسلام، رد على قريب من خمسين ضالاً بشعره، فكان بحق «حَسَنَ السنة» في زمانه.

توفي رحمه الله سنة ١٣٤٩ هجري، وله من العمر ثمانون عاماً.

دُكِّرَ أنه لما خرجت روحه شمو من جسده رائحة مسك طيبة لم يعهدوا مثلها.

انظر ترجمته في «تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان»، حوادث سنة ١٣٤٩ هجري، للشيخ إبراهيم بن عبيد آل عبد المحسن رحمه الله، وكذا كتاب «ابن سحمان، تاريخ حياته، وعلمه، وتحقيق شعره»، لمحمد بن حمد العقيل، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض.

^٢ أي راكب خلفه على الدابة.

قال: يا رسول الله، أفلا أخبر الناس فيستبشروا؟

قال: إذا يتكلموا.

فأخبر بها معاذ عند موته تأثماً.^١

{ قال شيخ الإسلام وغيره في هذا الحديث ونحوه^٢ إنها فيمن قالها ومات عليها، كما جاءت مقيدةً بقوله (خالصاً من قلبه)، غير شك فيها، بصدق ويقين، فإن حقيقة التوحيد انجذاب الروح إلى الله تعالى جملةً، فمن شهد أن «لا إله إلا الله» خالصاً من قلبه دخل الجنة، لأن الإخلاص هو انجذاب القلب إلى الله تعالى، بأن يتوب من الذنوب توبة نصوحاً، فإذا مات على تلك الحالة نال ذلك.

فإنه قد تواترت الأحاديث بأنه يخرج من النار من قال «لا إله إلا الله» وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، وما يزن خردلة، وما يزن ذرة.^٣

وتواترت بأن كثيراً ممن يقول «لا إله إلا الله» يدخل النار ثم يخرج منها، وتواترت بأن الله حرم على النار أن تأكل أثر السجود من ابن آدم، فهؤلاء كانوا يصلون ويسجدون لله، وتواترت بأن الله يحرم على النار من قال «لا إله إلا الله» وشهد «أن لا إله إلا الله»، وأن محمداً رسول الله^٤، لكن جاءت مقيدة بالقيود الثقال^٥، وأكثر من يقولها لا يعرف الإخلاص، وأكثر من يقولها إنما يقولها تقليداً وعادةً ولم يخالط الإيمان بشاشة قلبه، وغالب من يفتن عند الموت وفي القبور أمثال هؤلاء، كما في الحديث: (سمعتُ الناس يقولون شيئاً فقلته)^٦، وغالب أعمال هؤلاء إنما هو تقليد واقتداء بأمثالهم، وهم من أقرب الناس من قوله تعالى ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾^٧.

وحينئذ فلا منافاة بين الأحاديث، فإنه إذا قالها بإخلاص ويقين تام لم يكن في هذا الحال مُصِراً على ذنب أصلاً، فإن كمال إخلاصه ويقينه يوجب أن يكون الله أحب إليه من كل شيء، فإذا لا يبقى في قلبه إرادة لما حرم الله، ولا كراهة لما أمر الله،

^١ رواه البخاري (١٢٨).

ومعنى قوله (إذا يتكلموا) أي لا تخبرهم فيعتمدوا على مجرد النطق بها دون تحقيق معناها، ففعل معاذ ذلك ولم يخبر بالحديث، ولكن لما دنا أجله أخبر بالحديث خشية الوقوع في إثم كتمان العلم.

^٢ من هنا نقل صاحب الرسالة كلاماً طويلاً من «فتح المجيد» إلى حين شروعه في شرح شروط «لا إله إلا الله» في آخر الرسالة، وانظر نهاية القوس.

^٣ انظر صحيح البخاري (٧٥١٠)، وابن حبان (٤٠٠/١٤)، وأبو يعلى (٢٨٨٩، ٢٩٢٧، ٢٩٥٥)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

^٤ انظر صحيح البخاري (٦٥٧٣)، وابن حبان (٤٥٠/١٦)، وأحمد (٢٧٥/٢)، وأبو يعلى (٢٤١/١١)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

^٥ وهي المعروفة بشروط «لا إله إلا الله» وهي العلم والقبول والإخلاص والمحبة والانقياد واليقين والصدق والكفر بما ينافيها، وسيأتي الكلام عليها إن شاء الله.

^٦ رواه البخاري (٨٦)، ومسلم (٩٠٥) عن أسماء رضي الله عنها.

^٧ سورة الزخرف: ٢٣.

وهذا هو الذي يُحَرِّم على النار، وإن كانت له ذنوب قبل ذلك فإن هذا الإيمان وهذا الإخلاص وهذه التوبة وهذه المحبة وهذا اليقين لا تترك له ذنباً إلا محي عنه كما يمحو الليل النهار.

فإذا قالها على وجه الكمال المانع من الشرك الأكبر والأصغر فهذا غير مُصَرَّح على ذنب أصلاً، فيغفر له ويُحَرِّم على النار، وإن قالها على وجه خُلُص به من الشرك الأكبر دون الأصغر ولم يأت بعدها بما يُناقض ذلك؛ فهذه الحسنة لا يُقاومها شيء من السيئات، فيرجح بها ميزان الحسنات، كما في حديث البطاقة^١، فيُحَرِّم على النار، ولكن تنقص درجته في الجنة بقدر ذنوبه، وهذا بخلاف من رجحت سيئاته بحسناته، ومات مُصَرِّحاً على ذلك، فإنه يستوجب النار وإن قال «لا إله إلا الله» وخلص بها من الشرك الأكبر، لكنه لم يمت على ذلك، بل أتى بعد ذلك بسيئات رجحت على حسنة توحيد، فإنه في حال قولها كان مخلصاً، لكنه أتى بذنوب أوهنت ذلك التوحيد والإخلاص فأضعفته، وقويت نار الذنوب حتى أحرقت ذلك، بخلاف المُخلص المستيقن؛ فإن حسناته لا تكون إلا راجحة على سيئاته، ولا يكون مُصَرِّحاً على سيئات، فإن مات على ذلك دخل الجنة.

وإنما يُخاف على المخلص أن يأتي بسيئة راجحة فيضعف إيمانه فلا يقولها بإخلاصٍ ويقينٍ مانعٍ من جميع السيئات، ويُحَسِّس عليه من الشرك الأكبر والأصغر، فإن سَلِمَ من الأكبر بقي معه من الأصغر، فيضيف إلى ذلك سيئات تنضم إلى هذا الشرك، فيرجح جانب السيئات، فإن السيئات تضعف الإيمان واليقين، فيضعف قول «لا إله إلا الله»، فيمتنع الإخلاص بالقلب، فيصير المتكلم بها كالهاذي أو النائم، أو من يُحَسِّن صوته بآية من القرآن من غير ذوقٍ وحلاوةٍ، فهؤلاء لم يقولوها بكمال الصدق واليقين، بل يأتون بعدها بسيئات تنقص ذلك، بل يقولونها من غير يقين وصدق، ويموتون على ذلك ولهم سيئات كثيرة تمنعهم من دخول الجنة، وإذا كثرت الذنوب ثقل على اللسان قولها، وقَسَا القلب عن قولها، وكره العمل الصالح، وثقل عليه سماع القرآن، واستبشر بذكر غيره، واطمأن إلى الباطل، واستحلى الرفث ومخالطة أهل الباطل، وكره مخالطة أهل الحق. فمثل هذا إذا قالها قال بلسانه ما ليس في قلبه، وفيه ما لا يُصدِّقه عمله، قال الحسن: (ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال، فمن قال خيراً وعمل خيراً قُبِلَ منه، ومن قال خيراً وعمل شراً لم يقبل منه)^٢.

^١ روى الترمذي (٢٦٣٩)، واللفظ له، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وأحمد (٢١٣/٢)، وابن حبان (٢٢٥) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما يقول: قال رسول الله ﷺ: إن الله سُبْحَلِّص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتتكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتني الحافظون؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: أَفَلَا عذر؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: (بلى، إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم عليك اليوم)، فتخرج بطاقة فيها «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله»، فيقول: أحضر وزنك. فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فقال: إنك لا تُظلم. قال: فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، فلا يتحمل مع اسم الله شيء.

صححه الألباني كما في «صحيح الترمذي».

^٢ روى الإمام أبو بكر البيهقي رحمه الله في «شعب الإيمان» (٨٠/١) بإسناده عن الحسن البصري قال:

وقال بكر بن عبد الله المزني: ما سبقهم أبو بكر رضي الله عنه بكثرة صيام ولا صلاة، ولكن بشيء وقر في قلبه.^١ فمن قال «لا إله إلا الله» ولم يثُمَّ بموجبها، بل اكتسب مع ذلك ذنباً، وكان صادقاً في قولها، موقناً بها، لكن له ذنوب أضعفت صدقه وبقينه، وانضاف إلى ذلك الشرك الأصغر العملي؛ رجحت هذه السيئات على هذه الحسنات، ومات مُصِرّاً على الذنوب، بخلاف من يقولها بيقين وصدق، فإنه إما ألا يكون مُصِرّاً على سيئة أصلاً، أو يكون توحيد المتضمن لصدقه وبقينه رجح حسناته.

والذي يدخلون النار ممن يقولها لم يقولوها بالصدق واليقين التامين المنافيين للسيئات، أو لرجحانها، أو قالوها واكتسبوا بعد ذلك سيئات رجحت على حسناتهم، ثم ضعف لذلك صدقهم وبقينهم، ثم لم يقولوها بعد ذلك بصدق وبقين تام، لأن الذنوب قد أضعفت ذلك الصدق واليقين من قلوبهم، فقولها من مثل هؤلاء لا يقوى على محو السيئات، فترجح سيئاتهم على حسناتهم. انتهى ملخصاً.^٢

وقال الوزير أبو المظفر في «الإفصاح»:

قوله: (شهادة أن «لا إله إلا الله») يقتضى أن يكون الشاهد عالماً بأن «لا إله إلا الله» كما قال تعالى ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾.^٣

ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدقته الأعمال. من قال حسناً وعمل غير صالح رده الله على قوله، ومن قال حسناً وعمل صالحاً رفعه العمل، ذلك بأن الله تعالى قال ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾. ثم قال البيهقي رحمه الله: وقد رُوينا أيضاً قولنا في الإيمان عن محمد بن الحنفية وعطاء بن أبي رباح والحسن وابن سيرين وعبيد بن عمير ووهب ابن منبه وحبيب بن أبي ثابت وغيرهم من أئمة المسلمين؛ الأوزاعي ومالك وسفيان بن عيينة والفضيل بن عياض والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن إبراهيم الحنظلي ومحمد بن إسماعيل البخاري وغيرهم رحمهم الله. ورواه أحمد في «الزهد» (٢٦٣/١) إلى قوله: بالتمني.

^١ قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢٣/١) رقم (٧٣): أخرجه الترمذي الحكيم في «نوادير الأصول» من قول أبي بكر بن عبد الله المزني، ولم أجده مرفوعاً.

وللفائدة فقد روى البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٨٩١) عن الفضيل بن عياض قال: لم يدرك عندنا من أدرك بكثرة صيام ولا صلاة، وإنما أدرك بسخاء الأنفس وسلامة الصدر والنصح للأمة.

وروى عبد الله بن أحمد بن حنبل -رحمهما الله- في كتاب «السنة» برقم (٨٠٥) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح بهم.

وحسنه محققه الشيخ أحمد بن علي الراداعي حفظه الله.

ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٦)، والخلال في «السنة» (١١٣٤)، وصححه السخاوي في «المقاصد الحسنة» (٩٠٨).

^٢ تم ضبط كلام شيخ الإسلام من «فتح المجيد»، للشيخ عبد الرحمن بن حسن، باب «فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب».

^٣ سورة محمد: ١٩.

قال: واسم (الله) مرتفع بعد (إلا) من حيث إنه الواجب له الإلهية، فلا يستحقها غيره سبحانه.

قال: وجملة الفائدة في ذلك أن تعلم أن هذه الكلمة مشتملة على الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، فإنك لما نفيت الإلهية وأثبتت الإيجاب لله تعالى كنت ممن كفر بالطاغوت وآمن بالله.

وقال في «البدائع» رداً لقول من قال: (إن المستثنى مخرج من المنفي)^١، قال:

بل هو مخرج المنفي وحكمه، فلا يكون داخلاً في المنفي، إذ لو كان كذلك لم يدخل الرجل في الإسلام بقوله «لا إله إلا الله»، لأنه لم يثبت الإلهية لله تعالى، وهذه أعظم كلمة تضمنت نفي الإلهية عما سوى الله، وإثباتها له بوصف الاختصاص، فدلالتها على إثبات الإلهية أعظم من دلالة قولنا (الله إله)، ولا يستريب أحد في هذا البتة.

انتهى بمعناه.^٢

وقال أبو عبد الله القرطبي في تفسير «لا إله إلا الله»: أي: لا معبود إلا هو.

وقال الزمخشري: الإله من أسماء الأجnas، كالرجل والفرس، اسم يقع على كل معبود بحق أو باطل، ثم غلب على المعبود بحق.^٣

قال شيخ الإسلام: فإن الإله هو المألوه، والمألوه هو الذي يستحق أن يُعبد، وكونه يستحق أن يُعبد هو بما اتصف به من الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب، المخضوع له غاية الخضوع.^٤

قال^٥: (فإن الإله هو المحبوب المعبود الذي تأله القلوب بحبها، وتخضع له، وتذل له، وتخافه، وترجوه، وتنبئ إليه في شدائدها، وتدعوه في مُهماتها، وتتوكل عليه في مصالحها، وتلجأ إليه، وتطمئن بذكره، وتسكن إلى حبه، وليس ذلك إلا لله وحده.

ولهذا كانت «لا إله إلا الله» أصدق الكلام، وكان أهلها أهل الله وحزبه، والمنكرون لها أعداؤه وأهل غضبه ونقمته.

فهذه المسألة قُطب رَحَى الدين الذي عليه مداره، وإذا صحت صح بما كل مسألة وحال وذوق، وإذا لم يصححها العبد فالفساد لازم له في علومه وأعماله وأحواله وأقواله).^١

^١ الكلام على كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»، ويعني بالمستثنى (الله)، ويعني بالمنفي (إله)، وقائل هذه العبارة يعني أن الله غير مستثنى من الآلهة المعبودة، وابن القيم ردَّ عليه بأن الله مستثنى منها، فهو إله حق، وغيره آله باطلة.

^٢ تم ضبطه من «بدائع الفوائد» (٩٢٥-٩٢٦)، الناشر: دار عالم الفوائد - مكة.

^٣ «الكشاف» (٣٦/١)، الناشر: دار الفكر - بيروت.

^٤ «مجموع الفتاوى» (٢٤٩/١٠)، وقد ضبطت النص منه.

وقال أيضاً (٢٠٢/١٣): والإله هو المألوه، أي المستحق لأن يؤله أي يعبد، ولا يستحق أن يؤله ويعبد إلا الله وحده، وكل معبود سواه من لدن عرشه إلى قرار أرضه باطل.

^٥ القائل هو ابن القيم رحمه الله في «طريق المهجرتين»، انظر (ص ٦٩٥)، تحقيق محمد أجمل الإصلاحي، الناشر: دار عالم الفوائد - مكة.

وقال ابن القيم: الإله هو الذي تأله القلوب محبة وإنابة وإجلالاً وإكراماً وتعظيماً وذلاً وخضوعاً وخوفاً ورجاءً وتوكلاً.^٢
 وقال ابن رجب: الإله هو الذي يطاع فلا يعصى، هيبه له وإجلالاً، ومحبة وخوفاً ورجاءً، وتوكلاً عليه، وسؤالاً منه ودعاءً له، ولا يصلح ذلك كله إلا لله عز وجل، فمن أشرك مخلوقاً في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية كان ذلك قدحاً في إخلاصه في قول «لا إله إلا الله» ونقصاً في توحيدِهِ، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك.^٣
 وقال البقاعي: «لا إله إلا الله»، أي انتفى انتفاء عظيم أن يكون معبوداً بحق غير الملِك الأعظم، فإن هذا العلم هو أعظم الذكري المنجية من أهوال الساعة، وإنما يكون علماً إذا كان نافعاً، وإنما يكون نافعاً إذا كان مع الإذعان والعمل بما تقتضيه، وإلا فهو جهلٌ صرف.

وقال الطيبي: الإله فعّال بمعنى مفعول، كالكتاب بمعنى المكتوب، من أله إلهة، أي عبدَ عبادةً.
 قال الشارح^٤: وهذا كثير في كلام العلماء وإجماع منهم.

فدلّت «لا إله إلا الله» على نفي العبادة عن كل ما سوى الله تعالى كائناً من كان، وإثبات الإلهية لله وحده دون ما سواه، وهذا هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل، ودل عليه القرآن من أوله إلى آخره، كما قال تعالى عن الجن ﴿قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً* يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً﴾.^٥

فـ «لا إله إلا الله» لا تنفع إلا من عرف مدلولها نفيّاً وإثباتاً، واعتقد ذلك وقبله وعمل به، وأما من قالها عن غير علم واعتقاد وعمل فقد تقدم كلام العلماء أن هذا جهل صرف، فهو حجة عليه بلا ريب.
 فقله في الحديث: (وحده لا شريك له)؛ تأكيد وبيان لمضمون معناها، وقد أوضح الله عن ذلك وبينه في قصص الأنبياء والمرسلين في كتابه المبين.

^١ انتهى.

^٢ «إغاثة اللهفان»، ص ٧٢، تحقيق علي بن حسن بن عبد الحميد، الناشر: دار ابن الجوزي - الدمام.

^٣ «كلمة الإخلاص» ص ٢٥، الناشر: دار الشریف - الرياض.

ومما قاله رحمه الله في تحقيق كلمة التوحيد:

وتحقيق هذا المعنى وإيضاحه أن قول العبد «لا إله إلا الله» يقتضي أن لا إله له غير الله. (ص ٢٥).

تنبيه: أدخل المؤلف رحمه الله - تبعاً لمن نقل عنه وهو الشيخ عبد الرحمن بن حسن مؤلف «فتح المجيد» - كلام ابن القيم مع كلام ابن رجب في فقرة واحدة على أنها من كلام ابن القيم، وقد ضبطت النص وعزوته لكل واحد منهما، والله أعلم.

^٤ يقصد بذلك الشيخ سليمان بن عبد الله، شارح كتاب «التوحيد».

^٥ سورة الجن: ١ - ٢.

فما أجهل عباد القبور بحالهم، وما أعظم ما وقعوا فيه (من الشرك المنافي لكلمة الإخلاص «لا إله إلا الله»)^١، فإن مشركي العرب ونحوهم جحدوا «لا إله إلا الله» لفظاً ومعنى، وهؤلاء المشركون أقروا بها لفظاً وجحدوها معنى، فتجد أحدهم يقولها وهو يأله غير الله بأنواع العبادة، كالحب والتعظيم والخوف والرجاء والتوكل والدعاء وغير ذلك من أنواع العبادة. بل زاد شُرْكهم على شرك العرب بمراتب، فإن أكثرهم إذا وقع في شدة أخلص الدعاء لغير الله تعالى، ويعتقدون أنه أسرع فرجاً لهم، بخلاف حال المشركين الأولين؛ فإنهم يشركون في الرخاء، وأما في الشدائد فإنهم^٢ يخلصون لله وحده، كما قال تعالى ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ الآية^٣. فبهذا تبين أن مشركي أهل هذه الأزمان أجهل بالله وتوحيده من مشركي العرب ومن قبلهم^٤. انتهى من «فتح المجيد».

فهذا بعض ما ذكره بعض العلماء في معنى «لا إله إلا الله»، وفيه كفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

فصل

وأما شروطها التي ذكر شيخنا الشيخ عبد الرحمن بن حسن أنه لا بُدَّ منها في شهادة «أن لا إله إلا الله»؛ فقال رحمه الله:

لا بُدَّ في شهادة «أن لا إله إلا الله» من سبعة شروط، لا تنفع قائلها إلا باجتماعها:

الأول: العلم المنافي للجهل، فمن لم يعرف المعنى فهو جاهل بمدلولها.

الثاني: اليقين المنافي للشك، لأن من الناس من يقولها وهو شك فيما دلت عليه من معناها.

الثالث: الإخلاص المنافي للشرك، فإن لم يخلص أعماله كلها لله فهو مشرك شركاً ينافي الإخلاص.

الرابع: الصدق المنافي للنفاق، لأن المنافقين يقولونها، ولكنه لم يطابق ما قالوه لما يعتقدونه، فصار قولهم كذباً لمخالفة الظاهر للباطن.

الخامس: القبول المنافي للرد، لأن من الناس من يقولها مع معرفته معناها، لكن لا يقبل ممن دعاه إليه، إما كبراً أو حسداً أو غير ذلك من الأسباب المانعة من القبول، فتجده يعادي أهل الإخلاص ويوالي أهل الشرك ويحبهم.

السادس: الانقياد المنافي للترك، لأن من الناس من يقولها وهو يعرف معناها، لكنه لا ينقاد للإتيان بحقوقها ولوازمها من الولاء والبراء والعمل بشرائع الإسلام، ولا يلائمه إلا ما وافق هواه أو تحصيل دنياه، وهذه حال كثير من الناس.

^١ هذه ساقطة من المطبوع من «فتح المجيد»، وهو مثبت في «الدرر».

^٢ في «فتح المجيد»: إنما، والمثبت من «الدرر».

^٣ سورة العنكبوت: ٦٥.

^٤ ينبغي التنبيه إلى أن بداية النقل من «فتح المجيد» كان في أول هذه الرسالة، بعد حديث معاذ.

السابع: المحبة المنافية لضعدها.

انتهى ما ذكره الشيخ.

فإذا تبين لك هذا وعرفته، وتحققت أن «لا إله إلا الله» هي كلمة الإخلاص، وهي الفارقة بين الكفر والإسلام، وهي كلمة التقوى، وهي العروة الوثقى؛ فاعلم أن هذه الكلمة نفى وإثبات؛ نفى الإلهية عما سوى الله من المخلوقات، وإثباتها لله وحده لا شريك له، وأنها لا تنفع قائلها إلا باجتماع هذه الشروط التي تقدم ذكرها، فمن عرف معناها وعمل بمقتضاها وتحقق بها علماً وعملاً واعتقاداً فقد استمسك بالإسلام الذي قال الله فيه ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^١، وقال ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^٢.

فإذا علمت هذا؛ فقد ذكر أهل العلم نواقض الإسلام، وذكر بعضهم أنها قريب من أربعمئة ناقض، ولكن الذي أجمع عليه العلماء هو ما ذكره شيخ الإسلام، وعلم الهداة الأعلام، الشيخ محمد بن عبد الوهاب من نواقض الإسلام، وأنها عشرة، فقال رحمه الله:

اعلم أن نواقض الإسلام عشرة نواقض:

الأول: الشرك في عبادة الله تعالى، قال الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^٣، إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار^٤، ومنه الذبح لغير الله، كمن يذبح للجن أو للقبر.

الثاني: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم، ويسألهم الشفاعة، ويتوكل عليهم؛ كفر إجماعاً.

الثالث: من لم يُكفر المشركين، أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم؛ كَفَر.

الرابع: من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه، فهو كافر.

الخامس: من أبغض شيئاً مما جاء الرسول ﷺ - ولو عمل به - كَفَر.

السادس: من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثواب الله أو عقابه كفر، والدليل قوله تعالى ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾* لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم^٥.

^١ سورة آل عمران: ١٩ .

^٢ سورة آل عمران: ٨٥ .

^٣ سورة النساء: ٤٨ .

^٤ سورة المائدة: ٧٢ .

^٥ سورة التوبة: ٦٥ - ٦٦ .

السابع: السِّحْر، ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضي به كفر، والدليل قوله تعالى ﴿وما يُعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر﴾^١.

الثامن: مُطَاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى ﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾^٢.

التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يَسْعُهُ الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وَسِعَ الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام فهو كافر.

العاشر: الإعراض عن دين الله، لا يتعلَّمه ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى ﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون﴾^٣.

ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف إلا المكره، وكلها من أعظم ما يكون خطراً ومن أكثر ما يكون وقوعاً، فينبغي للمسلم أن يحذرهما، ويخاف منها على نفسه، نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه. انتهى.^٤

^١ سورة البقرة: ١٠٢ .

^٢ سورة المائدة: ٥١ .

^٣ سورة السجدة: ٢٢ .

^٤ انتهى كلام الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله، وهو مثبت في «الدرر السنية من الأجوبة النجدية» (٣٥٠/٢-٣٦٢)، وقد ضبطت متن «نواقض الإسلام» من «مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب» (٣٨٥/١ - ٣٨٧).

رسائل متنوعة في التوحيد

○ معنى الطاغوت ورؤوس أنواعه

○ ثلاثة المسائل

○ أنواع أعداء التوحيد

تأليف

الشيخ محمد بن عبد الوهاب، رحمه الله تعالى

(١١١٥ - ١٢٠٦ هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب^١ رحمه الله تعالى:

اعلم رحمك الله تعالى أن أول ما فرض الله على ابن آدم الكفر الطاغوت والإيمان بالله، والدليل قوله تعالى ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾^٢.

فأما صفة الكفر بالطاغوت؛ فإن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتتركها وتبغضها وتكفر أهلها وتعاديهم.

وأما معنى الإيمان بالله؛ فهو أن تعتقد أن الله هو الإله المعبود وحده دون من سواه، وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله، وتنفيها عن كل معبود سواه، وتحب أهل الإخلاص وتواليهم، وتبغض أهل الشرك وتعاديهم، وهذه ملة إبراهيم التي سبغ^٣ نفسه من رغب عنها، وهذه هي الأسوة التي أخبر الله بها في قوله ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده﴾^٤. والطاغوت عام، فكل ما عُبد من دون الله ورُضي بالعبادة من معبود أو متبوع أو مُطاع في غير طاعة الله ورسوله فهو طاغوت.

والطاغوت كثيرة، ورؤوسهم خمسة:

الأول: الشيطان، الداعي إلى عبادة غير الله، والدليل قوله تعالى ﴿ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين﴾^٥.

الثاني: الحاكم الجائر المُغيّر لأحكام الله تعالى، والدليل قوله تعالى ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً﴾^٦.

الثالث: الذي يحكم بغير ما أنزل الله، والدليل قوله تعالى ﴿ومن لم يحكم بغير ما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾^٧.

^١ تقدم التعريف به في الرسالة الأولى.

^٢ سورة النحل: ٣٦.

^٣ أصل السَّغْفَةِ الخَفَّة، والمقصود (امتنعها ورضي لها بالدُّون وباعها بصفقة المغبون، كما أنه لا أرشد وأكمل ممن رغب في ملة إبراهيم). قاله الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله في تفسير الآية الكريمة في تفسيره «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان».

^٤ سورة الممتحنة: ٤.

^٥ سورة يس: ٦٠.

^٦ سورة النساء: ٦٠.

^٧ سورة المائدة: ٤٤.

الرابع: الذي يدّعي علم الغيب من دون الله، والدليل قوله تعالى ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً* إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً﴾^١، وقال تعالى ﴿وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقةٍ إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾^٢.

الخامس: الذي يُعبد من دون الله وهو راضٍ بالعبادة، والدليل قوله تعالى ﴿ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين﴾^٣.

واعلم أن الإنسان ما يصير مؤمناً بالله إلا بالكُفر بالطاغوت، والدليل قوله تعالى ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾^٤.

الرُّشد^٥: دين محمد، والغي: دين أبي جهل، والعروة الوثقى: شهادة أن «لا إله إلا الله»، وهي متضمنة للنفي والإثبات، تنفي جميع أنواع العبادة عن غير الله تعالى، وتثبت جميع أنواع العبادة كلها لله وحده لا شريك له.^٦

^١ سورة الجن: ٢٦ - ٢٧ .

^٢ سورة الأنعام: ٥٩ .

^٣ سورة الأنبياء: ٢٩ .

^٤ سورة البقرة: ٢٥٦ .

^٥ يشير الشيخ هنا إلى معنى الرشد والغي الوارد في قوله تعالى في أول الآية المتقدمة ﴿قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت﴾ الآية.

^٦ انتهى كلامه رحمه الله، وهو مثبت في كتاب «الدرر السنية من الأجوبة النجدية» (١/١٦١ - ١٦٣) و «مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب» (١/٣٧٦ - ٣٧٨).

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله:

الواجب على كل عبد أن يعرف هذه المسائل:

المسألة الأولى: الرب الذي خلقنا ورزقنا لم يتركنا هملًا؛ لم يأمرنا ولم ينهنا، بل أرسل إلينا رسولاً، من أطاعه فهو في الجنة، ومن عصاه فهو في النار، والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً* فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً وبيلاً﴾^١.

المسألة الثانية: أن أعظم ما جاء به هذا الرسول من عند الله أن الله لا يرضى أن يُشرك معه في عبادته أحد غيره، والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً﴾^٢.

المسألة الثالثة: أن من صدّق الرُّسُولَ ووَحَّدَ الله ما يجوز له يُؤاَدُّ من حادَّ الله ورسوله حتى يتوب من المحادَّةِ لله ورسوله، والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادَّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾^٣.

فمن لم يعرف ربه بمعنى معبوده، ودينه ورسوله الذي أرسله الله إليه بدلائله في الدنيا، ولم يعمل به؛ سئل عنه في القبر فلم يعرفه، ومن لم يعرفه في القبر ضربته الملائكة بِمِرْزَةِ من حديد، لو اجتمع عليها الجن والإنس ما أطاقوا حملها.^٤

^١ سورة المزمل: ١٥ - ١٦ .

^٢ سورة الجن: ١٨ .

^٣ سورة المجادلة: ٢٢ .

^٤ المِرْزَةُ هي المطرقة الثقيلة.

^٥ دليله حديث أنس الذي رواه البخاري (١٣٧٤) عن أنس رضي الله عنه في سؤال الملكين للميت، وفيه: وأما المنافق والكافر فيقال له: (ما كنت تقول في هذا الرجل؟)، فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس.

فيقال: (لا دريت ولا تليت)، ويضرب بمطارق من حديد ضربةً، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين.

قوله (ولا تليت) أي ولا تلوت يقصد القرآن، قراءته وفهمه، وهو دعاء عليه. انظر «الفتح».

وقوله (من يليه) أي الناس كلهم.

وقوله (الثقلين) هما الإنس والجن.

ومن عرفه بدليله، وعمل به في الدنيا، ومات عليه؛ سئل في القبر، فيجيب بالحق، فإنه ذُكر في الحديث: إن العبد المؤمن، أو الموقن، إذا وضع في قبره؛ سأله الملائكة عن ربه وعن دينه وعن نبيه، فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد، جاءنا بالبينات والهدى، فأجبنا وصدقنا واتَّبَعْنَا.

فيقال له: نعم صالحًا، قد علمنا أنك مؤمن.^١

وأعظم البينات الذي جاء به الرسول كتاب الله، كما قال تعالى ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾^٢.

وأما المنافق والمرتاب إذا سئل عن ذلك يقول: (هاه، هاه، لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته)^٣، فتُعذبه الملائكة، فالخذر الخذر من ذلك، تفقهوا في دينكم قبل الموت، وصلى الله على محمد.^٤

^١ رواه البخاري (٨٦) ومسلم (٩٠٥) عن أسماء رضي الله عنها، ولفظ البخاري: ما علمك بهذا الرجل؟

فأما المؤمن - أو الموقن -، لا أدري بأيهما قالت أسماء، فيقول: هو محمد رسول الله، جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا واتبعنا، هو محمد، ثلاثاً. فيقال: نعم صالحًا، قد علمنا إن كنت لموقناً به.

وأما المنافق - أو المرتاب -، لا أدري أي ذلك قالت أسماء، فيقول: لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته.

وأما قوله: (هاه، هاه). فتفرد بها الطبراني كما في «الأحاديث الطوال» (٢٣٨/١).

^٢ سورة البقرة: ٢٣ .

^٣ ينظر الحديث السابق.

^٤ انتهى كلامه رحمه الله، وهو مثبت في «الدرر السنية من الأجوبة النجدية» (٨٠/٢ - ٨١)، ومثبت أيضاً في «مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب» (٣٧٤/١ - ٣٧٥) مع اختلاف في العبارات، وليس في المصدر الثاني قوله: فمن لم يعرف ربه بمعنى معبوده ... إلى آخر الرسالة.

بسم الله الرحمن الرحيم

سُئِلَ الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، عما يقاتل عليه وعما يُكْفَر الرجل به، فأجاب:

أركان الإسلام الخمسة، أولها الشهادتان، ثم الأركان الأربعة، فالأربعة إذا أقر بها وتركها تهاوناً، فنحن وإن قاتلناه على فعلها فلا نُكْفِرُه بتركها، والعلماء اختلفوا في كفر التارك لها كسلاً من غير جحود، ولا نُكْفِرُ إلا ما أجمع عليه العلماء كلهم وهو الشهادتان.

وأيضاً نكفره بعد التعريف إذا عَرَفَ وأنكر، فنقول: أعداؤنا معنا على أنواع:

النوع الأول: مَنْ عَرَفَ أن التوحيد دين الله ورسوله، الذي أظهرناه للناس، وأقرَّ أيضاً أن هذه الاعتقادات في الحجر والشجر والبشر الذي هو دين غالب الناس أنه الشرك بالله، الذي بعث الله رسوله ﷺ ينهى عنه، ويقاتل أهله، ليكون الدين كله لله، ومع ذلك لم يلتفت إلى التوحيد ولا تعلّمه ولا دخل فيه، ولا ترك الشرك، فهو كافر، نقاتله بكُفْرِهِ، لأنه عرف دين الرسول فلم يتبعه، وعرف الشرك فلم يتركه، مع أنه لا يبغض دين الرسول ولا من دخل فيه، ولا يمدح الشرك ولا يزينه للناس.

النوع الثاني من عرف ذلك، ولكنه تَبَيَّنَ^١ في سبب دين الرسول، مع ادّعاءه أنه عاملٌ به، وتبين في مدح من عبَد يوسف والأشقر، ومَنْ عبَد أبا علي والخضر من أهل الكوفة، وفضّلهم على من وحد الله وترك الشرك، فهذا أعظم من الأول، وفيه قوله تعالى ﴿فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾^٢، وهو ممن قال الله فيه ﴿وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون﴾^٣.

النوع الثالث: من عرف التوحيد وأحبه واتبعه، وعرف الشرك وتركه، ولكن يكره من دخل في التوحيد، ويجب من بقي على الشرك، فهذا أيضاً كافر، فيه قوله تعالى ﴿ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم﴾^٤.

النوع الرابع: من سلّم من هذا كله، ولكن أهل بلده يُصَرِّحُونَ بعداوة أهل التوحيد، واتباع أهل الشرك، وساعين في قتالهم، ويتعذر أن تَرَكَ وطنه يشق عليه، فيقاتل أهل التوحيد مع أهل بلده، ويجاهد بماله ونفسه، فهذا أيضاً كافر، فإنهم لو يأمرونه بترك صوم رمضان ولا يمكنه الصيام إلا بفراقهم فَعَلْ، ولو يأمرونه بتزويج امرأة أبيه ولا يمكنه ذلك إلا بفراقهم فَعَلْ، وموافقتهم على الجهاد معهم بنفسه وماله - مع أنهم يريدون بذلك قَطْعُ^٥ دين الله ورسوله - أكبر من ذلك بكثير كثير، فهذا

^١ أي تَبَيَّنَ حاله وأنه عدو للدين لما سبَّ دين الرسول ﷺ كما سيأتي في كلامه.

^٢ سورة البقرة: ٨٩.

^٣ سورة التوبة: ١٢.

^٤ سورة محمد: ٩.

^٥ أي زواله.

أيضاً كافر، وهو ممن قال الله فيهم ﴿ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم﴾ - إلى قوله - ﴿سلطاناً مبيناً﴾^١، فهذا الذي نقول.

وأما الكذب والبُهتان فمثل قولهم: إنا نُكفِّر بالعموم، ونُوجب الهجرة إلينا على من قدير على إظهار دينه، وإنا نُكفِّر من لم يُكفِّر ومن لم يقاتل، ومثل هذا وأضعاف أضعافه، فكل هذا من الكذب والبُهتان الذي يصدون به الناس عن دين الله ورسوله.

وإذا كنا لا نُكفِّر مَنْ عَبَدَ الصنم الذي على عبد القادر، والصنم الذي على قبر أحمد البدوي وأمثالهما لأجل جهلهم وعدم من ينبههم؛ فكيف نُكفِّر من لم يُشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا، أو لم يُكفِّر ويقاتل؟ سبحانك هذا بهتان عظيم. بل نُكفِّر تلك الأنواع الأربعة لأجل محادّتهم لله ورسوله، فرحم الله امرأً نظراً نفسه، وعرف أنه مُلاقٍ الله الذي عنده الجنة والنار، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.^٢

^١ سورة النساء: ٩١ .

^٢ انتهى كلامه رحمه الله، وهو مثبت في «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (١٠٢/١ - ١٠٤).

كلمة عامة في أنواع التوحيد

تأليف

الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (١٢٩٣ هـ)

رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب^١، رحمهم الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم رحمك الله أن الله تعالى خلق الخلق لعبادته الجامعة لمعرفته ومحبته والخضوع له وتعظيمه والإنابة إليه والتوكل عليه، وإسلام الوجه له، وهذا هو الإيمان المطلق المأمور به في جميع الكتب السماوية، وسائر الرسالات النبوية.

ويدخل في باب معرفة الله تعالى؛ توحيد الأسماء والصفات، فيوصف سبحانه بما وُصف به نفسه من صفات الكمال ونعوت^٢ الجلال، وبما وصفه به رسوله ﷺ، لا يُتجاوز ولا يُوصف إلا بما ثبت في الكتاب والسنة.

وجميع ما في الكتاب والسنة يجب الإيمان به من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، قال الله تعالى ﴿والله الأسماء الحسنى﴾، فأسماءه كلها حسنى، لأنها تدل على الكمال المطلق، والجلال المطلق، والصفات الجميلة، فنُثبت ما أثبتته الرب لنفسه، وما أثبتته رسوله ﷺ، لا نُعطّله، ولا نُلجّد فيه، ولا نُشبّه صفات الخالق بصفات المخلوق، فإن تعطيل الصفات عما دلت عليه كفر، والتشبيه فيها كذلك كفر، وقد قال مالك بن أنس رحمه الله لما سأله رجل فقال: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾، كيف استوى؟

فاشتد ذلك على مالك رحمه الله حتى علّنه الرُحضاء^٣، إجلالاً لله وهيبة له من الخوض في ذلك، ثم قال رحمه الله: (الاستواء معلوم، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة)^٤، يريد رحمه الله السؤال عن الكيفية^٥. وهذا الجواب يقال في جميع الصفات، لأنه يجمع الإثبات والتنزيه.

ويدخل في الإيمان بالله ومعرفته؛ الإيمان به وبربوبيته العامة الشاملة لجميع الخلق والتكوين، وقيوميته^٦ العامة الشاملة لجميع التدبير والتيسير والتمكين، فالمخلوقات بأسرها مفتقرة إلى الله في قيامها وبقائها وحركاتها وسكناتها وأرزاقها وأفعالها، كما هي

^١ تقدم التعريف به في الرسالة السادسة.

^٢ النعوت جمع نعت، وهو الوصف.

^٣ الرُحضاء أي العرق.

^٤ رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٢/٤٤١)، بلفظ (والاستواء منه غير مجهول)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٦٧)، بلفظ (الاستواء غير مجهول)، وقوله (غير مجهول) في الروايتين تعني أنه معلوم، أي أن معنى الاستواء معلوم، وهو العلو والارتفاع، وقال الذهبي: هذا ثابت عن مالك. انظر «العلو»، ص ١٣٨، الناشر: مكتبة أضواء السلف - الرياض.

^٥ يقصد الشيخ أن السؤال عن الكيفية هو المقصود بوصف مالك أنه بدعة.

^٦ القيوم هو الذي تقوم بأمره شؤون الدنيا والآخرة، والذي يقوم بنفسه ويقوم به غيره، قال تعالى ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾.

مفتقرة إليه في خلقها وإنشائها وإبداعها، قال تعالى ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد﴾ * إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد * وما ذلك على الله بعزيز.

ويدخل في الإيمان به إيمان العبد بتوحيد الإلهية، الذي تضمنته شهادة الإخلاص «لا إله إلا الله»، فقد تضمنت نفي استحقاق العبادة بجميع أنواعها عما سواه تبارك وتعالى من كل مخلوق ومربوب، وأثبتت^١ ذلك على وجه الكمال الواجب والمستحب لله تعالى، فلا شريك له في فرد من أفراد العبادة، إذ هو الإله الحق المستحق المستقل بالربوبية والملك والعز والغنى والبقاء، وما سواه فقير مربوب، مُعَبَّدٌ خاضع، لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، فعبادة سواه من أظلم الظلم، وأسفه السفه، والقرآن كله رادٌّ على من أشرك بالله في هذا التوحيد، مُبْطِلٌ لمذاهب جميع أهل الشرك والتنديد، أمر مُرْعَبٌ في إسلام الوجه لله والإنابة إليه، والتوكل عليه، والتبُّل في عبادته.

ومعنى العبادة في أصل اللغة^٢ لمطلق الذل والخضوع، ومنه طريق مُعَبَّد، إذا كان مذلا قد وطأته الأقدام، كما قال الشاعر:

ثُبَّارِي عِتَاقًا نَاجِيَاتٍ^٣ وَأَتْبَعْتُ وَظِيْفًا وَظِيْفًا فَوْقَ مُورٍ مُعَبَّدٍ^٤

واستعملها الشارع في العبادة الجامعة لكمال المحبة وكمال الذل والخضوع، وأوجب الإخلاص له فيها، كما قال تعالى ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين﴾ * ألا لله الدين الخالص، وهذا هو التوحيد الذي جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب، والعبادة إذا خالطها الشرك أفسدها وأبطلها، ولا تسمى عبادة إلا مع التوحيد. قال ابن عباس: ما جاء في القرآن من الأمر بعبادة الله إنما يُراد به التوحيد. انتهى.

ويدخل في العبادة الشرعية كل ما شرعه الله ورضيَّه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، كمحبة الله وتعظيمه وإجلاله وطاقته، والتوكل عليه والإنابة إليه، ودعائه خوفاً وطمعاً، وسؤاله رغباً ورهباً، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، والوفاء بالعهود، وصلة الأرحام، والإحسان إلى الجار واليتيم والمملوك والمسكين وابن السبيل، وكذا النحر والنذر، فإنهما من أجل العبادات وأفضل الطاعات، وكذا الطواف ببيته تعالى، وحلق الرأس تعظيماً وعبوديةً، وكذا سائر الواجبات والمستحبات، فحقُّ الله على العباد أن يعبدوه وحده لا شريك له، ولا يشركوا به شيئاً.

^١ أي كلمة «لا إله إلا الله».

^٢ هذا شروع في بيان الموضوع الثاني في هذه الرسالة.

^٣ الناجيات أي السراع.

^٤ الوظيف هو عظم الساق، فقوله (أتبعت وظيفاً وظيفاً) أي أتبعت وظيف يدها وظيف رجلها إذا سارت.

^٥ البيت لطرفة بن العبد، يصف طرفة ناقة من النياق، لعلها ناقته، فيقول أنها تجاري العناق وهي كرام الإبل، أي تباريها في سيرها على (مورٍ معبدٍ)، وهاتان الكلمتان هما الشاهد، فمعنى مور أي طريق، أي أنها تسير على طريق مُدَلِّل، وبهذا يكون معنى العبادة هو التدليل.

والشرك في العبادة^١ ينافي هذا التوحيد ويبطله كما قال تعالى لما ذكر حال خواص أوليائه ومُقَرَّبِي رسله، ﴿ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون﴾.

والشرك قد عَرَفَهُ النَّبِيُّ ﷺ بتعريف جامع، كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله، أيُّ الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك.^٢

والنَّدُّ: المثلُّ والشبيه، فمن صرف شيئاً من العبادات لغير الله فقد أشرك به شركاً يُبطلُ التوحيد وينافيه، **لأنه شبه المخلوق بالخالق وجعله في مرتبته**، ولهذا كان أكبر الكبائر على الإطلاق، ولما فيه من سوء الظن به تعالى، كما قال الخليل عليه السلام ﴿إفكاً آلهة دون الله تريدون﴾* فما ظنكم برب العالمين، قال العلامة ابن القيم رحمه الله: (أي فما ظنكم أن يجازيكم إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره؟ وما ظننتم به حتى عبدتم معه غيره؟ وما ظننتم بأسمائه وصفاته وربوبيته من النقص حتى أخوَجَكُم ذلك إلى عبودية غيره؟

فلو ظننتم به ما هو أهله من أنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه غني عن كل ما سواه، وكل ما سواه فقير إليه، وأنه قائم بالقسط على خلقه، وأنه المتفرد بتدبير خلقه، لا يشركه فيه غيره، والعالم بتفاصيل الأمور، فلا تخفى عليه خافية من خلقه، والكافي لهم وحده، فلا يحتاج إلى مُعين، والرحمن بذاته، فلا يحتاج في رحمته إلى مَنْ يستعطفه، وهذا بخلاف الملوك وغيرهم من الرؤساء، فإنهم محتاجون إلى من يعرفهم أحوال الرعية وحوائجهم، والذي يُعينهم على قضاء حوائجهم، وإلى مَنْ يسترحمهم ويستعطفهم بالشفاعة، فاحتاجوا إلى الوسائط ضرورةً لحاجتهم وضعفهم وعجزهم وقصور علمهم. فأما القادر على كل شيء، الغني بذاته عن كل شيء، العالم بكل شيء، الرحمن الرحيم، الذي وسعت رحمته كل شيء؛ فإدخال الوسائط بينه وبين خلقه تنقُصُ بحق ربوبيته وإلهيته وتوحيده، وظنُّ به ظن السوء، وهذا يستحيل أن يشرعه لعباده، ويمتنع في العقول والفطر جوازه، وقُبِحه مستقر في العقول السليمة فوق كل قبيح)^٣. انتهى.

إذا عرفت هذا؛ فصالح العباد وفلاحه وسعادته ونجاته وسروره ونعيمه في إفراد الله بهذه العبادات، والإنابة إليه بما شرعه لعباده منها، وأصلها كمال المحبة وكمال الذل والخضوع كما تقدم، هذا سر العبادات وروحها، ولا بُدَّ في عبادة الله من كمال الحب وكمال الخضوع، فأحب خلق الله إليه وأقربهم منزلة عنده من قام بهذه المحبة والعبودية، وأثنى عليه سبحانه بذكر أوصافه الجليلة، فمن أجل ذلك كان الشرك أبغض الأشياء إليه، لأنه يُنقص هذه المحبة والخضوع والإنابة والتعظيم، ويجعل ذلك^٤ بينه وبين

^١ هذا شروع في بيان الموضوع الثالث في هذه الرسالة.

^٢ رواه البخاري (٦٠٠١)، ومسلم (٨٦).

^٣ «الداء والدواء» (ص ٢١٢)، الناشر: دار ابن الجوزي - الدمام.

^٤ أي تلك المحبة والخضوع والإنابة والتعظيم.

من أشرك به، والله لا يغفر أن يشرك به، لأنه يتضمن التسوية بينه تعالى وبين غيره في المحبة والتعظيم وغير ذلك من أنواع العبادة، قال تعالى ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حُبًّا لله﴾، أخبر سبحانه أن من أحب شيئًا دون الله كما يحب الله فقد اتخذ ندًا، وهذا معنى قول المشركين لمعبودهم ﴿تالله إن كنا لفي ضلال مبين﴾ * إذ نسويكم برب العالمين، فهذه تسوية في المحبة والتأله، لا في الذات والأفعال والصفات، فمن صرف ذلك لغير إله الحق فقد أعرض عنه، وأبقى^٢ عن مالكة وسيدة، فاستحق مقتته وبغضه وطرده عن دار كرامته ومنزل أحبائه.

(والحبة ثلاثة أنواع^٣: محبة طبيعية، كمحبة الجائع للطعام، والظمان للماء، وغير ذلك، وهذه لا تستلزم التعظيم.

والنوع الثاني محبة رحمة وإشفاق، كمحبة الوالد لولده الطفل ونحوها، وهذه أيضًا لا تستلزم التعظيم.

والنوع الثالث محبة أنس وألفة، وهي محبة المشتركين في صناعة أو علم أو مرافقة أو تجارة أو سفر لبعضهم لبعض، وكمحبة الإخوة بعضهم بعضًا.

فهذه المحبة التي تصلح للخلق بعضهم لبعض، ووجودها فيهم لا يكون شرًا في محبة الله سبحانه، ولهذا كان رسول الله ﷺ يحب الحلوى والعسل، وكان أحب الشراب إليه الخلو البارد، وكان أحب اللحم إليه الذراع، وكان رسول الله ﷺ يحب نساءه، وكانت عائشة أحبهن إليه، وكان يحب أصحابه، وأحبهم إليه الصديق.

وأما المحبة الخاصة التي لا تصلح إلا لله وحده، ومتى أحب العبد بها غيره كان شرًا لا يغفره الله فهي محبة العبودية، المستلزمة للذل والخضوع والتعظيم وكمال الطاعة، وإيثاره على غيره، فهذه المحبة لا يجوز تعليقها بغير الله أصلاً، وهي التي سوى المشركون بين آلهتهم وبين الله فيها.

وهي^٤ أول دعوة الرسل، وآخر كلام العبد المؤمن الذي إذا مات عليه دخل الجنة باعترافه وإقراره بهذه المحبة وإفراد الرب بها، فهي أول ما يدخل به في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا إلى الله، وجميع الأعمال كالأدوات والآلات لها، وجميع المقامات وسائل إليها، وأسباب لتحصيلها وتكملها وتحسينها من الشوائب والعلل، فهي قطب رحي السعادة، وروح الإيمان، وساق شجرة الإسلام، ولأجلها أنزل الله الكتاب والحديد، فالكتاب هادٍ إليها، ودالٌّ عليها، ومفصلٌ لها، والحديد لمن خرج عنها، وأشرك مع الله غيره فيها، ولأجلها خلقت الجنة والنار، فالجنة دار أهلها الذين أخلصوها الله وحده، فأخلصهم لها،

^١ أي الله تعالى.

^٢ أبقى أي هرب.

^٣ هذا شروع في بيان الموضوع الرابع في هذه الرسالة.

^٤ أي المحبة الخاصة، والتي هي محبة العبودية لله.

^٥ يعني بالحديد السيف.

والنار دار من أشرك فيها مع الله غيره، وسوى بينه وبين الله فيها، فالقيام بها واجبٌ علمًا وعملاً وحالاً، وتصحيحها هو تصحيح شهادة أن «لا إله إلا الله».

فحقيق لمن نصَح نفسه وأحبَّ سعادتها ونجاتها أن يتيقَّظ لهذه المسألة، وتكون أهم الأشياء عنده، وأجل علومه وأعماله، فإن الشأن كله فيها، والمدار عليها، والسؤال يوم القيامة عنها، كما قال تعالى ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين * عما كانوا يعملون﴾. قال غير واحد من السلف: هو عن قول «لا إله إلا الله».

وهذا حق، فإن السؤال كله عنها، وعن أحكامها وحقوقها وواجباتها ولوازمها، قال أبو العالية: كلمتان يُسأل عنهما الأولون والآخرون؛ ماذا كنتم تعبدون، وماذا أجبتم المرسلين؟^١ فالسؤال عن: ماذا كانوا يعبدون؟؛ هو السؤال عنها نفسها.

والسؤال عن: ماذا أجابوا المرسلين؟؛ سؤال عن الوسيلة والطريق المؤدية إليها، هل سلكوها، وأجابوا الرسل لما دعوهم إليها؟ فعاد الأمر كله إليها.

وأمرٌ هذا شأنه حقيقٌ بأن تُثنى عليه الخناصرُ، ويُعَصَّ عليه بالنواجذِ، ويُقبَضُ فيه على الجمرِ، ولا يُؤْخَذُ بأطراف الأنامِلِ، ولا يُطلبُ على فضلةٍ^٢، بل يُجعل هو المطلب الأعظم، وما سواه إنما يُطلب على الفضلة^٣. والله المستول أن يمن علينا بتحقيق ذلك علمًا وعملاً وحالاً، ونعوذ بالله أن يكون حظنا من ذلك مجرد حكايته، وصلى الله على عبده ورسوله محمد، النبي الأمي، وعلى آله صحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا^٤.

^١ روى ابن جرير بإسناده عن أبي العالية في تفسير قوله تعالى ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين * عما كانوا يعملون﴾، قال: يُسأل العباد كلهم عن خلتين يوم القيامة؛ عما كانوا يعبدون، وعما أجابوا المرسلين.

تفسير سورة الحجر، الآيات ٩٢ - ٩٣ .

وقال ابن القيم رحمه الله: وهاتان الكلمتان هما مضمون الشهادتين.

«الرسالة التبوكية»، ص ٨٠، الناشر: مكتبة الخراز - جدة.

^٢ الفضلة هي بقية الشيء، كما يقال: فضل الطعام.

^٣ من قوله (والحجة ثلاثة أنواع) إلى هنا منقول من كلام لابن القيم رحمه الله في كتابه «طريق المهجرتين»، فصل: حد للمحبة والكلام عليه، ص ٦٤١ - ٦٤٥، باختصار. (تحقيق: محمد أجمل الصلاحى، الناشر: دار عالم الفوائد - مكة)

^٤ انتهى كلامه رحمه الله، وهذه الرسالة مثبتة في «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٣١٥/٢ - ٣٢٣) و «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية»، (٣١٩/٣ - ٣٢٥)، وبينهما فروقات يسيرة، وقد اخترت منها ما هو أنسب للسياق، وأما النقول عن ابن القيم رحمه الله فضبطتها من مصادرها.

معنى «لا إله إلا الله»، وذكر شروطها ونواقضها

تأليف

الشيخ سليمان بن سحمان (١٣٤٩ هـ)

رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

سُئِلَ أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحمد بن ناصر^١، رحمهم الله تعالى، عن الشرك بالله، ما هو الأكبر الذي دُم فاعله، وماله حلال لأهل الإسلام، ولا يُغفر لمن مات عليه، وما هو الأصغر، فأجابوا^٢:

قد ذكر العلماء رحمهم الله أن الشرك نوعان؛ أكبر وأصغر، فالأكبر أن يجعل لله نداً من خلقه، يدعو كما يدعو الله، ويخافه كما يخاف الله، ويرجوه كما يرجو الله، ويتوكل عليه في الأمور كما يتوكل على الله.

والحاصل أن من سَوَّى بين الله وبين خلقه في عبادته ومعاملته فقد أشرك بالله الشرك الأكبر الذي لا يغفره، كما دل على ذلك قوله تعالى ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله﴾ إلى قوله ﴿وما هم بخارجين من النار﴾^٣، وقال تعالى عن أهل النار ﴿تالله إن كنا لفي ضلال مبين * إذ نسويكم برب العالمين﴾^٤، قال بعض المفسرين: والله ما ساووههم بالله في الخلق والرزق والتدبير، ولكن ساووههم في المحبة والإجلال والتعظيم. وقال تعالى ﴿ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾^٥، أي يعدلون به في العبادة.

ولهذا اتفق العلماء كلهم على أن من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم؛ فقد كفر، لأن هذا كُفْر عابدي الأصنام، قائلين ﴿ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون^٦، ثم شهد عليهم

^١ هو الشيخ العلامة حمد بن ناصر آل معمر، ولد عام ١١٦٠ هـ في بلدة العيينة، نشأ في بيت حكم وإمارة، فأبأوه هم أمراء نجد في القرنين الحادي عشر والثاني عشر، أخذ العلم عن جماعة من العلماء، منهم إمام الدعوة في زمانه، الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ولما بلغ في العلم مبلغاً كبيراً جلس للتدريس في العيينة، فدرس على يديه أئمة في العلم والعمل، وهم الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد ابن عبد الوهاب، والشيخ عبد الرحمن بن حسن، والشيخ عبد الله أبابطين، رحمهم الله.

وفي سنة ١١٢٢ هـ تولى رئاسة القضاء في مكة المكرمة، وتوفي فيها عام ١٢٢٥ هـ، رحمه الله.

باختصار وتصرف من ترجمته في مقدمة كتاب «النبهة الشريفة النفيسة في الرد على القبوريين»، وهي من إعداد الشيخ د. عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم رحمه الله.

^٢ في نسخة «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» (١٠٢/٥) أن المسؤول هو الشيخ عبد العزيز قاضي الدرعية ومن حوله من العلماء، هكذا بدون ذكر نسبة للشيخ عبد العزيز رحمه الله، وأن هذه الإجابة تتقدم إجابات على عدة مسائل قد جمعت في مجموع واحد ووسموه «المسائل الشرعية إلى علماء الدرعية».

^٣ سورة البقرة: ١٦٥ - ١٦٧ .

^٤ سورة الشعراء: ٩٧ - ٩٨ .

^٥ سورة الأنعام: ١ .

بالكذب والكفر فقال ﴿إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار﴾^١ فهذا حال من اتخذ من دون الله أولياء يزعم أنهم يقربونه إلى الله.

وقال ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾^٢، وقد أنكره الله في كتابه وأبطله^٣، وأخبر أن الشفاعة كلها له، وأنه لا يشفع عنده أحد إلا لمن أذن له أن يشفع فيه، ورضي قوله وعمله، وهم أهل التوحيد الذين لم يتخذوا من دون الله شفعاء، فإنه سبحانه يأذن في الشفاعة لهم حيث لم يتخذوا من دون الله شفيعاً، فيكون أسعد الناس بشفاعة الشفعاء صاحب التوحيد الذي حقق قول «لا إله إلا الله».

والشفاعة التي أثبتها الله ورسوله هي الشفاعة الصادرة عن من أذن له لمن وحّده، والشفاعة التي نفاها الله؛ الشركية التي يظنها المشركون، فيعاملون بنقيض قصدهم، ويفوز بها الموحدون، فتأمل قوله ﷺ لأبي هريرة وقد سأله: من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟

قال: من قال «لا إله إلا الله» خالصاً من قلبه.^٤

فجعل أعظم الأسباب التي ينال بها الشفاعة تجريد التوحيد، عكس ما اعتقد المشركون؛ أن الشفاعة تُنال باتخاذهم شفعاء وعبادتهم وموالاتهم من دون الله، فقلب النبي ﷺ زعمهم الكاذب، وأخبر أن سبب الشفاعة **تجريد التوحيد**، فحينئذٍ يأذن الله للشافع أن يشفع فيه.

ومن جهل المشرك اعتقاده إن اتخذ من دون الله شفيعاً أن يشفع له وينفعه، كما يكون عند خواص الملوك والولاة، ولم يعلموا أن الله لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ولا يأذن في الشفاعة إلا لمن رضي قوله وعمله، كما قال تعالى في **الفصل الثاني**^٥ ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾^٦.

وبقي **فصل ثالث**، وهو أنه ما يرضى من القول والعمل إلا التوحيد واتباع الرسول، وعن هاتين الكلمتين يُسأل الأولون والآخرون، كما قال أبو العالية: كلمتان يسأل عنهما الأولون والآخرون؛ ماذا كنتم تعبدون؟، وماذا أجبتكم المرسلين؟^١

^١ سورة الزمر: ٣ .

^٢ سورة يونس: ١٨ .

^٣ أي أنكر اتخاذ أولياء ووسائط بحجة أنهم يُقربون ويشفعون إلى الله.

^٤ رواه البخاري (٩٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه: خالصاً من قلبه، أو نفسه.

ورواه أحمد (٣٧٣/٢) ولفظه: خالصة من قبل نفسه.

^٥ الفصل الأول هو تجريد التوحيد، ولعله يقصد بالفصل الشرط، والفصل الثاني أو الشرط الثاني هو أن يرضى الله قوله وعمله، ودليله الآية اللاحقة.

^٦ سورة الأنبياء: ٢٨ .

فهذه ثلاثة أصول تُقَطَّع شجرة الشرك من قلب من وعابها وعقلها، فالأول أنه لا شفاعَة إلا بإذنه، والثاني أنه لا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله، والثالث أنه لا يرضى من القول والعمل إلا توحيدَه واتباع رسوله.

(وقد قطع الله تعالى كل الأسباب^٢ التي يتعلق بها المشركون قطعاً جميعاً، قطعاً يعلم من تأمله وعرفه أن من اتخذ من دون الله ولياً أو شفعياً فهو ﴿كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً﴾، وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت^٣، فقال تعالى ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير * ولا تنفع الشفاعَة عنده إلا لمن أذن له﴾^٤، فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يعتقد أنه يحصل له به من النفع، والنفع لا يكون إلا لمن فيه خصلة من هذه الأربع:

إما مالك لما يريده عابده منه.

فإن لم يكن مالكا كان شريكاً للمالك.

فإن لم يكن شريكاً له كان معيناً له وظهيراً.

فإن لم يكن معيناً ولا ظهيراً كان شفعياً عنده.

فنفي سبحانه المراتب الأربع نفياً مترتباً، منتقلاً من الأعلى إلى ما دونه، فنفي الملك والشرك والمظاهرة والشفاعة التي يظنها المشرك، وأثبت شفاعَةً لا نصيب فيها لمشرك، وهي الشفاعَة بإذنه، فكفى بهذه الآية نوراً وبرهاناً ونجاةً وتجريداً للتوحيد، وقطعاً لأصول الشرك وموادّه لمن عقلها.

والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها، ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحتَه، وتضمنه له، ويظنونَه في نوع وفي قوم قد خلوا من قبل ولم يُعقبوا وارثاً، وهذا هو الذي يُحُول بين القلب وبين فهم القرآن، ولَعمر الله إن كان أولئك قد خلوا؛ فقد ورثهم من هو مثلهم أو شر منهم أو دونهم، وتناول القرآن لهم كتناؤله لأولئك.

ولكن الأمر كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إنما تُنْقَض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية)، وهذا لأنه إذا لم يعرف الجاهلية والشرك، وما عابه القرآن ودَمَّه، وقع فيه وأقَرَّه، ودعا إليه وصوبه وحسنه،

^١ روى ابن جرير بإسناده عن أبي العالية في تفسير قوله تعالى ﴿فوريك لنسألنهم أجمعين * عما كانوا يعملون﴾، قال: يُسأل العباد كلهم عن حَلَّتَيْن يوم القيامة؛ عما كانوا يعبدون، وعما أجابوا المرسلين.

تفسير سورة الحجر، الآيات ٩٢ - ٩٣ .

قال ابن القيم رحمه الله: وهاتان الكلمتان هما مضمون الشهادتين.

«الرسالة التبوكية» (ص ٨٠)، الناشر: مكتبة الخراز - جدة.

^٢ هذا المقطع من كلام ابن القيم رحمه الله.

^٣ سورة العنكبوت: ٤١ .

^٤ سورة سبأ: ٢٢ - ٢٣ .

وهو لا يعرف أنه هو الذي كان عليه أهل الجاهلية أو نظيره أو شر منه أو دونه، فينقض بذلك عُرى الإسلام عن قلبه، ويعود المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، والبدعة سنة، والسنة بدعة، ويكفر الرجل بمحض الإيمان وتجريد التوحيد، ويُبدع بتجريد متابعة الرسول ﷺ، ومفارقة الأهواء والبدع، ومن له بصيرة وقلب حي يرى ذلك عياناً، والله المستعان.^١

والكلام في هذه المسألة يحتاج إلى بسط طويل ليس هذا محله، وإنما نبهناك على ذلك تنبيهاً يعرف به كل من نُور الله قلبه حقيقة الشرك الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة منه، وحرّم الجنة على فاعله.

ولكن من أعظم أنواعه وأكثره وقوعاً في هذه الأزمان طلب الحوائج من الموتى، والاستغاثة بهم، والتوجه إليهم، وهذا أصل شرك العالم، كما ذكره المفسرون عند قوله تعالى حكاية عن قوم نوح ﴿وقالوا لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا وداً ولا سواها ولا يغوث ويعوق ونسرًا﴾^٢: (إن هذه أسماء رجال صالحين في قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم)^٣، كما ذكر البخاري في «صحيحه» في تفسير سورة نوح، وكما ذكر غيره من أهل العلم، والله سبحانه وتعالى أعلم.

وأما الشرك الأصغر فكيسير الرياء، والحلف بغير الله، كما ذكر عن النبي ﷺ أنه قال: من حلف بغير الله فقد أشرك.^٤ ومن ذلك قول الرجل: ما شاء الله وشئت، وهذا من الله ومنك، وأنا بالله وبك، وما لي إلا الله وأنت، وأنا متوكل على الله وعليك، ولولا أنت لم يكن كذا وكذا.

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال له رجل: ما شاء الله وشئت، فقال: أ جعلتني لله نِدّاً؟ قل: ما شاء الله وحده.^٥

^١ «مدارج السالكين» (١/٦٠٠-٦٠١)، منزلة التوبة. (تحقيق عبد العزيز بن ناصر الجليل - الناشر: دار طيبة - الرياض).

^٢ سورة نوح: ٢٣.

^٣ انظر صحيح البخاري (٤٩٢٠)، و تفسير ابن جرير، سورة نوح: ٢٤.

^٤ رواه أبو داود (٣٢٥١) وابن حبان (٤٣٥٨) وأحمد (٦٩/٢)، وأبو عوانة (٥٩٦٧).
ورواه الترمذي (١٥٣٥)، بلفظ: من حلف بغير الله فقد كفر - أو أشرك - . (شك الراوي).
واللفظ الأول هو المعتمد لكثرة روايته، قاله الشيخ محمد علي آدم الأثيوبي حفظه الله.
والحديث صححه الألباني رحمه الله.

^٥ رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٨٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ورواه النسائي في «الكبرى» (10759) بلفظ: أ جعلتني لله عِدلاً.

ورواه البيهقي (٢١٧/٣) وأحمد (٢١٤/١) بلفظ: أ جعلتني والله عِدلاً؟ بل ما شاء الله وحده.

وهو حديث حسن كما قاله محققو «المسند».

وانظر «السلسلة الصحيحة» (١٣٩).

وهذه اللفظة أخف من غيرها من الألفاظ، وقد يكون هذا شركاً أكبر بحسب حال قائله ومقصده، وهذا الذي ذكرنا متفق عليه بين العلماء - رحمهم الله تعالى - أنه من الشرك الأصغر، كما أن الذي قبله متفق عليه أنه من الشرك الأكبر.

واعلم أن التوبة مقبولة منهما^١ ومن سائر الذنوب قطعاً إذا صحت التوبة واستُكملت شروطها، لكن ابن عباس رضي الله عنهما ومن تبعه قال: (لا تقبل توبة القاتل)، وقد ناظر ابن عباس أصحابه، وخالفه جمهور العلماء في ذلك، وقالوا: التوبة

وللفائدة، فقد روى النسائي في «الكبرى» (10758) عن جابر رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي ﷺ فكلّمه فقال: ما شاء الله، (يعني: وشتت). فقال: ويلك، أ جعلتني والله عدلاً؟ قل: ما شاء الله وحده.

وروى الطيالسي (٤٣١) عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله وحده. ورواه النسائي في «الكبرى» (١٠٧٥٥)، وأبو داود (٤٩٨٠)، والبيهقي في «الكبرى» (٢١٦/٣)، وأحمد في «مسنده» (٣٨٤/٥) بلفظ: قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان.

وصححه الألباني كما في «السلسلة الصحيحة» (١٣٧).

وروى أحمد في «مسنده» (٧٢/٥) عن طفيل بن سخبرة أخي عائشة لأمها أنه رأى فيما يرى النائم كأنه مر برهط من اليهود فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن اليهود. قال: إنكم أنتم القوم لولا أنكم تزعمون إن عزيّاً ابن الله. فقالت اليهود: وأنتم القوم لولا أنكم تقولون: (ما شاء الله وشاء محمد).

ثم مر برهط من النصارى فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن النصارى. فقال: إنكم أنتم القوم لولا أنكم تقولون: (المسيح ابن الله). قالوا: وإنكم أنتم القوم لولا أنكم تقولون: (ما شاء الله وما شاء محمد).

فلما أصبح أخبر بها من أخبر، ثم أتى النبي ﷺ فأخبره فقال: هل أخبرت بها أحداً؟

قال عفان: قال: نعم. فلما صلوا خطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن طفيلاً رأى رؤيا فأخبر بها من أخبر منكم، وإنكم كنتم تقولون كلمة كان يمنعني الحياء منكم إن أمّاكم عنها، قال: لا تقولوا: ما شاء الله وما شاء محمد. وصححه الألباني كما في «السلسلة الصحيحة» (١٣٨).

ورواه عبد الرزاق (١٩٨١٣) في مصنفه، وابن حبان كما في «مؤلفه» (١٩٩٨).

وروى البيهقي في «الكبرى» (٢١٦/٣) والنسائي في «المجتبى» (٣٧٨٢) - واللفظ للبيهقي - عن قتيبة بنت صيفي الجهني قالت: جاء خبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، نعم القوم أنتم لولا أنتم تشركون. قال: سبحان الله! وما ذلكم؟ قال: تقولون إذا حلفتكم بالكعبة.

فأمهل النبي ﷺ ثم قال: من حلف فليحلف برب الكعبة. ثم قال: نعم القوم أنتم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء فلان. فأمهل رسول الله ﷺ ثم قال: من قال (ما شاء الله) فليجعل بينهما: ثم شئت.

وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٣٦).

قال محققو «المسند» (٣٨/٣٠٠) وفقهم الله: ويُقاس على هذا كل لفظ يوهّم التسوية بين الخالق وبين المخلوق، مثل قول العامة وأشباههم: توكلنا على الله وعليك، وما لي غير الله وغيرك، وباسم الله والشعب، مما ينبغي تحجبه والانتهاه عنه والتوبة منه، أدباً مع الله سبحانه.^١ أي من الشرك الأكبر والأصغر.

تأتي على كل ذنب، فكل ذنب يمكن التوبة منه وتقبل، واحتجوا بقوله تعالى ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم﴾^١، وبقوله تعالى ﴿وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى﴾^٢، فإذا تاب هذا القاتل وآمن وعمل صالحاً فإن الله عز وجل غفار له.^٣

^١ سورة الزمر: ٥٣ .

^٢ سورة طه: ٨٢ .

^٣ انتهى كلامهم رحمهم الله، وهو مثبت في «الدرر السنية من الأجوبة النجدية» (١٩٥/٢ - ٢٠٠)، و«مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» (٥٦٤/٥ - ٥٦٨)، وبينهما فروقات يسيرة، وقد اخترت منها ما هو أنسب للسياق، أما الأحاديث فضبطتها من مصادرها.

تحريم دعاء غير الله من كلام بعض علماء المذاهب الأربعة

تأليف

الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١١١٥ - ١٢٠٦ هـ)

ويليه رسالتان:

○ هل يَحْرُمُ دم من دعا غير الله

○ بطلان قول الفلاسفة في جواز دعاء الموتى

لحفيدة

الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب

(١١٩٦ - ١٢٨٥ هـ)

رحمهما الله تعالى

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب^١ رحمه الله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى مَنْ يَصِلُ إليه من علماء الإسلام، آنس الله بهم غربة الدين، وأحيا بهم سنة إمام المتقين، ورسول رب العالمين، سلام عليكم معشر الإخوان ورحمة الله وبركاته.

أما بعد:

فإنه قد جرى عندنا فتنة عظيمة، بسبب أشياء نحيثُ عنها بعض العوام، من العادات التي نشئوا عليها، وأخذها الصغير عن الكبير، مثل عبادة غير الله، وتوابع ذلك، من تعظيم المشاهد وبناء القباب على القبور وعبادتها واتخاذها مساجد، وغير ذلك مما بيَّنه الله ورسوله غاية البيان، وأقام الحجة، وقطع المَعذرة، ولكن الأمر كما قال ﷺ: بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ.^٢

فلما عَظُم العوام قَطَعَ عاداتهم^٣، وساعدَهُم على إنكار دين الله بعض من يدَّعي العلم، وهو من أبعد الناس عنه، إذ العالم من يخشى الله، فأرضى الناس بسخط الله، وفتح للعوام باب الشرك بالله، وزين لهم، وصدَّهم عن إخلاص الدين لله، وأوهمهم أنه من تنقيص الأنبياء والصالحين، وهذا بعينه هو الذي جرى على رسول الله ﷺ، لما ذكر أن عيسى عليه السلام عبد

^١ تقدم التعريف به في الرسالة الأولى.

^٢ ورد الخبر بغربة الإسلام في أربعة أحاديث صحيحة، وهي:

الأول: حديث ابن عمر رضي الله عنهما الذي رواه مسلم (١٤٦) ولفظه: إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية إلى جحرها.

ومعنى يأرز أي ينضم ويجتمع. انظر «شرح النووي».

الثاني: حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي رواه مسلم (١٤٥) واللفظ له وابن ماجه (٣٩٨٦)، قال: قال رسول الله ﷺ: بدأ الإسلام غريباً، وسيعود كما بدأ غريباً، فطوبى للغرباء.

الثالث: حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الذي رواه الترمذي (٢٦٢٩) ولفظه: إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء.

والحديث صححه الألباني كما في «صحيح الترمذي».

الرابع: روى أحمد في مسنده (١٨٤/١) واللفظ له، وأبو يعلى في «مسنده» (٩٩/٢) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: إن الإيمان بدأ غريباً وسيعود كما بدأ، فطوبى يومئذٍ للغرباء إذا فسَدَ الناس، والذي نفسُ أبي القاسم بيده؛ ليأرزن الإيمان بين هذين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها.

قال محققو «المسند»: إسناده جيد.

^٣ أي صَغُب عليهم ذلك.

مربوب، ليس له من الأمر شيء؛ قالت النصراني: إنه سبَّ المسيح وأمه، وهكذا قالت الرافضة لِمَن عرّف حقوق أصحاب رسول الله ﷺ وأحبهم، ولم يغلّ فيهم؛ رَمَوْه ببغض أهل بيت رسول الله ﷺ .

وهكذا هؤلاء لما ذكروا لهم ما ذكره الله ورسوله وما ذكره أهل العلم من جميع الطوائف من الأمر بإخلاص الدين لله، والنهي عن مشابهة أهل الكتاب من قبلنا في اتخاذ الأحرار والرهبان أرباباً من دون الله؛ قالوا لنا: تنقصتم الأنبياء والصالحين والأولياء، والله تعالى ناصر لدينه ولو كره المشركون.

وها أنا أذكر مستندي في ذلك من كلام أهل العلم من جميع الطوائف، فرحم الله من تدبرها بعين البصيرة، ثم نصر الله ورسوله وكتابه ودينه، ولم تأخذه في ذلك لومة لائم.

فأما كلام الحنابلة؛ فقال الشيخ تقي الدين^١ رحمه الله لما ذكر حديث الخوارج:

فإذا كان في زمن النبي ﷺ وخلفائه ممن قد انتسب إلى الإسلام؛ من مرق^٢ منه مع عبادته العظيمة، فيُعلم أن المنتسب إلى الإسلام والسنة قد يبرق أيضاً، وذلك بأمور، منها الغلو الذي ذمه الله تعالى، كالغلو في بعض المسائل^٣، كالشيخ عدي، بل الغلو في علي بن أبي طالب، بل الغلو في المسيح، ونحوه.

فكل من غلا في نبي أو رجل صالح، وجعل فيه نوعاً من الإلهية، مثل أن يدعوه من دون الله، بأن يقول: (يا سيدي فلان أغثنِي، أو أجرنِي، أو أنت حسبي، أو أنا في حسبك)؛ فكل هذا شرك وضلال، يستتاب صاحبه، فإن تاب وإلا قتل، فإن الله أرسل الرسل ليعبد وحده، لا يُجعل معه إله آخر، والذين يجعلون مع الله آلهة أخرى، مثل الملائكة أو المسيح أو العزير أو الصالحين أو غيرهم؛ لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق وترزق، وإنما كانوا يدعونهم، يقولون ﴿هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾، فبعث الله الرسل تنهى أن يُدعى أحد من دون الله، لا دعاء عبادة، ولا دعاء استغاثة^٤. انتهى.

وقال في «الإقناع» في أول باب حكم المرتد: إن من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم فهو كافر إجماعاً.

وأما كلام الحنفية، فقال الشيخ قاسم في «شرح درر البحار»:

النذر الذي يقع من أكثر العوام، بأن يأتي إلى قبر بعض الصُّلَحَاء قائلًا: يا سيدي؛ إن رُد غائبِي، أو عُوِي مريضِي، أو قُضيت حاجتي؛ فلك من الذهب أو الطعام أو الشمع كذا وكذا؛ باطل إجماعاً، لوجوه منها:

^١ أي ابن تيمية رحمه الله.

^٢ المروق هو الخروج من شيء من غير مدخله، والمارقة الذين مرقوا من الدين لغلوهم فيه، والمروق سرعة الخروج من الشيء. انظر «لسان العرب».

^٣ لعل الصواب: المشايخ، جمع شيخ. انظر «لسان العرب»، مادة: شيخ.

^٤ مختصراً من «الرسالة السنية»، وتقع كاملة في «مجموع الفتاوى» (٣/٣٦٣-٤٣٠)، والذي نقله الشيخ منتقى من الصفحات (٣٨٣-٤٠٠).

أن النذر للمخلوق لا يجوز.

ومنها، أنه ظن الميت يتصرف في الأمر، واعتقاد هذا كفر، إلى أن قال: وقد ابْتُلي الناس بذلك ولا سيما في مولد الشيخ أحمد البدوي.

وقال الإمام البزازی في «فتاويه»: إذا رأى^١ رقص صوفية زماننا هذا في المساجد، مختلطاً بهم جهال العوام، الذين لا يعرفون القرآن والحلال والحرام، بل لا يعرفون الإسلام والإيمان، لهم نهيق يشبه نهيق الحمير؛ يقول: هؤلاء لا محالة اتخذوا دينهم هواً ولعباً، فويل للقضاة والحكام حيث لا يغيرون هذا مع قدرتهم.

وأما كلام الشافعية؛ فقال الإمام محدث الشام أبو شامة في كتاب «الباعث على إنكار البدع والحوادث» - وهو في زمن الشارح وابن حمدان - :

لكن نبين من هذا القسم ما وقع فيه جماعة من جهال العوام، المنابذين لشريعة الإسلام، التاركين للاقتداء بأئمة الدين من الفقهاء، وهو ما يفعله طوائف من المنتمين إلى الفقر، الذي حقيقته الافتقار من الإيمان، من مؤاخاة النساء الأجانب والخلوة بهن، واعتقادهم في مشايخ لهم. وأطال رحمه الله الكلام إلى أن قال:

وبهذه الطرق وأمثالها كان مبادئ ظهور الكفر من عبادة الأصنام وغيرها، ومن هذا القسم أيضاً ما قد عم الابتلاء به؛ من تزيين الشيطان للعامة تخليق الحيطان والعُمد، وسرج مواضع مخصوصة في كل بلد، يحكي لهم حاكٍ أنه رأى في منامه بما أحداً من شهر بالصلاح والولاية، إلى أن يعظم وقع تلك الأماكن في قلوبهم، ويعظمونها، ويرجون الشفاء لمرضاهم، وقضاء حوائجهم بالنذر لها، وهي ما بين عيون وشجر وحائط.

وفي مدينة دمشق، صانها الله تعالى من ذلك، مواضع متعددة.

ثم ذكر - رحمه الله - الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ لما قاله له بعض من معه: اجعل لنا ذات أنواط، قال: الله أكبر، قلتُم والذي نفس محمد بيده كما قال قوم موسى: ﴿اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة﴾^٢.

انتهى كلامه رحمه الله^٣.

وقال^١ في «اقتضاء الصراط المستقيم»: إذا كان هذا كلامه ﷺ في مجرد قصد شجرة لتعليق الأسلحة والعكوف عندها، فكيف بما هو أعظم منها: الشرك بعينه، بالقبور ونحوها؟^٢

^١ أي إذا رأى الموحد صاحب الحق، والفاعل ضمير مستتر تقديره: هو.

^٢ رواه الترمذي (٢١٨٠) واللفظ له، وأحمد (٢١٨/٥)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي».

^٣ في المطبوع: ورحمه الله، ولعله تصحيف.

^٤ باختصار من «الباعث على إنكار البدع والحوادث»، ص ٣٤ - ٣٥، الناشر: دار المؤيد - الرياض.

وأما كلام المالكية، فقال أبو بكر الطرطوشي^٢ في كتاب «الحوادث والبدع»، لما ذكر حديث الشجرة، ذات أنواط: فانظروا رحمكم الله أينما وجدت سدرة أو شجرة يقصدها الناس، ويُعظمون من شأنها، ويرجون البرء والشفاء لمرضاها من قبلها؛ وينوطون بها المسامير والخرق؛ فهي ذات أنواط، فاقطعوها.

وذكر حديث العرباض بن سارية الصحيح، وفيه قوله ﷺ: فإنه من يعيش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عَضُوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة.^٤

قال في «البخاري» عن أبي الدرداء أنه قال: والله ما أعرف من أمر محمد شيئاً، إلا أنهم يصلون جميعاً.^٥

وروى مالك في «الموطأ» عن بعض الصحابة، أنه قال: ما أعرف شيئاً مما أدركت عليه الناس إلا النداء بالصلاة.^٦

قال الزُّهري: دخلت على أنس بدمشق وهو يبكي فقال: ما أعرف شيئاً مما أدركت إلا هذه الصلاة، وهذه الصلاة قد ضُيعت.^٧

^١ أي ابن تيمية رحمه الله.

^٢ نص كلامه مضبوطاً رحمه الله (٦٤٩/٢) (الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، ط ٥):

ولما كان للمشركين شجرة يعلقون عليها أسلحتهم ويسمونها ذات أنواط؛ فقال بعض الناس: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط.

فقال: الله أكبر! قلت كما قال قوم موسى ﴿اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة﴾، إنها السنن، لتركن سنن من كان قبلكم.

فأنكر النبي ﷺ مجرد مشابھتهم الكفار في اتخاذ شجرة يعكفون عليها، معلقين عليها سلاحهم، فكيف بما هو أعظم من ذلك، من مشابھتهم المشركين، أو هو الشرك بعينه؟

^٣ هو محمد بن الوليد الأندلسي الطرطوشي، شيخ المالكية، له كتاب مشهور في التحذير من البدع وهو «كتاب الحوادث والبدع»، توفي رحمه الله سنة ٥٢٠. انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٤٩٠/١٩).

^٤ رواه أبو داود (٤٦٠٧) وابن ماجه (٤٢) والترمذي (٢٦٧٦) وغيرهم، وصححه الألباني رحمه الله.

^٥ رواه البخاري (٦٥٠) عن سالم قال: سمعت أم الدرداء تقول: دخل علي أبو الدرداء وهو مغضب فقلت: ما أغضبك؟ فقال: والله ما أعرف من أمة محمد ﷺ شيئاً إلا أنهم يصلون جميعاً.

ورواه أحمد أيضاً (١٩٥/٥).

^٦ رواه مالك في باب «ما جاء في النداء بالصلاة»، عن أبي سهيل بن مالك عن أبيه أنه قال: ما أعرف شيئاً مما أدركت عليه الناس إلا النداء بالصلاة.

أبو سهيل هو نافع بن مالك بن أبي عامر الأصبحي.

^٧ رواه البخاري (٥٣٠) عن الزهري قال: دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي فقلت له: ما يبكيك؟ فقال: لا أعرف شيئاً مما أدركت إلا هذه الصلاة، وهذه الصلاة قد ضُيعت.

قال الطرطوشي رحمه الله: فانظروا رحمكم الله إذا كان في ذلك الزمن طُمِسَ الحق وظَّهر الباطل، حتى ما يُعرف من الأمر القديم إلا القبلة؛ فما ظنك بزمانك هذا؟! والله المستعان.^١

وليُعلم الواقف على هذا الكلام من أهل العلم - أعزهم الله - أن الكلام في مسألتين:
الأولى: أن الله سبحانه بعث محمداً ﷺ لإخلاص الدين لله، لا يُجعل معه أحد في العبادة والتأله، لا مَلَك ولا نبي ولا قبر ولا حجر ولا شجر ولا غير ذلك، وأن مَنْ عَظَّمَ الصالحين بالشرك بالله فهو يُشَبِّه النصارى، وعيسى عليه السلام بريء منهم.
والثانية: وجوب اتباع سنة رسول الله ﷺ، وترك البدع وإن اشتهرت بين أكثر العوام، وليُعلم أن العوام محتاجون إلى كلام أهل العلم من تحقيق هذه المسائل، ونقل كلام العلماء، فرحم الله من نصر الله ورسوله ودينه، ولم تأخذه في الله لومة لائم، والله أعلم، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.^٢

^١ باختصار من الصفحات (٣٧ - ٤٢)، الناشر: دار ابن الجوزي - الدمام.

^٢ انتهى كلامه رحمه الله، وهو مثبت في «الدرر السنية من الأجوبة النجدية» (٤٩/٢ - ٥٤).

قال مقبده عفا الله عنه: وللفادة؛ فهذه إضافة من كلام علماء المذاهب في بيان تحريم دعاء غير الله:
كلام علماء الحنفية

قال الشيخ محمد عابد السندي الحنفي في كتابه «طوالع الأنوار شرح تنوير الأبصار مع الدر المختار»:

ولا يقول: يا صاحب القبر، يا فلان؛ اقض حاجتي، أو سلها من الله، أو كن لي شفيعاً عند الله، بل يقول: يا من لا يشرك في حكمه أحداً اقض لي حاجتي هذه وحيداً كما خلقتي.

وقال الشيخ صنع الله بن صنع الله الحلبي الحنفي رحمه الله ما نصه: هذا وإنه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يدَّعون أن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد مماتهم، ويُستغاث بهم في الشدائد والبلبات، وبهم تكشف المهمات، فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات، مستدلين على أن ذلك منهم كرامات!

وهذا الكلام فيه تفریط وإفراط، بل فيه الهلاك الأبدي والعذاب السرمدى، لما فيه من روائح الشرك المحقق، ومصادرة الكتاب العزيز المصدق، ومخالف لعقائد الأئمة، وما أجمعت الأمة، وفي التنزيل ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾.

«سيف الله على من كذب على أولياء الله»، باختصار، الناشر: مدار الوطن - الرياض.

وبهذا قال من أئمة الحنفية المتأخرين الإمام أحمد السرهندي، والإمام أحمد الرومي، والشيخ سجان بخش الهندي، ومحمد بن علي التهانوي، ومحمد إسماعيل الدهلوي، والشيخ محمود بن عبد الله الألوسي، وغيرهم.

انظر المراجع المذكور فيها إنكارهم على من دعا غير الله في «المجموع المفيد في نقض القبرورية ونصرة التوحيد»، (ص ٤١٢ - ٤١٨)، الناشر: دار أطلس - الرياض.

وللعلم فقد ألف الشيخ الدكتور شمس الدين الأفغاني رحمه الله رسالة عظيمة جمع فيها أقوال علماء الأحناف في إبطال عقائد القبرورية، ومن المعلوم أن الدعاء هو أكثر فعل القبوريين عند القبور التي يعظمونها لاعتقادهم فيها، وأسمائها «جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد

القبورية»، تقع في ثلاث مجلدات، نال فيها رسالة الدكتوراه العالمية، أشار فيها إلى جهود علماء الحنفية في بيان مصدر عبادة القبور ونشأة القبورية وانتشارهم، وتحقيق أن القبورية أهل شرك ووثنية، وجهودهم - أي علماء الحنفية - في إبطال عقائد القبورية.

ثم نقل رحمه الله مقالات جمع من علماء الحنفية في التحذير من الشرك وإبطال ثلاثين ذريعة من ذرائعه التي يتمسك بها القبورية بمُجملهم. ثم ذكر رحمه الله أمثلة لغلو القبوريين في الصالحين، وجهود علماء الحنفية في إبطاله، فابتدأ بذكر غلوهم في النبي ﷺ، ودعوى أنه يعلم الغيب، وأن له تصرفاً في الكون، وأنه يسمع صوت المستغيثين، فأبطل ذلك كله، ثم عطف على أمثلة الغلو في غير النبي ﷺ، كعبد القادر الجيلاني والرفاعي والبدوي وغيرهم ممن تُدعى له الولاية.

كلام علماء الشافعية

قال ابن حجر الشافعي في «شرح الأربعين النووية» ما معناه أن من دعا غير الله فهو كافر.

نقله الشوكاني عنه في «الدر النضيد»، ص ١٢١، الناشر: دار ابن خزيمة - الرياض.

وقال الشيخ أحمد بن علي المقرئ المصري الشافعي رحمه الله:

«وشرك الأمم كله نوعان: شرك في الإلهية وشرك في الربوبية، فالشرك في الإلهية والعبادة هو الغالب على أهل الإشراك، وهو شرك عبادة الأصنام وعبادة الملائكة وعبادة الجن وعبادة المشايخ والصالحين الأحياء والأموات، الذين قالوا ﴿إنما نعبدكم ليقتربونا إلى الله زلفى﴾، ويشفعوا لنا عنده، وينالنا بسبب قُرْبهم من الله وكرامته لهم قُرْب وكرامة، كما هو المعهود في الدنيا من حصول الكرامة والزلفى لمن يخدم أعوان الملك وأقاربه وخاصة.

والكتب الإلهية كلها من أولها إلى آخرها تُبطل هذا المذهب وتُرْده وتقبح أهله، وتنص على أنهم أعداء الله تعالى.

وجميع الرسل صلوات الله عليهم متفقون على ذلك من أولهم إلى آخرهم، وما أهلك الله تعالى من أهلك من الأمم إلا بسبب هذا الشرك ومن أجله».

«تجريد التوحيد المفيد» (ص ٥٢ - ٥٣)، تحقيق علي بن محمد العمران، الناشر: دار عالم الفوائد - مكة.

كلام علماء الحنابلة

قال ابن تيمية كما «مجموع الفتاوى» (١٠٣/١): لم يقل أحد من علماء المسلمين أنه يُستَغاث بشيء من المخلوقات في كل ما يستغاث فيه بالله تعالى، لا بنبي ولا بملك ولا بصالح ولا غير ذلك، بل هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام أنه لا يجوز إطلاقه.

وقال أيضاً كما في «مجموع الفتاوى» (٤٩٠/٢٧): ومن قال إن ميتاً من الموتى نفيسة أو غيرها تجير الخائف وتخلص المحبوس وهي من باب الحوائج؛ فهو ضال مشرك فإن الله سبحانه هو الذي يجير ولا يجار عليه، وباب الحوائج إلى الله هو دعاؤه بصدق وإخلاص كما قال تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أَحِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، والله أعلم.

وقال أيضاً في «الاستغاثة في الرد على البكري» (ص 331، الناشر: مدار الوطن - الرياض): سؤال الميت والغائب - نبياً كان أو غيره - من المحرمات المنكرة باتفاق أئمة المسلمين، لم يأمر الله به ولا رسوله، ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان، ولا استحسنته أحد من أئمة المسلمين، وهذا مما يُعلم بالاضطرار من دين المسلمين.

وقال صاحب «الإقناع»: إن من دعا ميتاً وإن كان من الخلفاء الراشدين فهو كافر، وإن من شك في كفره فهو كافر.

وقال الإمام أبو الوفاء علي بن عقيل الحنبلي: إن من يعظم القبور ويخاطب الموتى بقضاء الحوائج، ويقول: يا مولاي ويا سيدي عبد القادر: افعل لي كذا، هو كافر بهذه الأوضاع، ومن دعا ميتاً وطلب قضاء الحوائج فهو كافر.

نقله عنه الشيخ محمد بن سلطان المعصومي الحنفي في كتابه «حكم الله الواحد الصمد»، ص ٤٤، الناشر: دار العاصمة - الرياض.
وقال أيضاً رحمه الله: لما صعبت التكليف على الجاهل والطغام؛ عَدَلُوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها، فسُهِّلَت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم، وهم عندي كفار بهذه الأوضاع مثل تعظيم القبور، وخطاب الموتى بالحوائح، وكتب الرِّقَاع فيها: يا مولاي، افعل لي كذا وكذا، أو إلقاء الخرق على الشجرة اقتداء بمن عبد اللات والعزى.

نقله عنه ابن القيم في كتابه «إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان»، ص ٣٦٤-٣٦٥، الناشر: دار ابن الجوزي - الدمام.
ونقله أيضاً الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتابه «مفيد المستفيد في حكم تارك التوحيد»، ص ٣٠١-٣٠٢، الناشر: جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية - الرياض.

وقال ابن رجب الحنبلي رحمه الله في كتابه «تحقيق كلمة الإخلاص»: إن قول العبد: لا إله إلا الله، يقتضي أنه لا إله له غير الله، والإله هو الذي يُطَاع فلا يُعصى، هيبته له وإجلاله، ومحبة وخوفاً ورجاءً، وتوكلاً عليه وسؤالاً منه ودعاءً له، ولا يصلح ذلك كله إلا لله عز وجل، فمن أشرك مخلوقاً في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية كان ذلك قدحاً في إخلاصه في قول: لا إله إلا الله، ونقصاً في توحيده، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك، وهذا كله من فروع الشرك.

وقال الشيخ عبد الله أبابطين رحمه الله في «تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس» (ص ٤٧):

ورأيت من جملة فتاوي للقاضي أبي يعلى منها: أنه سُئِلَ عن يمين يقول: يا محمد، يا علي، فقال: هذا لا يجوز لأتينا ميتان.

وقد ذكر الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن في «الدرر السنية» (١/٤٦٧-٤٦٨) أن المسلمون قد أجمعوا على تكفير من ارتكب الشرك الأكبر وكفر بآيات الله ورسله أو بشيء منها بعد قيام الحجة وبلوغها المعتبر، كمن عبد الصالحين ودعاهم مع الله، وجعلهم أنداداً له فيما يستحقه على خلقه من العبادات والإلهية، وذكر أن هذا مجمع عليه أهل العلم والإيمان، وأن كل طائفة من أهل المذاهب المقلدة يفردون هذه المسألة بباب عظيم يذكرون فيه حكمها وما يوجب الردة ويقتضيها، وينصون على الشرك، وأن ابن حجر قد أفرد هذه المسألة بكتاب سماه: «الإعلام بقواطع الإسلام».

قال مُقْبِدُهُ عفا الله عنه: ومن غير علماء المذاهب الأربعة فقد قال الشوكاني رحمه الله في كتابه «الدر النضيد»: اعلم أن الرزية كل الرزية، والبلية كل البلية؛ أمر غير ما ذكرنا، وذلك ما صار يعتقده كثير من العوام وبعض الخواص في أهل القبور ومن المعروفين بالصلاح من الأحياء؛ من أنهم يقدرون على ما لا يقدر عليه إلا الله جل جلاله، ويفعلون ما لا يفعله إلا الله عز وجل، حتى نطقت ألسنتهم بما انطوت عليه قلوبهم، فصاروا يدعونهم تارة مع الله، وتارة استقلالاً، ويصرخون بأسمائهم، ويعظمونهم تعظيم من يملك الضر والنفع، ويخضعون لهم خضوعاً زائداً على خضوعهم عند وقوفهم بين يدي ربه في الصلاة والدعاء، وهذا إذا لم يكن شركاً فلا ندري ما هو الشرك! وإذا لم يكن كفرًا فليس في الدنيا كفر. انتهى.

قال مقبده عفا الله عنه: فيجزي الله أهل العلم المهتدين خير الجزاء بما حفظوا للناس دينهم، فإنهم كما قال الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم في «الدرر السنية» (١/٢١): وقد صنف العلماء في كل عصر ومصر، في الأصول والفروع وغيرها مما لا يحصى، حفظاً للدين والشرعية وأقول أهل العلم، وليكون آخر الأمة كأولها في العلم والعمل والتزام أحكام الشريعة وإلزام الناس بها، لأن ضرورتهم إلى ذلك فوق كل ضرورة، ولولا ذلك لجرى على ديننا ما جرى على الأديان قبله، فإن كل عصر لا يخلو من قائل بلا علم، ومتكلم بغير إصابة ولا فهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

سُئِلَ الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب^١ رحمهم الله تعالى:

ما قول العلماء الأعلام، أئمة الإسلام، فيمن يقول «لا إله إلا الله»، ويدعو غير الله، هل يحرم ماله ودمه بمجرد قولها أم لا؟
فأجاب:

الجواب وبالله التوفيق، «لا إله إلا الله» كلمة الإخلاص وكلمة التقوى، وهي العروة الوثقى، وهي الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام، جعلها كلمة باقية في عقبه^٢، وقد تضمنت ثبوت الإلهية لله تعالى ونفيها عما سواه، والإله هو الذي تأله القلوب محبة وإنابة وتوكلاً واستعانة ودعاء وخوفاً ورجاء ونحو ذلك.

ومعنى «لا إله إلا الله» أي لا معبود حق إلا الله، قال الله تعالى ﴿ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير﴾، قال جل ذكره ﴿له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾، فدلّت هذه الكلمة العظيمة مطابقة^٣ على إخلاص العبادة بجميع أفرادها لله تعالى، ونفي كل معبود سواه، قال تعالى ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون * إلا الذي فطرني فإنه سيهدين * وجعلها كلمة باقية في عقبه﴾، أي «لا إله إلا الله»^٤، فأرجع ضمير هذه الكلمة إلى ما سبق منه مدلولها، وهو قوله ﴿إنني براء مما تعبدون * إلا الذي فطرني﴾، وهذا هو الذي خلق الله الخلق لأجله، وافترضه على عباده، وأرسل الرسل وأنزل الكتب لبيان وتقريره، قال تعالى ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾، وقال تعالى ﴿وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه﴾ الآية، وقال تعالى ﴿وما أرسلنا قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾، وقال تعالى ﴿الر * كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير * أن لا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير﴾، قال تعالى ﴿ومن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾.

والطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده، من معبود ومتبوع أو مطاع.

فمن تحقق مبدأ قول هذه الكلمة العظيمة من إخلاص العبادة لله تعالى، والبراءة من عبادة ما سواه بالجنان والأركان، وعمل بما اقتضته فرائض الإسلام والإيمان؛ كان معصوم الدم والمال^٥، ومن ردّ فلا، قال تعالى ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة

^١ تقدم التعريف به في الرسالة الأولى.

^٢ عقبه أي ذريته.

^٣ أي بدلالة المطابقة، أي أن الكلام يدل عليه لأنه مطابق له.

^٤ يقصد أن الكلمة التي جعلها في عقبه ووَصَّاهم بها هي كلمة «لا إله إلا الله».

^٥ هذا جواب السؤال الذي تقدم به السائل للشيخ رحمه الله.

فَحُلُّوا سَبِيلَهُمْ»، فدلّت هذه الآية الكريمة على أن عصمة الدم والمال لا تحصل بدون هذه الثلاث، لترتيبها عليها بترتب الجزاء على الشرط.

وفي الصحيح عن أبي مالك الأشجعي عن أبيه عن النبي ﷺ قال: من قال «لا إله إلا الله»، وكفر بما يُعبد من دون الله؛ حُرِّمَ ماله ودمه، وحسابه على الله.^١

فلا بد لتصحيحها من الإخلاص لله تعالى ونفي الشرك، كما قال الله ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً﴾، وقال تعالى ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾، وقال تعالى ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين * ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون﴾، ثم شهد عليه بالكذب والكفر وأخبر أنه لا يهديهم، قال تعالى ﴿إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار﴾.

وفي المتفق عليه من حديث معاذ رضي الله تعالى عنه: فإن حق الله على العباد؛ أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً.^٢

فمن تألّه قلبه غير الله، ودعاه من دون الله؛ فقد أشرك بالله، والله لا يغفر أن يُشرك به، قال تعالى ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله لا يستجيب له إلى يوم القيامة﴾ الآية، وقال تعالى ﴿والذين تدعون من دون الله ما يملكون من قطمير * إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير﴾، وقال تعالى ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله ملخصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون * ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون﴾.

وفي المتفق عليه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قيل: يا رسول الله، أي الذنب أعظم؟

قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك.^٣

وفي رواية لمسلم: أن تدعو لله نداً، الحديث.^٤

والله المستعان.^٥

^١ رواه مسلم (٢٣) عن أبي مالك عن أبيه، وأبو مالك هو سعد بن طارق الأشجعي، ثقة، وأبوه هو طارق بن أشيم الأشجعي، صحابي.

^٢ في المطبوع (قال)، وأظنه تصحيف.

^٣ رواه البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠).

^٤ رواه البخاري (٦٠٠١)، ومسلم (٨٦).

^٥ رواها مسلم برقم (٨٦)، وهي في البخاري (٦٨٦١).

^٦ انتهى كلامه رحمه الله، وهو مثبت في «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية»، المجلد الثاني، القسم الأول، ص ١٢٠ - ١٢٢.

معالم في توحيد الألوهية، وهي رسالتان في:

(١) معنى كلمة التوحيد، وحكم من قالها ولم يكفر بما يُعبد
من دون الله

(٢) تعريف العبادة والتوحيد والإخلاص والإله والطاغوت

تأليف

الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين (١٢٨٢ هـ)

ويليه: بيان الشفاعة المثبتة والشفاعة المنفية

لشيخه

الشيخ حمد بن ناصر بن معمر (١١٦٠ - ١٢٢٥ هـ)

رحمهما الله تعالى

معنى كلمة التوحيد، وحكم من قالها ولم يكفر بما يُعبد من دون الله

بسم الله الرحمن الرحيم

سُئِلَ الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين^١ رحمه الله عن معنى «لا إله إلا الله»، وعَمَّن قالها ولم يَكْفُر بما يُعبد من دون الله، وهل من قالها ودعا نبياً أو ولياً تنفعه، أو هو مباح الدم والمال ولو قالها؟
أجاب رحمه الله وعفا عنه:

معنى «لا إله إلا الله» عند جميع أهل اللغة وعلماء التفسير والفقهاء كلهم؛ يُفسرون الإله بالمعبود، والتأله له بالتعبد. وأما العبادة فعَرَفَهَا بَعْضُهُمْ بأنها ما أُمِرَ به شرعاً من غير اطراد عُرفي ولا اقتضاء عقلي، والمأثور عن السلف تفسير العبادة بالطاعة، فيدخل في ذلك فعل المأمور وترك المحذور من واجب ومندوب، وترك المنهي عنه من محرم ومكروه. فمن جعل نوعاً من أنواع العبادة لغير الله كالدعاء والسجود والذبح والنذر وغير ذلك فهو مشرك. و«لا إله إلا الله» متضمنة للكفر بما يُعبد من دونه، لأن معنى «لا إله إلا الله» إثبات العبادة لله وحده، والبراءة من كل معبود سواه، وهذا معنى الكفر بما يُعبد من دونه، لأن معنى الكفر بما يُعبد من دونه؛ البراءة منه واعتقاد بطلانه، وهذا معنى الكفر بالطاغوت في قول الله تعالى ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾^٢، والطاغوت اسم لكل معبود سوى الله، كما في قوله تعالى ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾^٣.

^١ هو الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين، ولد سنة ١١٩٤ هـ في روضة سدير، تتلمذ على بعض تلامذة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، تولى القضاء والإفتاء، وصار من أكابر علماء نجد، حتى لُقِّبَ بـ «مفتي الديار النجدية»، برع في الفقه، ودرَّس في بلاد كثيرة، وله تلامذة كثير، منهم أحمد بن إبراهيم بن عيسى (١٣٢٩ هـ)، شارح نونية ابن القيم، وعثمان بن عبد الله بن بشر (١٢٩٠ هـ)، المؤرخ المعروف، له عدة كتب في الذب عن العقيدة الإسلامية، منها «الانتصار لحزب الله الموحدين، والرد على المجادل عن المشركين»، وكتاب «الرد على البردة»، وكتاب «تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس»، وله رسائل وردود بعضها مثبت في كتاب «الدرر السنية في الأجوبة النجدية»، وبعضها مثبت في «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية»، توفي في شقراء سنة ١٢٨٢ هـ، رحمه الله رحمة واسعة.

باختصار وزيادة من ترجمته في مقدمة كتابه «تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس»، وهي من إعداد د. عبد السلام ابن برجس آل عبد الكريم رحمه الله، وانظر للتوسع في ترجمته كتاب «الشيخ العلامة عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين، مفتي الديار النجدية»، تأليف د. علي بن محمد العجلان، الناشر: دار الصميعي - الرياض.

^٢ سورة البقرة: ٢٥٦ .

^٣ سورة النحل: ٣٦ .

وقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: من قال «لا إله إلا الله» وكفر بما يُعبد من دون الله؛ حُرِّمَ ماله ودمه، وحسابه على الله.^١

فقوله (وكفر بما يعبد من دون الله)؛ الظاهر أن هذا زيادة إيضاح، لأن «لا إله إلا الله» متضمنة للكفر بما يُعبد من دون الله، ومن قال «لا إله إلا الله» ومع ذلك يفعل الشرك الأكبر - كدعاء الموتى والغائبين، وسؤالهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، والتقرب إليهم بالنذور والذبائح - فهذا مُشرك شاء أم أبى، والله لا يغفر أن يشرك به، ﴿ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار﴾^٢، ومع هذا فهو شرك، ومن فعله كان كافراً.

ولكن على ما قال الشيخ^٣؛ لا يقال فلان كافر حتى يُبين له ما جاء به الرسول ﷺ، فإن أَصَرَ بعد البيان حُكِمَ بكفره وحل دمه وماله.

وقال تعالى ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾ أي شرك، ﴿ويكون الدين كله لله﴾^٤، فإذا كان في بلد وثنٌ يُعبد من دون الله قوتلوا لأجل هذا الوثن، أي لإزالته وهدمه وترك الشرك، حتى يكون الدين كله لله.

والدعاء دين، سماه الله ديناً، كما في قوله تعالى ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين﴾^٥، أي الدعاء.

وقال ﷺ: (بُعِثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يُعبد الله وحده لا شريك له)^٦، فمتى كان شيء من العبادة مصروحاً لغير الله فالسيف مسلولٌ عليه، والله أعلم، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.^٧

^١ رواه مسلم (٢٣) عن أبي مالك عن أبيه، وأبو مالك هو سعد بن طارق الأشجعي، ثقة، وأبوه هو طارق بن أشيم الأشجعي، صحابي.

^٢ سورة المائدة: ٧٢ .

^٣ أي الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في بعض كتبه ورسائله.

^٤ سورة الأنفال: ٣٩ .

^٥ سورة العنكبوت: ٦٥ .

^٦ رواه أحمد في «المسند» (٥٠/٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما، وفي سنده ضعف، وللحديث شواهد كثيرة تُقَوِّيه، ولذا قال الذهبي في «السير» (٥٠٩/١٥): إسناده صالح.

^٧ انتهى كلام الشيخ رحمه الله، وهو مثبت في «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية»، الجزء الرابع (ص ٥٠١ - ٥٠٢)، و «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٣١٢/٢ - ٣١٤)، وبينهما فروقات يسيرة، وقد اخترت منها ما هو أنسب للسياق.

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين رحمه الله تعالى:

ما قولكم - دام فضلكم - في تعريف العبادة، وتعريف توحيد العبادة، وأنواعه، وتعريف الإخلاص، وما بين الثلاثة من العموم والخصوص، وهل هو مطلق أو وجهي، وما معنى الإله، وما معنى الطاغوت الذي أمرنا باجتنابه والكفر به؟
فأجاب:

الحمد لله رب العالمين، أما العبادة في اللغة فهي من الدَّل، يقال: يُدَلُّ، يقال: دَنَتَهُ فَدَانًا، أي ذلته فَدَلًا. وطأته الأقدام، وكذلك الدين أيضاً من الدل، يقال دَنَتَهُ فَدَانًا، أي ذلته فَدَلًا.

وأما تعريفها في الشرع؛ فقد اختلفت عباراتهم في تعريفها، والمعنى واحد، فعرفها طائفة بقولهم: هي ما أمر به شرعاً من غير اطراد عرفي ولا اقتضاء عقلي.

وعرفها طائفة بأنها: كمال الحب مع كمال الخضوع.

وقال أبو العباس رحمه الله تعالى: (هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة. فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك، من الآدميين والبهائم، والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة.

وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمته، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف لعذابه، وأمثال ذلك، هي من العبادة لله). انتهى^١.

ومن عَرَّفها بالحب مع الخضوع؛ فلأن الحب التام مع الدَّل التام يتضمن طاعة المحبوب والانقياد له، فالعبد هو الذي ذلله الحب والخضوع لمحبيه، فبحسب محبة العبد لربه وذله له تكون طاعته، فمحبة العبد لربه وذله له يتضمن عبادته وحده لا شريك له، والعبادة المأمور بها تتضمن معنى الدل ومعنى الحب، فهي تتضمن غاية الدل لله بغاية المحبة له، كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

^١ «مجموع الفتاوى» (١٠/١٤٩ - ١٥٠).

ليس العبادة غير توحيد المحب —————ة مع خضوع القلب والأركان

والحب نفس وفاقه^١ فيما يحب —————وُبُغْض ما لا يرتضي بجنان

ووفاقه نفس اتباعك أمره —————والقصد وجه الله ذي الإحسان^٢

فعرّف العبادة بتوحيد المحبة مع خضوع القلب والجوارح، فمن أحب شيئاً وخضع له فقد تعبد قلبه له، فلا تكون المحبة المنفردة عن الخضوع عبادة، ولا الخضوع بلا محبة عبادة، فالمحبة والخضوع ركنان للعبادة، فلا يكون أحدهما عبادة بدون الآخر، فمن خضع لإنسان مع بغضه له لم يكن عابداً له، ولو أحب شيئاً ولم يخضع له لم يكن عابداً له، كما يحب ولده وصديقه، ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله تعالى، بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء، وأن يكون أعظم عنده من كل شيء، بل لا يستحق المحبة الكاملة والذل التام إلا الله سبحانه.

إذا عُرف ذلك؛ فتوحيد العبادة^٣ هو إفراد الله سبحانه بأنواع العبادة المتقدم تعريفها، وهو نفس العبادة المطلوبة شرعاً، ليس أحدهما دون الآخر، ولهذا قال ابن عباس: كل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناه التوحيد.

وهذا هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأبى عن الإقرار به المشركون، وأما العبادة من حيث هي فهي أعم من كونها توحيداً عموماً مطلقاً، فكل موحد عابد لله، وليس كل من عبد الله يكون موجّداً، ولهذا يقال عن المشرك إنه يعبد الله مع كونه مشركاً، كما قال الخليل ﷺ ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾^٤، وقال عليه السلام ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾^٥، فاستثنى الخليل ربه من معبوديهم، فدَلَّ على أنهم يعبدون الله.

فإن قيل: ما معنى النفي في قوله سبحانه ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾^٦؟

قيل: إنما نفى عنهم الاسم الدال على الوصف والثبوت، ولم ينف وجود الفعل الدال على الحدوث والتجدد، وقد نبه ابن القيم رحمه الله تعالى على هذا المعنى اللطيف في «بدائع الفوائد» فقال لما انجرّ كلامه على سورة «قل يا أيها الكافرون»:

^١ أي التوافق مع الله فيما يحب.

^٢ «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية».

^٣ هذا جواب الفقرة الثانية من السؤال.

^٤ سورة الشعراء: ٧٥ - ٧٧ .

^٥ سورة الزخرف: ٢٦ - ٢٧ .

^٦ سورة الكافرون: ٣ .

(وأما المسألة الرابعة، وهي أنه لم يأتِ النفي في حَقِّهم إلا باسم الفاعل، وفي جِهته جاء بالفعل المستقبل تارة، وباسم الفاعل أخرى، وذلك - والله أعلم - لحكمة بديعة، وهي أن المقصود الأعظم براءته من معبوديهم بكل وجه وفي كل وقت، فأتى أولاً بصيغة الفعل الدالة على الحدوث والتجدد، ثم أتى في هذا النفي بعينه بصيغة اسم الفاعل الدالة على الوصف والثبوت، فأفاد في النفي الأول أن هذا لا يقع مني، وأفاد في الثاني أن هذا ليس وصفي ولا شأني، فكأنه قال: عبادة غير الله لا تكون فعلاً لي ولا وصفاً، فأتى بنفيين لمنفيين مقصودين بالنفي.

وأما في حَقِّهم؛ فإنما أتى بالاسم الدال على الوصف والثبوت دون الفعل، أي إن الوصف الثابت اللازم للعباد لله منتفٍ عنكم، فليس هذا الوصف ثابتاً لكم، وإنما يثبت لمن خص الله وحده بالعبادة، لم يشرك معه فيها أحداً، وأنتم لما عبدتم غيره فليست من عابديه، وإن عبدوه في بعض الأحيان فإن المشرك يعبد الله ويعبد معه غيره، كما قال أهل الكهف ﴿وَإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾^١، أي اعتزلتم معبودهم إلا الله فإنكم لم تعتزلوه، وكذا قال المشركين عن معبودهم ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾^٢، فهم كانوا يعبدون الله ويعبدون معه غيره، فلم ينتفِ عنهم الفعل لوقوعه منهم، ونفي الوصف لأن من عبد غير الله لم يكن ثابتاً على عبادة الله موصوفاً بها.

فتأمل هذه النكتة البديعة، كيف تجد في طيها أنه لا يوصف بأنه عابد الله وعبدته والمستقيم على عبادته إلا من انقطع إليه بكلية وتبتل إليه بتبلياً، لم يلتفت إلى غيره، ولم يشرك به أحداً في عبادته، وأنه إن عبده وأشرك به غيره فليس عابداً لله ولا عبداً له، وهذا من أسرار هذه السورة العظيمة الجليلة، التي هي إحدى سورتي الإخلاص التي تعدل ربع القرآن، كما جاء في بعض السنن، وهذا لا يفهمه كل أحد ولا يُدركه إلا من منحه الله فَهَمًّا من عنده، فله الحمد والمنة)^٣. انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

وأما الإخلاص^٤ فحقيقته أن يخلص العبد لله في أقواله وأفعاله وإرادته ونيته، وهذه هي الحنيفية، ملة إبراهيم ﷺ، التي أمر الله بها عباده كلهم، ولا يقبل من أحدٍ غيرها، وهي حقيقة الإسلام ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^٥، وهي ملة إبراهيم التي من رغب عنها فهو من أسفه السفهاء ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مِنْ سَفِهَ نَفْسِهِ﴾^٦، وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة وإجماع الأمة على اشتراط الإخلاص للأعمال والأقوال الدينية، وأن الله لا يقبل منها إلا ما كان خالصاً وابتُغي به وجهه، ولهذا كان السلف الصالح يجتهدون غاية الاجتهاد في تصحيح نياتهم، ويرون

^١ سورة الكهف: ١٦ .

^٢ سورة الزمر: ٣ .

^٣ «بدائع الفوائد» (١/٢٤٠-٢٤٢)، الناشر: دار عالم الفوائد - مكة.

^٤ هذا جواب الفقرة الثالثة من السؤال.

^٥ سورة آل عمران: ٨٥ .

^٦ سورة البقرة: ١٣٠ .

الإخلاص أعز الأشياء وأشقها على النفس، وذلك لمعرفتهم بالله، وما يجب له، وبعلل الأعمال وآفاقها، ولا يهتمهم العمل لسهولته عليهم، وإنما يهتمهم سلامة العمل وخلوصه من الشوائب المبطله لثوابه والمنقصة له.

قال الإمام أحمد رحمه الله: شرط النية شديد.^١

وقال سفيان الثوري: ما عاجلُ شئاً أشد علي من نيتي، لأنها تتقلب علي.^٢

وقال يوسف بن أسباط: تخلص النية من فسادها أشد على العاملين من طول الاجتهاد.^٣

وقال سهل بن عبد الله: ليس على النفس شيء أشق من الإخلاص، و لأنه ليس لها فيه نصيب.

وقال يوسف بن الحسين: أعز شيء في الدنيا الإخلاص، وكم اجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي، وكأنه ينبت فيه على لون آخر.

فيجب على مَنْ نَصَحَ نفسه أن يكون اهتمامه بتصحيح نيته وتخليصها من الشوائب فوق اهتمامه بكل شيء، لأن الأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى.

وأما ما بين الثلاثة من العموم والخصوص، وهل هو وجهي أو مُطلق؛ فقد قَدَّمنا أن العبادة من حيث هي أعم من توحيد العبادة عموماً مطلقاً، وأن العبادة المطلوبة شرعاً هي نفس توحيد العبادة، ودلَّ كلامُ ابن القيم رحمه الله أن توحيد العبادة أعم من الإخلاص، حيث قال:

فَلِوَاحِدٍ كُنْ وَاحِدًا فِي وَاحِدٍ	أَعْنِي سَبِيلَ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ
هَذَا وَثَانِي نَوْعِي التَّوْحِيدِ تَوْ	حَيْدُ الْعِبَادَةِ مِنْكَ لِلرَّحْمَنِ
أَنْ لَا تَكُونَ لغيره عَبْدًا وَلَا	تَعْبُدْ بغير شريعة الإِيمَانِ
فَنَقُومَ بِالْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ	وَالْإِحْسَانِ فِي سِرٍّ وَفِي إِعْلَانِ
وَالصِّدْقِ وَالْإِخْلَاصِ رَكْنَا ذَلِكَ التَّ	وَحِيدَ الرُّكْنَيْنِ لِلْبُنْيَانِ

إلى أن قال:

وحقيقة الإخلاص توحيد المراد فلا يُرَاحمه مراد ثانٍ

^١ في المطبوع: أمر النية شديد، وقد ضبطته من «الآداب الشرعية» لابن مفلح، (٤٣/٢)، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت.

^٢ قال الخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع»، باب ذكر أخلاق الراوي وآدابه، رقم (٧٠١):

أنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبان الهيتي التغلبي، نا أحمد بن سلمان النجاد، نا إسحاق بن حاجب، نا الخليل بن عمرو قال: قال ابن السماك: سمعت سفيان الثوري يقول: ما عاجلُ شئاً أشد علي من نيتي، إنها تقلب علي.

^٣ رواه أحمد بن مروان الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (٣٣١/١٣)، قال: حدثنا محمد بن عمرو البزاز، نا محبوب بن مكرم قال يوسف بن أسباط: تخلص النية من فسادها أشد على العاملين من طول الاجتهاد.

^٤ هذا جواب الفقرة الرابعة من السؤال.

والصدق توحيد الإرادة وهو بذ
ل الجهد لا كسلاً ولا متوان
والسنة المثلى لسالكها فتو
حيد الطريق الأعظم السلطان

فقله رحمه الله: (والصدق والإخلاص ركننا ذلك التوحيد)؛ جعل الإخلاص أحد ركني العبادة، والصدق ركنه الآخر، وفسر
الصدق بما ذكر.

وقال في بعض كلامه: (ومقام الصدق جامع للإخلاص)، فعرفنا رحمه الله أن توحيد العبادة أعم من الإخلاص، ولم يذكر إلا
عموماً مطلقاً، وأما العموم الوجهي؛ فالظاهر أن المراد به إذا كان أحد الشيئين أعم من وجه وأخص من وجه، والعموم الذي
بين مطلق العبادة وبين توحيد العبادة والإخلاص مطلق لا وجهي.

وأما «الإله»^١ فهو الذي تأله القلوب بالحب والخضوع والخوف والرجاء، وتوابع ذلك من الرغبة والرغبة والتوكل والاستغاثة
والدعاء والذبح والنذر والسجود وجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة، فهو إله بمعنى مألوه أي معبود، وأجمع أهل اللغة أن هذا
معنى الإله.

قال الجوهري: أله بالفتح إلهة أي عبد عبادة، قال: ومنه قولنا: الله، وأصله إله، على فعال بمعنى مفعول، لأنه مألوه بمعنى
معبود، كقولنا: إمام، فعال بمعنى مفعول، لأنه مؤتم به، قال: والتأليه التعبيد، والتأله التنسك والتعبد، قال رؤية:

سَبَّحْنِ واسْتَرجِعْنِ مَنْ تَأْلَاهِي^٢

انتهى.

وقال في القاموس: أله إلهة وألوهة؛ عبد عبادة، ومنه لفظ الجلالة، واختلف فيه على عشرين قولاً، يعني في لفظ الجلالة،
قال: وأصله إله بمعنى مألوه، وكل ما أُخذ معبوداً أله عند متخذه، قال: والتأله التنسك والتعبد. انتهى^٣.

^١ هذا جواب الفقرة الخامسة من السؤال.

^٢ هذا عجز بيت لرؤية بن العجاج:

الله در الغانيات السُّمِّدِ سَبَّحْنِ واسْتَرجِعْنِ مَنْ تَأْلَاهِي

^٣ لمزيد فائدة في بيان معنى (الإله) فقد قال ابن جرير رحمه الله:

القول في تأويل قوله تعالى ﴿الله﴾:

قال أبو جعفر: وأما تأويل قول الله تعالى ذكره ﴿الله﴾؛ فإنه على معنى ما روي لنا عن عبد الله بن عباس: (هو الذي يأله كل شيء، ويعبده
كل خلق)، وذلك أن أبا كريب حدثنا قال: حدثنا عثمان بن سعيد، قال حدثنا بشر بن عمارة، قال حدثنا أبو روق عن الضحاك عن عبد
الله بن عباس قال: الله ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين.

ثم ذكر رحمه الله بيت رؤية بن العجاج المتقدم:

الله در الغانيات السُّمِّدِ سَبَّحْنِ واسْتَرجِعْنِ مَنْ تَأْلَاهِي

وجميع العلماء من المفسرين وشرح الحديث والفقه وغيرهم يفسرون الإله بأنه المعبود، وإنما غلط في ذلك بعض أئمة المتكلمين فظن أن الإله هو القادر على الاختراع، وهذه زلة عظيمة وغلط فاحش، إذا تصوره العامي العاقل تبين له بطلانه، وكأن هذا القائل لم يستحضر ما حكاه الله عن المشركين في مواضع من كتابه، ولم يعلم أن مشركي العرب وغيرهم يقرون بأن الله هو القادر على الاختراع وهم مع ذلك مشركون، ومن أبعد الأشياء أن عاقلاً يمتنع من التلفظ بكلمة يقر بمعناها ويعترف به ليلاً ونهاراً سرّاً وجهاراً، هذا ما لا يفعله من له أدنى مُسكة من عقل.

قال أبو العباس رحمه الله تعالى: وليس المراد بالإله هو القادر على الاختراع كما ظنه من ظنه من أئمة المتكلمين، حيث ظن أن الألوهية هي القدرة على الاختراع، وأن من أقر بأن الله هو القادر على الاختراع دون غيره فقد شهد «أن لا إله إلا الله»، فإن المشركين كانوا يقرون بهذا التوحيد، كما قال تعالى ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾^١، وقال تعالى ﴿قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون﴾* سيقولون لله قل أفلا تذكرون؟^٢ الآيات، وقال تعالى ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾^٣، قال ابن عباس: تسألهم: من خلق السماوات والأرض؟ فيقولون: الله، وهم مع هذا يعبدون غيره.

يعني: من تعبدني وطلبي الله بعملتي.

ولا شك أن التأله التفعل، من أله يألؤه، وأن معنى (أله) إذا نُطق به: عَبَدَ الله.

وقد جاء منه مصدر يدل على أن العرب قد نطقت منه بـ «فعل يفعل» بغير زيادة، وذلك ما حدثنا به سفيان بن وكيع قال: حدثنا أبي عن نافع بن عمر عن عمرو بن دينار عن ابن عباس أنه قرأ: ﴿ويذكرك وإلهتك﴾، قال: عبادتُك، ويقال إنه (أي فرعون) كان يُعبد ولا يُعبد. حدثنا سفيان قال: حدثنا بن عيينة عن عمرو بن دينار، عن محمد بن عمرو بن الحسن، عن ابن عباس: ﴿ويذكرك وإلهتك﴾، قال: إنما كان فرعون يُعبد ولا يُعبد.

وكذلك كان عبد الله يقرؤها ومجاهد.

حدثنا القاسم قال: حدثنا الحسين بن داود قال: أخبرني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد: قوله ﴿ويذكرك وإلهتك﴾، قال: وعبادتُك.

ولا شك أن الإلهة - على ما فسره ابن عباس ومجاهد - مصدرٌ من قول القائل: (أله الله فلانٌ إلهة)، كما يقال: عَبَدَ الله فلانٌ عبادةً، وعَبَر الرؤيا عبارةً، فقد بين قول ابن عباس ومجاهد هذا أن «أله» عَبَدَ، وأن «الإلهة» مصدره.

«تفسير سورة الفاتحة، القول في تأويل قول الله: ﴿الله﴾ برقم (١٤١)».

ومعنى المُنْدُ هو المدح، فيكون معنى المُنْدِ أي المادِحَات. انظر «المحكم والمحيط الأعظم».

وقال ابن الجوزي في «زاد المسير»، (تفسير البسملة من سورة الفاتحة): الإله؛ المعبود.

وقال ابن منظور في «لسان العرب»، (مادة أله): كل ما اتخذ من دونه معبوداً إله عند متخذه.

وقال: التأله؛ التنسك والتعبد، والتأليه؛ التعبيد.

^١ سورة الزمر: ٣٨.

^٢ سورة المؤمنون: ٨٤ - ٨٩.

^٣ سورة يوسف: ١٠٦.

وهذا التوحيد^١ من التوحيد الواجب، لكن لا يحصل به الواجب، ولا يخلص بمجردة عن الإشراك الذي هو أكبر الكبائر الذي لا يغفره الله، بل لا بُدَّ أن يخلص لله الدِّين، فلا يعبد إلا إياه، فيكون دينه لله، والإله هو المألوه الذي تأله القلوب، فهو إله بمعنى مألوه، لا بمعنى آله^٢. انتهى.

وقد دل صريح القرآن على معنى الإله، وأنه هو المعبود، كما في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ﴾^٣، قال المفسرون: هي كلمة التوحيد «لا إله إلا الله».

(باقية في عَقْبِهِ): أي ذريته، قال قتادة: (لا يزال في ذريته من يوحد الله ويعبده)^٤، والمعنى جعل هذه الموالاة والبراءة من كل معبود سواه كلمةً باقية في ذرية إبراهيم، يتوارثها الأنبياء وأتباعهم بعضهم عن بعض، وهي كلمة «لا إله إلا الله». فتبين أن موالاة الله بعبادته والبراءة من كل معبود سواه هو معنى لا إله إلا الله، إذا تبين ذلك؛ فمن صرف لغير الله شيئاً من أنواع العبادة المتقدم تعريفها - كالحب والتعظيم والخوف والرجاء والدعاء والتوكل والذبح والنذر وغير ذلك - فقد عبد ذلك الغير واتخذهُ إلهًا وأشركه مع الله في خالص حقه وإن فَرَّ من تسمية فعله ذلك تألهًا وعبادةً وشركًا، ومعلوم عند كل عاقل أن حقائق الأشياء لا تتغير بتغير أسمائها، فلو سمي الزنا والربا والخمر بغير أسمائها؛ لم يخرجها تغيير الاسم عن كونها زنا وربا وخمرًا ونحو ذلك.

ومن المعلوم أن الشرك إنما حُرِّمَ لقبحه في نفسه، وكونه متضمنًا مسبةً الرب وتنقصه وتشبيهه بالمخلوقين، فلا تزول هذه المفاسد بتغيير اسمه، كتسميته توسلاً وتشفعًا وتعظيمًا للصالحين وتوقيرًا لهم ونحو ذلك، فالمشرك مشرك شاء أم أبى، كما أن الزاني زان شاء أم أبى، والمرابي مُرابٍ شاء أم أبى.

وقد أخبر النبي ﷺ أن طائفة من أمته يستحلون الربا باسم البيع، ويستحلون الخمر باسم آخر غير اسمها، وذمهم على ذلك، فلو كان الحكم دائرًا مع الاسم لا مع الحقيقة لم يستَحِطُوا الدم، وهذه من أعظم مكائد الشيطان لبني آدم قديمًا وحديثًا، أخرج لهم الشرك في قالب تعظيم الصالحين وتوقيرهم، وغير اسمه بتسميته إياه توسلاً وتشفعًا ونحو ذلك، والله الهادي إلى سواء السبيل.

^١ أي توحيد الله بأنه الخالق الرازق المالك، المعروف بتوحيد الربوبية.

^٢ قال ابن تيمية رحمه الله في «درء تعارض العقل والنقل» (٣٧٧/٩): ولكن أهل الكلام الذين ظنوا أن التوحيد هو مجرد توحيد الربوبية، وهو التصديق بأن الله وحده خالق الأشياء؛ اعتقدوا أن الإله بمعنى الآله، اسم فاعل، وأن الإلهية هي القدرة على الاختراع كما يقوله الأشعري وغيره ممن يجعلون أخص وصف الإله القدرة على الاختراع.

^٣ سورة الزخرف: ٢٦ - ٢٨.

^٤ انظر «تفسير الطبري» للآية الكريمة.

وأما تعريف الطاغوت^١ فهو مشتق من طغا، وتقديره طغوت، ثم قُلبت الواو ألفاً.

قال النحويون: وزنه: فَعْلُوت، والتاء زائدة.

قال الواحدي: قال جميع أهل اللغة: الطاغوت كل ما عبد من دون الله، يكون واحداً وجمعاً، ويذكر ويؤنث، قال تعالى ﴿يُرِيدُونَ أَن يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾^٢، فهذا في الواحد.

وقال تعالى في الجمع ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾^٣.

وقال في المؤنث ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾^٤.

قال: ومثله في أسماء الفلك يكون واحداً وجمعاً ومذكراً ومؤنثاً.

قال: قال الليث وأبو عبيدة والكسائي وجماهير أهل اللغة: الطاغوت: كل ما عبد من دون الله.

وقال الجوهري: الطاغوت: الكاهن والشيطان وكل رأس في الضلال.

وقال مالك وغير واحد من السلف والخلف: كل ما عُبد من دون الله فهو طاغوت.

وقال عمر بن الخطاب وابن عباس رضي الله عنهما وكثير من المفسرين: الطاغوت الشيطان.

قال ابن كثير: وهو قول قوي جداً، فإنه يشمل كل ما عليه أهل الجاهلية من عبادة الأوثان والتحاكم إليها والاستنصار بها.

وقال الواحدي عند قول الله تعالى ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾^٥: كل معبود من دون الله فهو جبت وطاغوت.

قال ابن عباس - في رواية عطية - : الجبت الأصنام، والطاغوت تراجمة الأصنام الذين يكونون بين أيديهم، يعبرون عنها الكذب ليضلوا الناس.^٦

وقال^٧ - في رواية الوالي - : الجبت: الكاهن، والطاغوت: الساحر.^٨

^١ هذا جواب الفقرة السادسة من السؤال.

^٢ سورة النساء: ٦٠ .

^٣ سورة البقرة: ٢٥٧ .

^٤ سورة الزمر: ١٧ .

^٥ سورة النساء: ٥١ .

^٦ قال ابن جرير رحمه الله في تفسير الآية: حدثني محمد بن سعد قال: ثني أبي قال: ثني عمي قال: ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس: قوله ﴿الْم تَر إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾: الجبت الأصنام، والطاغوت الذين يكونون بين أيدي الأصنام يعبرون عنها الكذب ليضلوا الناس.

^٧ أي ابن عباس رضي الله عنهما.

^٨ قاله الثعلبي في «تفسيره».

وقال بعض السلف في قوله سبحانه ﴿يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت﴾^١ إنه كعب بن الأشرف، وقال بعضهم: حيي ابن أخطب، وإنما استحقَّ هذا الاسم لكونيهما من رؤساء الضلال، ولإفراطيهما في الطغيان وإغوائيهما الناس، ولطاعة اليهود لهما في معصية الله، فكل من كان بهذه الصفة فهو طاغوت.

قال ابن كثير رحمه الله (في قوله)^٢ تعالى ﴿يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت﴾ لما ذكر ما قيل إنها نزلت فيمن طلب التحاكم إلى كعب بن الأشرف أو إلى حاكم الجاهلية وغير ذلك، قال:

والآية أعم من ذلك كله، فإنها دائمة لمن عدل عن الكتاب والسنة، وتحاكم إلى ما سواهما من الباطل، وهو المراد بالطاغوت هاهنا.^٣

فَتَحَصَّلَ من مجموع كلامهم رحمه الله أن اسم الطاغوت يشمل كل معبود من دون الله وكل رأس في الضلال يدعو إلى الباطل ويحسبه، ويشمل أيضاً كل من نصبه الناس للحكم بينهم بأحكام الجاهلية المضادة لحكم الله ورسوله، ويشمل أيضاً الكاهن والساحر وسدنة الأوثان، الداعين إلى عبادة المقبورين وغيرهم بما يكذبون من الحكايات المضلة للجهال، الموهمة أن المقبور ونحوه يقضى حاجة من توجه إليه وقصده، وأنه فعل كذا وكذا مما هو كذبٌ أو من فعل الشياطين ليوهمو الناس أن المقبور ونحوه يقضى حاجة من قصده، فيوقعوهم في الشرك الأكبر وتوابعه، وأصل هذه الأنواع كلها وأعظمها الشيطان، فهو الطاغوت الأكبر، والله سبحانه وتعالى أعلم.^٤

^١ سورة النساء: ٦٠ .

^٢ ما بين القوسين ليس في المطبوع، وأظنه سقط سهواً، لأن الكلام لا يستقيم بدونه، فأثبتته.

^٣ «تفسير القرآن العظيم»، لابن كثير رحمه الله.

^٤ انتهى كلامه رحمه الله، وهو مثبت في «الدرر السنية من الأجوبة النجدية» (٢/٢٨٩-٣٠٢).

بسم الله الرحمن الرحيم

سُئِلَ الشَّيْخُ حَمْدُ بْنُ نَاصِرٍ بْنِ مَعْمَرٍ^١ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، عَنِ الْفَرْقِ بَيْنَ الشَّفَاعَةِ الْمَثْبُتَةِ وَالْمَنْفِيَةِ، فَأَجَابَ:

أما الفرق بين الشفاعة المثبتة والشفاعة المنفية فهي مسألة عظيمة، ومن لم يعرفها لم يعرف حقيقة التوحيد والشرك، والشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ^٢ عَقَدَ لَهَا بَاباً فِي كِتَابِ «التَّوْحِيدِ» فَقَالَ:

باب الشفاعة، وقول الله تعالى ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رِبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾^٣.

ثم ساق الآيات، وعَقَّبَهُ بِكَلَامِ الشَّيْخِ تَقِيٍّ الدِّينِ^٤، فَأَنْتَ رَاجِعُ الْبَابِ، وَأَمَعْنِ النَّظَرُ فِيهِ، يَتَبَيَّنُ لَكَ حَقِيقَةُ الشَّفَاعَةِ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ مَا أَثْبَتَهُ الْقُرْآنُ وَمَا نَفَاهُ.

وإذا تأمل الإنسان القرآن وجد فيه آيات كثيرة في نفي الشفاعة، وآيات كثيرة في إثباتها، فالآيات التي فيها نفي الشفاعة مثل قوله تعالى ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾^٥، ومثل قوله تعالى ﴿أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَّ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَةَ وَلَا شَفَاعَةَ﴾^٦، وقوله ﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾^٧، وقوله ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾^٨، إلى غير ذلك من الآيات.

وأما الآيات التي فيها إثبات الشفاعة فمثل قوله تعالى ﴿وَكُم مِّنْ مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تَغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾^٩، وقوله ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾^{١٠}، وقوله ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ﴾^{١١}، وقوله ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾^{١٢} إلى غير ذلك من الآيات.

^١ تقدم التعريف به في الرسالة العاشرة.

^٢ أي الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى.

^٣ سورة الأنعام: ٥١.

^٤ أي شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

^٥ سورة الأنعام: ٥١.

^٦ سورة البقرة: ٢٥٤.

^٧ سورة السجدة: ٤.

^٨ سورة الزمر: ٤٤.

^٩ سورة النجم: ٢٦.

^{١٠} سورة سبأ: ٢٣.

^{١١} سورة الأنبياء: ٢٨.

^{١٢} سورة طه: ١٠٩.

فالشفاعة التي نفاها القرآن هي التي يَطْلُبُها المشركون من غير الله، فيأتون إلى قبر النبي ﷺ أو إلى قبر من يظنون أنه من الأولياء والصالحين، فيستغيث به ويستشفع به إلى الله، لظنه أنه إذا فعل ذلك شفع له عند الله وقضى الله حاجته، سواء أراد حاجة دنيوية أو حاجة أخروية، كما حكاه تعالى عن المشركين في قوله ﴿ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾^١، لكن كان الكفار الأولون يتشققون^٢ بهم في قضاء الحاجات الدنيوية، وأما المعاد فكانوا مكذبين به، جاحدين له، وأما المشركون اليوم فيطلبون من غير الله حوائج الدنيا والآخرة، ويتقربون بذلك إلى الله، ويستدلون عليه بالأدلة الباطلة و﴿حُجَّتْهُمْ داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد﴾^٣.

وأما الشفاعة التي أثبتها القرآن فقيدها سبحانه بإذنه للشافع ورضاه عن المشفوع له، فلا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، لا ملك مُقَرَّب ولا نبي مرسل، ولا يأذن للشفعاء أن يشفعوا إلا لمن رضي قوله وعمله، وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد.

وأخبر الرسول ﷺ أن أسعد الناس بشفاعته أهل التوحيد والإخلاص^٤، فمن طلبها منه اليوم^٥ حُرِمَها يوم القيامة^٦، والله سبحانه قد أخبر أن المشركين لا تنفعهم شفاعاة الشافعين، وإنما تنفع من جَرَّدَ توحيدَه لله، بحيث أن يكون الله وحده هو إِلَهه ومعبوده، وهو سبحانه لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً، كما قال تعالى ﴿ألا لله الدين الخالص﴾^٧.

فإذا تأملت الآيات تبين لك أن الشفاعة المنفية هي التي يظنها المشركون، ويطلبونها اليوم من غير الله، وأما الشفاعة المثبتة فهي التي لأهل التوحيد والإخلاص، كما أخبر الرسول ﷺ أن شفاعته نائلة من مات من أمته لا يشرك بالله شيئاً، والله أعلم، وصلى الله على محمد، وآله وصحبه وسلّم.^٨

^١ سورة يونس: ١٨ .

^٢ في نسخة «الدرر»: يستشفعون، وكلاهما بمعنى واحد.

^٣ سورة الشورى: ١٦ .

^٤ يشير إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي رواه البخاري (٩٩)، ورواه أحمد (٣٧٣/٢) ولفظه: أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال «لا إله إلا الله» خالصة من قبل نفسه.

^٥ أي توجه للنبي ﷺ بالدعاء أن يشفع له يوم القيامة.

^٦ لأن دعاء غير الله شرك مطلقاً.

^٧ سورة الزمر: ٣ .

^٨ انتهى كلامه رحمه الله، وهو مثبت في «الدرر السنية من الأجوبة النجدية» (١٥٧/٢ - ١٥٩)، و «مجموع الرسائل والمسائل النجدية»، الجزء الثاني، القسم الثالث، ص ٦٥ - ٦٦، وبينهما فروق يسيرة، وقد اعتمدت النص المذكور في النسخة الثانية.

تقرير علو الرب عز وجل على جميع خلقه فوق السماء السابعة

تأليف

الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن

عبد الوهاب (١٢٢٥ - ١٢٩٣ هـ)

رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد اللطيف بن عبد الرحمن^١ إلى الأخ المكرم عبد الرحمن بن محمد بن مانع، سلمه الله تعالى.
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فأحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، والخط وصل وصلك الله لما يرضيه، وسرنا ما ذكرت من العافية، والحمد لله على ذلك،
وتسأل أرشدك الله عمن يرى أن أحاديث الصفات تُجرى على ظاهرها، وشك في معناها من غير اعتقاد حقيقته، ويتستر
بالتفويض، فهل نُكفره بدعواه أو حتى يُختبر؟

فاعلم أرشدك الله أنه لا بُد من الإيمان بأن الله مُستوٍ على عرشه، بائن من خلقه، قاهر فوق عباده، ليس في ذاته شيء من
مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته، كما دلت على هذا الكتب السماوية، والنصوص النبوية، والقواطع العقلية، وأجمعت
عليه الأمم التي تؤمن بوجود الله وبربوبيته العامة.

ولكن لما خاض الناس في علم الكلام وعُريت كتب اليونان وقدماء الفلاسفة، الذين هم من أجهل خلق الله وأضلهم في
النظريات والضروريات، فضلاً عن السمعيات مما جاءت به النبوات؛ حدث بسبب ذلك من الخوض والجدال في صفات الله
ونعوت جلاله التي جاءت بها الكتب وأخبرت بها الرسل ما أوجب لكثير من الناس تعطيل وجود ذاته وربوبيته كما جرى
للاتحادية^٢ والحلولية^٣، فمن باب الكلام والمنطق دخلوا في هذا الكفر الشنيع، والإفك الفظيع، ومنهم من عطل صفات كماله
ونعوت جلاله، التي وصف بها نفسه ووصفته بها رسله، وتمدح بها وأثنى عليه بها صفوة خلقه وخلاصة بريته، حتى آل هذا
القول والتعطيل بأهله إلى أن شبهوه بالعدم المحض، فلم يصفوه إلا بصفات سلبية، ولم يثبتوا له من صفات كماله ونعوت
جلاله ما هو عين الكمال والتعظيم والإيمان والإجلال.

واختلف هذا القسم اختلافاً كبيراً في أصول المقالات وفروعها، فمنهم من طرد الباب في جميع الصفات^٤، ومنهم من أثبت
بعضها، زعمًا منه أن العقل لا يُثبت سواها، ونفى ما عداها من الصفات، كما هو المعروف عمن ينتسب إلى الأشعري
والكرامي، ثم هؤلاء قد يقولون في آيات الصفات وأحاديثها (تُجرى على ظاهرها)، يريدون أنها تُتلى ولا يُعرض لإثبات ما
دلت عليه من المعنى المراد والحقيقة المقصودة، بل يُصرحون برد ذلك ونفيه.

^١ تقدم التعريف به في الرسالة السادسة.

^٢ الاتحادية هم الذين يقولون باتحاد الخالق والمخلوق في ذات واحدة، تعالى الله عن ذلك، ونظريتهم تُعرف بـ «وحدة الوجود»، أي أن الوجود
كله هو الله - بزعمهم.

^٣ الحلولية هم الذين يقولون بحلول الله في خلقه، تعالى الله عن ذلك.

^٤ أي أطلق الكلام وعمّمه لجميع الصفات.

ومقصود السلف بقولهم (أمرؤها كما جاءت)، وقول من قال (تجرى على ظاهرها)؛ إثبات ما دلت عليه من الحقيقة، وما يليق بجلال الله وعظمته وكبريائه ومجده وقيوميته وحده، كما ذكر الوليد بن مسلم عن مالك والليث وسفيان الثوري والأوزاعي أنهم قالوا: (أمرؤها كما جاءت بلا كيف)^١.

فقولهم (أمرؤها كما جاءت) رد على المعطلة، الذين لا يرون ما دلت عليه وجاءت به من الحقيقة المقصودة والمعنى المراد، وقولهم (بلا كيف) رد للممثلة، الذين يعتقدون أن ظاهرها فيه تمثيل وتكييف، ﴿تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً﴾.

ومذهب السلف إثبات ما دلت عليه الآيات والأحاديث على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته وكبريائه ومجده، ومن قال (تجرى على ظاهرها) وأنكر المعنى المراد، كمن يقول في قوله تعالى ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ أنه بمعنى استولى، وفي قوله ﴿لما خلقت بيدي﴾ أنه بمعنى القدرة، ومع ذلك يقول (تجرى على ظاهرها)؛ فهذا جاهل متناقض، لم يفهم ما أريد من قولهم (تجرى على ظاهرها)، ولم يفهم أن الظاهر هو ما دلت عليه نصاً أو ظاهراً في معناه المراد، ولا ينبغي في الإيمان الإتيان بقول ظاهر يوافق ما كان عليه السلف وأهل العلم مع اعتقاد نقيضه في الباطن، بل هذا عين النفاق، وهو من أفحش الكفر في نصوص الكتاب والسنة، والسلف وأهل العلم والفتوى لا يكتفون بمجرد الإيمان بألفاظ الكتاب والسنة في الصفات من غير اعتقاد لحقيقتها وما دلت عليه من المعنى، بل لا بُد من الإيمان بذلك.

وكذا الاستواء على العرش؛ العلو والارتفاع، وحديث الجارية نص في أن اعتقاد العلو والفوقية لا بُد منه في الإيمان، وكما دلت عليه النصوص المتظاهرة من الكتاب والسنة، كقوله تعالى ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾، ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾، ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾، ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم﴾، وحديث الأوعال^٢، وحديث الرقية^١،

^١ روى البيهقي في «السنن الكبرى» (٣/٣) بسنده عن أبي داود الطيالسي قال: كان سفيان الثوري وشعبة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وشريك وأبو عوانة لا يحدون، ولا يشبهون، ولا يمثلون، يروون الحديث، ولا يقولون (كيف)، وإذا سُئلوا أجابوا بالآثر. وروى أبو بكر الخلال في «السنة» (٢٥٩/١) واللفظ له والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢/٣) عن الوليد بن مسلم قال: سألت سفيان والأوزاعي ومالك بن أنس والليث بن سعد عن هذه الأحاديث، فقالوا: تُمرها كما جاءت.

وقال البغوي في تفسير آية المائدة (٦٤) ﴿ولعنوا بما قالوا بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾: قال أئمة السلف من أهل السنة في هذه الصفات: أمرؤها كما جاءت بلا كيف.

^٢ حديث الأوعال رواه ابن ماجه (١٩٢) وأبو داود (٤٧٢٣) وغيرهما عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: كنت بالبطحاء في عصابة، وفيهم رسول الله ﷺ، فمرت به سحابة، فنظر إليها فقال: ما تسمون هذه؟ قالوا: السحاب. قال: والمزن؟ قالوا: والمزن. قال: والعنان؟ قال أبو بكر: قالوا: والعنان. قال: كم ترون بينكم وبين السماء؟ قالوا: لا ندري. قال: فإن بينكم وبينها إما واحداً أو اثنين أو ثلاثاً وسبعين سنة، والسماء فوقها كذلك — حتى عدَّ سبع سماوات — ثم فوق السماء السابعة بحر، بين أعلاه وأسفله كما بين سماء إلى سماء، ثم

وحديث الاستسقاء^٢، وغير ذلك مما لا يكاد يُحصى.

قال أبو مطيع: سألت أبا حنيفة عمن يقول: لا أعرف؛ ربي في السماء أو في الأرض.

فقال: قد كفر، لأن الله تعالى يقول ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ وعرشه فوق سماواته.

فقلت: إنه يقول: أقول على العرش استوى ولكن قال لا يدري العرش في السماء أو في الأرض.

قال: إذا أنكر أنه^٣ في السماء فقد كفر.^٤

لأنه أنكر أن يكون الله في السماء، لأنه تعالى في أعلى عليين، وأنه يُدعى من أعلى لا من أسفل، وهذا يدل على أن من آمن بنفس اللفظ ونفى ما يدل عليه من العلو فهو كافر عنده^٥، وغيره من الأئمة لا يخالفه.

وقال مالك رحمه الله: الله في السماء، وعلمه بكل مكان.^٦

فوق ذلك كله ثمانية أوعال، بين أظلافهم وركبهم كما بين سماء إلى سماء، ثم على ظهورهم العرش، بين أعلاه وأسفله كما بين سماء إلى سماء، ثم الله فوق ذلك تبارك وتعالى.

والحديث ضعيف، كما بينه الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٥٧٢٦)، ويغني عنه الآيات والأحاديث المتضاربة في تقرير العلو.

^١ يشير إلى حديث عائشة رضي الله عنها الذي رواه مسلم (٢١٩٤) أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى الإنسان الشيء منه، أو كانت به قرحة أو جرح؛ قال النبي ﷺ بإصبعه هكذا، ووضع سفيان سبابته بالأرض ثم رفعها: باسم الله، تربة أرضنا، بريقة بعضنا، يُشفى به سقيمنا، بإذن ربنا.

والشاهد منه رفع سبابته إلى السماء، داعياً ربه بالشفاء.

^٢ يشير إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه الذي رواه البخاري (١٠١٩) ومسلم (٨٩٧) أن رجلاً دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر، ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبل رسول الله ﷺ قائماً فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا. قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال: اللهم اسقنا، اللهم اسقنا، اللهم اسقنا ... الحديث.

والشاهد منه رفع النبي ﷺ يديه إلى السماء، فدل هذا على علو الرب، إذ رفع يديه إليه يستجلب العطاء والمطر.

^٣ أي العرش.

^٤ «الفقه الأكبر» لأبي حنيفة، ونقله الذهبي في «العلو»، ص ١٣٥-١٣٦، (الناشر: أضواء السلف - الرياض)، وقد ضبطت النص منه على خلاف يسير عما هو مذكور في المطبوع.

وروى الذهبي بإسناده عن أبي محمد عبد الله بن أحمد المقدسي قال: بلغني عن أبي حنيفة رحمه الله أنه قال: من أنكر أن الله عز وجل في السماء فقد كفر. انظر «العلو» ص ١٣٦.

^٥ أي عند أبي حنيفة رحمه الله.

^٦ رواه الآجري في «الشريعة» (٦٧/٢-٦٨)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (١٠٦/١ - ١٠٧).

وروى اللالكائي أثر الإمام مالك في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» بنحوه (٦٧٣)، وكذا ابن بطة في «الإبانة» (١٥٣/٣)، وصحح الألباني رحمه الله إسناده في «مختصر العلو» (١٣٠).

وقد بسط اللالكائي رحمه الله أقوال الأئمة من السلف ومن بعدهم على تكفير هذا الضرب^١ من الناس، وقد حبس هشام بن عبد الله الرازي قاضي «الري» رجلاً في التجهم^٢، فأظهر التوبة، فأحضر عنده، فقال: الحمد لله على التوبة.

فقال هشام: أتشهد أن الله على عرشه، بائن من خلقه؟

فقال: أشهد أن الله على عرشه، ولا أدري ما بائن من خلقه.

فقال: رُدُّوه، فإنه لم يَثْبُ^٣.

وذكر الحاكم بإسناد صحيح عن محمد بن إسحاق بن خزيمة رحمه الله أنه قال: من لم يقل إن الله فوق سماواته، على عرشه، بائن من خلقه؛ وجب أن يُستتاب، فإن تاب وإلا ضُرِبَ عنقه، ثم يُلْقَى في مزبلة لئلا يتأذى بنتن ريحه أهل القبلة وأهل الذمة.^٤

وبهذا تعلم أن التفويض عند السلف إنما هو في العلم بالكيفية، لا فيما دلت عليه النصوص من إثبات صفات الكمال، كالعلو والارتفاع والفوقية، فإن هذا لا بُدَّ من اعتقاده والإيمان به.

وقال ابن أبي زيد القيرواني في قوله ﴿الرحمن على العرش استوى﴾: أي بذاته.^٥

وقد أنكر عليه من لا علم له ولا اطلاع على مذهب السلف والأئمة المقلِّدين، رضي الله عنهم أجمعين، وخبَّط في هذا المقام بما لا طائل تحته من فضول الكلام، الدال على فساد القصد وعدم رسوخ الأفهام، فنعوذ بالله من مَعَرَّة^٦ الجهل والأوهام، ونستجير به من مزلة الأقدام.^٧

^١ أي هذا النوع.

^٢ أي بسبب اعتناقه لفكر الجهمية، وهو نفي صفات الكمال عن الله، لاسيما صفة العلو.

^٣ رواه ابن أبي حاتم، كما قاله الذهبي في كتاب «العلو»، ص ١٦٩.

^٤ رواه الحاكم في «علوم الحديث» و «تاريخ نيسابور»، وعنه الشيخ أبو إسماعيل الصابوني في «عقيدة السلف أصحاب الحديث» ص ٢٨ — ٢٩ (تحقيق بدر البدر، الناشر: دار الفتح — الإمارات)، وأخرجه الهروي في «ذم الكلام وأهله»، وصحح إسناده ابن تيمية في «الفتوى الحموية».

^٥ قال رحمه الله في عقيدته المعروفة بـ «عقيدته السلف»، وهي مقدمة لكتابه «الرسالة»:

وهو العلي العظيم العالم الخبير، المدبر القدير، السميع البصير، العلي الكبير، وأنه فوق عرشه المجيد بذاته.

وقد حقق هذه المقدمة الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله، ودافع في مقدمتها عن عبث بعض المعاصرين بها.

توفي ابن أبي زيد رحمه الله سنة ٣٨٦ هـ.

^٦ مَعَرَّة الشيء أي أذاه.

^٧ انتهى كلامه رحمه الله، وهو مثبت في «مجموعة المسائل والرسائل النجدية»، (٣/٣٤٤ — ٣٤٧).

بيان معنى الإسلام والإيمان،
وأن الأعمال من الإيمان،
والفرق بين مطلق الإيمان والإيمان المطلق

تأليف

الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، رحمه الله تعالى
(١١٩٦ - ١٢٨٥ هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب^١ رحمهم الله:

الكلام في الإسلام والإيمان في مقامات:

الأول: فيما دل عليه حديث عمر رضي الله عنه في سؤال جبريل عليه السلام للنبي ﷺ بقوله: أخبرني عن الإسلام.

فقال: الإسلام أن تشهد أن «لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله» ... الحديث.

قال: أخبرني عن الإيمان.

قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.^٢

فأخبر أن الإسلام هو الأعمال الظاهرة، والإيمان يُفسَّرُ بالأعمال الباطنة، وبذلك يُفسَّرُ كل منهما عند الاقتران، فإذا أُفرد الإيمان - كما في كثير من آيات القرآن - دخل فيه الأعمال الظاهرة والباطنة، كما دلَّ على ذلك كثير من الآيات والأحاديث، كقوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل﴾^٣ الآية، فتناولت الآية جميع الأعمال الباطنة والظاهرة، لدخولها في مسمى الإيمان.

وأما الأركان الخمسة فهي جزء مُسمَّى الإيمان، ولا يحصل الإسلام على الحقيقة إلا بالعمل بهذه الأركان، والإيمان بالأصول الستة المذكورة في الحديث.

وأصول الإيمان المذكورة تتضمن الأعمال الباطنة والظاهرة، فإن الإيمان بالله يقتضي محبته وخشيته وتعظيمه وطاعته بامتثال أمره وترك نهيهِ، وكذلك الإيمان بالكتب يقتضي العمل بما فيها من الأمر والنهي، فدخل هذا كله في هذه الأصول الستة.

^١ تقدم التعريف به في الرسالة الأولى.

^٢ رواه مسلم (٨).

^٣ سورة النساء: ١٣٦ .

^٤ أي جزء من الإيمان.

ومما يدل على ذلك قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ إلى قوله ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾^١، فدللت هذه الآيات على أن الأعمال الظاهرة والباطنة داخلية في مسمى الإيمان، كقوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾^٢، فانتفاء الشكِّ والرَّيبِ من الأعمال الباطنة، والجهاد من الأعمال الظاهرة، فدل على أن الكلَّ إيمان.

ومما يدل على أن الأعمال من الإيمان قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾^٣، أي صلاتكم إلى بيت المقدس قبل تحويل القبلة إلى الكعبة.

ونظائر هذه الآية في الكتاب والسنة كثيرة، كقوله ﷺ في حديث وفد عبد القيس: آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ شهادة أن «لا إله إلا الله، وأني رسول الله»، وتقيموا الصلاة، وتؤتوا الزكاة، وتؤدُّوا خمس ما غنمتم.^٤ ففسر الإيمان بالأعمال الظاهرة لأنها جزءٌ مُسمَّاهُ^٥ كما تقدم.

إذا عرفت أن كلاً من الأعمال الظاهرة والباطنة من مُسمى الإيمان شرعاً؛ فكلُّ ما نَقَصَ من الأعمال التي لا يُخرجُ نقصُها من الإسلام فهو نقص في كمال الإيمان الواجب، كما في حديث أبي هريرة: لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبه يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن.^٦

وقوله ﷺ: لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له.^٧

^١ سورة الأنفال: ٢-٤ .

^٢ سورة الحجرات: ١٥ .

^٣ سورة البقرة: ١٤٣ .

^٤ انظر «صحيح البخاري» (٥٣)، ومسلم (١٧)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

^٥ يقصد: جزءاً منه.

^٦ رواه البخاري (٥٥٧٨) ومسلم (٥٧).

^٧ رواه أحمد (١٣٥/٣) وأبو يعلى (٢٨٦٣) وابن حبان (١٩٤) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ما خطبنا نبي الله

ﷺ إلا قال: لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له.

وحسنه محققو «المسند».

ونفى الإيمان عمن لا يأمن جازؤه بوائقه.^١

فالمنفي في هذه الأحاديث كمال الإيمان الواجب، فلا يُطلق الإيمان على مثل أهل هذه الأعمال إلا مُقيِّدًا بالمعصية أو بالفسوق، فيُقَال: (مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته)، فيكون معه من الإيمان بقدر ما معه من الأعمال الباطنة والظاهرة، فيدخل في جملة أهل الإيمان على سبيل إطلاق أهل الإيمان، كقوله تعالى ﴿فتحرير رقبة مؤمنة﴾^٢.

وأما المؤمن الإيمان المطلق الذي لا يتقيد بمعصية ولا بفسوق ونحو ذلك فهو الذي أتى بما يستطيعه من الواجبات مع تركه لجميع المحرمات، فهذا هو الذي يُطلق عليه اسم الإيمان من غير تقييد، فهذا هو الفرق بين مُطلق الإيمان والإيمان المطلق، والثاني^٣ هو الذي لا يُصِرُّ صاحبه على ذنب، والأول^٤ هو المُصِرُّ على بعض الذنوب.

وهذا الذي ذكرته هنا هو الذي عليه أهل السُّنة والجماعة في الفرق بين الإسلام والإيمان، وهو الفرق بين مطلق الإيمان والإيمان المطلق، فمطلق الإيمان هو وصفُ المسلم الذي معه أصل الإيمان الذي لا يتِمُّ إسلامه إلا به، بل لا يصح إلا به، فهذا في أدنى مراتب الدِّين إذا كان مُصِرًّا على ذنب، أو تاركًا لما وجب عليه مع القدرة عليه.

والمرتبة الثانية من مراتب الدين مرتبة أهل الإيمان المطلق الذين كُثِّلَ إسلامهم وإيمانهم، بإتيانهم بما وجب عليهم وتركهم ما حرمه الله عليهم وعدم إصرارهم على الذنوب، فهذه هي المرتبة الثانية التي وعد الله أهلها بدخول الجنة والنجاة من النار، كقوله تعالى ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله﴾^٥ الآية، فهؤلاء اجتمعت لهم الأعمال الظاهرة والباطنة، ففعلوا ما

ورواه الطبراني في «الكبير» (٢٢٧/١٠) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

^١ رواه البخاري «٦٠١٦» عن أبي شريح أن النبي ﷺ قال: والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن.

قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه.

^٢ سورة النساء: ٩٢.

^٣ أي صاحب الإيمان المطلق.

^٤ أي صاحب مطلق الإيمان.

^٥ سورة الحديد: ٢١.

أوجب الله عليهم، وتركوا ما حرم الله عليهم، وهم السعداء أهل الجنة، والله سبحانه وتعالى أعلم، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلّم.^١

وسئل أيضا رحمه الله عن الفرق بين الإسلام والإيمان فأجاب:

قد فسّر النبي ﷺ الإسلام والإيمان في حديث جبرائيل، وفسر الإسلام في حديث ابن عمر، وكلاهما في الصحيح، فقال: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً.

وقال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره.^٢ وقال في حديث ابن عمر: بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت.^٣ وفي رواية: والحج، وصوم رمضان.^٤

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

جعل النبي ﷺ الدين ثلاث درجات، أعلاها الإحسان، وأوسطها الإيمان، ويليها الإسلام، فكل محسن مؤمن، وكل مؤمن مسلم، وليس كل مؤمن محسناً، ولا كل مسلم مؤمناً، كما سيأتي بيانه إن شاء الله في سائر الأحاديث. انتهى كلامه.^٥

فإن قيل: قد فرّق النبي ﷺ في حديث جبرائيل بين الإسلام والإيمان، والمشهور عن السلف وأئمة الحديث أن الإيمان قول وعمل ونية، وأن الأعمال كلها داخلية في مسمى الإيمان، وحكى الشافعي على ذلك إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركهم.

^١ انتهى كلامه رحمه الله، وهو مثبت في «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (١/٣٣٠ - ٣٣٠)، و«مجموعة الرسائل والمسائل النجدية»، المجلد الثاني القسم الأول (ص ٢ - ٥)، وبينهما فروق يسيرة، وقد أثبت ما هو أليق بالسياق، والله أعلم.

^٢ تقدم تحريجه.

^٣ رواه مسلم (١٦)، وابن حبان (١٤٤٦)، والترمذي (٢٦٠٩).

^٤ هذا لفظ البخاري (٨).

^٥ «مجموع الفتاوى» (٧/٧).

فالجواب: أن الأمر كذلك، وقد دل على دخول الأعمال في الإيمان الكتاب والسنة، أما الكتاب فكقوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾^١ الآية.

وأما الحديث؛ فكقوله في حديث أبي هريرة المتفق عليه: (الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان)^٢، وغير ذلك، فمن زعم أن إطلاق الإيمان على الأعمال الظاهرة مجاز؛ فقد خالف الصحابة والتابعين والأئمة.

إذا عرفت ذلك؛ فاعلم أنه يُجمع بين الأحاديث بأن أعمال الإسلام داخلية في مسمى الإيمان، شاملاً لها، ففُسِّرَت بالإسلام، وهي جزء مسمى الإيمان، لكون الإيمان مثلاً لها ولغيرها من الأعمال الباطنة والظاهرة، فإذا أُفرد الإيمان في آية أو حديث دخل فيه الإسلام، وإذا قُرِنَ بينهما فُسِّرَ الإسلام بالأركان الخمسة كما في حديث جبريل، وفُسِّرَ الإيمان بأعمال القلب لأنها أصل الإيمان ومُعَظَمُهُ، وقوته وضعفه ناشئ عن قوة ما في القلب من هذه الأعمال أو ضعفها.

وقد يضعف ما في القلب من الإيمان بالأصول الستة حتى يكون وزن ذرّة، كما في الحديث الصحيح: أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان.^٣

فقدّر ما في القلب من الإيمان تكون الأعمال الظاهرة التي هي داخلية في مسماه، وتسمى إسلاماً وإيماناً، كما في حديث وفد عبد القيس، حين قال لهم النبي ﷺ: آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تؤدوا خمس ما غنمتم.^٤

^١ سورة الأنفال: ٢ .

^٢ رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظ البخاري: الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان.

ولفظ مسلم: الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول «لا إله إلا الله»، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان.

^٣ انظر صحيح البخاري (٧٥١٠)، وصحيح ابن حبان (٤٠٠/١٤)، ومسنند أبي يعلى (٢٨٨٩، ٢٩٢٧، ٢٩٥٥)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

^٤ تقدم تخريجه.

فهذه الأعمال داخلة في الإيمان، وهي الإسلام، لأن الإيمان اسم لجميع الأعمال الظاهرة والباطنة، فمن ترك شيئاً من الواجبات، أو فعل شيئاً من المحرمات؛ نقص إيمانه بحسب ذلك، وهو دليل على نقصان أصل الإيمان، وهو إيمان القلب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في الكلام على الإسلام والإيمان والإحسان، وما بين الثلاثة من العموم والخصوص:

أما الإحسان فهو أعم من جهة نفسه، وأخص من جهة أصحابه من الإيمان. والإيمان أعم من جهة نفسه، وأخص من جهة أصحابه من الإسلام. فالإحسان يدخل فيه الإيمان، والإيمان يدخل فيه الإسلام، والمحسنون أخص من المؤمنين، والمؤمنون أخص من المسلمين. انتهى.^١ وهذا يبين ما قررنا.

فحينئذ يتبين الإيمان الكامل الذي صاحبه يستحق عليه دخول الجنة والنجاة من النار، هو فعل الواجبات وترك المحرمات، وهو الذي يُطلق على مَنْ كان كذلك بلا قيد، وهو الإيمان الذي يسميه العلماء الإيمان المطلق، وأما من لم يكن كذلك، بل فرط في بعض الواجبات أو فعل بعض المحرمات؛ فإنه لا يُطلق عليه الإيمان إلا بقيد، فيقال: (مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته)، أو يقال: (مؤمن ناقص الإيمان)، لكونه ترك بعض واجبات الإيمان، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن.^٢ أي: ليس موصوفاً بالإيمان الواجب الذي يستحق صاحبه الوعد بالجنة والمغفرة والنجاة من النار، بل هو تحت المشيئة، إن شاء عَفَّرَ له، وإن شاء عَذَبه على ترك ما وجب عليه من الإيمان وارتكابه الكبيرة. وقيل: هذا يوصف بالإسلام دون الإيمان، ولا يسمى مؤمناً إلا بقيد، وهذا الذي يسميه العلماء مطلق الإيمان، أي أنه أتى بالأركان الخمسة، وعمل بها باطناً وظاهراً.

وهذا الذي قلنا من معنى الإسلام والإيمان هو مذهب الإمام أحمد وطائفة من السلف والمحققين.

^١ «مجموع الفتاوى» (١٠/٧).

^٢ رواه البخاري (٦٧٧٢)، ومسلم (٥٧)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وذهب طائفة من أهل السنة أيضاً إلى أن الإسلام والإيمان شيء واحد وهو الدين، فيسمى إسلاماً وإيماناً، فهما اسمان لمسمى واحد، والأول أصح، وهو الذي نصره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتبه، فلا تلتفت إلى ما يخالف هذين القولين، والله أعلم.^١

^١ انتهى كلامه رحمه الله، وهو مثبت في «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (١/٣٣٤ - ٣٣٨).

أنموذج النصيحة الشرعية للمسلمين، ولولي أمر

المسلمين، وتتضمن:

○ وصية بتقوى الله لعموم المسلمين

○ رسالتي مناصحة لإمام المسلمين فيصل بن

تركي آل سعود (رحمهم الله)

تأليف

الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (١١٩٦ - ١٢٨٥ هـ)

○ ويليه ثلاث رسائل لابنه الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن

(١٢٢٥ - ١٢٩٣ هـ)

في وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين، وذم الخروج عليهم وإن جاروا

(رحمهم الله تعالى)

معنى التقوى، وتفسير قول الله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته﴾ إلى قوله ﴿وأولئك لهم عذاب عظيم﴾^١

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الرحمن بن حسن^٢ إلى من يصل إليه هذا الكتاب من الإخوان، وفقنا الله وإياهم لإقامة شرائع الدين، واستعملنا فيما استعمل فيه أهل الإيمان و اليقين، وجعلنا من الشاكرين لنعمة الإسلام، المثنين بما عليه، ونسأله أن يتقبلها منا، ويؤتمها علينا بالرغبة فيما يوجب الفوز لديه.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فأوصيكم وإياي بتقوى الله في الغيب والشهادة، قال الله تعالى ﴿ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله﴾ الآية.

قال طلق بن حبيب رحمة الله: التقوى أن تعمل بطاعة الله، على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله، على نور من الله، تخاف عقاب الله.^٣

ولا وصية أعظم ولا أنفع مما وصى الله به عباده المؤمنين، قال الله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون * ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون * ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم﴾^٤.

^١ سورة آل عمران: ١٠٢ - ١٠٥ .

^٢ تقدم التعريف به في الرسالة الأولى.

^٣ رواه ابن أبي حاتم في تفسير سورة البقرة، آية ٤١، والآية ٢٣٧، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٣٤٧)، بنحوه.

^٤ سورة آل عمران: ١٠٢ - ١٠٥ .

وينبغي أن نشير إلى بعض ما ورد عن السلف رحمهم الله تعالى في معنى هذه الوصية العظيمة المتضمنة لأصول الدين، وما يقوم عليه^١ من الأعمال.

فعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه موقوفاً - وزوي مرفوعاً - والموقوف أشهر: ﴿حق ثقاته﴾؛ أن يُطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر.^٢

وأصل الإسلام وأساسه أن ينقاد العبد لله تعالى بالقلب والأركان، مدعياً له بالتوحيد، مفرداً له بالإلهية والربوبية دون كل ما سواه، مقدِّماً مراد ربه على كل ما تحبه نفسه وتهواه، وهذا معنى قول النبي ﷺ: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً. الحديث.^٣

قال أبو جعفر ابن جرير رحمه الله تعالى: (وحبل الله؛ دينه الذي أمركم به، وعهده الذي عهدته إليكم في كتابه، من الألفة والاجتماع على كلمة الحق والتسليم لأمر الله).^٤

وهو جامع لكل ما ورد عن السلف في معناه.^٥

كما زوي عن ابن مسعود قال: حبل الله؛ الجماعة.^٦

وعن أبي العالية: اعتصموا بالإخلاص لله وحده.^٧

^١ الضمير راجع إلى معنى الوصية المشار إليه آنفاً.

^٢ رواه ابن أبي حاتم في تفسير الآية، وقال ابن كثير: هذا إسناد صحيح موقوف، ورواه ابن جرير أيضاً.

^٣ رواه مسلم (٨) بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

^٤ انظر تفسير الآية في تفسير ابن جرير.

^٥ في المطبوع قلب للكلام، ففيه:

(وحبل الله؛ دينه الذي أمركم به وعهده الذي عهدته إليكم في كتابه، من الألفة والاجتماع على كلمة الحق والتسليم لأمر الله).

قال أبو جعفر ابن جرير رحمه الله تعالى: وهو جامع لكل ما ورد عن السلف في معناه).

فجعل الناسخ الجملة الأولى من كلام الشيخ، والجملة الثانية من كلام ابن جرير، وبعد التحقق من تفسير ابن جرير تبين أن في الأمر قلباً، فتم تعديله.

^٦ رواه ابن جرير عنه في تفسير الآية الكريمة.

^٧ رواه ابن جرير وابن أبي حاتم عنه في تفسير الآية الكريمة.

وعن ابن زيد قال: الحبل الإسلام.^١

وقيل: هو القرآن، لما روى ابن مردويه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن هذا القرآن هو حبل الله المتين، وهو النور المبين، وهو الشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه.^٢ ثم قال تعالى ﴿ولا تفرقوا﴾، عن عبد الله بن مسعود أنه قال: يا أيها الناس، عليكم بالطاعة والجماعة، فإنها حبل الله الذي أمر به، وإنَّ ما تكرهون في الطاعة والجماعة هو خير مما تستحبون في الفرقة.^٣

وأخرج محمد بن نصر المروزي^٤ وغيره من حديث عبد الله بن لحي أبي عامر، أن معاوية رضي الله عنه قام حين صلى الظهر بمكة فقال: إن رسول الله ﷺ قال:

(إن أهل الكتاب افترقوا في دينهم على اثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفرق على ثلاث وسبعين ملة - يعني الأهواء - كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة).

والله يا معشر العرب، إن لم تقوموا بما جاء به نبيكم ﷺ؛ لغيركم من الناس أخرى أن لا يقوم به.^٥

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: اتبعوا ولا تبندعوا فقد كُفيتُم، فكلُّ بدعة ضلالة.^٦

ثم قال تعالى ﴿واذكروا نعمة الله عليكم﴾، أي اذكروا ما أنعم الله به عليكم من الألفة والاجتماع على الإسلام، حين كنتم أعداء على شرككم، يقتل بعضكم بعضاً عصبية، في غير طاعة الله ولا طاعة رسوله، فألف بين قلوبكم، تواصلوا بألفة الإسلام واجتماع كلمتكم عليه.

^١ رواه ابن جرير عنه في تفسير الآية الكريمة.

^٢ نقله ابن كثير عنه في تفسير الآية الكريمة.

^٣ رواه ابن جرير عنه في تفسير الآية الكريمة.

^٤ هو الإمام، شيخ الإسلام، الحافظ، من فقهاء الشافعية، توفي سنة ٢٩٤، انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٣٣/٤).

^٥ كتاب «السنة»، الأثر رقم (٣٩)، وقال محققه الشيخ سليم عيد الهاللي حفظه الله: إسناده حسن، وهو صحيح بشواهده.

وانظر تخريج الحديث بتوسع في «السلسلة الصحيحة» (٢٠٤) للشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله.

وقد روى الحديث أبو هريرة وعوف بن مالك رضي الله عنهما، انظر للتوسع المرجع السابق (٢٠٣، ١٤٩٢).

^٦ رواه الهروي في «ذم الكلام وأهله» (١٦٥/٢) رقم (٢٤٧)، وكذا الطبراني في «المعجم الكبير»، برقم (١٥٤/٩)، والدارمي في «السنن»، كتاب المقدمة، باب في كراهية أخذ الرأي، ولفظه: اتبعوا ولا تبندعوا، فقد كُفيتُم.

وذكر عن قتادة: كنتم تذابحون فيها، يأكل شديدكم ضعيفكم، حتى جاء الله بالإسلام فأخى به بينكم، وألف به بينكم، أما والله الذي لا إله إلا هو؛ إن الألفة لرحمة، وإن الفرقة لعذاب.^١

وقوله ﴿وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها﴾ يقول تعالى: وكنتم على طرف جهنم بكفركم الذي كنتم عليه، فأنقذكم الله بالإيمان الذي هداكم به.

وذكر عن قتادة في الآية: كان هذا الحي من العرب أذل الناس ذلاً، وأشقاء عيشاً، وأبينه ضلالة، وأعراهم جلوداً، وأجوعه بطوناً، معكومين^٢ على رأس حجر بين الأسدين: فارس والروم، لا والله ما في بلادهم يومئذ من شيء يُحسدون عليه، من عاش منهم عاش شقيماً، ومن مات رُدِّي في النار، يؤكلون ولا يأكلون، والله ما نعلم قبلاً يومئذ من حاضر الأرض كانوا فيها أصغر حظاً وأدق فيه شأن منهم، حتى جاء الله عز وجل بالإسلام فوزتكم به الكتاب، وأحل لكم به دار الجهاد، ووضع لكم به الرزق، وجعلكم به ملوكاً على رقاب الناس، وبالإسلام أعطى الله ما رأيتم، فاشكروا نعمه، فإن ربكم مُنعمٌ يحب الشاكرين، وإن أهل الشكر في مزيد الله، فتعالى ربنا وتبارك.^٣

وقوله ﴿كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾، أي يُعرِّفكم في كل ذلك مواقع نعمه وصنائه فيكم، ويبين لكم حجته في تنزيهه على رسوله ﷺ لتهتدوا إلى سبيل الرشاد، وتسلكوها؛ فلا تضلُّوا عنها.

وقوله ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير﴾ الآية، قال ابن كثير في تفسيره:

المقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من الأمة مُتَّصِدِيَّة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن كان ذلك واجباً على كل فرد من الأمة بحسبه، كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان.^٤

^١ رواه ابن جرير عنه في تفسير الآية الكريمة ﴿واذكروا نعمة الله عليكم﴾ الآية.

^٢ العَكم هو شدُّ الفم، ويستعمل في الإبل لئلا تَعَض إذا هاجت. انظر «لسان العرب».

^٣ رواه ابن جرير عنه في تفسير الآية.

^٤ أي حجته.

^٥ رواه مسلم (٤٩) عن طارق بن شهاب رضي الله عنه.

وفي «المسند» عن حذيفة أن النبي ﷺ قال: والذي نفسي بيده؛ لتأمرنَّ بالمعروف، ولتَنْهَوْنَ عن المنكر، أو ليوشكنَّ الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده، ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم.^١ انتهى.

قلت: وروى محمد بن نصر من حديث يزيد بن مرثد مرسلاً قال: قال رسول الله ﷺ: كلُّ رجل من المسلمين على ثغرة من تُعَرِّ الإسلام، الله الله، لا يؤتى الإسلام من قبلك.^٢

وروى بسنده عن الحسن بن حي: إنما المسلمون على الإسلام بمنزلة الحصن، فإذا أحدثَ المسلم حدثاً؛ تُغَرِّ في الإسلام من قبَلِهِ، فإن أحدث المسلمون كلهم فاثبتت أنت على الأمر الذي لو اجتمعوا عليه لقام الدين لله بالأمر الذي أراده من خلقه، لا يؤتى الإسلام من قبلك.^٣

وقوله ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم﴾، قال ابن عباس في الآية: أمر الله جل ثناؤه المؤمنين بالجماعة، فنهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنما هلك من كان قبلهم بالمرء والخصومات في دين الله.^٤

قلت: فتأمل كيف نهي الله سبحانه في هذه الآيات عن التفرق في موضعين، وأخبر أنه من موجبات العذاب العظيم، وأرشد إلى أسباب الاجتماع على دينه وشرعه، ومن أعظمها الاعتصام بكتابه ودينه علماً وعملاً، وأداء شكره، والقيام بما فرضه على عباده من الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن هنا تعلّم أن من أعظم الفساد الإعراض عن كتاب الله وما بعث الله به رسوله من الهدى والعلم، واتباع الأهواء والآراء المضلة، نعوذ بالله من ذلك، فإذا وقع ذلك ترتب عليه من أنواع الفساد ما لا يكاد يبلغه الوصف، فمن ذلك الاختلاف في الدين والتحاسد والتدابير والتقاطع، فلا تكاد ترى إلا من هو مُعجب برأيه، منتقص لغيره، مُخِلِّدٌ إلى الأرض عن تعلّم العلم وتعليمه.

فالواجب على من أعطاه الله شيئاً من العلم أن يبذله لطالبه، وأن يقوم بما أوجب الله تعالى عليه من النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم، وعلى الخاصة والعامة أن يُعْظَمُوا كتاب ربهم ودينه وشرعه، ويُقبلوا بكليتهم على ما ينفعهم من تعلم دينهم وطاعة ربهم، وترك معاصيه، وأن يقوموا بما وَجَبَ

^١ رواه أحمد (٣٨٨/٥)، وقال محققو «المسند»: حسن لغيره.

^٢ كتاب «السنة»، رقم (٢٠).

^٣ المصدر السابق، رقم (٢٢).

^٤ رواه ابن جرير عنه في تفسير الآية الكريمة ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات﴾ الآية.

عليهم مع ذلك من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على علم وبصيرة، وأن يهتموا بما يُصلح ذلك من الإخلاص لله تعالى في أمور دينهم.

وعلى من نصح نفسه أن يكون حذراً من الأسباب التي تُضعف الإيمان، وتَجلب أسباب المآثم والعصيان، من الهلع والطمع والرضا بالدنيا والاطمئنان بها، وفي الحديث: حُبُّ الدنيا رأسُ كلِّ خطيئة.^١

وأخرج البخاري في «صحيحه» وغيره من حديث أبي سعيد أن النبي ﷺ جلس ذات يوم على المنبر وجلسنا حوله فقال: إن مما أخاف عليكم من بعدي ما يُفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها.

فقال رجل: يا رسول الله، أويأتي الخير بالشر؟

فسكت النبي ﷺ، فقليل له: ما شأنك؟ تُكَلِّم النبي ﷺ ولا يُكَلِّمك؟

فرأينا أنه يُنزِّل عليه^٢، قال: فَمَسَحَ عَنْهُ الرُّخْصَاءُ^٣، فقال: أين السائل؟ وكأنه حمْدُهُ^٤، فقال: إنه لا يأتي الخير بالشر، وإن مما يُنبئ الربيع يقتلُ أو يُلِّمُ^٥، إلا أَكَلَةَ الخَضِيرِ^٦، أَكَلْتُ، حتى إذا امتدَّت خَاصِرَتَاهَا استقبلت عين الشمس فثَلَطَتْ^٧ وبالت ورتعت^٨، وإن هذا المال خَصِرَةٌ حلوةٌ، فَنِعَمَ صاحب المسلم ما

^١ قال ابن تيمية رحمه الله كما في «مجموع الفتاوى» (١٠٧/١١):

ليس هذا محفوظاً عن النبي ﷺ، ولكن هو معروف عن جندب بن عبد الله البجلي من الصحابة، ويُذكر عن المسيح ابن مريم عليه السلام.

قلت: قد روى أبو نعيم في «الحلية» (٤٣٠/٦) عن سفيان الثوري قال: قال عيسى بن مريم عليه السلام: حب الدنيا رأس كل خطيئة.

وروى البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٣٨/٧) عن الحسن مرسلاً قال: قال رسول الله ﷺ: حب الدينار رأس كل خطيئة.

والآيات والأحاديث والآثار الواردة في ذم الدنيا كثيرة.

^٢ أي يُنزِّل عليه الوحي.

^٣ أي العرق.

^٤ أي تبين من حال النبي ﷺ أنه لم يكره سؤال السائل وإنما فرح به وارتاح له.

^٥ يشير إلى أن الخير قد يؤدي إلى الشر والهلاك، كنبات الربيع تأكل منه الدابة، فتصاب بالتخمة فرما تموت، إلا إن ثلطت فلا يضرها.

^٦ أي العشب ونحوه.

^٧ أي أَلْقَت الروث من بطنها.

أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل^٢ - أو كما قال النبي ﷺ - وإنه من يأخذه بغير حقه كالذي يأكل ولا يشبع، ويكون شهيداً عليه يوم القيامة.^٣ انتهى.

فهذا مثل ضربه رسول الله ﷺ ويُن فيهِ أن من جمع الدنيا أو طلبها من غير حلها، وصرفها في غير حقها؛ صارت عليه وبالاً، ومَن أَجْمَلَ في طلبها وأخذها من حلِّها، وأدَّى حقَّ الله فيها، ولم يشتغل بها عن طاعة مولاه؛ فإنها تكون في حقه نعمة وعطية، ولغيره محنة وبلية.

هذا وقد أعطاكم الله من أصنافِ نِعَمِهِ ما تحبون، وصرف عنكم ما تكرهون، ابتلاءً وامتحاناً، لتعرفوا نِعَمَهُ وتشكروها، قال تعالى ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾.

فانظروا رحمكم الله بماذا تقابلونها، أباسْتَعْمَلْها في طاعته ودينه ومراضيه، أم تجعلونها سُلْماً إلى الإعراض عن دينه وارتكاب معاصيه، من الظلم والبغي والأشر والبطر واللهو واللعب وقول الزور والسخرية ونحو ذلك مما لا يحبه الله ولا يرضاه؟

نسأل الله السلامة من أسباب التغيير، قال الله تعالى ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردَّ له وما لهم من دونه من وال﴾.

اللهم إنا نعوذ بك من زوال نعمتك، ونَحُولِ عافيتك، وفَجْأَةِ نِقْمَتِكَ، وجميع سخطك.
اللهم إنا نعوذ بك من جهد البلاء، ودَرْكِ الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء.
الله عباد الله، قَيِّدُوا نعم الله بشكركه، واتباع ما يرضيه، وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه، فإن الله خَوَّلَكُمْ نِعَمَهُ لتطيعوه ولا تعصوه، وتعملوا بدينه وشرعه وتُعْظِمُوهُ، لا لتشتغلوا بها عن ذلك أو تمتهنوه.

^١ أي رعت في الأرض الخصبه وأكلت.

^٢ وجه الشبه هنا أن المال كنبات الربيع، إذا استكثر الإنسان منه قتله، إلا أن يصرفه في الخير فهذا خير له وإلا كان شهيداً عليه يوم القيامة، كالدابة تستكثر من أكل الربيع، فإن لم تثلثه كان سبباً في هلاكها. انظر شرح النووي للحديث.

^٣ رواه البخاري (١٤٦٥) ومسلم (١٠٥٢).

^٤ أي اعتدل ولم يُفْرِط.

^٥ الدَّرْك هو المنزلة، والمقصود منزلة الشقاوة، بخلاف الخير فيقال فيه (درجة)، كدرجة الجنة، وانظر «المعجم الوسيط».

^٦ خَوَّل أي أعطى تفضلاً.

اللهم أوزعنا شكر ما أنعمت به علينا من هذه النعم الظاهرة والباطنة، واستعملنا فيما يرضيك عنا، وعافنا
واعف عنا برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى على محمد وآله وصحبه وسلّم.^١

^١ انتهى كلامه رحمه الله تعالى، وهو مثبت في «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية»، الجزء الرابع، ص ٤١٩ - ٤٢٥،
وكذا في «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (١٠٨/١٤ - ١١٦)، وبينهما فروق يسيرة، أثبت منها ما هو أليق
بالسياق، وقد وجدت بعض التصحيفات في حديث واحد وبعض الأقوال المنقولة عن السلف، فتم ضبطها من
أصولها.

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الرحمن بن حسن إلى الإمام الأكرم فيصل بن تركي^١، سلمه الله وهداه، آمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

فالواجب علينا وعليكم التناصح في دين الله، والتذكير بنعم الله وأيامه، فإن في ذلك من المصالح الخاصة والعامّة ما لا يحيط به إلا الله، وفي الحديث: (ما نزل بلاءٌ إلا بذنب، وما رُفِعَ إلا بتوبة)^٢، والله حقّ وعبودية على خلقه بحسبِ وسعهم وقدرتهم، ولذلك كان على ولاية الأمور ورؤساء الناس، المطاعين فيهم؛ ما ليس على عامتهم وسؤقتهم، وكل خير في الدنيا والآخرة إنما حصل بمتابعة الرسل وقبول ما جاؤوا به، وكل شر في الدنيا والآخرة إنما حدث ووقع بمعصية الله ورسله، والخروج عما جاؤوا به من النور والهدى، وهذه الجملة شرحها يطول، وتفصيلها لا يعلمها إلا الله الذي ﴿لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين﴾.

والسير والاعتبار والاستقراء والقصاص والأمثال والشواهد العقلية تدل على هذا وترشد إليه، وبعض الأذكياء يعرف ذلك في نفسه وأهله وولده ودابته، قال بعضهم: (إني لأعصى الله فأعرف ذلك في خلق أهلي ودابتي)، واللبيب يدرك من الأمور الجزئية والكلية ما لا يدركه الغبي الجاهل، ويكفي المؤمن قوله تعالى ﴿إن الأبرار لفي نعيم * وإن الفجار لفي جحيم﴾، فهذه الآية يدخل فيها كل نعيم، باطنًا وظاهرًا، في الدنيا والآخرة وفي البرزخ، وقد قال تعالى ﴿ليس بأمانيتكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءًا يجز به﴾.

^١ هو فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود، حكم نجد فترة من الزمن، توفي سنة ١٢٨٢ هـ، انظر ترجمته في كتاب «الأعلام» لخير الدين زركلي.

^٢ يبدو أنه سبق قلم من الشيخ رحمه الله، فإن هذا أثر عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه وليس حديثًا عن النبي ﷺ كما ذكر الشيخ، فقد أخرج الزبير بن بكار في «الأنساب» بإسناد له أن العباس لما طلب منه عمر رضي الله عنه أن يستسقي للناس قال: اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب، ولم يكشف إلا بتوبة، وقد توجه القوم بي إليك لمكاني من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب، ونواصينا إليك بالتوبة، فاسقنا الغيث. قال: فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخضبت الأرض وعاش الناس.

انظر «فتح الباري» (١٥٠/٣) شرح حديث (١٠١٠).

الآية، ويدخل في هذا كل شيء من المصائب والجزاء، حتى الشوكة والهم والحزن، لكن المؤمن يُثاب على ذلك ويُكفّر عنه بإيمانه، كما دل على ذلك الحديث.

إذا عُرف هذا؛ فكثير من الناس يعرف أن المصائب والابتلاء حصل بسبب الذنوب، ويقصد^١ الخروج منها والتوبة، ولا يُوفّق - نعوذ بالله من ذلك - وذلك لأسباب منها: جهله بالذنوب ومراتبها، وحالها عند الله.

ومنها جهله بالطريق التي تُخلصه منها، وتُنقذه من شؤمها وشرها وتبعيتها، ولا سبيل لأحد إلى معرفة ذلك وما يُخلصُ منه إلا من جهة الرسول ﷺ، ومعرفة ما جاء به من الهدى ودين الحق إجمالاً وتفصيلاً، فإنه الوسطة بين العباد وبين ربهم في إبلاغ ما يحبه الرب ويرضاه، ويريده من عباده، ويوجب السعادة والنعيم والفلاح في الدنيا والآخرة، وفي إبلاغ ما يضرهم ويُسيّطُ ربهم، ويوجب الشقاوة والعذاب الأليم في الدنيا والآخرة، فكل طريق غير طريقه مسدود على سالكيه، وكل عمل ليس عليه رسمه وتقريره فهو رد على عامله.

وقد عرفتمُ أرشدكم الله تعالى أن الله بعث محمد ﷺ على حين فترة من الرسل، وأهل الأرض قد عمتهم الجهالة، وغلبت عليهم الضلالة، عربهم وعجمهم، إلا من شاء الله من بقايا أهل الكتاب.

فأول دعوته ﷺ ورسالته وقاعدة نبوته؛ ردُّ الخلق إلى الله، وأمرهم بعبادته وحده لا شريك له، وخلع ما سواه من الأنداد والآلهة، والبراءة منهم، وهذا هو الذي دلت عليه كلمة الإخلاص، وهو أول دعوة الرسل وأول الواجبات و الفرائض، ومكث عليه الصلاة والسلام مدة من الدهر نحو العشر بعد النبوة يدعو إلى هذا ويأمر به، وينهى عن الشرك وينذر عنه، وفرض الفرائض، وبقية الأركان بعد ذلك مُنَجَّمًا^٢، لأن هذا هو أهم الأمور وأوجبها على الخلق، كما في الحديث: (رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد)^٣.

^١ أي يُريد ويرغب في.

^٢ أي أن بقية الأركان شُرعت في أزمنة مفرقة.

^٣ رواه الترمذي (٢٦١٦) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، والنسائي في «الكبرى»، كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿- تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾، وصححه الألباني.

وكان من هديه ﷺ أن يبعث عماله^١ ويرسل رسائله إلى أهل الارض يدعوهم إلى هذا^٢، يبدأ به قبل كل شيء، ولا يأمر بشيء من الأركان إلا بعد التزامه ومعرفته، كما دل عليه حديث معاذ لما بعثه إلى اليمن، وغيره من الأحاديث.

وفي أوقاتنا بَعُدَ العهد بآثار النبوة وطال الزمان، وكاد الزمان يشبه زمن الفترة^٣ لغلبة الجهل وشدة الغربة، وقد منَّ الله تعالى في هذه الأقطار بشيخ الإسلام رحمة الله، فقام في تجديد الدين وتمهيد قواعد الملة أتم قيام، حتى ظهر بحمد الله منار التوحيد والإسلام، ووازره^٤ على ذلك من أسلافكم وأعمامكم من وازره، رحمة الله عليهم أجمعين، وبعدهم حصل من الناس ما لا يخفى من الإعراض والإهمال وعدم الرغبة والتنافس فيما أوجبه الرب من توحيد، وفَرَضَهُ على سائر عبيده، وقلَّ الداعي إلى ذلك والمذكِّر به والمعلم له في القرى والبوادي، والتغافل والتساهل في هذه الأمور العظام التي هي آكد مباني الإسلام يوجب للرعية أن يَشَبَّ صغيروهم ويهرم كبيرهم على حالة جاهلية، لا يعرف فيها الأصول الإيمانية، والقواعد الإسلامية، والله سائلنا وسائلك عن ذلك، كل بحسب قدرته وطوقه^٥.

والجهل والظلم غالب على النفوس، ولها وللشيطان حظ كبير في ذلك، والنفوس الجاهلية المعرضة عن العلم النبوي يُسرِع إليها الشرك والتنديد أسرع من السَّيْلِ إلى منحدره.

والواجب مراعاة هذا الأصل والقيام فيه، وَبَعَثُ الدعاة إليه، وجعل أموال الله التي بأيديكم آلة له ووقاية وحماية وإعانة، فإن هذا من أفرض الفرائض وألزمها، ولم تُشرع الإمامة والإمارة إلا لأجل ذلك والقيام به.

وبقاء الإسلام والإيمان في استقامة الولاة والأئمة على ذلك، وزوال الإسلام والإيمان وانقضاؤه بانحرافهم عن ذلك، وجعل الهمة والأموال والقوة مصروفة في غيره، مقصوداً بها سواه، من العلو والرياسة والشهوات.

^١ العُمَّال جمع عامل، وتُطلق على من نصبه الإمام وعينه لوظيفة ما، سواء كان أميراً أو دون ذلك.

^٢ أي التوحيد والبراءة من الشرك.

^٣ زمن الفترة هو في الأصل الزمن الذي يكون بين الرسولين، والفترة التي يعينها الشيخ في كلامه هي الفترة التي كانت بين بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وقد اشتد فيها غربة الدين، وانطمست معالمه، وتاه الناس في ظلمات الجاهلية، وابتعدوا عن أصل دين الأنبياء جميعهم وهو عبادة الله وحده.

^٤ وازره أي عاونته، ومنه الوزير أي معاون.

^٥ أي طاقته.

ولذلك وقع في آخر بني العباس ما وقع من الخلل والزلل واشتدت غربة الاسلام، وظهرت البدع العظام، وأظهر الكفر أعلامه وشعاره، وبُنيت المساجد على القبور، وأُسرجت عليها الشُرُج، وأُرخيت عليها الستور، وهتف أكثر الناس في الشدة بسكان القبور، وذبحوا لها القرابين، ونُذرت لها النذور، وبُنيت الهياكل للنجوم، وخاطبها بالحوائج كل مُشرك ظلوم، وسرى هذا في الناس حتى فعله من يُظن أنه من الأخيار والأكياس^١، وكثير منهم يظن أن هذا هو الإسلام، وأنه مما جاء به سيد الأنام، عليه أفضل الصلاة والسلام، وهل وقع ذلك وصار على تطاول الدهر والأعصار إلا بسبب إهمال الرؤساء والملوك الذين استكبروا في الأرض ولم يرفعوا رأساً بما جاءت به الأنبياء، وقنعوا بمجرد الاسم والانتساب من غير حقيقة، قال الله تعالى ﴿وَإِذْ يَتَحَاوَنُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَنُونَ عَنَا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ﴾ الآية.

فأهم المُهمَّات، وأكد الأصول والواجبات؛ التفكير في هذا، وتفقد الرعاية الخاصة والعامة، البادية والحاضرة، لأنك مسؤول عنهم، والسؤال يقع أولاً عن الدين قبل الدنيا، وفي الحديث: كلكم راعٍ، وكلكم مسؤولٌ عن رعيته.^٢

وفي الحديث الصحيح: كانت بنو إسرائيل تُسوسهم الأنبياء^٣، كلما هلك نبي خَلَقَه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وسيكون بعدي خلفاء فيكثرون.

قالوا: فما تأمرنا؟

قال: أوفوا ببيعة الأول فالأول، أعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم.^٤

ففتَّش عقائدهم، وانظر في توحيدهم وإسلامهم، خصوصاً مثل أهل الأحساء والقطيف، فقد اشتهر عنهم ما لا يخفاك من الغلو في أهل البيت، ومَسَبَّة أصحاب رسول الله ﷺ، وعدم التزام كثير من أصول الدين وفروعه.

^١ الأكياس جمع كَيْس، وهو الرجل العاقل، والكَيْس هو العقل. انظر «النهاية».

^٢ رواه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩)، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

^٣ أي: تتولى أمورهم.

^٤ رواه البخاري (٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وكونهم يُسِرُّون ذلك ويخفونه لا يُسْقِطُ عنك وجوب الدعوة والتعليم والنصح لله بظهور دينه وإلزامهم به، وتعليم صغارهم وكبارهم، فإنك مسؤول عن ذلك، والجمل ثقيل، والحساب شديد، وفي الطبراني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل بشر بن عاصم على صدقات هوازن، فتخلَّف^١ بِشْرٌ، فلقيه عمر، فقال: ما خلَّفك؟ أما لنا عليك سمعًا وطاعة؟

قال: بلى، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: من ولي شيئاً من أمر المسلمين؛ أتى به يوم القيامة حتى يُوقَف على جسر جهنم، فإن كان مُحْسِنًا تجاوز، وإن كان مسيئاً انخرق به الجسر، فهو في سبعين خريفًا. فرجع عمر رضي الله عنه كثيرًا جزينًا.^٢

جعلك الله من الذين يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب.

ومن الدعوة الواجبة والفرائض اللازمة؛ جهاد مَنْ أبى أن يلتزم التوحيد ويعرفه من البادية وغيرهم، وكثير من بادية نجد يكفي فيهم المعلم، وأما مَنْ يليهم من المشركين مثل «الضفير»^٣ وأمثالهم فيجب جهادهم ودعوتهم إلى الله، وقد أفلح من كان لله تحياه ومماته، وخاف الله في الناس ولم يخف الناس في الله، وفي الحديث: مثل المجاهد في سبيل الله - والله أعلم بمن يجاهد في سبيله - كمثل الصائم القائم، وتوكل الله للمجاهد في سبيله إن توفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالمًا مع أجر أو غنيمة.^٤

وكذلك يجب على ولي الأمر أن يُقَدِّم على مَنْ نُسب عنه طعن وقدح في شيء من دين الله ورسوله^٥، أو تشبيهه على المسلمين في عقائدهم ودينهم، مثل من ينهى عن تكفير المشركين، ويجعلهم من خير أمة أخرجت للناس، لأنهم يدعون الإسلام، ويتكلمون بالشهادتين، وهذا الجنس ضرره على الإسلام - خصوصًا على العوام - ضرر عظيم، يُخشى منه الفتنة، وأكثر الناس لا علم له بالتحجج التي تنفي شبه المشبهين وزيف الزائفين، بل تجده والعياذ بالله سلس القياد لكل من قاده أو دعاه، كما قال فيهم أمير

^١ أي تأخر ولم يأت.

^٢ رواه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٣١/٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٣٩/٢).

^٣ الضفير قبيلة في شمال الجزيرة العربية.

^٤ رواه البخاري (٢٧٨٧)، ومسلم (١٨٧٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

^٥ أي يقدم من لم يقع في شيء من ذلك على من وقع فيها، والتقديم يكون في الوظائف والمسؤوليات.

المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق، أقرب شبهاً بهم الأنعام السَّارحة.^١

فإذا تيسر لكم إن شاء الله الاهتمام والقيام بهذا الأصل العظيم؛ فينظر بعد هذا في أحوال الناس في الصلوات الخمس المفروضات، فإنها من أكد الفروض والواجبات، وفي الحديث: أول ما تفقدون من دينكم الأمانة، وآخر ما تفقدون الصلاة.^٢

وكل شيء ذهب آخره لم يبق منه شيء، وقد قال تعالى ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾، فيلزم جعلُ نَوَابٍ^٣ يأمرهم بما أمر الله به ورسوله، من إقام الصلاة في المساجد في أوقاتها، ويؤدبون من عُرف منه كسلٌ أو تزكٌ أو إهمالٌ أدباً يردع أمثاله، وعلى أئمة المساجد تعليم ما يُشترط لها وما يجب فيها من الأعمال والأقوال.

وبعد هذا يُلفت إلى النظر في أمر الزكوات الشرعية وجبايتها على الوجه الشرعي، من الأنعام والثمار والنقود والغروض^٤، ويكون مع كل عاملٍ رجلٌ له معرفة بالحدود الشرعية والأحكام الزكوية، ويُحذّر من الزيادة عما شرعه الله ورسوله، فلا يؤخذ إلا ما وجبت فيه الزكاة وتمّ نصابه وحال حوله، وكثير من العمال

^١ رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه (١/٢١١) (الناشر: دار الكتب العلمية)، وهي ضمن وصيته الطويلة المشهورة لكميل بن زياد، والعبارة من أولها كالتالي:

الناس ثلاثة، فعالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج راع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق ...

^٢ رواه الضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٤/١٠٤) عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أول ما تفقدون من دينكم الأمانة ثم الصلاة.

وروى الحاكم في «المستدرک» (٤/٥٠٤) واللفظ له والبيهقي في «الكبرى» (٦/٢٨٩) والطبراني في «الكبير» (٩/٣٥٣) وابن أبي شيبه (٣٥٨٢٣) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إن أول ما تفقدون من دينكم الأمانة، وآخر ما يبقى الصلاة.

وروى الحاكم في «المستدرک» (٤/٤٦٩) واللفظ له، وابن أبي شيبه في «المصنف» (٣٤٧٩٧) عن حذيفة رضي الله عنه موقوفاً قال: أول ما تفقدون من دينكم الخشوع، وآخر ما تفقدون من دينكم الصلاة.

^٣ نواب جمع نائب، أي نائب عن الإمام.

^٤ أي غروض التجارة.

يَخْرُصُ^١ جميع الثمار وإن لم تنضَب^٢، وأخذ الزكاة من شيء لم يوجبه الله ولا رسوله فيه ظلم بين وتعدي ظاهر، حمانا الله وإياكم منه.

وكذلك ما يتبع الزكاة من النائبة^٣ قد أغنى الله عنها، وجعل فيما أحل غنى عما منع وحرّم، ومن الواجب على ولي الأمر ترك ذلك لله، وفي بيت المال ما يكفي الضيف ونحوه إن حصل تسديد من الله، ومن بتوفيق من عنده.

وكذلك ما يؤخذ من المسلمين في ثغر القطيف من الإعشار^٤ لا يليق، ولا يجوز التعشير في أموال المسلمين. ويلزم ولي الأمر أيده الله أن يلزم التجار الزكوات الشرعية قهراً، ويدع ما لا يحل.

ومن الواجب تمييز الأموال الداخلة على ولي الأمر، فإن الله ميّزها في كتابه وقسمها، فلا يحل تعدي ذلك وخطها، بحيث لا يمكن تمييز الزكاة من الفبيء والغنائم، فإن لهذا مصرفاً ولهذا مصرفاً، ويجب على ولي الأمر صرف كل شيء في محله، وإعطاء كل ذي حق حقه؛ أهل الزكاة من الزكاة، وأهل الفبيء من الفبيء، ويُعين ذلك^٥ في الأوامر التي تصدر من الإمام لوكيل بيت المال.

ويجب تفقد من في بلاد المسلمين من ذوي القرى^٦، ويُعطون ما فرض الله ورسوله من الحق في الفبيء والغنيمة، فإن هذا من أكد الحقوق وألزمها، لمكانهم من رسول الله ﷺ، والمراد بهم من عرف التوحيد والتزومه.

^١ خرس الثمار هو قطفها وجنيها.

^٢ تنضب أي تستوفي عمرها، ويكون هذا إذا بدا صلاحها، والذي في المطبوع من النسختين (تنصب)، وأظنه خطأ في النسخ.

^٣ النائبة هي النازلة التي تنزل بالناس من فحط أو هدم بسبب سيل ونحو ذلك، فالشيخ هنا يوصي الإمام ألا يأخذ من الناس شيئاً بغير طيب نفس منهم إذا حل بالمسلمين نائبة من النوائب، ويوصي بالاكْتفاء بالزكاة وما شرع الله تعالى من الحلال.

^٤ الإعشار هو أخذ العشر من التجارات دون الصدقات، فهذا لا يجوز، لأنه ليس مما جاءت الشريعة بمشروعية أخذه من قبل الإمام.

^٥ أي يقرر ذلك.

^٦ ذوي القرى أي قرابة النبي ﷺ، وهم آل بيته، وهم بنو هاشم بن عبد مناف، وبنو المطلب بن عبد مناف، إلا أبو لهب، فلا يدخل في الفبيء والغنيمة، لأنه لم ينصر النبي ﷺ، ولا كرامة له.

وأهل الإسلام ما صالوا^١ من عاداهم إلا بسيف النبوة وسلطانها، خصوصاً دولتكم، فإنها ما قامت إلا بهذا، وهذا أمر يعرفه كل عالم، وفي الحديث: إن هذا المال خَصْرَةٌ خُلُوَّةٌ، من أخذه بحقه بورك له فيه، ورب مُتَخَوِّضٍ فيما شاءت به نفسه من مال الله ورسوله بغير حق ليس له يوم القيامة إلا النار.^٢ عافانا الله وإياكم من النار وأعمال أهل النار.

وكلُّ من أخذ ما لا يستحقه - من الولاة والأمراء والعمال - فهو غالٌّ^٣، كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم، فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره، ثم قال: لا أُلْفِيَنَّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بغير له رُغَاءٍ^٤، يقول: (يا رسول الله، أغثنِي)، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغْتُكَ.

لا أُلْفِيَنَّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حَمْحَمَةٌ^٥، فيقول: (يا رسول الله، أغثنِي)، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغْتُكَ.

لا أُلْفِيَنَّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثَغَاءٌ^٦، فيقول: (يا رسول الله، أغثنِي)، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغْتُكَ.

لا أُلْفِيَنَّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صَبَاحٌ، فيقول: (يا رسول الله، أغثنِي)، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغْتُكَ.

لا أُلْفِيَنَّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رِقَاعٌ تَخْفِقُ^٧، فيقول: (يا رسول الله، أغثنِي)، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغْتُكَ.

^١ أي دخلوا معهم في صولات وحروب.

^٢ رواه الترمذي (٢٣٧٤)، وأحمد في «مسنده» (٣٧٨/٦)، والطبراني (٢٣٠/٢٤)، وابن حبان (٣٧٠/١٠)، وصححه الألباني ومحققو «المسند».

^٣ الغلول هو ما يُسرق من الغنائم قبل قسمتها. انظر «النهاية».

^٤ أي لا أجده على هذه الصفة.

^٥ الرغاء هو صوت البعير.

^٦ الحَمْحَمَةُ هو صوت الفرس.

^٧ الثغاء هو صوت الشاة.

^٨ الرقاع هي الخرق أو الأوراق، وخُفِّقَها هو حركتها، والمقصود بالكلام هو ما على الإنسان من الحقوق المكتوبة في الرقاع. انظر «النهاية» و «المعجم الوسيط».

لا أُلْفِيَنَّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامِتٌ^١، فيقول: (يا رسول الله، أغثنِي)، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغْتُكَ^٢.

وأخبر ﷺ أن هدايا العمال غُلُول^٣ فقال: هدايا العمال غُلُول^٤.
فينبغي التفطن لهذه الأمور لئلا يقع فيها وهو لا يدري.

وكذلك ينبغي تفقد أمر الناس في الحج والقيام على من تركه وهو يستطيعه، وهو ركن من أركان الإسلام. ويذكر عن عمر أنه قال: (لقد هممت أن أضع الجزية على من ترك الحج)^٥. وبعض السلف يُكفِّر من تركه. وأمرُ الرعية بذلك^٦ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي لا يَسَعُ أحداً تركه.

وكذلك القيام على الناس، ومنعهم عن التعدي في الدماء والأموال وقطع السبيل، فهذا من الفساد في الأرض والمحاربة لله ورسوله، فإن لم ينتهوا إلا بغزوهم لزم الإمام أن يبعث السرايا لحربهم، ولما تعرض الفُجاءة السُّلَمي للناس، يأخذ ويقتل من مسلم وكافر؛ بعث أبو بكر رضي الله عنه جيشاً فظفروا به فأحرقه بالنار.^٧

^١ أراد بالصامت الذهب والفضة، بخلاف الناطق من إنسان وحيوان. انظر «النهاية».

^٢ رواه البخاري (٣٠٧٣)، ومسلم (١٨٣١)، واللفظ له.

^٣ هدايا العمال هو ما يأخذه الأمير أو من يعمل في الدولة من الناس مقابل عمله فوق ما يأخذه من راتب على وظيفته.

^٤ رواه أحمد في مسنده (٤٢٤/٥) عن أبي حميد الساعدي مرفوعاً، وضعفه محققو «المسند»، ويغني عنه حديث أبي حميد الساعدي الذي رواه البخاري (٢٥٩٧) ومسلم (١٨٣٢).

^٥ روى ابن الجوزي في كتابه «التحقيق» (٢٨٢/٥)، بإسناده إلى سعيد بن منصور قال: ثنا هُشَيْم، قال: أنبأنا منصور عن الحسن قال: قال عمر بن الخطاب: لقد هممت أن أبعث رجلاً إلى هذه الأمصار، فينظر كل من كان له جِدَّةٌ ولم يحج فيضربوا عليهم الجزية، ما هم بمسلمين، ما هم بمسلمين.

والجِدَّة هي المال.

وفي الباب عن عمر رضي الله عنه أيضاً، رواه البيهقي في «الكبرى»، كتاب الحج، باب إمكان الحج.

^٦ أي بالحج.

^٧ انظر «الكامل في التاريخ» لابن الأثير رحمه الله، ذكر أحداث سنة إحدى عشرة، ذكر بني تميم وسجاح، والذي ذكره ابن الأثير رحمه الله أنه جاء إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال له: أعني بالسلاح أقاتل به أهل الردة، فأعطاه سلاحاً وأمره إمرةً، فخالف إلى المسلمين فأغار عليهم، فبلغ ذلك أبا بكر فأرسل إليه رجالاً فأُتِيَ به، فأمر أن توقد له نار في مصلى المدينة ثم رُمي فيها.

ويُذكر عن حسن أنه قال:

وما الدين إلا أن تقام شريعة وتأمّن سُبُلَ بيننا وشعاب
وكذلك ما حدث من الدّفنان^١ للبادية إذا أخذوا المسلمين وقتلوا، لما فيه من تركِ حقوق المسلمين في الدماء والأموال مع القدرة على استيفائها والقيام بالعدل الذي أمر الله به ورسوله، كما قال تعالى ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعماً يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً﴾.

فتأمل هذه الموعظة وما ختمها به من هذين الوصفين العظيمين.

وقد قال تعالى ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾.

فالواجب على من نصح نفسه أن لا يحكم إلا بحكم الله ورسوله، فإن لم يفعل وقع في خطر عظيم، من تقديم الآراء والأهواء على شرع الله ورسوله.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله:

والله ما خوفي الذنوب فإنها لعل على طريق العفو والغفران
لكنما أخشى انسلاخ القلب من تحكيم هذا الوحي والقرآن
ورضاً بآراء الرجال وخرصها^٢ لا كان ذاك بمنّة الرحمن

ومما يجب على ولي الأمر تفقّد الناس عن الوقوع فيما نهى الله عنه ورسوله من الفواحش، ما ظهر منها وما بطن، بإزالة أسبابها.

وذكر ابن جرير رحمه الله في «تاريخ الأمم والملوك» في ذكر استخلاف أبي بكر لعمر بن الخطاب أن أبا بكر في مرض موته ندم على حرقه الفجاءة، وتمنى أن كان قتله بغير ذلك.

^١ لم أجد كلمة الدفن في كتب اللغة، فلعلها عبارة عامية اصطلاح عليها أهل نجد في ذلك الزمان، والذي يظهر من السياق أن المقصود هو ما يتجاهله أهل البادية من ديات ونحوها، فكأنهم دفنوها وتجاهلوها، فالشيخ هنا يبينه إلى وجوب الاهتمام بأمورها، وعدم تجاهلها، فمن أهدر دمًا بغير حق فعليه القصاص أو الدية، بحسب التفصيل الشرعي.

^٢ خرصها أي افتعلها واختلاقتها، ولذا قال بعدها (لا كان ذاك بمنّة الرحمن)، أي ليس وحيًا من الله، وإنما اختلاق أقوال من قبيل الرأي فحسب.

وكذلك بخس الكيل والميزان والربا، فيجعل في ذلك من يقوم به ممن له غيره لدين الله وأمانة، وكذلك مخالطة الرجال للنساء، وكف النساء عن الخروج إذا كانت المرأة تجد من يقضي حاجتها من زوج أو قريب أو نحو ذلك.

وكذلك تفقد أطراف البلاد في صلاتهم وغير ذلك، مثل أهل النخيل النائية، لأنه ربما يقع فيها فساد ما يُدرى عنه، وأكثر الناس ما يُبالي ولو فعل ما نُهي عنه، وفي الحديث: ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء.^١

وفي الحديث أيضاً: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها؛ إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا.^٢

نعوذ بالله من عقوبات المعاصي، ونسأله العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

وكذلك التوسع في لبس الحرير وما زاد على المباح، وهو مما نهى الله عنه ونهى عنه رسوله ﷺ، ونص على تحريمه^٣، ولا يجوز تتبع الرخص.

ومن الأصول التي تدور عليها الأحكام حديث: (إنما الأعمال بالنيات)^٤، وحديث: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)^٥، وحديث: (إن الحلال بين وإن الحرام بين، وبينهما مشبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه)^٦.

^١ رواه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠) واللفظ له عن أسامة بن زيد رضي الله عنه.

^٢ رواه ابن ماجه (٤٠١٩)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٣٩١/٢) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وحسنه الألباني.

^٣ دليله حديث حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: لا تلبسوا الحرير ولا الديباج.

رواه البخاري (٥٤٢٦)، ومسلم (٢٠٦٧). والديباج ثياب تتخذ من الإبريسم.

^٤ رواه البخاري (١) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

^٥ رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) عن عائشة رضي الله عنها.

^٦ رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩)، واللفظ له، عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

فكل أمر ينبغي لذوي العقول أن يتركوا ما تشابه منه مما قد يقع فيه خلاف من بعض العلماء فلا ينبغي لذوي العقول أن يُرَخَّصَ لنفسه في أمر قد ظهرت فيه أدلة التحريم، فاجتنابه من تقوى الله تعالى، وخوفه وتركه مخافةً لله من الأعمال الصالحة التي تكتب له حسنات.

ومما يجب النهي عنه الإسبال، كما نهى عنه رسول الله ﷺ، كما في الحديث الصحيح: ما أسفل من الكعبين من الإزار فهو في النار.^١

وفي الحديث: بينما رجل يجر إزاره من الخيلاء؛ حُسِفَ به، فهو يتجلجل^٢ في الأرض إلى يوم القيامة.^٣ وكذلك التشبه باليهود والمجوس في ترك الشوارب، وقد أمر النبي ﷺ بإحفائها مخالفةً لليهود والمجوس، فقال ﷺ: أحفوا الشوارب وأعفوا اللحى.^٤

والذي فيه دين ورغبة في الخير ما يرضى لنفسه أن يخالف ما أمر الله به ورسوله، ويقتدي باليهود والمجوس والمتكبرين.

وكل ما أمر الله به ورسوله فينبغي للعبد أن يمتثل ويسمع ويطيع، لما في ذلك من المنافع الكثيرة، وما في خلافة من الإثم، قال الله تعالى ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً﴾.

فعلى الإمام أن يأمر النّوّاب من رأوه تاركاً للأمر أن يقوموا عليه ويلزموه بالطاعة، حتى تظهر طاعة الله ورسوله في المسلمين ويمتازون بذلك عمن خالفهم في الدين، من أهل الجفاء والغلظة والغفلة والإعراض،

^١ رواه البخاري (٥٧٨٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

^٢ الجلجلة هي حركة مع صوت، قاله ابن الأثير في «النهاية».

^٣ رواه البخاري (٣٤٨٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما، وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه، رواه البخاري (٥٧٩٠).

^٤ حف الشوارب هو المبالغة في قصها. انظر «النهاية».

^٥ رواه مسلم (٢٥٩) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

والذي في المطبوع زيادة (وخالفوا اليهود)، ولعله تصحيف، فلم أجده بهذا اللفظ.

وفي صحيح مسلم (٢٦٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: جُزُوا الشوارب وأرخوا اللحى وخالفوا المجوس.

نسأل الله العفو والعافية، فإنها قد عمّت البلوى بهذا بكثير^١، لما قام بقلوبهم من ضعف الإيمان وعدم الرغبة فيه.

وكذلك يجب على الإمام النظر في أمر العلم وترغيب الناس في طلبه، وإعانة من تصدى للطلب، لقلة العلم وكثرة الجهل، وإن كان قد قام ببعض الواجب، فينبغي له أن يهتم بهذا الأمر لفضيلة العلم وكثرة ثواب من قام به وأعان عليه، فإن أكثر من يطلب العلم فقراء، ويحتاجون إلى الإعانة على فقرهم لما يكون لهم فيه سعة، وطلب العلم اليوم من الفرائض كما لا يخفى على الإمام وغيره، وفي الحديث الصحيح: ألا إن الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله^٢ وما والاه^٣، وعالم أو متعلم^٤.

وهذا ما يحصل إلا باعتناء الإمام وتأليفه للطلاب، فإذا كثّر العلم وقلّ الجهل حصل بسببه من الخير والحسنات ما لا يحصى إلا الله إن قبله الله، وبالعفلة عن طلبة العلم تضعف همهم ويقل طلبهم، وفي «مناقب عمر بن عبد العزيز» رحمه الله تعالى أنه إذ أراد أن يحيي سنة أخرج من العطاء مالا كثيرا، فإذا نفروا من هذا رغبوا إلى هذا^٥.
فلله درة رحمه الله، ما أحسن نظره لنفسه ولمن ولّاه الله عليهم.

وهذا الذي ذكرنا من الأمور البينة، التي ينبغي التنبيه عليها بخصوصها.

وأما الأمور التي بين الله وبين العبد، التي فيها صلاح القلوب ومغفرة الذنوب، من إتيان النفس فيما يحبه الله ويرضاه مما يقع له وعليه؛ فهذا باب واسع، ولا يُدرك هذا إلا من جعل الله له رغبة في تدبر كتابه، ومعرفة صفة أهل الإيمان والتقوى، الذين أعدّ الله لهم الجنة، ويجاهد نفسه على ذلك فعلا وتركا.

^١ أي بكثير من الناس.

^٢ يعني بذكر الله قراءة القرآن والتسبيح والتهليل والتكبير وأذكار الصباح والمساء، ونحو ذلك.

^٣ يعني بما والاه أي ما قاربه من عموم فعل الخيرات، ويدخل فيه مذاكرة العلم، من تفسير وفقه وحديث ونحو ذلك.

^٤ رواه الترمذي (٢٣٢٢)، واللفظ له، وابن ماجه (٤١١٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وحسنه الألباني.

^٥ الكتاب لابن الجوزي رحمه الله، وقد روى هذا الأثر عن عمر بن عبد العزيز في باب «استدراجه الناس إلى الخير»، ص ٨٨ أنه قال لابنه: يا بني، إنما أروض الناس رياضة الصعب، إني لأريد أن أحبي الأمور من العدل، فأؤخر ذلك حتى أخرج معه طمعا من طمع الدنيا، فينفروا لهذه ويسكنوا لهذه. انتهى.

والصعب هو البعير المستصعب قياده على مالكة.

والكتاب المذكور من منشورات دار الكتب العلمية، بتحقيق نعيم زرزور.

وعلى كل من نصَح نفسه أن يحذر من كبائر الذنوب، التي هي من أعظم الذنوب، ولا يأمن مكر الله، وَلْيَكُنْ لنفسه أشدَّ مقتًا منه لغيره، وليكن مُعْظَمًا للأمر والنهي، مفكرًا فيما يحبه الله ويرضاه، متدبرًا لكتابه، محبة لربه، ورغبة في ثوابه، وخوفًا من غضبه وعقابه.

ومن الواجب على كل أحد أن يُحِب في الله، ويُغْض في الله، ويُعادي في الله، ويُوالي في الله، ويُحِب أولياء الله أهل طاعته، ويُعادي أعداء الله وأهل معصيته.

وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلّم.^١

قال ناسخ الرسالة^٢:

صنف هذه الرسالة الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مجدد دين الله في نجد وغيرها في القرن الثاني عشر من الهجرة^٣، صَنَّفَهَا في شدة مَرَضِهِ، إِعْذَارًا وَإِنْذَارًا لِإِمَامِ وَقْتِهِ، فَيَصِلُ بِنِ تَرْكِهِ آلَ سَعُودَ، رَحِمَهُ اللهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

^١ انتهى كلامه رحمه الله، وهو مثبت في «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية»، الجزء الثاني، القسم الثاني، رسائل وفتاوى الشيخ عبد الرحمن بن حسن (ص ٢ - ١٤)، وكذا في «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (١٤/٦١ - ٧٧)، وبينهما فروق يسيرة، وقد أثبت منها ما هو أليق بالسباق، أما ألفاظ الأحاديث فضبطتها من الأصول، والله أعلم.

^٢ هذه الجملة منقولة من المصدر الأول، «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية».

^٣ لا شك أن هذا سبق قلم من الناسخ، فإن الشيخ من علماء القرن الثالث عشر من الهجرة، فقد وُلِدَ رحمه الله عام ١١٩٦ وتوفي عام ١٢٨٥، والله المستعان.

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين، وعليه نتوكل ونعتمد.

من عبد الرحمن بن حسن إلى إمام المسلمين، وخليفة سيد المرسلين في إقامة العدل والدين، وهو سبيل المؤمنين والخلفاء الراشدين، فيصل بن تركي، جعله الله في عدادهم، مُتَّبِعًا لسيرهم وآثارهم.. آمين.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

اعلم أن الله تعالى أنعم علينا وعليكم وعلى كافة أهل نجد بدين الإسلام الذي رضي لعباده دينًا، وعَرَّفَنَا ذلك بأدلته وبراهينه دون الكثير من هذه الأمة الذين خفيَ عليهم ما خلَقُوا له من توحيد ربهم الذي بعث به رسله، وأنزل به كتبه، ولا صلاح للعباد في معاشهم ومعادهم إلا بمعرفة هذا الدين وقبوله ومحبته والعمل به، واستفراغ الوُسْع في ذلك علمًا وعملاً ودعوةً إليه ورغبةً فيه، وأن يكون أكبر همِّ الإنسان ومبلغ علمه ليحصل له النعيم المقيم الأبدي، والسرور السرمدي، وقد وقع أكثر من أنعم الله عليهم بهذه النعمة في التفريط في شكرها، والتحدث بها، والعمل بموجبها، بالغفلة عنها، والتهاون بها، وعدم الرغبة فيها، والاشتغال بما يُشغل عنها، من الرغبة في الدنيا والإقبال عليها ما لا يخفى على ذوي البصائر.^١

وقد ذم الله تعالى في كتابه أهل الغفلة والإعراض، أعاذنا الله وإياكم من اتباع سبلهم، فقال ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيرًا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾.

فعلينا وعليكم أن نقوم على من قُدِّرنا على القيام عليه، ببذل الجهد والاجتهاد بالنصيحة لجميع المسلمين بتذكيرهم ما أنعم الله عليهم به من الدين، وتعليمهم ما يجب عليهم تعلُّمه مما فيه صلاحهم وفلاحهم ونجاحهم وسعادتهم ونجاتهم من شرور الدنيا والآخرة، وقد قال تعالى ﴿أولاً يرون أنهم يُفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون﴾، فإذا كان هذا في أناس في عهد النبوة والقرآن يُنزل، فمن بعدهم أخرى أن يكونوا كذلك، فيجب على من أقره الله من المسلمين أن يقوم بنصيحة العباد بهذا الدين علمًا وعملاً ودعوةً إليه وتعلُّماً وتعليمًا، ولا يخفى أن العامة تتبَّع الخاصة فيما أحبوه وقالوه وعملوا به، وقد حذَّر

^١ هناك اضطراب بين النسختين من عند قوله (وقد وقع) إلى آخر الكلام، وقد أثبت ما هو أليق بالسياق، والله أعلم.

الله تعالى عباده من عقوبات الدنيا والآخرة، وعن الإعراض عما خلقوا له كما قال تعالى ﴿فَفِرُوا إِلَى اللَّهِ إني لَكم منه نذير مبين﴾، وقال تعالى ﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينَ* مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعَ يُطَاع﴾، وقال في حق نبيه ﷺ ﴿فَلِيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، وعلينا أن نَحْذَرَ وَنُحَذِّرَ عما حَذَرَنَا اللهُ تعالى منه، من التفريط في طاعة الله وطاعة رسوله، والقيام بدينه كما ينبغي.

وبسبب الغفلة عن هذه الأمور الواجبة وقع كثير من الناس أشياء مما لا يحبه الله ويرضاه كما لا يخفى على من ينظر بنور الله، وقد قال تعالى ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَحْرِ وَالْبَحَرُ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، والفساد؛ المعاصي وآثارها في الأرض، ولكن كما قيل: (إذا كثرت الإمساس قلَّ الإحساس)، نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.

ومن موجبات الغفلة الإعراض عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنه لا صلاح للعباد في دينهم ودنياهم إلا بالقيام بحقه، واليوم ما في البلدان من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا على ضعف، وفي تركه الوعيد الشديد، وفعله علامة الإيمان، وهو من فروض الكفايات التي إذا قام بها البعض سقط الوجوب عن الباقين، وإذا لم يحصل القيام بذلك أثموا كلهم، قال تعالى ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

قال بعض العلماء: (فروض الكفاية أشد على الناس من فروض العين، لأن فرض العين تخص عقوبته تاركه، وفرض الكفاية تعم عقوبته كل من كان له قدرة).

فأوصيكم معشر الإخوان من الخاصة والعامة أن ترغبوا فيما رغبكم الله فيه، وأن تهتموا به كاهتمامكم بدنياكم، لتسعدوا وتسلموا وتغنموا، والشأن كل الشأن بالاهتمام فيما يرضي الله عنكم، ويدفع الله به عنكم عقوبات الدنيا والآخرة، وعلى الإمام وفقه الله أن يبعث للدين عُمَّالاً^١ كما يبعث للزكاة عُمَّالاً، ليُعَلِّمُوهم دينهم ويأمرُوهم وينهَوْهم، وهذا مما يجب على الإمام، أعانه الله على ذلك، ووفقه للقيام بوظائف الدين، نصيحةً لله ولكتابه ولرسوله وللمسلمين، سنة الخلفاء الراشدين.

وأوصيكم بالتوبة إلى الله عما فرطتم فيه من العمل بدينه وتعلمه وتعليمه وتكميله، فإن الله تعالى أكمله لكم، وهو أعظم نعمة أنعم بها عليكم.

^١ العامل هو من ولاه الإمام بعض الأعمال، سواء ولاية على بلد ما، أو قضاء، أو جباية زكاة، ونحو ذلك.

فإن الله في الأخذ بأسباب الفلاح والنجاة، وعلى كل منكم أن يحاسب نفسه لربه قبل القدوم عليه والرجوع إليه، ولا ينفع قول إلا بعمل، ولا عمل إلا بنية وعلم، فاشكروا الله تعالى على ما أعطاكم ومن به عليكم من دين الإسلام، وما حصل به من النعم التي لا تحصى.

وقد خطب نبيكم ﷺ أصحابه وأنذرهم وحذرهم فقال: إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فاحذروا وحذروا فإن الأمر عظيم، قال الله تعالى ﴿قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفردى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة﴾.

قال بعض العلماء في قوله ﴿أن تقوموا﴾: فيه وجوب القيام لله فيما شرعه وأمر به.

وقوله ﴿لله﴾ فيه التنبيه على إخلاص العبد في قيامه لربه وطاعته.

فجمعت هذه الآية العمل بالتوحيد وحقوقه ولوازمه، والقيام بذلك جدًّا واجتهادًا.

ويُشبه هذه الآية قوله تعالى ﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون﴾ - إلى قوله - ﴿وأندر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل﴾، فجمع تعالى الدين كله في هاتين الكلمتين: ﴿نجب دعوتك﴾ فيه التوحيد، لأنه الذي دعا إليه ودعت إليه رسله، وفي قوله ﴿ونتبع الرسل﴾؛ العمل بكتابه واتباع رسوله ﷺ، لأن من اتبع كتابه ورسوله فقد اتبع الرسل جميعهم، فمن عمل بهاتين الكلمتين فيما كان طاعةً لله ولرسوله فقد فاز ونجا، وحصل ما تمناه المفرطون يوم القيامة. فالله الله في الاهتمام بهذا الشأن، والقيام به حسب الإمكان، ﴿وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾.

ومما يدفع الله به العقوبات، ويزيد به الحسنات؛ الصدقة على الفقراء والمساكين، كما قال تعالى ﴿ وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير﴾، وقال تعالى ﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً واستغفروا الله إن الله غفور رحيم﴾، وقد ورد: (باكروا بالصدقة، فإن البلاء لا يتخطاها، والحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة)^١، وفي الحديث (اتقوا النار ولو بشقِّ تمر)^٢، والآيات والأحاديث في فضل الصدقة كثيرة وهي من الباقيات الصالحات، وقد قال تعالى ﴿والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخيراً أملاً﴾.

^١ رواه البيهقي عن أنس رضي الله عنه (١٨٩/٤) موقوفاً، ورواه الطبراني في «الأوسط» (٥٦٤٣) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعاً إلى النبي ﷺ.

^٢ شقِّ تمر أي نصفها. انظر «لسان العرب».

نسأل الله لنا ولكم العفو والعافية، والعون على مرضاته، فإنه ولي ذلك والقادر عليه، ولا ملجأ منه إلا إليه بالتوبة النصوح والإيمان والعمل الصالح، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.^٢

^١ رواه البخاري (١٤١٣) ومسلم (١٠١٦) عن عدي بن حاتم رضي الله عنه.

^٢ انتهى كلامه رحمه الله، وهو مثبت في «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية»، الجزء الرابع (ص ٣٧٩ - ٣٨٢)، وكذا في «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (١٤/٧٧ - ٨٣)، وبينهما فروق يسيرة، وقد أثبت منها ما هو أليق بالسياق.

الرسالة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب^١ رحمهم الله تعالى في معرض نصيحة له بالاجتماع على أئمة المسلمين وترك الخروج عليهم:

ثم هنا مسألة أخرى، وداهية كبرى، دهي بها الشيطان كثيراً من الناس، فصاروا يسعون فيما يُفترق جماعة المسلمين، ويوجب الاختلاف في الدين، وما ذمُّه الكتاب المبين، ويقضي بالإخلاد إلى الأرض وترك الجهاد ونصرة رب العالمين، ويُفضي إلى منع الزكوات، ويشب نار الفتن والضلالات، فتلطف الشيطان في إدخال هذه المكيدة، ونصب لها حُججاً ومُقَدِّمات، وأوهمهم أن طاعة بعض المتغلبين فيما أمر الله به ورسوله من واجبات الإيمان وفيما دفع عن الإسلام وحماية لحوزته لا تجب والحالة هذه ولا تُشرع^٢، ولم يدر هؤلاء المفتونون أن أكثر ولاية أهل الإسلام من عهد يزيد بن معاوية - حاشا عمر بن عبد العزيز ومن شاء الله من بني أمية - قد وقع منهم ما وقع من الجراء والحوادث العظام، والخروج والفساد في ولاية أهل الإسلام، ومع ذلك فسيرة الأئمة الأعلام والسادة العظام معهم معروفة مشهورة، لا ينزعون يداً من طاعة فيما أمر الله به ورسوله من شرائع الإسلام وواجبات الدين، وأضرب لك مثلاً بالحجاج بن يوسف الثقفي، وقد اشتهر أمره في الأمة بالظلم والغش، والإسراف في سفك الدماء، وانتهاك حرمة الله، وقتل من قتل من سادات الأمة كسعيد بن جبير، وحاصر ابن الزبير وقد عاذ بالحرم الشريف، واستباح الحرم، وقتل ابن الزبير، مع أن ابن الزبير قد أعطاه الطاعة وبايعه عامة أهل مكة والمدينة واليمن وأكثر سواد العراق، والحجاج نائب عن مروان ثم عن ولده عبد الملك، ولم يعهد أحد من الخلفاء إلى مروان، ولم يبايعه أهل الحل والعقد، ومع ذلك لم يتوقف أحد من أهل العلم في طاعته والانقياد له فيما تسوغ طاعته فيه من أركان الإسلام وواجباته، وكان ابن عمر ومن أدرك الحجاج من أصحاب رسول الله ﷺ لا ينازعونه ولا يمتنعون من طاعته فيما يقوم به الإسلام ويكمل به الإيمان.

^١ تقدم التعريف به في الرسالة السادسة.

^٢ معنى هذه العبارة أن الشيطان أوهمهم أن طاعة من تغلب على الملك - إذا أمر بالطاعة وواجبات الإيمان - لا تجب، وسيبين الشيخ قريباً أن الشرع يأمر بطاعة المتغلب تقديراً للمصلحة وحقناً للدماء.

وكذلك من في زمنه من التابعين، كابن المسيب والحسن البصري وابن سيرين وإبراهيم التيمي وأشباههم ونظرائهم من سادات الأمة.

واستمر العمل على هذا بين علماء الأمة من سادات الأمة وأئمتها، يأمرسون بطاعة الله ورسوله، والجهاد في سبيله، مع كل إمام برٍّ أو فاجرٍ، كما هو معروف في كتب أصول الدين والعقائد.

وكذلك بنو العباس استولوا على بلاد المسلمين قهراً بالسيف، لم يساعدهم أحد من أهل العلم والدين، وقتلوا خلقاً كثيراً وجمّاً غفيراً من بني أمية وأمرائهم ونوابهم، وقتلوا ابن هبيرة أمير العراق، وقتلوا الخليفة مروان، حتى نُقِلَ أن السفاح قتل في يوم واحد نحو الثمانين من بني أمية، ووضع الفُرْشَ على جثثهم وجلس عليها، ودعا بالمطاعم والمشارب، ومع ذلك فسيرة الأئمة - كالأوزاعي ومالك والزهري والليث بن سعد وعطاء بن أبي رباح - مع هؤلاء الملوك لا تخفى على من له أدنى مشاركة في العلم والاطلاع.

والطبقة الثانية من أهل العلم، كأحمد بن حنبل ومحمد بن إسماعيل^١، ومحمد بن إدريس^٢، وأحمد ابن نصر^٣، وإسحاق بن راهويه وإخوانهم؛ وقع في عصرهم من الملوك ما وقع من البدع العظام، وإنكار الصفات، ودَعُوا إلى ذلك، وامْتَحَنُوا فيه^٤، وقُتِلَ من قُتِلَ، كأحمد بن نصر، ومع ذلك فلا يُعْلَم أن أحداً منهم نزع يداً من طاعة ولا رأى الخروج عليهم.^٥

^١ أي البخاري، الإمام المعروف.

^٢ أي الشافعي.

^٣ أي الخزاعي.

^٤ أي امتحنوا فيه الناس، بأن ألزموهم بالقول بتلك البدع بقوة السلطان.

^٥ انتهى كلامه رحمه الله، وهو مثبت في «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية»، (٦٢/٣ - ٦٣) و«الدرر السنية» (٣٧٧/٨ - ٣٨٠)، وبينهما اختلاف يسير في الألفاظ، وقد انتقيت ما هو أليق بالسياق.

الرسالة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد اللطيف بن عبد الرحمن إلى الأخوين المكرمين علي بن محمد وابنه محمد بن علي، سلمهما الله تعالى من الأسواء^١، وحماهما من طوارق الحن والبلوى.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فأحمدُ إليكما الله الذي لا إله إلا هو، وهو للحمد أهلٌ، وهو على كل شيء قدير، والخط وصل وصلكما الله بما يرضيه، وجعلكما ممن يحبه ويتقيه، وما ذكرتما صار معلوماً، وهذه الحوادث والفتن أكبر مما وصفتم، وأعظم مما إليه أشترتم، كيف لا، وقد تلاعب الشيطان بأكثر المنتسبين، وصار سُلماً لولاية المشركين، وسبباً لارتداد المرتدين، وموجباً لخفض أعلام الملة والدين، وذريعةً إلى تعطيل توحيد رب العالمين، وإلى استباحة دماء المسلمين، وهتك إعراض عباده المؤمنين، فتنةً لا يصل إليها حديث ولا قرآن^٢، ولا يروعني أبناؤها عما يهدم الإسلام والإيمان، يعرف ذلك مَنْ مَنَّ الله عليه بالعلم والبصيرة، وصار على حظ من أنوار الشريعة المطهرة المنيرة، وعلى نصيب من مراقبة عالم السر والسريرة.

وقد عرفتم مبنى هذه الفتنة وأولها، والحكم في أهلها وجندها، ثم صار لهم دولةٌ بالغبلة والسيف، واستولوا على أكثر بلاد المسلمين وديارهم، وصارت الإمامة لهم بهذا الوجه ومن هذا الطريق كما عليه العمل عند كافة أهل العلم من أهل الأمصار في أعصار متطاولة، وأوّل ذلك ولاية آل مروان، لم تصدر لا عن بيعة ولا رأي ولا عن رضا من أهل العلم والدين، بل بالغبلة، حتى صار على ابن الزبير ما صار، وانقاد لهم سائر أهل القرى والأمصار.

وكذلك مبدأ الدولة العباسية ومخرجها من خراسان، وزعيمها رجل فارسي، يدعى أبا مسلم^٣، صال على من يليه، ودعا إلى الدولة العباسية، وشهر السيف، وقتل من امتنع عن ذلك، وقتل عليه، وقتل ابن

^١ جمع سُوء.

^٢ أي أنها غير متصلة ولا معتمدة على دليل من القرآن أو الحديث.

^٣ انظر قصته في «البداية والنهاية» عند ذكر بداية حكم بني العباس.

هُبيرة أمير العراق، وقتل خلقًا كثيرًا لا يحصيهم إلا الله، وظهرت الرايات السود العباسية، وجاسوا^١ خلال الديار قتلاً ونهبًا في أواخر القرن الأول، وشاهد ذلك أهل القرن الثاني والثالث من أهل العلم والدين وأئمة الإسلام، كما لا يخفى على مَنْ شَمَّ رائحة العلم، وصار على نصيب من معرفة التاريخ وأيام الناس. وأهل العلم مع هذه الحوادث متفقون على طاعة من تغلب عليهم في المعروف، يرون نفوذ أحكامه، وصحة إمامته، لا يختلف في ذلك اثنان، ويرون المنع من الخروج عليهم بالسيف وتفريق الأمة، وإن كان الأئمة ظلمة فسقة، مالم يروا كفرًا بواحًا، ونصوصهم في ذلك موجودة عن الأئمة الأربعة وغيرهم وأمثالهم ونظرائهم.^٢

^١ أي دخلوا.

^٢ انتهى كلامه رحمه الله، وهو مثبت في «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية»، (١٦٦/٣ - ١٦٨) و«الدرر السنية» (٢٧/٩ - ٢٩)، وبينهما اختلاف يسير في الألفاظ، وقد انتقيت ما هو أليق بالسياق.

الرسالة الثالثة

قال رحمه الله:

ومن عرف القواعد الشرعية عرف ضرورة الناس وحاجتهم في أمر دينهم ودنياهم إلى الجماعة والإمامة، وقد تغلب من تغلب في آخر عهد أصحاب رسول الله ﷺ وأعطوه حكم الإمامة ولم يُنازعوا، كما فعل ابن عمر وغيره، مع أنها أخذت بالقهر والعلبة.

وكذلك بعدهم في عصر الطبقة الثالثة تغلب من تغلب وجرت أحكام الجماعة والإمامة ولم يختلف أحد في ذلك، وغالب الأئمة بعدهم على هذا القبيل وهذا النمط، ومع ذلك فأهل العلم والدين يأثمون بما أمروا به من المعروف، وينتهون عما نُهوا عنه من المنكر، ويجاهدون مع كل إمام كما هو منصوص عليه في عقائد أهل السنة، ولم يقل أحد منهم بجواز قتال المتغلب والخروج عليه وترك الأمة تموج في دماها وتستبيح الأموال والحرمان، ويجوس العدو الحربي خلال ديارهم وينزل بجماهم، هذا لا يقول بجوازه وإباحته إلا مصاب في عقله، موتور^١ في دينه وفهمه، وقد قيل:

لا يُصلِحُ الناس فوضى لا سَراة^٢ لهم ولا سَراة إذا جُهاهم سادوا^٣

بل هذا الحكم الديني يؤخذ من قوله تعالى ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾، لأنه لا يحصل القيام بهذا الواجب إلا بما ذكرنا، وتركه مفسدة محضة، ومخالفة صريحة، قال تعالى ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾.

وفي الحديث: إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم.^٤

^١ موتور أي منقوص. انظر «لسان العرب»، مادة وتر.

^٢ السَراة هم السادة والقادة.

^٣ سادوا أي حكموا.

^٤ رواه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وهنا انتهى كلامه رحمه الله، وهو مثبت في «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية»، (١٧٢/٣ - ١٧٣) و«الدرر السنية» (١٧/٩ - ٢٠)، وبينهما اختلاف يسير في الألفاظ، وقد انتقيت ما هو أليق بالسياق، أما الحديث فضبطته من مصدره الأصلي.

ترجمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب،

وبيان حقيقة دعوته،

وإثبات أن منهجها مطابق لمنهج دعوة النبي ﷺ في

العقيدة والشريعة والسلوك

ويليه:

رسالة مختصرة في بيان أن ما دعا إليه الشيخ ليس

مذهباً خامساً

بقلم حفيده

الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب

رحمهم الله (١٢٢٥ - ١٢٩٣ هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فهذه رسالة مختصرة في التعريف بالشيخ محمد بن عبد الوهاب التميمي ودعوته الإصلاحية، والتي انطلقت في نجد في أواسط القرن الثاني عشر الهجري، وصاحب الرسالة هو حفيده الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، رحمهم الله جميعاً، وقد بيّن في رسالته نسب جده، ورحلته في طلب العلم، ومشايخه الذين تلقى عنهم، ثم ذكر الحال التي كانت عليها بلاد نجد، وما كان يعجز فيها من الخرافات، والتعلق بالأموات والقبور والنخيل والمغارات والعيون، ثم جهاده في نشر الدعوة لعبادة الله وحده، ونبذ عبادة ما سوى الله.

ثم بيّن صاحب الرسالة رحمه الله أن دعوة الشيخ محمد مطابقة لما سار عليه العلماء المعتبرين من أصحاب المذاهب الأربعة، فنقل أقوالاً كثيرة عن علماء المذاهب في إنكار عبادة القبور والتعلق بالأموات والجمادات، وهو الأمر الذي أنكره النبي ﷺ ابتداءً، ليتضح للقارئ الكريم أن ما دعا إليه الشيخ محمد ليس مذهباً خامساً ولا ديناً جديداً، وإنما الذي دعا إليه الشيخ محمد هو دين الإسلام الذي أمر الله تعالى به رسوله أن يدعو إليه الناس كافة.

ولا أطيل، فالرسالة مُعَبِّرة عن نفسها، والذي قمت به هو انتقاء الرسالة من «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية»، ثم خدمة النص بالتعليق عليه بحسب الحاجة، وتخريج الآيات والأحاديث، وعزو الأقوال العلمية إلى أصحابها بعد مقابلتها بالنسخ المحققة، وكذا شرح الغريب من الألفاظ.

والذي دعاني لنشر هذه الرسالة هو الرغبة في تبصير الناس - لا سيّما البعيدين عن الجزيرة العربية - بالشيخ محمد ودعوته، وبيان أن دعوته ليست مُسْتَقِلَّة عن دين الإسلام، بل هي مطابقة له، وأن الشيخ محمد ليس إلا مجدداً لما اندرس من معالم الإسلام، فإن جموعاً غفيرة من الناس مع الأسف الشديد لا تعلم ذلك، بل تظن أنه استقل بمذهب جديد أو دين جديد، ولذا يُسَمُّون دعوته بالوهابية، ويُسمون من قَبِلَ دعوته بالوهابي، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على سوء فهم لدعوة الشيخ محمد، بل ربما وقع بعض

الناس في عرضه، واتهموه بالعظائم، من غير تمحيص لتلك الاتهامات، ولا رجوع لما كتبه الثقات عنه، ولا شك أن هذا من كبائر الذنوب، ففي التنزيل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾.

أقول: ولا شك أن الطعن في العلماء الصادقين ليس إلا إيدان بحرب الله تعالى، كيف لا، وقد قال النبي ﷺ: قال الله عز وجل: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب.^١

ولذا رأيت انتقاء هذه الرسالة ونشرها محتسباً في ذلك الثواب الوارد في تعريف الناس بالشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته، ومحتسباً أيضاً للثواب الوارد في قول النبي ﷺ: من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة.^٢

ولا يفوتني أن أعرف بالشيخ عبد اللطيف صاحب الرسالة، فأقول هو الشيخ عبد اللطيف ابن الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى، ولد سنة ١٢٢٥ هجرية في بلدة العلم والعلماء؛ الدرعية، درس على يد عدد من المشايخ، منهم والده الشيخ عبد الرحمن بن حسن، وكذا ابن عمه الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، والشيخ محمد بن محمود الجزائري، وغيرهم.

وبعد تضلعه في العلم؛ تتلمذ عليه عدد من التلاميذ، أشهرهم الشيخ الأديب الذاب عن دين الله بشعره ونظمه؛ سليمان بن سحمان رحمه الله تعالى.

له العديد من الكتب والرسائل، أما الكتب فأشهرها «مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام»، وأيضاً «منهاج التأسيس في كشف شبهات داود بن جرجيس».

أما الرسائل فجمعها تلميذه الشيخ سليمان في المجلد الثالث من «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية»، وبعضها مفرق في بعض المجلدات الأخرى، وبعضها يقع في «الدرر السنية من الأجوبة النجدية».

توفي رحمه الله سنة ١٢٩٣ هـ.^٣

^١ رواه البخاري (٦٥٠٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

^٢ رواه الترمذي (١٩٣١) عن أبي الدرداء رضي الله عنه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

^٣ باختصار وتصرف من ترجمته في مقدمة كتابه «مصباح الظلام»، والترجمة من إعداد الشيخ د. عبد العزيز بن عبد الله الزير حفظه الله.

وقبل طي صفحة المقدمة؛ أنبه إلى ثلاثة أمور:

الأول: أني قد ألحقت الرسالة المذكورة برسالة أخرى لنفس المؤلف في نفس الباب.

الثاني: أن عنوان الرسالتين ليس من وضع المؤلف وإنما من وضعي، لأنهما ليس لهما عنوان ابتداءً حسب المراجع.

الثالث: أن الرسالة الأولى مثبتة في «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية»، (٣/٣٧٨-٤٢٩)، وكذا التي في «الدرر السنية في الأجوبة النجدية»، (١/٣٧٢-٤٣٩)، وقد اعتمدت على المرجع الأول كأصل، وصححت ما يلزم تصحيحه من المرجع الثاني، أما بالنسبة للنقولات العلمية فضبطتها من مصادرها الأصلية، وهناك تعليقات يسيرة من الله بها، فالحمد لله على تيسيره.

والله أسأل أن ينفع بهذه الرسالة كاتبها وقارئها وناشرها، وأن يجعل قصدها خالصاً وأجرها ذخراً، والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه، وسلّم تسليماً كثيراً.

وكتبه، ماجد بن سليمان الرسي

majed.alrassi@gmail.com

هاتف: ٠٠٩٦٦٥٠٥٩٠٦٧٦١

المملكة العربية السعودية

سُئِلَ الشَّيْخُ عَبْدِ اللطيفِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَنِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى عَنْ عَقِيدَةِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدِ ابْنِ عَبْدِ الوَهَّابِ، وَحَقِيقَةِ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ، فَأَجَابَ بِمَا نَصَهُ:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا^١ محمداً عبده ورسوله، أرسله بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً.

أما بعد، فقد سألتَ أرشدك الله أن أرسل إليك نبذة مفيدة كاشفة عن حال الشيخ الإمام، العلم^٢ القدوة، المجدد لما اندرس من دين الإسلام، القائم بنصرة شريعة سيد الأنام، الشيخ محمد بن عبد الوهاب، أحسن الله له المآب^٣، وضاعف له الثواب، ويسّر له الحساب.

وذكرتَ أرشدك الله أن جهتكم لا يوجد فيها ذلك، وأن عندكم من الطلبة من يتشوق إلى تلك المناهج والمسالك، فكتبت إليك هذه الرسالة، وسوّدت إليك هذه الكراسة والعجالة، ليعلم الطالب، ويتحقق الراغب؛ حقيقة ما دعا إليه هذا الإمام، وما كان عليه من الاعتقاد والفهم التام، ويستبين للناظر فيها ما يُهت به الإعداد من الأكاذيب والافتراء، التي يُرومون بها تنفير الناس عن المحجة والسبيل، وكتمان البرهان والدليل، وقد كثر أعداؤه ومُنازعوه، وفشا البُهت^٤ بينهم فيما قالوه ونقلوه، فرما اشتبه على طالب الإنصاف والتحقيق، والتبس عليه واضح المنهج والطريق، فإن استصحب الأصول الشرعية، وجرى على القوانين المرضية؛ عرف أنَّ لكل نعمة حاسداً، ولكل حق جاحداً، ولا يُقبل في نقل الأقوال والأحكام إلا العدول الثقات الضابطون من الأنام، ومن استصحب هذا استراح عن البحث فيما يُنقل إليه ويسمع، ولم يلتفت إلى أكثر ما يُختلق ويُصنع، وكان من أمره على منهاج واضح ومُشرع^٥.

^١ ليست كلمة (سيدنا) في «الدرر».

^٢ في «الدرر»: العالم.

^٣ في «مجموعة الرسائل»: المآل.

^٤ أي يقصدون.

^٥ البُهت هو الافتراء واختلاق الكلام.

^٦ المشرع أي الشريعة والمسلک الديني.

فصل

فأما نسبُ هذا الشيخ؛ فهو الإمام العلم^١، القدوة البارِع، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف.

وُلد رحمه الله سنة خمس عشرة بعد المائة والألف من الهجرة النبوية في بلد العيينة من أرض نجد، ونشأ بها، وقرأ القرآن بها حتى حفظه وأتقنه قبل بلوغه العشر، وكان حادَّ الفَهم، سريع الإدراك والحفظ، يتعجب أهله من فطنته وذكائه، وبعد حفظ القرآن اشتغل بالعلم وجدَّ في الطلب، وأدرك بعض الإزب^٢ قبل رحلته لطلب العلم، وكان سريع الكتابة، ربما كتب الكراسة في المجلس، وقال أخوه سليمان: (كان والده يتعجَّب من فهمه، ويعترف بالاستفادة منه مع صغر سنه).

ووالده هو مفتي تلك البلاد، وجدُّه مفتي البلاد النجدية، آثاره وتصنيفه وفتاواه تدل على علمه وفقهه، وكان جده إليه المرجع في الفقه والفتوى، وكان معاصراً للشيخ منصور البهوتي الحنبلي خادم المذهب، اجتمع به بمكة.

وبعد بلوغ الشيخ سنَّ الاحتلام؛ قدَّمه والده في الصلاة، ورآه أهلاً للاهتمام، ثم طلب الحج إلى بيت الله الحرام، فأجابه والده إلى ذاك المقصد والمرام، وبادر إلى قضاء فريضة الإسلام، وأداء المناسك على التمام، ثم قصد المدينة المنورة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وأقام بها قريباً من شهرين، ثم رجع إلى وطنه قريير العين، واشتغل بالقراءة في الفقه على مذهب الإمام أحمد رحمه الله.

ثم بعد ذلك رحل يطلب العلم، وذاق حلاوة التحصيل والفهم، وزاحم العلماء الكبار، ورحل إلى البصرة والحجاز مراراً، واجتمع بمن فيها من العلماء والمشايخ الأبحار^٣، وأتى الأحساء وهي إذ ذاك أهلة بالمشايخ والعلماء، فسَمِعَ ونَاطَرَ، وبحث واستفاد، وساعدته الأقدار الربانية بالتوفيق والأمداد^٤.

^١ في «الدرر»: العالم.

^٢ الإزب أي الحاجات، من أرب الرجل أي احتاج. انظر «النهاية».

^٣ الأبحار جمع بحير، وهو العالم.

^٤ الأمداد من الله أي النصر والتوفيق والقوة في الطاعة.

وروى عن جماعة، منهم الشيخ عبد الله بن إبراهيم النجدي ثم المدني^١، وأجازه من طريقين، وأول ما سمع منه الحديث المسلسل بالأولية، في كتب السماع بالسند المتصل إلى عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله قال: قال رسول الله ﷺ: الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء.^٢ وسمع منه مسلسل الحنابلة بسنده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله.

قالوا: وكيف يستعمله؟

قال: يوفقه لعمل صالح قبل موته.^٣

وهذا الحديث من ثلاثيات أحمد رحمه الله.

وطالت إقامة الشيخ ورحلته بالبصرة، وقرأ بها كثيراً من كتب الحديث والفقه والعربية، وكتب من الحديث والفقه واللغة ما شاء الله في تلك الأوقات، وكان يدعو إلى التوحيد ويظهره لكثير ممن يخالطه ويجالسه، ويستدل عليه، ويظهر ما عنده من العلم وما لديه، وكان يقول: (إن الدعوة كلها لله، ولا يجوز صرف شيء منها إلى سواه)، وربما ذكروا بمجلسه إشارات^٤ الطواغيت، أو شيئاً من كرامات الصالحين، الذين كانوا يدعونهم ويستغيثون بهم ويلجئون إليهم في الملمات والمهمات، فكان ينهي عن ذلك ويزجر، ويورد الأدلة من الكتاب والسنة ويحذر، ويُخبر أن محبة الأولياء والصالحين إنما هي متابعتهم فيما كانوا عليه من الهدى والدين، وتكثير أجورهم بمتابعتهم على ما جاء به سيد المرسلين، وأما دعوى المحبة والمودة، مع المخالفة في السنة والطريقة؛ فهي دعوى باطلة مردودة، غير مُسلَّمة^٥ عند أهل النظر والحقيقة، ولم يزل على ذلك رحمه الله.

^١ في «الدرر»: المدني، نسبة إلى المدينة، حيث أقام بها.

^٢ أخرجه أبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤) وصححه، وأحمد (١٦٠/٢)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٢٨/٢)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٢٢).

^٣ رواه الترمذي (٢١٤٢)، وأحمد (١٠٦/٣)، واللفظ له، وابن حبان (٥٣/٢)، وقال محققو «المسند»: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

^٤ أي الدعاء.

^٥ في «الدرر»: إشارة.

^٦ مُسلَّم أي مرضي به، فقوله إن تلك الدعوى غير مُسلَّمة، أي غير مرضي بها.

ثم رجع إلى وطنه، فوجد والده قد انتقل إلى بلده حرملاً، فاستقر معه فيها، يدعو إلى السنة المحمدية ويُديها، ويناصح من خرج عنها ويُفشيها، حتى رفع الله شأنه ورفع ذكره ووضع له القبول، وشهد له بالفضل ذووه من أهل المعقول والمنقول، وصنف كتابه المشهور في التوحيد^١، وأعلن بالدعوة إلى صراط^٢ العزيز الحميد، وقُرئ عليه هذا الكتاب المفيد، وسمعه كثير ممن لديه من طالب ومستفيد، وشاعت نُسخه في البلاد، وطار ذكرها في الغور^٣ والأنجاد^٤، وفاز بصحبته واستفاد، من جرّد القصد وسلم من الأشر^٥ والبغي والفساد، وكثر بحمد الله محبوبه وجنده، وصار معه عصابة من فحول الرجال، وأهل السمات الحسن والكمال، يسلكون معه الطريق، ويُجاهدون كل فاسق وزنديق.

فصل

كان أهل عصره ومصره في تلك الأزمان قد اشتدت غربة الإسلام بينهم، وعَفَت^٦ آثار الدين لديهم، واتخذت قواعد الملة الحنيفية، وغَلَبَ على الأكثرين ما كان عليه أهل الجاهلية، وانطمست أعلام الشريعة في ذلك الزمان، وغلب الجهل والتقليد والإعراض عن السُّنة والقرآن، وشبَّ الصغير وهو لا يعرف من الدِّين إلا ما كان عليه أهل تلك البلدان، وهَرَمَ الكبير على ما تلقاه عن الآباء والأجداد، وأعلام الشريعة مطموسة، ونصوص التنزيل وأصول السنة فيما بينهم مدروسة، وطريقة الآباء والأسلاف مرفوعة الأعلام، وأحاديث الكُهان والطواغيت مقبولة غير مردودة ولا مدفوعة، قد خلعوا ربة التوحيد والدين، وجدوا

^١ وهو المعروف بـ «كتاب التوحيد»، وقد طبع أكثر من ألف مرة، وترجم إلى لغات عدة، وله عدة شروح تزيد على العشرين شرحاً، من أهمها «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد» لحفيده الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد ابن عبد الوهاب، المتوفى عام ١٢٣٣ هـ عن ثلاث وثلاثين سنة، وكذلك «فتح المجيد» لحفيده الثاني الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، المتوفى عام ١٢٨٥ هـ، وله شروح معاصرة من أنفسها «القول المفيد على كتاب التوحيد» للشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله، وهذا مما يدل على أن الله قد كتب القبول للكتاب الأصل، فرحم الله أئمة الدعوة النجدية، فما أعظم فضلهم على الناس.

^٢ في «مجموعة الرسائل»: الله.

^٣ الغور هو ما انخفض من الأرض. انظر «النهاية».

^٤ الأنجاد جمع نجد، وهو ما ارتفع من الأرض. انظر «النهاية».

^٥ الأشر هو البطر. انظر «لسان العرب».

^٦ عفت أي اختفت وانمحت. انظر «لسان العرب».

واجتهدوا في الاستغاثة والتعلق بغير الله من الأولياء والصالحين والأوثان والأصنام والشياطين، وعلمائهم ورؤسائهم على ذلك مُقبلون، ومن بحرهِ الأُجاج^١ شاربون وبه راضون، وإليه مدى الزمان داعون، قد أَعَشَّتْهُمُ^٢ العوائد والمألوفات، وحبستهم الشهوات والإرادات عن الارتفاع إلى طلب الهدى من النصوص المحكمات، والآيات البينات، يحتجون بما رَوَّوه من الآثار الموضوعات، والحكايات المختلفة والمنامات، كما يفعله أهل الجاهلية وعُبر الفترات^٣، وكثير منهم يعتقد النفع والضرر في الأحجار والجمادات، ويتبركون بالآثار والقبور في جميع الأوقات، ﴿نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون﴾، ﴿الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا برهم يعدلون﴾، ﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تُشركُوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾.

فأما بلاد نجد؛ فقد بالغ الشيطان في كيدهم وجد، وكانوا يتتابون قبر زيد بن الخطاب، ويدعونه رغباً ورهباً بفصيح الخطاب، ويزعمون أنه يقضي لهم الحوائج، ويروونه من أكبر الوسائل والولائج^٤.

وكذلك عند قبر يزعمون أنه قبر ضرار بن الأزور، وذلك كذب ظاهر، وبهتان مُزَوَّر.

وكذلك عندهم نَخْلٌ فِحال^٥، ينتابه^٦ النساء والرجال، ويفعلون عنده أقبح الفِعال، والمرأة إذا تأخر عنها الزواج ولم يرغب فيها الأزواج؛ تذهب إليه فتضمه بيدها وتدعوه برجاء وابتهاال، وتقول (يا فحل الفحول، أريد زوجاً قبل الحول)^٧.

^١ الأجاج هو ما يلذع الفم بمرارة أو ملوحة، والسياق يدل على أن المقصود الملوحة، وانظر «المعجم الوسيط»

^٢ العشى هو ضعف البصر، والمقصود ضعف البصيرة في الدين.

^٣ الفترات جمع فترة وهي المدة الزمنية بين نبين، وفي الفترة يعم الجهل حتى يبعث الله نبياً يرجع الناس إلى الدين، والغبر بضم الغين وتسكين الباء جمع أغبر، وهو الذاهب الماضي، والمقصود من العبارة ما مضى من الجاهلية وأهل الفترات الماضية.

^٤ ولائج جمع وليجة، وهي المدخل للحصول على مقصد ما.

^٥ فِحال جمع فحل، أي ذكر النخل.

^٦ ينتابه أي يتردد عليه.

^٧ أي قبل تمام الحول، وهو السنة.

وشجرة عندهم تسمى (الطَّرْفِيَّة)^١، أغراهم الشيطان بها وأوحى إليهم التعلق عليها، وأنها تُرجى منها البركة، ويُعلّقون عليها الخرق، لعل الولد يسلم من السوء.

وفي أسفل بلدة الدرعية مغارة في الجبل، يزعمون أنها انفلقت من الجبل لامرأة تسمى «بنت الأمير»، أراد بعض الناس أن يظلمها ويضير^٢، فانفلق الغار ولم يكن له عليها اقتدار، كانوا يرسلون إلى هذا المكان من اللحم والخبز ما يقتات به جند الشيطان.

وفي بلدتهم رجل يدّعي الولاية يسمى «تاج»، يتبركون به ويرجون منه العون والإفراج، وكانوا يأتون إليه، ويرغبون فيما عنده من المدد - بزعمهم - ولديه، فتخافه الحُكّام والظلمة، ويزعمون أن له تصرفاً وفتكاً بمن عصاه وملحمه، مع أنهم يحكون عنه الحكايات القبيحة الشنيعة، التي تدل على انحلاله عن أحكام الملة والشرعية.

وهكذا سائر بلاد نجد على ما وصفنا من الإعراض عن دين الله، والجحد لأحكام الشريعة والرد، ومن العجب أن هذه الاعتقادات الباطلة والمذاهب الضالة والعوائد الجائرة والطرائق الخاسرة قد فَشَتْ وظهرت وعمت وطمّت، حتى بلاد الحرمين الشريفين^٣، فمن ذلك ما يُفعل عند قبر محبوب وقبة أبي طالب، فيأتون قبره بالشماعات والعلامات، للاستغاثة عند نزول المصائب وحلول النواكب، وكانوا له في غاية التعظيم، ولا ما يجب عند البيت الكريم^٤، فلو دخل سارق أو غاصب أو ظالم قبر أحدهما لم يتعرض له أحد، لما يرون له من وجوب التعظيم والاحترام والمكارم.

ومن ذلك ما يُفعل عند قبر ميمونة أم المؤمنين ورضي الله عنها في «سَرْف»، وكذلك عند قبر خديجة رضي الله عنها، يفعل عند قبرها ما لا يسوغ السكوت عليه من مسلم يرجو الله واليوم الآخر^٥، فضلاً عن كونه

^١ في نسخة «مجموعة الرسائل»: الطريفة.

^٢ يَضِيرُ أي يَضُرُّ.

^٣ أي الحجاز.

^٤ أي الكعبة.

^٥ في «الدرر»: والدار الآخرة.

من المكاسب الدنيئة الفاجرة، وفيه من اختلاط النساء بالرجال، وفعل الفواحش والمنكرات وسوء الأفعال؛ ما لا يُقرُّه أهل الأديان^١ والكمال، وكذلك سائر القبور المعظمة المشرفة في بلد الله الحرام؛ مكة المشرفة.

وفي الطائف قبر ابن عباس رضي الله عنهما، يُفعل عنده من الأمور الشركية التي تشمئز منها نفوس الموحدين، وتنكرها قلوب عباد الله المخلصين، وتزُدُّها الآيات القرآنية وما ثبت من النصوص عن سيد المرسلين، منها وقوف السائل عند القبر متضرعًا مستغيثًا، وإبداء الفاقة إلى معبودهم مستكينًا مستعينًا، وصرف خالص المحبة التي هي محبة العبودية، والنذر والذبح لمن تحت ذاك المشهد والبنية، وأكثر سُوقتهم^٢ وعامتهم يلهجون بالأسواق (اليوم على الله وعليك يا ابن عباس)، فيستمدون منه الرزق والغوث، وكشف الضر والبأس.

وذكر محمد بن حسين^٣ النعمي الزبيدي رحمه الله أن رجلاً رأى ما يفعل أهل الطائف، من الشعب الشركية والوظائف، فقال: (أهل الطائف لا يعرفون الله، إنما يعرفون ابن عباس)، فقال له بعض من يترشح للعلم: (معرفتهم لابن عباس كافية، لأنه يعرف الله)، فانظر إلى هذا الشرك الوخيم، والغلو الذميم، المجانب للصراط المستقيم، ووازن بينه وبين قوله ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، وقوله جل ذكره ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾، وقد لعن رسول الله ﷺ اليهود والنصارى باتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد يُعبد الله فيها، فكيف بمن عبد الصالحين ودعاهم مع الله؟ والنصوص في ذلك لا تخفى على أهل العلم.

كذلك ما يُفعل بالمدينة المشرفة على ساكنيها أفضل الصلاة والسلام هو من هذا القبيل، بالبعد عن منهاج الشريعة والسبيل.

^١ في «الدرر»: الإيمان.

^٢ السُّوقَة هم الرعية ومن دون الملك، هكذا قال في «النهاية»، ولعل الشيخ يقصد عموم الناس.

^٣ في «الدرر»: الحسين.

وفي بندر جدة^١ ما قد بلغ من الضلال حدّه، وهو القبر الذي يزعمون أنه قبر حواء، وضعه لهم بعض الشياطين، وأكثروا في شأنه الإفك المبين، وجعلوا له السدنة والخدام، وبالغوا في مخالفة ما جاء به محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، من النهي عن تعظيم القبور والفتنة بمن فيها من الصالحين والكرام.

وكذلك مشهد العلوي، بالغوا في تعظيمه وتوقيره، وخوفه ورجائه، وقد جرى لبعض التجار أنه انكسر بمال عظيم لأهل الهند وغيرهم، وذلك في ستة عشر ومائتين وألف، فهرب إلى مشهد العلوي مستجيراً، ولائذاً به مستغيثاً، فتركه أرباب الأموال، ولم يتجاسر أحد من الرؤساء والحكام على هتك ذلك المشهد والمقام، واجتمع طائفة من المعروفين، واتفقوا على تنجيّمه^٢ في مدة سنين، فنعوذ بالله من تلاعب الفجرة والشياطين.

وأما بلاد مصر وصعيدها وفيومها وأعمالها فقد جمعت من الأمور الشركية، والعبادات الوثنية، والدعاوي الفرعونية؛ ما لا يتسع له كتاب، ولا يدنو له خطاب، لاسيما عند مشهد أحمد البدوي وأمثاله من المعتقدين^٣ المعبودين، فقد جاوزوا بهم ما ادعته الجاهلية لآلهتهم، وجمهورهم يرى له^٤ من تدبير الربوبية، والتصرف في الكون بالمشيئة والقدرة العامة؛ ما لم يُنقل مثله عن أحد من الفراعنة والنامردة^٥، وبعضهم يقول: (يتصرف في الكون سبعة)، وبعضهم يقول: (أربعة)، وبعضهم يقول: (قطب يرجعون إليه)، وكثير منهم يرى أن الأمر شورى بين عدد ينتسبون إليه، فتعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً، ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً﴾.

وقد استباحوا عند تلك المشاهد من المنكرات والفواحش والمفاسد ما لا يمكن حصره، ولا يُستطاع وصفه، واعتمدوا في ذلك من الحكايات والخرافات والجهالات ما لا يصدر عمّن له أدنى مُسكة^٦ أو حظ من المعقولات، فضلاً عن النصوص الشرعية.

^١ يقال بندر جدة وبندر السويس وبندر القنفذة، والذي يظهر لي أن كلمة بندر تُلحق بالمدن التي فيها ميناء تجاري، والبندر في المعاجم اللغوية هو تاجر المعادن. انظر «لسان العرب».

^٢ التنجيّم هو التقسيط. انظر «المعجم الوسيط».

^٣ المعتقدين - بفتح التاء - هم من يعتقد الناس فيهم شيئاً من خصائص الألوهية، تعالى الله عن أن يُماثله أحد من خلقه.

^٤ أي للبدوي.

^٥ نامردة جمع نمروذ، وهو في الأصل اسم ملك معروف، ثم صار وصفاً لمن تعاقب على مملكته، انظر «لسان العرب».

^٦ المسكة - بضم الميم - هو العقل الوافر والرأي. انظر «المعجم الوسيط».

كذلك ما يفعل في بلدان اليمن جارٍ على تلك الطريق والسُنن^١، ففي «صنعاء» و«بُرع» و«المخا» وغيرها من تلك البلاد ما يتنزه العاقل عن ذكره ووصفه، ولا يمكن الوقوف على غايته وكشفه، ناهيك بقوم استخفَّهم الشيطان، وعدّلوا عن عبادة الرحمن، إلى عبادة القبور والشيطان، فسبحان من لا يُعجل بالعقوبة على الجرائم، ولا يُهمّل الحقوق والمظالم.

وفي حضرموت والشَّحر وعدن ويافع، ما تَسْتَكُ^٢ عن ذكره المسامع، يقول قائلهم: (شيء الله يا عيدروس، شيء الله يا محيي النفوس).

وفي أرض نجران من تلاعب الشيطان وخلع رِبقة^٣ الإيمان؛ ما لا يخفى على أهل العلم بهذا الشأن.

كذلك رئيسهم المسمى بـ «السيد»^٤، لقد أتوا من طاعته وتعظيمه وتقديسه^٥ وتصديده والغلو فيه بما أفضى بهم إلى مفارقة الملة والإسلام، والانحياز إلى عبادة الأوثان والأصنام، «اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون».

وكذلك حلب ودمشق وسائر بلاد الشام، فيها من المشاهد والنُصب والأعلام ما لا يُجامع عليه أهل الإيمان والإسلام^٦، من أتباع سيد الأنام، وهي تُقارب ما ذكرنا من الكُفريات المصرية، والتلطخ بتلك الأحوال الوثنية الشركية.

وكذلك الموصل وبلاد الأكراد؛ ظهر فيها من أصناف الشرك والفجور والفساد.

وفي العراق من ذلك بحره المحيط بسائر الخِلجان^١، وعندهم المشهد الحسيني، قد اتخذوه الرافضة وثناً، بل ربّاً مدبّراً، وخالقاً ميسّراً، وأعادوا به المجوسية، وأحيوا به معاهد^٢ اللات والعزّى، وما كان عليه أهل الجاهلية.

^١ سنن جمع سُنَّة وهي الطريقة.

^٢ الاستكاك هو الصَّمم وذهاب السمع. انظر «النهاية».

^٣ الرِّبقة عروة في حبل، تجعل في عنق البهيمة لتمسكها، والمقصود بالريقة هنا ما يوثق به المسلم نفسه بدين الإسلام، من العمل بأحكام الدين والوقوف عند حدوده، وانظر «النهاية».

^٤ لعله يشير إلى الإسماعيلية، ويسمون رئيسهم وشيخهم بالمَكْرُمي، وجمعه مكارمة.

^٥ في «الدرر»: وتقديمه.

^٦ أي لا يخالطون من يفعل ذلك.

وكذلك مشهد العباس، ومشهد علي، ومشهد أبي حنيفة ومعروف الكرخي والشيخ عبدالقادر^٣، فإنهم قد افقتنوا بهذه المشاهد، رافضتهم وسُنتهم، وعدّلوا عن أسنى المطالب والمقاصد، ولم يعرفوا ما وجب عليهم من حق الله الفرد الصمد الواحد.

وبالجملة؛ فهم شر تلك الأمصار، وأعظمهم نفورًا عن الحق واستكبارًا.

والرافضة يُصَلُّون لتلك المشاهد، ويركعون ويسجدون لمن في تلك المعاهد، وقد صرفوا من الأموال والندور لسكان تلك الأحداث^٥ والقبور؛ ما لا يُصرف عُشر معشاره للملك العلي الغفور، ويزعمون أن زيارتهم لعلي وأمثاله أفضل من سبعين حجة، تعالى الله وتقدس في مجده وجلاله.

ولأهتهم من التعظيم والتوقير والخشية والاحترام ما ليس معه من تعظيم الله وتوقيره وخشيته وخوفه شيء، للإله الحق والملك العلام، ولم يبق مما عليه النصارى سوى دعوى الولد^٦، مع أن بعضهم يرى الحلول لأشخاص بعض البرية^٧، ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون﴾.

وكذلك جميع قرى «الشط» و«الحجرة» على غاية من الجهل.

وفي القطيف والبحرين من البدع الرافضية، والأحداث المجوسية، والمقامات الوثنية؛ ما يُضاد ويصادم أصول الملة الحنيفية.

^١ الخُلجان جمع خليج.

^٢ المعهد هو المكان الذي يؤسس للتعليم، والمقصود المدارس والأماكن التي أنشئت لتعليم الناس عبادة اللات والعزى، ويمكن أن يقصد بها التراث الجاهلي الذي كان يقرر عبادة اللات والعزى، والله أعلم، وانظر «المعجم الوسيط».

^٣ أي عبد القادر الجيلاني.

^٤ عدّل أي حادّ وانحرف عن الجادة.

^٥ الأحداث جمع جدث، وهو القبر. انظر «المعجم الوسيط».

^٦ يقصد الشيخ أنه لم يبق فرق بين الرافضة والنصارى في ضلالتهم إلا دعوى أن الله ولدًا، فهذه لم يقولوها، وإلا فالرافضة قد وقعوا في ضلالات النصارى كلها - عيادًا بالله - إلا هذه.

^٧ يقصد بالحلول عقيدة أن الله يحل في خلقه، تعالى الله عن ذلك، وهي عقيدة باطلة، يعتقدونها بعض فرق الرافضة فيمن يغفلون فيهم من آل البيت، والحق أن الله في السماء، فوق جميع خلقه، كما قال تعالى ﴿الرحمن على العرش استوى﴾.

فمن اطلع على هذه الأفاعيل، وهو عارف بالإيمان والإسلام وما فيهما من التفرع والتأصيل؛ يتقن أن القوم قد ضلُّوا عن سواء السبيل، وخرجوا من مقتضى القرآن والدليل، وتمسكوا بزخارف الشيطان، وأحوال الكهان، وما شابه هذا القبيل، فازداد بصيرة في دينه، وقوي بمشاهدة إيمانه وبقينه، وجدَّ في طاعة مولاه وشكره، واجتهد في الإنابة اليه وإدامة ذكره، وبادر إلى القيام بوظائف أمره، وخاف أشد الخوف على إيمانه من طغيان الشيطان وكفره، فليس العجب ممن هلك كيف هلك، إنما العجب ممن نجا كيف نجا، ولقد أحسن العلامة محمد بن إسماعيل الأمير فيما أبداه من أهل وقته^١ من التبديل والتغيير.

فصل

وهذه الحوادث المذكورة، والكُفريات المشهورة، والبدع المزبورة^٢، قد أنكرها أهل العلم والإيمان، واشتد نكيرهم حتى حكموا على فاعلها بخلع ربة الإسلام والإيمان، ولكن لما كانت الغلبة للجهال والطَّغام^٣؛ انتقضت^٤ عُرَى الدين وانثلمت^٥ أركانه وانطمست منه الأعلام، وساعدهم على ذلك من قل حظه ونصيبه من الرؤساء والحكام، والمنتسبين من الجهال إلى معرفة الحلال والحرام، فاتَّبعتهم العامة والجمهور من الأنام، ولم يشعروا بما هم عليه من المخالفة والمباينة لدين الله، الذي اصطفاه لخاصته وأوليائه وصفوته الكرام، ومع عدم العلم، والإعراض عن النظر في آيات الله والفهم؛ لا مندوحة^٦ للعامة عن تقليد الرؤساء والسادة، ولا يمكن الانتقال عن المألوف والعادة، ولهذا كرر سبحانه وتعالى التنبيه على هذه الحُجَّة الداحضة، والعادة المضطردة^٧ الفاضحة، قال تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾،

^١ أي فيما أبداه من الإنكار على أهل زمانه، وقد تقدم ذكر شيء من المظاهر الشريكية في اليمن، وللصنعاني في إنكاره على أهل زمانه قصيدة معروفة، وانظر كتاب «القبورية، نشأتها - آثارها - موقف العلماء منها» لأحمد بن حسن المعلم، (الناشر: دار ابن الجوزي - الدمام)، فقد تكلم بإسهاب عن تاريخ القبورية في اليمن.

^٢ مزبورة أي مكتوبة، والمقصود أن تلك البدع المذكورة في كتب ومنشورة بين الناس.

^٣ الطغام هم أوغاد الناس وأراذلهم منهم.

^٤ في المطبوع (انتقض)، ولعله خطأ في النسخ.

^٥ الثُّلْمة هي موضع الكسر من الإناء، فقلوه انثلمت أركانه أي انكسرت وتصدعت.

^٦ مندوحة أي سعة وفسحة. انظر «النهاية».

^٧ مضطردة أي مستمرة.

وقوله ﴿وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير﴾ الآية، وقد قُرِّرَ هذا المعنى في القرآن لحاجة العباد وضورتهم إلى معرفته والحذر منه وعدم الاغترار بأهله، وما أحسن ما قال عبد الله بن المبارك رحمه الله:

وهل أفسد الدين إلا الملوك وأجبار^١ سوء ورهبانها^٢

إذا عرفت هذا؛ فليس إنكار الحوادث^٣ من خصائص هذا الشيخ، بل له سلف صالح من أئمة العلم والهدى، قاموا بالنكير والرد على مَنْ ضَلَّ وَغَوَى، وصَرَفَ خالص العبادة إلى مَنْ تحت أطباق الثرى، وسنسرِد لك من كلامهم ما تقر به العيون^٤، وتتلجج به الصدور، ويتلاشى معه ما أحدثه الجهال من البدع والإشراك والزور.^٥

قال الإمام أبو بكر الطرطوشي^٦ في كتابه المشهور الذي سماه «الحوادث والبدع»:
(روى البخاري^٧ عن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ قبل «حُنين»^٨ ونحن حديثو عهد بكفر^٩، وللمشركين سدرة يعكفون^{١٠} عندها، وينوطون^{١١} بها أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط، فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط.

^١ الأبحار جمع حبر، والحبر هو العالم.

^٢ الرهبان جمع راهب، وهم عباد النصارى، وقد كانوا ينزلون عن الدنيا وملاذها، ويتعمدون المشاق، ويتعبدون في صوامع، فأبطل الإسلام هذا كله، كما قال تعالى ﴿ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم﴾.

^٣ يعني بالحوادث أي المحدثات في الدين.

^٤ هنا انتهى الشيخ من التعريف بالشيخ محمد بن عبد الوهاب، وذكر حال البلاد الإسلامية في وقته، والآن سيبدأ الشيخ في ذكر كلام علماء المذاهب الذين أنكروا ما أنكره ابن عبد الوهاب، ليقرر — كما أسلفنا — أنه لم يأت بجديد، وإنما جدد دعوة النبي ﷺ وصحابته ومن تبعهم على الحق، جعلنا الله منهم وفي زمرتهم، وسيستغرق ذكر كلامهم بقية هذا الكتاب، وهو يشكل ثمانية أعشاره، فاللهم يَسِّرْ وأعن.

^٥ سيأتي بيان ذلك في ثنايا هذه الرسالة المباركة من كلام علماء المذاهب الأربعة، وبهذا يتبين أن الذي دعا إليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب ليس دينًا جديدًا، ولا مذهبًا جديدًا، بل هو نفس ما دعا إليه النبي ﷺ ومن تبعه على الإسلام الصافي، والله أعلم.

^٦ هو محمد بن الوليد الأندلسي الطرطوشي، شيخ المالكية، له كتاب مشهور في التحذير من البدع وهو «كتاب الحوادث والبدع»، توفي رحمه الله سنة ٥٢٠ . انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (١٩/٤٩٠).

^٧ أخطأ الطرطوشي رحمه الله في عزو هذا الحديث إلى البخارى، وسيأتي تخريجه قريبًا.

^٨ حنين واد بين الطائف ومكة.

فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر، هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون﴾، لتركن سنن من كان قبلكم.^٤
فانظروا رحمكم الله، أينما وجدتم سدره أو شجرة يقصدها الناس ويُعظمون من شأنها، ويرجون البرء والشفاء من قبلها، وينوطون بها المسامير والخرق؛ فهي ذات أنواط، فاقطعوها).^٥
انتهى كلامه رحمه الله.

فانظر رحمك الله إلى تصريح هذا الإمام، بأن كل شجرة يقصدها الناس ويعظمونها ويرجون الشفاء والعافية من قبلها فهي ذات أنواط، التي قال رسول الله ﷺ لأصحابه لما طلبوا منه أن يجعل لهم شجرة كذات أنواط، فقال: الله أكبر، هذا كقول بني إسرائيل ﴿اجعل لنا إلهًا﴾، مع أنهم لم يطلبوا إلا مجرد مشابھتهم في العكوف عندها، وتعليق الأسلحة للتبرك، فتبين لك بهذا أن من جعل قبرًا أو شجرة أو شيئًا حيًّا أو ميتًا مقصودًا له، ودعاه واستغاث به وتبرك به وعكف على قبره؛ فقد اتخذ إلهًا مع الله، فإذا كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه أنكر عليهم مجرد طلبهم منه مشابھة المشركين في العكوف وتعليق الأسلحة للتبرك؛ فما ظنك بما هو أعظم من ذلك وأطم؟ الشرك الأكبر الذي حرمة الله ورسوله، وأخبر أن أصلح الخلق لو يفعل له لحيط عمله وصار من الظالمين؟

فصلوات الله وسلامه عليه، فقد بلغ البلاغ المبين، وعرفنا بالله، وأوضح لنا الصراط المستقيم، فحقيق بمن نصح نفسه وآمن بالله واليوم الآخر أن لا يغتر بما عليه أهل الشرك من عبادة القبور من هذه الأمة.

ومن ذلك ما ذكره الإمام محدث الشام عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم، المعروف بأبي شامة^١، من فقهاء الشافعية وقدمائهم، في كتابه الذي سماه «الباعث على إنكار البدع والحوادث»، في فصل البدع المستقبحة، قال:

^١ أي أسلمنا قريبًا، فالكفر لم يكن بعيدا عنا.

^٢ العكوف هو طول الإقامة، ومنه سنة الاعتكاف في المسجد.

^٣ ينوطون أي يعلقون.

^٤ رواه الترمذي (٢١٨٠) وابن حبان (٩٤/١٥) وأحمد (٢١٨/٥) والنسائي في «الكبرى» (١١١٢٢)، وصححه الألباني، وفي بعض الألفاظ أن النبي ﷺ أكبر، وفي بعضها أنه سبَّح.

^٥ (ص ٣٨ - ٣٩)، تحقيق: علي بن حسن بن عبد الحميد، الناشر: دار ابن الجوزي - الدمام.

البدع والمحدثات المستقبحة تنقسم قسمين:

قسم تعرفه العامة والخاصة أنه بدعة محدثة، إما محرمة وإما مكروهة.

وقسم يظنه معظمهم - إلا من عُصِم - عباداتٍ وقرباً وطاعاتٍ وسناً.

فأما القسم الأول فلا نُطَوِّلُ بذكره، إذ قد كُفينا مؤنة الكلام فيه، لاعتراف فاعله أنه ليس من الدين، لكن تبين من هذا القسم ما قد وقع فيه جماعة من جُهل العوام المنابذين لشريعة الإسلام، التاركين الاقتداء بأئمة الدين من الفقهاء، وهو ما يفعله طوائف من المنتمين إلى الفقر، الذي حقيقته الافتقار من الإيمان - من مؤاخاة النساء الأجانب، والخلوة بهن، واعتقادهم في مشايخ لهم ضالين مُضِلِّين، يأكلون في نهار رمضان من غير عذر، ويتركون الصلاة، ويُخامِرون^٢ النجاسات غير مكترئين لذلك، فهم داخلون تحت قوله تعالى ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾، وبهذه الطرق وأمثالها كان مبادئ ظهور الكفر من عبادة الأصنام وغيرها.

ومن هذا القسم أيضاً ما قد عم الابتلاء به من تزوين الشيطان للعامة لتخليق^٣ الحيطان والعُمد^٤، وسرَج^٥ مواضع مخصوصة في كل بلد يحكي لهم حاكٍ أنه رأى في منامه بها أحداً ممن اشتهر بالصلاح والولاية، فيفعلون ذلك ويحافظون عليه مع تضييعهم فرائض الله تعالى وسننه، ويظنون أنهم متقربون بذلك، ثم يتجاوزون هذا إلى أن يعظم وقع تلك الأماكن في قلوبهم فيعظمونها، ويرجون الشفاء لمرضاهم وقضاء حوائجهم بالنذر لها، وهي ما بين عيون وشجر وحائط وحجر.

وفي مدينة دمشق - صانها الله - من ذلك مواضع متعددة، كعُوية الحمى خارج بلد «توما»، والعمود المُخلَق^٦ خارج الباب الصغير، والشجرة الملعونة اليابسة خارج باب النصر في نفس قارعة الطريق، سهل

^١ هو الشيخ عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي من القراء والمحدثين، وهو من علماء القرن السادس، له تصانيف عديدة في العقيدة والحديث والقراءات والأصول والتاريخ. توفي رحمه الله سنة ٦٦٥ . كان فوق حاجبه الأيسر شامة كبيرة فقليل له: أبو شامة. انظر ترجمته في «تذكرة الحفاظ» (١١٥٧) و«معرفه القراء».

^٢ يخامر أي يخالط ويقارب. انظر «لسان العرب».

^٣ التخليق هو التطبيب.

^٤ العُمد جمع عمود.

^٥ أي اتخذ السُرج عليها وإنارتها.

^٦ أي المُطَيَّب.

الله قطعها واجتثاثها من أصلها، فما أشبهها بذات أنواط الواردة في الحديث الذي رواه محمد بن إسحاق وسفيان بن عُيينة عن الزهري عن سنان بن أبي سنان عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى «حُنين»، وكانت لقريش شجرة خضراء عظيمة يأتونها كل سنة فيعلقون عليها سلاحهم، ويعكفون عندها ويذبحون لها.

وفي رواية: خرجنا مع النبي ﷺ قبل «حُنين»، ونحن حديثو عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عليها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله - وفي الرواية الأولى: وكانت تسمى ذات أنواط - فمررنا بسدرة شجرة عظيمة خضراء، فتنادينا من جنبي الطريق ونحن نسير إلى حُنين: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط.

فقال النبي ﷺ: الله أكبر، هذا كما قال قوم موسى لموسى ﴿اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون﴾، لتزكبن سنن من كان قبلكم.

أخرجه الترمذي بلفظ آخر، والمعنى واحد، وقال: حديث حسن صحيح.

قال الإمام أبو بكر الطرطوشي رحمه الله تعالى في كتابه المتقدم ذكره: فانظروا رحمكم الله، أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويُعظمون من شأنها، ويرجون البرء والشفاء من قبلها، وينوطون بها المسامير والخرق؛ فهي ذات أنواط، فاقطعوها.^١

قلت^٢: ولقد أعجبنى ما فعله الشيخ أبو إسحاق الجبيني^٣ رحمه الله تعالى، أحد الصالحين ببلاد أفريقية في المائة الرابعة، حكى عنه صاحبه الصالح أبو عبد الله محمد بن أبي العباس المؤدب، أنه كان إلى جانبه عين تسمى «عين العافية»، كان العامة قد افتتنوا بها، يأتونها من الآفاق، من تعذر عليها نكاح أو ولد

^١ علق الشيخ محمد رشيد رضا على كلام الشيخ فقال:

كان يقرب بلدنا زيتونة يسمونها (زيتونة الولية)، يعتقد الجمهور بركتها، فلما قرأت لأهل البلد عقيدة التوحيد في أيام طلبي للعلم أغريتهم بقلعها فقلعوها ليلاً، وكان هنالك عُليقة منسوبة لوليّ ينوطون بها الخرق، فما زلت بهم حتى منعهم من ذلك. اهـ.

قلت: عُليقة أي شيء تعلق به الخرق ونحوها، ومعنى ينوطون أي يُعلّقون.

^٢ القائل هو أبو شامة رحمه الله، فالكلام لا يزال له.

^٣ هو الشيخ إبراهيم بن أحمد الجبيني البكري، توفي سنة ٣٦٩، انظر ترجمته في «الديباح المذهب» لابن فرحون المالكي (٢٤٠/١)، ط مكتبة دار التراث - القاهرة.

قالت: (امضوا بي^١ إلى العافية)، فتُعرف بها الفتنة^٢، قال أبو عبد الله: فإننا في السحر ذات ليلة، إذ سمعت أذان أبي إسحاق نحوها، فخرجت فوجدته قد هدمها وأذن للصبح عليها، ثم قال: اللهم إني هدمتها لك فلا ترفع لها رأساً.
قال: فما رُفع لها رأسٌ إلى الآن.

قلت^٣: وأدهى من ذلك وأمرُّ؛ إقدامهم على قطع طريق السابلة، يُجيزون^٤ في أحد الأبواب الثلاثة القديمة العادية التي هي من بناء الجن في زمن نبي الله سليمان بن داود عليه السلام، أو من بناء ذي القرنين، وقيل فيها غير ذلك، مما يؤذن بالتقدم على ما نقلناه في كتاب «تاريخ مدينة دمشق» حرسها الله، وهو الباب الشمالي، ذكر لهم بعض من لا يوثق به في شهور سنة ست وثلاثين وستمائة أنه رأى مناماً يقتضي أن ذلك المكان دُفِن فيه بعض أهل البيت عليهم السلام، وقد أخبرني عنه ثقة أنه اعترف له أنه افعل ذلك، فقطعوا طريق المارة فيه، وجعلوا الباب بكماله مسجداً مغصوباً، وقد كان الطريق يضيق بسالكيه، فتضاعف الضيق والحرَج على من دخل ومن خرج، ضاعف الله عذاب من تسبب في بنائه، وأجزل ثواب من أعان على هدمه وإزالة اعتدائه، اتباعاً لسنة النبي ﷺ في هدم مسجد الضرار، المُرصَد لأعدائه من الكفار، فلم ينظر الشارع إلى كونه مسجداً، وهدمه لما قُصد به من السوء والردى، وقال الله تعالى لنبيه ﷺ ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾، نسأل الله الكريم معافاته من كل ما يخالف رضاه، وأن لا يجعلنا ممن أضله واتخذ إلهه هواه.^٥
وهذا الشيخ أبو شامة من كبار أئمة الشافعية في أوائل القرن السابع.

وقال الإمام أبو الوفاء بن عقيل الحنبلي رحمه الله^٦: لما صُعِبَت التكاليف على الجهلة والطَّغام^١؛ عدلوا^٢ عن أوضاع^٣ الشرع إلى أوضاع وضعوها لأنفسهم، فسُهلَت عليهم، إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم، قال: وهم

^١ أي اذهبوا بي.

^٢ أي عَرَفَ الشيخ أبو عبد الله أنها فتنة للناس عن دينهم.

^٣ القائل هو أبو شامة رحمه الله.

^٤ أي يعبرون ويمرون.

^٥ انتهى كلام أبي شامة رحمه الله.

^٦ هو الإمام العلامة البحر، شيخ الحنابلة، صاحب التصانيف، ولد سنة ٤٣١ هـ، له كتاب «الفنون» في أربعمئة مجلد، اشتغل بعلم الكلام فوقع في تأويل بعض الصفات، ثم أشهد على نفسه أنه تاب، ثم صنف في الرد على مؤولة الصفات،

عندي كفار بهذه الأوضاع^١، مثل تعظيم القبور وإكرامها بما نهى عنه الشرع، من إيقاد السرج وتقبيلها وتخليقها^٢، وخطاب الموتى بالحوائج، وكتَب الرِّقَاع^٣ التي فيها (يا مولاي، افعل بي كذا وكذا)، وأخذ تربتها تبرُّكًا بها، وإفاضة الطيب على القبور، وشد الرحال إليها، وإلقاء الحِرْق على الشجر اقتداء بمن عبَد اللات والغزَّى، والويل عندهم لمن لم يُقَبَّل مشهد الكَف، ولم يتمسح بآجُرَّة «مسجد الملموسة» يوم الأربعاء، ولم يُقَل الحَمَّالون على جنازته:

(الصدِّيق أبو بكر، أو محمد وعلي)، أو لم يَعْقِد على قبر أبيه أزجًا^٤ بالحص^٥ والآجر^٦، ولم يخرق ثيابه إلى الذيل، ولم يُرِق ماء الورد على القبر. انتهى.

فتأمل رحمك الله ما ذكره هذا الإمام الذي هو أجل أئمة الحنابلة، بل من أجل أئمة الإسلام، وما كشفه من الأمور التي يفعلها الخواص من الأنام، فضلاً عن النساء والغوغاء^٧ والعوام، مع كونه في سادس القرون،

وله كلام في كتابه «الفنون» في ذم من خرج عن الشريعة من أهل الكلام والتصوف، نقله ابن تيمية في «درء تعارض العقل والنقل» (٦١/٨ - ٦٨).

توفي رحمه الله ٥١٣ هـ رحمه الله. انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٤٤٣/١٩).

^١ تقدم أن الطَّغَام هم أراذل الناس.

^٢ العدول - بضم العين - هو الميل عن الطريق السوي والحياد عنه. انظر «المعجم الوسيط».

^٣ أوضاع الشرع هي تعاليمه، وما وضعه الله من التعاليم السمحة.

^٤ الأقرب أن مقصوده بقوله «الأوضاع» أي الأفعال.

^٥ أي تضميخها بالخلوق وهو نوع من الطيب، والمراد هنا جنس الطيب.

^٦ الرقاع جمع رقعة - بضم الراء - هي قطعة من الجلد أو الورق تكتب. انظر «المعجم الوسيط».

^٧ الأزج ضرب من الأبنية. انظر «القاموس المحيط».

^٨ الجص طلاء أبيض، يستعمل للتزيين، وهو سبب لتقوية ما طلي به، لأنه إذا يبس صار صلباً متماسكاً، فإن طلي به تراب القبر مثلاً كان ذلك سبباً في ثبات التراب وعدم اندثاره، وليس هذا من مقاصد الشريعة، فإن المقابر شأنها الاندثار والبلى، والجص هو الذي يسمَّى في زماننا بالجبس.

^٩ الآجر هو طيخ الطين. انظر «لسان العرب».

^{١٠} الغوغاء هم السفلة والمتسرعين للشر. انظر «النهاية».

والناس إذ ذاك لِمَا ذكره يفعلون، وجَهَابِدَةُ العلماء والنقدة لذلك يشهدون، وحظهم من النهي مرتبته الثانية^١، فهم بها قائمون؛ يتضح لك فساد ما زخرفه المبطلون، ومَوَّه به المتعصبون والملحدون.

وقال الشيخ تقي الدين^٢: (وأما سؤال الميت والغائب، نبياً كان أو غيره؛ فهو من المحرمات المنكرة باتفاق أئمة المسلمين، لم يأمر الله به ولا رسوله، ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان، ولا استحبه أحد من أئمة المسلمين، وهذا مما يُعلم بالاضطرار من دين المسلمين، فإن أحداً منهم ما كان يقول إذا نزلت به تِرة^٣ أو عرضت له حاجة لميت: (يا سيدي، يا فلان، أنا في حسبك، أو اقض حاجتي)، كما يقول بعض هؤلاء المشركين لمن يدعونهم من الموتى والغائبين، ولا أحد من الصحابة استغاث بالنبي ﷺ بعد موته ولا بغيره من الأنبياء، لا عند قبورهم ولا إذا بعدوا عنها).^٤

ولما قَحَطَ الناس في زمن عمر بن الخطاب استسقى بالعباس وتوسل بدعائه، وقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك فنتسقين، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا)، كما ثبت ذلك في صحيح البخاري^٥، وكذلك معاوية رضي الله عنه لما استسقى بأهل الشام، يزيد بن الأسود الجرشي^٦.

فهذا الذي ذكره عمر رضي الله عنه توسل منه بدعاء النبي ﷺ وشفاعته في حياته، ولهذا توسلوا بعده بدعاء العباس وبدعاء يزيد بن الأسود، وهذا هو الذي ذكره الفقهاء في كتاب الاستسقاء، فقالوا: يستحب أن يستسقى بالصالحين، وإذا كان من أقارب رسول الله ﷺ فأفضل^٧.

وكره العلماء كمالك وغيره أن يقوم الرجل عند قبر النبي ﷺ يدعو لنفسه، وذكروا أن هذا من البدع التي لم يفعلها السلف^١.

^١ المرتبة الثانية هي الإنكار باللسان، إذ إن المرتبة الأولى هي الإنكار باليد لمن له قدرة، كما في الحديث: من رأى منك منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان.

رواه مسلم (٤٩) عن طارق بن شهاب رضي الله عنه.

^٢ هو ابن تيمية رحمه الله.

^٣ ترة أي نقص، سواء كان في مال أو صحة أو غير ذلك. انظر «النهاية».

^٤ «تلخيص الاستغاثة»، ص ٤٤٨، باختصار وتصرف يسير جداً، (الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية، ط ١).

^٥ رواه البخاري (١٠١٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وكذا رواه الطبراني في «الأوسط» (٢٤٥٨) عن عمارة بن عبد الله بن أنس عن أنس رضي الله عنه.

^٦ انظر «تلخيص الاستغاثة» (ص ١١٢، ١١٣).

^٧ انظر «الاقتضاء» (ص ٣٩٨)، تحقيق الشيخ حامد الفقي.

(قال أصحاب مالك: يدنو من القبر فيسلم على النبي ﷺ، ثم يدعو مستقبل القبلة، يوليه ظهره، وقيل: لا يوليه ظهره، وإنما اختلفوا لما فيه من استدباره، فأما إذا جعل الحجرة عن يساره؛ فقد زال المحذور بلا خلاف، وصار في الروضة أو أمامها، ولعل هذا الذي ذكره الأئمة أخذوه من كراهة الصلاة إلى القبر، فإن ذلك قد ثبت النهي فيه عن النبي ﷺ؛ فلما نهي أن يتخذ القبر مسجدًا أو قبلة؛ أمروا بأن لا يتحرى الدعاء إليه، كما لا يُصلى إليه.

قال مالك في «المبسوط»: لا أرى أن يقف عند قبر النبي ﷺ يدعو، ولكن يسلم ويمضي. ولهذا والله أعلم حُرِفَت الحجرة وتُلِّثَتْ لِمَا بنيت، فلم يُجعل حائطها الشمالي على سَمْتِ القبلة، ولا جُعل جدارها مربعًا).^٢

وذكر الإمام^٤ وغيره أنه يستقبل القبلة ويجعل الحجرة عن يساره لئلا يستدبره^٥، وذلك بعد تحيته والصلاة والسلام عليه، ثم يدعو لنفسه، وذكروا أنه إذا حيَّاه وصَلَّى يستقبل وجهه بأبي وأمي ﷺ، فإذا أراد الدعاء جعل الحجرة عن يساره واستقبل القبلة ودعا، وهذا مراعاة منهم أن يفعل الداعي أو الزائر ما نُهي عنه من تحري الدعاء عند القبر.

(وقد كره مالك رحمه الله وغيره لأهل المدينة كلما دخل أحدهم المسجد أن يجيء فيسلم على قبر النبي ﷺ وصاحبيه، قال: (وإنما يكون ذلك لأحدهم إذا قدم من سفر أو أراد سفرًا ونحو ذلك)، ورخص بعضهم في السلام عليه إذا دخل المسجد للصلاة ونحوها.

وأما قصده دائمًا للصلاة والسلام عليه فما علمت أحدًا رخص في ذلك، لأن ذلك نوع من اتخاذه عيدًا. وأيضًا فإن ذلك بدعة، فقد كان المهاجرون والأنصار على عهد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم يجيئون إلى المسجد كل يوم خمس مرات يصلون، ولم يكونوا يأتون مع ذلك إلى القبر يسلمون عليه،

^١ انظر «الاقضاء» (ص ٣٩٣ - ٣٩٤).

^٢ أي لم يجعل مواجهًا للقبلة، بحيث إن من يستقبله فإنه يكون مستقبل القبلة، قد جعل الحجرة النبوية بينه وبين القبلة، بل جعل مائلًا، فيكون المستقبل له منحرف عن القبلة، ليعجز عن أن يجعل القبر بينه وبين القبلة.

^٣ «الاقضاء» (ص ٣٦٤ - ٣٦٥).

^٤ عاد الكلام لصاحب الرسالة، والمقصود بالإمام هنا ابن تيمية رحمه الله.

^٥ أي القبر.

لعلهم رضي الله عنهم بما كان النبي ﷺ يكرهه من ذلك، وبما نأههم عنه^١، وأنهم يسلمون عليه حين دخول المسجد والخروج منه، وفي التشهد، كما كانوا يسلمون عليه كذلك في حياته، والمأثور عن ابن عمر يدل على ذلك، قال سعيد بن منصور في «سننه»: حدثنا عبد الرحمن بن زيد، حدثني أبي عن ابن عمر؛ أنه كان إذا قدم من سفر أتى قبر النبي ﷺ، فسلم وصلى عليه وقال: السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه.

وعبد الرحمن بن زيد وإن كان يُضعف؛ لكن الحديث المتقدم عن نافع الصحيح يدل على أن ابن عمر لم يكن يفعل ذلك دائماً ولا غالباً. وما أحسن ما قال مالك: لن يُصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها.

ولكن كلما ضعف تمسك الأمم بعهود أنبيائهم ونقص إيمانهم؛ عوضوا عن ذلك بما أحدثوه من البدع والشرك وغيره، ولهذا كره الأئمة استلام القبر وتقبيله، وبنوه بناءً منعوا الناس أن يصلوا إليه^٢.

(ومما يبين حكمة الشريعة وعظم قدرها، وأنها كما قيل: (سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق)؛ أن الذين خرجوا عن المشروع زين لهم الشيطان أعمالهم حتى خرجوا إلى الشرك، فطائفة من هؤلاء يُصلون إلى الميت، ويستدبر أحدهم القبلة ويسجد للقبر، ويقول أحدهم: (القبر قبلة الخاصة، والكعبة قبلة العامة)، وهذا يقوله من هو أكثر الناس عبادةً وزهداً، وهو شيخ متبوع، ولعله أمثل^٣ أتباع شيخه.

وآخر من أعيان الشيوخ المتبوعين، أصحاب الصدق والاجتهاد في العبادة والزهد، يأمر المريء أول ما يتوب أن يذهب إلى قبر الشيخ، فيعكف عليه عكوف أهل التماثيل عليها.

^١ يعني: ولعلهم بما نأههم عنه.

^٢ «الاعتضاء» (ص ٣٦٦ - ٣٦٧)، باختصار وتصرف يسير جداً.

^٣ أي أفضل.

^٤ الوصف بالمريء يُطلق على أتباع مشايخ الصوفية من المقلّدة والدراويش، الذين يسرون خلف مشايخهم حسبما يُوجهونهم، فإن قالوا لهم اذهبوا إلى القبور واطلبوا منها حوائجكم فعلوا، وإن قيل لهم تمسحوا بتياب مشايخكم لنيل البركة فعلوا، وهذا من الغلو فيهم، ولا شك أن الواجب هو نبذ هؤلاء المشايخ المُعظّمين لأنفسهم، ولزوم المشايخ الذين يؤخذ منهم العلم الشرعي الذي يُعظّم به الله تعالى، وتُعظّم به شريعته، مع حفظ حق الشيخ أو المدرس من الاحترام والتوقير، والله المستعان.

وجمهور هؤلاء المشركين بالقبور يجدون عند عبادة القبور من الرقة والخشوع والدعاء وحضور القلب ما لا يجده أحدهم في مساجد الله التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه.

وآخرون يحجون إلى القبور، وطائفة صنفوا كتبًا، وسموها «مناسك حج المشاهد»، كما صنف أبو عبد الله محمد بن النعمان الملقب بالمفيد أحد شيوخ الإمامية^١ كتابًا في ذلك، وذكر فيه من الحكايات المكذوبة على أهل البيت ما لا يخفى كذبه على من له معرفة بالنقل.

وآخرون يُسافرون إلى قبور المشايخ وإن لم يسموا ذلك منسكًا وحجًا، فالمعنى واحد.

وكثير من هؤلاء أعظم قصده من الحج قصد قبر النبي ﷺ لا حج البيت.

وبعض الشيوخ المشهورين بالدين والزهد والصلاح صنف كتابًا سماه «الاستغاثة بالنبي ﷺ في اليقظة والمنام»^٢، وقد ذكر في مناقب هذا الشيخ أنه حجَّ مرة وكان قبر النبي ﷺ منتهى قصده، ثم رجع ولم يذهب إلى الكعبة، وجعل هذا من مناقبه، فإن كان هذا مستحبًا فينبغي لمن يجب عليه حج البيت إذا حج أن يجعل المدينة منتهى قصده، ولا يذهب إلى مكة، فإنه زيادة كلفة ومشقة مع ترك الأفضل، وهذا لا يفعله عاقل.

وبسبب الخروج عن الشريعة صار بعض أكابر الشيوخ عند الناس، ممن يقصده الملوك والقضاة والعلماء والعامّة؛ على طريقة ابن سبعين^٣، قيل عنه أنه كان يقول: البيوت المحجوجة ثلاثة، مكة وبيت المقدس والبندرا^٤ الذي للمشركين في الهند، وهذا لأنه كان يعتقد أن دين اليهود ودين النصارى حق.

^١ الإمامية طائفة كبيرة ممن يسمون بالشيعة، والشيعة من الفرقة الضالة المنحرفة عن دين الإسلام في الأصول والفروع، يراجع كتاب «أصول مذهب الشيعة» للدكتور ناصر القفاري، من منشورات مدار الوطن بالرياض، ويقع في (١٥٥٠) صفحة.

^٢ وهو يحيى الصّرصري، كما سيأتي الإشارة إلى كلامه في كلام الشيخ.

^٣ ابن سبعين هو عبد الحق بن إبراهيم بن محمد المقدسي الرقوتي نسبة إلى رقوطة، ولد سنة أربع عشرة وستمائة، واشتغل بعلم الأوائل والفلسفة، فتولد له من ذلك نوع من الإلحاد وصنّف فيه، وجاور في بعض الاوقات بغار حراء يرتجي - فيما ينقل عنه - أن يأتيه فيه وحى كما أتى النبي ﷺ، بناء على ما يعتقد من العقيدة الفاسدة من أن النبوة مكتسبة وأنها فيض يفيض على العقل إذا صَفَّأ، فما حصل له إلا الخزي في الدنيا والآخرة إن كان مات على ذلك، وقد كان إذا رأى الطائفتين حول البيت يقول عنهم (كأنهم الحمير حول المدار)، وأنهم لو طافوا به كان أفضل من طوافهم بالبيت، فالله

وجاءه بعض إخواننا العارفين قبل أن يعرف حقيقته فقال له: (أريد ن أسئلك^٢ على يدك).

فقال: على دين اليهود أو النصارى أو المسلمين؟

فقال له: واليهود والنصارى ليسوا كفاراً؟

فقال الشيخ: لا تشدد عليهم، ولكن الإسلام أفضل.

ومن الناس من يجعل مقبرة الشيخ^٣ بمنزلة عرفات، يسافرون إليها وقت الموسم، يُعَرِّفون بها كما يُعَرِّف المسلمون بعرفات، كما يُفعل هذا في المشرق والمغرب.

ومنهم من يحكي عن الشيخ الميت أنه قال: (كل خطوة إلى قبري كحُجَّة، ويوم القيامة لا أبيع بحجة)، فأنكر بعض الناس ذلك، فتمثل له الشيطان بصورة الشيخ، وزرَّه^٤ عن إنكار ذلك.

وهؤلاء وأمثالهم صلاحهم ونسكهم لغير الله رب العالمين، فليسوا على ملة إبراهيم إمام الحنفاء، وليسوا من عُمَّار مساجد الله الذين قال الله فيهم ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾، فَعُمَّارُ مَسَاجِدِ اللَّهِ لَا يَخْشُونَ إِلَّا اللَّهَ، وعمار مساجد المقابر يخشون غير الله ويرجون غير الله، حتى إن طائفة من أصحاب الكبائر الذين لا يتحاشون فيما يفعلونه من القبائح، كان إذا رأى قبة الميت أو الهلال الذي على رأس القبة خشي من فعل الفواحش، ويقول أحدهم لصاحبه (ويحك)، هذا هلال القبة، فيخشون المدفون تحت الهلال ولا يخشون الذي خلق السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وجعل أَهْلَةَ السَّمَاءِ مَوَاقِيتَ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ، وهؤلاء إذا نُوطِظُوا خَوَّفُوا مُنَاطِرَهُمْ، كما صنع المشركون بإبراهيم، قال تعالى

يحكم فيه وفي أمثاله، وقد نُقِلَتْ عنه عظام من الأقوال والأفعال، توفي في الثامن والعشرين من شوال بمكة سنة ٦٦٩ هـ. نقلاً من «البداية والنهاية»، بتصرف واختصار يسير.

وقال الذهبي: واشتهر عنه مقالة زِدِّيَّة، وهي قوله: لقد كذب ابن أبي كبشة (يعني النبي ﷺ) على نفسه حيث قال: لا نبي بعدي. «لسان الميزان» (٣/٣٩٢)

وقال ابن تيمية في «منهاج السنة» (٨/٢٥) إن ابن سبعين جاء من المغرب إلى مكة، وكان يطلب أن يصير نبياً، وكان يقول: لقد زرت ابن أمانة الذي يقول: (لا نبي بعدي).

^١ تقدم الكلام على معنى «بندر»، وذكر أن الذي ظهر لي في معنى البندر أنه البلد التي فيها تجارة ويكون لها ميناء بحري، كما يقال بندر جدة وبندر السويس ونحو ذلك، والله أعلم.

^٢ أي أسئلك طريق الهداية والاستقامة، فهو يطلب منه أن يَدُلَّهُ إلى الخير، وأنَّ له ذلك، ففاقد الشيء لا يعطيه!

^٣ أي الشيخ الذي يُعَظِّمُونَهُ ويتوجهون إليه.

^٤ أي زجره.

﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ * وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿وَهُمْ مَهْتَدُونَ﴾.

وآخرون قد جعلوا الميت بمنزلة الإله، والشيخ الحي المتعلق به كالنبي، فمن الميت يطلب قضاء الحاجات وكشف الكربات، وأما الحي فالحلال ما حلله والحرام ما حرمه، وكأنهم قد عزلوا الله أن يتخذوه إلهاً، وعزلوا محمداً ﷺ عن أن يتخذوه رسولاً.

وقد يجيء الحديث العهد بالإسلام^١، أو التابع لهم، الحسن الظن بهم أو غيره، يطلب من الشيخ الميت إما دفع ظلم ملكٍ يريد أن يظلمه أو غير ذلك، فيدخل ذلك السَّادَنُ^٢ فيقول: قد قلت للشيخ، والشيخ يقول للنبي، والنبي يقول لله، والله قد بعث رسولاً إلى السلطان فلان!

فهل هذا إلا محض^٣ دين المشركين والنصارى، وفيه من الكذب والجهل ما لا يستجيزه كل مشرك ونصراني ولا يروج عليه، ويأكلون من النذور وما يُؤْتَى به إلى قبورهم ما يدخلون به في معنى قوله ﴿إِنْ كَثِيرًا مِنْ الْأَحْبَارِ وَالرَّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾، فإنهم يأكلون أموال الناس بغير حق، ويصدون عن سبيل الله، ويُعرِّضُونَ^٤ بأنفسهم ويمنعون غيرهم، إذ التابع لهم يعتقد أن هذا هو سبيل الله ودينه، فيمتنع بسبب ذلك عن الدين الحق^٥ الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه.

والله تعالى لم يذكر في كتابه المشاهد، بل ذكر المساجد، وأنها خالصة له، قال تعالى ﴿وَأَقِيمُوا وَجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾، وقال ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، وقال ﴿فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾، وقال تعالى ﴿وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّ سُلُوكُ السُّبُلِ أَصْحَابُ السُّبُلِ﴾.

^١ أي المسلم الجديد.

^٢ السادن هو خادم القبر والقائم عليه.

^٣ أي خالص.

^٤ في المطبوع من «الاستغاثة»: (يعوضون)، وأظنه خطأ في النسخ، فهو غير متفق مع السياق، فلعله (يُعرِّضُونَ) أي يُظهرون ويُقدمون أنفسهم.

^٥ أي عن الدخول فيه.

ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً^١، ولم يذكر بيوت الشرك، كبيوت الأصنام والمشاهد والنار، لأن الصوامع والبيع^١ لأهل الكتاب.

فالممدوخ من ذلك^٢ ما كان مبنياً قبل النسخ والتبديل، كما أثني على اليهود والنصارى والصابئين الذين كانوا قبل النسخ والتبديل، يؤمنون بالله واليوم الآخر ويعملون صالحاً.

فبيوت الأوثان وبيوت النيران وبيوت الكواكب وبيوت المقابر لم يمدح الله شيئاً منها، ولم يذكر ذلك إلا في قصة من لعنهم النبي ﷺ، قال تعالى ﴿قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً﴾، فهؤلاء الذين اتخذوا على أهل الكهف مسجداً كانوا من النصارى الذين لعنهم النبي ﷺ حيث قال: لعن الله اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.^٣

وفي رواية: وصالحهم.^٤

(ودعاء المقبورين من أعظم الوسائل إلى ذلك.

وقد قديم بعض شيوخ المشرق وتكلم معي في هذا، فبينت له فساد هذا، فقال: أليس قد قال النبي ﷺ: (إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور)؛ فقلت: هذا مكذوب باتفاق أهل العلم، لم يروه عن النبي ﷺ أحد من علماء الحديث، وبسبب هذا وأمثاله ظهر مصداق قول النبي ﷺ: لتبعن سنن من كان قبلكم، شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه.

قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟

قال: فَمَنْ؟^٥

^١ الصوامع جمع صومعة، وهي بيت العبادة عند النصارى، والبيع جمع بيعة - بكسر الباء وسكون الياء - وهي معبد اليهود. انظر «المعجم الوسيط».

^٢ أي من الصوامع والبيع.

^٣ رواه البخاري (١٣٣٠)، ومسلم (٥٢٩) واللفظ له عن عائشة رضي الله عنها.

^٤ جاء هذا في حديث جندب بن جنادة رضي الله عنه الذي رواه مسلم (٥٣٢)، ولفظه: ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فأنى أنهاكم عن ذلك.

^٥ باختصار وتصرف يسير من «الاستغاثة في الرد على البكري» (ص ٤٦٣ - ٤٧٣)، (الناشر: مدار الوطن - الرياض، ط ١).

(وهؤلاء الغلاة المشركون إذا حصل لأحدهم مَطْلَبُهُ ولو من كافر لم يُقبل على الرسول، بل يطلب حاجته من حيث ظن أنها تُقضى، فتارة يذهب إلى ما يظنه قبر رجل صالح، ويكون^٣ فيه قبر كافر أو منافق، وتارة يعلم أنه كافر ومنافق ويذهب إليه كما يذهب قوم إلى الكنيسة وإلى مواضع يقال لهم إنها تقبل النذر، فهذا يقع فيه عامتهم، وأما الأول فيقع فيه خاصتهم)^٤.

^١ رواه البخاري (٣٢٦٩) ومسلم (٢٦٦٩). واللفظ الذي ذكره المؤلف هو (حذو القذة بالقذة)، بدل (شبرًا بشبر وذراعًا بذراع)، ولم أجد في شيء من كتب السنة رغم انتشاره، فصوله. وقد ورد لفظ (حذو القذة بالقذة) في أحاديث أخرى، نذكرها هنا للفائدة، فقد روى أحمد في «مسنده» (١٢٥/٤) والطبراني في «معجمه» (٢٨١/٧) عن شداد بن أوس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: لِيَحْمِلَنَّ شَرَّاءَ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى سَنَنِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ حَذْوُ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ.

وروى الطبراني في «المعجم الكبير» أيضًا (٣٩/١٠) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أنتم أشبه الأمم ببني إسرائيل، لتركن طريقتهم حذو القذة بالقذة، حتى لا يكون فيهم شيء إلا كان فيكم مثله، حتى إن القوم لتمر عليهم المرأة فيقوم إليها بعضهم فيجامعها، ثم يرجع إلى أصحابه، يضحك إليهم ويضحكون إليه. وروى الحاكم في «المستدرک» (٤٦٩/٤) عن حذيفة رضي الله عنه قال: ... ولتسلكن طريق من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، وحذو النعل بالنعل، لا تخطئون طريقهم ولا يُخطئكم ... الخ.

وروى عبد الرزاق في «مصنفه» (٢٠٧٦٥) عن حذيفة رضي الله عنه قال: لتركن سنن بني إسرائيل، حذو القذة بالقذة وحذو الشراك بالشراك، حتى لو فعل رجل من بني إسرائيل كذا وكذا فعله رجل من هذه الأمة. فقال له رجل: قد كان في بني إسرائيل قردة وخنازير. قال: وهذه الأمة سيكون فيها قردة وخنازير.

وروى الحاكم في «المستدرک» (٣١٢/٢) عن همام قال: كنا عند حذيفة فذكروا ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾، فقال رجل من القوم: إن هذا في بني إسرائيل. فقال حذيفة: نعم الإخوة لكم بنو إسرائيل، إن كان لكم الحلو ولهم المر، كلا، والذي نفسي بيده، حتى تحذو السنة بالسنة، حذو القذة بالقذة.

فلعل بعض أهل العلم أدخل الحديثين في بعض، ثم نقل ذلك عنه من بعده من أهل العلم، وهكذا، وقد رأيت لفظ (حذو القذة بالقذة) في «مجموع الفتاوى» (٢٨٦/٢٧) معزوًا لأبي سعيد الخدري في الصحيحين، وليس الأمر كذلك كما تقدم، والله أعلم.

^٢ «الاستغاثة في الرد على البكري» (ص ٤٨٢ - ٤٨٣)، باختصار يسير.

^٣ في المطبوع (أو يكون)، والأولى ما أثبت، فلعله خطأ في النسخ.

^٤ «الاستغاثة في الرد على البكري»، ص ٥٠٠، بتصرف يسير.

(والمقصود هنا أن كثيراً من الناس يُعَظَّم قبر من يكون في الباطن كافراً ومُنافِقاً، ويكون هذا^١ عنده والرسول من جنس واحد، لاعتقاده أن الميت يقضي حاجته إذا كان رجلاً صالحاً، وكلا هذين عنده من جنس من يستغيث به، وكم من مشهد يُعَظَّمه الناس وهو كَذِب، بل يقال إنه قبر كافر، كالمشهد الذي بسفح جبل لبنان، الذي يقال إنه قبر نوح، فإن أهل المعرفة كانوا يقولون إنه قبر بعض العمالقة.

وكذلك مشهد الحسين الذي بالقاهرة، وقبر أبي بن كعب الذي بدمشق؛ اتفق العلماء على أنها كذب، ومنهم من قال هما قبرا نصرانيين، وكثير من المشاهد متنازع فيها^٢، وعندها شياطين تُضِل بسببها من تُضِل. ومنهم مَنْ يَرى في المنام شَخْصاً يظن أنه المقبُور، ويكون ذلك شيطاناً تصور بصورته، أو بغير صورته كالشياطين الذين يكونون بالأصنام، وكالشياطين الذين يتمثلون لمن يستغيث بالأصنام والموتى والغائبين، وهذا كثير في زماننا وغيره، مثل أقوام يرصدون بعض التماثيل التي بالبراني^٣ بديار مصر بأخيم وغيرها، يرصدون التماثيل مدة، لا يتطهرون طهر المسلمين، ولا يُصَلُّون صلاة المسلمين، ولا يقرؤون، حتى يتعلّق الشيطان تلك^٤ الصورة فيراها تتحرك، فيضع فيها شمعة أو غيرها، فيرى شيطاناً قد خرج له، فيسجد لذلك الشيطان حتى يقضي بعض حوائجه، وقد يُمكنه من فعل الفاحشة به حتى يقضي بعض حوائجه.

ومثل هؤلاء كثير في شيوخ الترك الكفار، يسمونه «البوى» وهو «المخنث»، إذا طلبوا منه بعض هذه الأمور أرسلوا له من يَنكحه^٥، وينصبون له حركات عالية في ليلة ظلماء، وقربوا له خُبْزاً ومَيْتة، وغنوا غناء يناسبه، بشرط أن لا يكون عنده من يذكر الله، ولا هناك شيء فيه شيء من ذكر الله، ثم يصعد ذلك الشيخ المفعول به^٦ في الهواء، ويرون الدف يطير في الهواء، ويضرب من مدّ يده إلى الخبز، ويضرب الشيطان بآلات اللهو وهم يسمعون، ويغني لهم الأغاني التي كانت تغنيها آباؤهم الكفار، ثم قد يغيب ذلك الطعام،

^١ أي المقبور.

^٢ أي تنازعوا في حقيقة المدفون في تلك القبور وهويته.

^٣ البراني بلد بمصر.

^٤ أي بتلك الصورة.

^٥ أي يفعل به فاحشة اللواط.

^٦ أي المفعول به فاحشة اللواط.

فيرونه وقد نُقل إلى بيت البوى وقد لا يغيب، ويقربون له ميتة يحرقونها بالنار، ويقضي بعض حوائجهم، ومثل هذا كثير جدًّا للمشركين، فالذي يجري عند المشاهد من جنس ما يجري عند الأصنام).^١

وقد ثبت بطرق متعددة أن ما يُشرك به من دون الله من صنم وقبر وغير ذلك؛ يكون عنده^٢ شياطين تُضل من أشرك به، وأن تلك الشياطين لا يقضون إلا بعض أغراضهم، وإنما يقضون بعض أغراضهم إذا حصل لهم من الشرك والمعاصي ما يحبه الشيطان، فمنهم من يأمر الداعي أن يسجد له، ومنهم من يأمره بالفواحش، وقد يفعلها الشيطان، وقد ينهأ عما أمر به من التوحيد والإخلاص والصلوات الخمس وقراءة القرآن ونحو ذلك.

والشياطين تُغوي الإنسان بحسب ما تطمع منه، فإن كان ضعيف الإيمان أمرته بالكفر البين، وإلا أمرته بما هو فسق أو معصية، وإن كان قليل العلم أمرته بما لا يعرف أنه مخالف للكتاب والسنة، وقد وقع في هذا النوع كثير من الشيوخ الذين لهم نصيب وافر من الدين والزهد والعبادة، لكن لعدم علمهم بحقيقة الدين الذي بعث الله به رسوله ﷺ؛ طمعت فيهم الشياطين، حتى أوقعوهم فيما يخالف الكتاب والسنة، وقد جرى لغير واحد من أصحابنا المشايخ، يستغيث بأحدهم بعض أصحابه، فيرى الشيخ في اليقظة، حتى قضى ذلك المطلوب، وإنما هي شياطين تتمثل للمشركين الذين يدعون غير الله.

والجن بحسب الإنس، فالكافر للكافر، والجاهل للجاهل، والفاجر للفاجر، وأما أهل العلم والإيمان فاتباع الجن لهم كاتِّباع الإنس، يتبعونهم فيما أمر الله به ورسوله.

(وكان رجل يُبَاشِر التدريس وينتسب إلى الفتيا كان يقول: (إن النبي ﷺ يعلم ما يعلمه الله، ويقدر على ما يقدر عليه الله، وإن هذا السر انتقل بعده إلى الحسن، ثم انتقل في ذرية الحسن إلى الشيخ أبي الحسن الشاذلي، وقالوا: هذا مقام القطب الغوث الفرد الجامع).

وكان شيخ آخر مُعظَّم عند أتباعه يدَّعي هذه المنزلة، ويقول إنه المهدي الذي بَشَّر به النبي ﷺ، وأنه يُرَوِّج عيسى بابتنه، وإن نواصي الملوك والأولياء بيده، يولي من يشاء ويعزل من يشاء، وأن الرب تعالى ينجيه دائمًا، وأنه الذي يُمُد حملة العرش وحيثان البحر، وقد عززته تعزيزًا بليغًا في يوم مشهود بحضرة من أهل المسجد الجامع يوم الجمعة بالقاهرة، فعرفه الناس، وانكسر بسببه أشباهه من الدجاجة.

^١ «الاستغاثة في الرد على البكري» (ص ٥٠٣ - ٥٠٧).

^٢ أي عند ذلك القبر أو الصنم.

ومن هؤلاء من يقول في قوله تعالى ﴿إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً﴾، إلى قوله ﴿بكرةً وأصيلاً﴾؛ إن الرسول هو الذي يُسَبَّحُ بكرةً وأصيلاً.

ومنهم من يقول: إن الرسول ﷺ يعلم مفاتيح الغيب الخمس التي قال فيها النبي ﷺ: مفاتيح الغيب خمس، لا يعلمها إلا الله ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت﴾.^١

وقال: إنه علمها بعد أن أخبر أنه لا يعلمها إلا الله.

ومنهم من يقول: أُسْقِطَ الربوبية^٢ وقُل في الرسول ما شئت.

ومنهم من يقول: نحن نعبد الله ورسوله.

ومنهم من يأتي قبر الميت فيقول: اغفر لي وارحمني، ولا تُوقِني على زلة.

إلى أمثال هذه الأمور التي يُتخذ فيها المخلوق إلهاً).^٣

أقول^٤: وهذه سنة مأثورة، وطريقة مسلوكة والله غير مهجورة، وضلالة واضحة مشهورة، وبدعة مشهودة غير منكورة، وأعلامها مرفوعة منشورة، وراياتها منصوبة غير مكسورة، وبراهينها غير محدودة ولا محصورة، ودلائلها في كثير من المصنفات والمناظير مذكورة، كما قال ذلك في «البُرْدَة»، وبين في ذلك قصده:

دع ما ادعته النصارى في نبيهم واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

فإن من جودك الدنيا وضرتّها^٥ ومن علومك علم اللوح والقلم

ولو تُطِيل بذكر هذه الأخبار لحررنا منها أسفاراً، فلنكف عَنان^٦ قلم اليراع^٧ في هذا الميدان، فالحكم والله لا يخفى على ذي عيان، بل أجلى من ضياء الشمس في البيان.

(ولما^١ استقر هذا في نفوس عامتهم، نجد أحدهم إذا سُئِلَ عن ينهاهم^٢؛ ما يقول هذا؟

^١ رواه البخاري (٤٦٢٧) وأحمد (٢٤/٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما، واللفظ لأحمد.

^٢ أي عن الله.

^٣ «تلخيص الاستغاثة» (ص ٤٢٧ - ٤٢٩)، بتصرف.

^٤ القائل هو الشيخ عبد اللطيف رحمه الله، مؤلف هذه الرسالة.

^٥ يقصد بالضرة؛ الآخرة.

^٦ العنان هو سير اللجام الذي تُمسك به الدابة، والمقصود هو كف القلم، وانظر «المعجم الوسيط».

^٧ اليراع هو القلم المتخذ من القصب. انظر «المعجم الوسيط».

فيقول: (فلان ما ثم عنده إلا الله)، لِمَا استقر في نفوسهم أن يجعلوا مع الله إلهاً آخر.

وهذا كله وأمثاله وقع ونحن بمصر).^٣

(وهؤلاء الضَّالُّون مستخفُّون بتوحيد الله، يُعْظَمُونَ دعاء غيره من الأموات، وإذا أمروا بالتوحيد ونُحُوا عن الشرك؛ استخفوا به، كما أخبر الله تعالى عن المشركين بقوله ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَخَذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾، فاستهزؤوا بالرسول لما نَهاهم عن الشرك، وقال تعالى عن المشركين ﴿إِنَّمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ويقولون أَئِنَّا لَتَارَكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ * بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾، وقال تعالى ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾.

وما زال المشركون يسوءون الأنبياء، ويصفونهم بالسفاهة والضلال والجنون، كما قال قوم نوح لنوح وعاد لهود عليهما السلام ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذِرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾، فأعظم ما سَقَّهوه لأجله وأنكروه هو التوحيد، وهكذا تجدُ مَنْ فِيهِ شَبَهٌ مِنْ هَؤُلَاءِ مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ؛ إِذَا رَأَى مَنْ يَدْعُو إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَإِخْلَاصِ الدِّينِ لَهُ وَأَنْ لَا يَعْبُدَ الْإِنْسَانُ إِلَّا اللَّهَ وَلَا يَتَوَكَّلَ إِلَّا عَلَيْهِ؛ اسْتَهْزَأَ بِذَلِكَ، لَمَّا عِنْدَهُ مِنَ الشَّرْكِ).^٤

(وكثير من هؤلاء يُخْرِبُونَ المساجد، ويعمرون المشاهد، فتجد المسجد الذي يبني للصلوات مُعْطَلًا مُحَرَّبًا، ليس له كسوة إلا من الناس، وكأنه خانٌّ^٥ من الخانات، والمشهد الذي بُني على الميت؛ فعليه الستور وزينة الذهب والفضة والرخام، والندور تغدو وتروح إليه، فهل هذا إلا من استخفافهم بالله وبآياته ورسوله وتعظيمهم للشرك، فإنهم اعتقدوا أن دعاء الميت الذي بُني له المشهد والاستغاثة به أنفع لهم من دعاء الله والاستغاثة به في البيت الذي بُني لله عز وجل، ففضلوا البيت الذي بُني لدعاء المخلوق على البيت الذي بُني لدعاء الخالق).

^١ من هنا عودة لكلام الشيخ في (ص ٤٢٩) من «تلخيص الاستغاثة».

^٢ أي عمَّن ينهاتهم عن الشرك.

^٣ «تلخيص الاستغاثة» (ص ٤٢٩).

^٤ «الاستغاثة» (ص ٥٧٧ - ٥٧٩)، باختصار وتصرف.

^٥ الخان هو الخانات الذي يباع فيه الخمر.

وإذا كان لهذا وقفٌ ولهذا وقف؛ كان وقفُ الشركِ أعظمَ عندهم، مُضَاهَاةٌ^١ لمشركي العرب، الذين ذَكَرَ اللهُ حالهم في قوله ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً﴾ الآية، كما يجعلون لله زرعاً وماشية، ولأهنتهم زرعاً وماشية، فإذا أصيب^٢ نصيب آهنتهم أخذوا من نصيب الله فوضعوه فيه، وقالوا: (الله غني وآهنتنا فقيرة)، فيفضلون ما يُجعل لغير الله على ما يُجعل لله.

وهكذا الوقوف^٣ والنذور التي تبذل عندهم للمَشَاهِدِ أعظم مما تُبذل عندهم للمساجد ولعمارة المساجد والجهاد في سبيل الله.

وهؤلاء إذا قصد أحدهم القبر الذي يعظمه؛ يبكي عنده ويخضع، ويدعو ويتضرع، ويحصل له من الرقة والتواضع والعبودية وحضور القلب ما لا يحصل له مثله في الصلوات الخمس والجمعة وقيام الليل وقراءة القرآن، فهل هذا إلا من حال المشركين المبتدعين، لا الموحدين المخلصين المتبعين لكتاب الله ورسوله.

ومثل هذا إذا سمع أحدهم سماع^٤ الآيات يحصل له من الخضوع والخشوع والبكاء ما لا يحصل له مثله عند سماع آيات الله، فيخشع عند سماع المبتدعين المشركين، ولا يخشع عند سماع المخلصين المتقين، بل إذا سمعوا آيات الله استنقلوها^٥ وكرهوها واستهزؤوا بها وبمن يقرؤها، مما يحصل لهم به أعظم نصيب من قوله ﴿قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون﴾، وإذا سمعوا القرآن سمعوه بقلوب لاهية، وألسن لاغية، كأهم صم عمي، وإذا سمعوا الآيات حضرت قلوبهم، وسكنت^٦ ألسنتهم، وسكنت حركاتهم، حتى لا يشرب العطشان منهم الماء.

ومن هؤلاء من إذا كانوا في سماعهم^٧ فأذن المؤذن قالوا: (نحن في شيء أفضل مما دعانا إليه).

ومنهم من يقول: (كنا في الحضرة، فإذا قمنا إلى الصلاة صرنا إلى الباب).

^١ مضاهاة أي مُشَاهَمة.

^٢ أي أصابته جائحة.

^٣ الوقوف جمع وقف.

^٤ هكذا في المطبوع، وأخشى أن تكون كلمة (سماع) هذه زائدة.

^٥ أي الآيات التي يرددونها، كالأبيات التي ينشدونها في الغلو بالنبي ﷺ، يفعلون ذلك فيما يسمى بالموالد النبوية.

^٦ في المطبوع (استنقلوها)، وأظنه خطأ.

^٧ في المطبوع (سكنت) وأظنه خطأ في النسخ، ولعل ما ذكرت هو الصواب، لأنه الأولى.

^٨ أي مستغرقين في سماعهم للأبيات.

وقد سألني بعضهم عنمن قال ذلك من هؤلاء الشيوخ الضُّلال فقلت: (صدق، كان في حضرة الشيطان، فصار على باب الله)، فإن البدع والضلال فيها من حضور الشيطان ما قد حصل في غير هذا الموضع. والذين يجعلون دعاء الموتى من الأنبياء والأئمة والشيوخ أفضل من دعاءهم الله أنواع متعددة؛ منهم من يُقدم دعاءهم، ومنهم من يحكي أنواعاً من الحكايات؛ حكاية أن بعض المريدين استغاث بالله فلم يُعِثْه، فاستغاث بشيخه فأغاثه، وحكاية أن بعض المأسورين دعا الله فلم يخرجهم، فدعا بعض المشايخ الموتى فجاءه فأخرجه إلى بلاد الإسلام، وحكاية أن بعض الشيوخ قال لمريده^١: (إذا كانت لك حاجة فتعال إلى قبري)، وآخر قال: (فتوسل بي)، وآخر قال: (قبر فلان الترياق المجرب)^٢، فهؤلاء وأشباههم يرجحون هذه الأدعية الشركية على أدعية المخلصين لله مُضَاهَاة لسائر المشركين، وهؤلاء تتمثل لكثير منهم صورة شيخه الذي يدعوهم فيظنه إياه أو ملكاً على صورته، وإنما هو شيطانه أغواه.

ومنهم من إذا نزلت به شدة لا يدعو إلا شيخه، ولا يذكر إلا اسمه، قد لهج به كما يلهج الصبي بذكر أمه، فيتعسّر^٣ أحدهم فيقول: (يا فلان)، وقد قال الله تعالى للموحدين ﴿إِذَا قُضِيَتْ مِنْاسِكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾.

ومن هؤلاء من يحلف بالله ويكذب، ويحلف بشيخه وإمامه فيصدق ولا يكذب، فيكون شيخه عنده أعظم في صدره من الله.

فإذا كان دعاء الموتى - مثل الأنبياء والصالحين - يتضمن مثل هذا الاستهزاء بالله وآياته ورسوله؛ فأى الفريقين أحق بالاستهزاء بالله وآياته ورسوله، من كان يأمر بدعاء الموتى والاستغاثة بهم مع ما يترتب على ذلك من الاستهزاء بالله وآياته ورسوله، أو من كان يأمر بدعاء الله وحده لا شريك له كما أمرت رسله، ويوجب طاعة الرسول ومتابعته في كل ما جاء به؟

^١ المريد هو تلميذ الشيخ، وهي عبارة تطلق في الأوساط الصوفية والشيوعية وغيرها، وفي تلك الأوساط يقبل المريد من شيخه كل شيء، ولا يناقشه إذا قرر له مسألة ما وكأنه نبي، وربما صرّف إليه شيئاً من العبادات، عباداً بالله، وربما خلّع عليه شيئاً من أوصاف الرب، كعلم الغيب ونحو ذلك، عباداً بالله من ذلك.

^٢ في «النهاية» ترياق: هو ما يستعمل لدفع السم من الأدوية والمعاجين، وهو مُعَرَّب. ومقولة (قبر فلان ترياق مجرب) عبارة قديمة، كانت تقال في قبر رجل يقال له ترياق، زعموا أن الدعاء عندها مجرب استجابته، ثم صارت تقال في القبور التي تُوصَف بهذا الوصف الباطل.

^٣ أي تصيبه شدة.

وأيضاً فإن هؤلاء الموحدين من أعظم الناس إيجاباً لجانب الرسول، تصديقاً له فيما أخبر، وطاعة له فيما أمر، واعتناء بما بُعث به، والتميز بين ما رُوي عنه من الصحيح والضعيف، والصدق والكذب، واتِّباع ذلك دون ما خالفه، عملاً بقوله تعالى ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾. وأما أولئك الضلال أشباه المشركين والنصارى؛ فعمدتهم إما أحاديث ضعيفة، أو موضوعة، أو منقولات عمن لا يُحتج بقوله، إما أن يكون كذباً عليه، وإما أن يكون غلطاً منه، إذ هي نقلٌ غير مصدّق عن قائلٍ غير معصوم، وإن اعتصموا بشيء مما ثبت عن الرسول؛ حرّفوا الكلم عن مواضعه، وتمسكوا بمتشابهه؛ وتركوا محكمه، كما يفعل النصارى^١.

(هذا ما علّمته ينقل عن أحد من العلماء^٢، لكنه موجود في كلام بعض الناس، مثل الشيخ يحيى الصرصري، ففي شعره قطعة منه، والشيخ محمد بن النعمان، وكتاب «المستغيثين بالنبي ﷺ» في اليقظة والمنام)، وهؤلاء لهم صلاح ودين، لكن ليسوا من أهل العلم العالمين بمدارك الأحكام، الذي يؤخذ بقولهم في شرائع الإسلام، ومعرفة الحلال والحرام، وليس لهم دليل شرعي، ولا نقل عن عالم مرضي، بل عادة جروا عليها كما جرت عادة كثير من الناس، بأنه يستغيث بشيخه في الشدائد ويدعوه.

وكان بعض الشيوخ الذين أعرفهم، وله صلاح وعلم وزهد؛ إذا نزل به أمر؛ خطا إلى جهة الشيخ عبد القادر خطوات معدودة واستغاث به، وهذا يفعله كثير من الناس^٣، (ولهذا لما نُبِّه من نُبِّه من

^١ انظر «الاستغاثة في الرد على البكري» (٢/ ٥٨٢ - ٥٨٧)، باختصار.

^٢ اسم الإشارة (هذا) يعود إلى التسوية في الاستغاثة بين الحي والميت.

^٣ «تلخيص الاستغاثة» (٢/ ٤٧٩)، باختصار يسير.

وقد علق الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله على هذا الموضع من الرسالة فقال:

قد ذكروا في بعض الكتب وما زالوا يتناقلون أن من أصابته شدة فليصل ركعتين ثم ليتوجه إلى الشرق - أي إلى بغداد - وينادي الشيخ وينشد هاتين البيتين في الاستغاثة والاستجارة به:

أيدركني ضميم وأنت ذخيرتي وأظلم في الدنيا وأنت مجيرتي

وعار على راعي الحمى وهو في الحمى إذا ضاع في الهيجا عقال بعير

ويقول: سيدي عبد القادر اقض حاجتي، وذكراها، قالوا: فإنها تقضى، وأن ذلك مجرب.

وقد يروون ذلك عنه، برّاه الله من شركهم بالله وكفرهم بدينه.

فضلائهم؛ تنبهوا وعلموا أن ما كانوا عليه ليس من دين الإسلام، بل هو مشابهة لعباد الأصنام)^١، (ونحن نعلم بالاضطرار من دين الإسلام أن النبي ﷺ لم يشرع لأمته أن يدعوا أحدًا من الأموات، لا الأنبياء ولا الصالحين ولا غيرهم، لا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها، ولا بلفظ الاستعاذة ولا بغيرها، كما أنه لم يشرع لأمته السجود لميت ولا لغير ميت ونحو ذلك، بل نعلم أنه نهي عن كل هذه الأمور، وأن ذلك من الشرك الذي حرمه الله تعالى ورسوله، لكن لغلبة الجهل وقلة العلم يآثُر الرسالة في كثير من المتأخرين لم يُمكن تكفيرهم بذلك حتى يتبين لهم ما جاء به الرسول ﷺ مما يخالفه، ولهذا ما بينت هذه المسألة قط لمن يعرف أصل الإسلام إلا تفطن وقال: (هذا أصل الإسلام).

وكان بعض الأكابر من الشيوخ العارفين من أصحابنا يقول: (هذا أعظم ما يبين لنا)، لعلهم بأن هذا أصل الدين، وكان هذا وأمثاله في ناحية أخرى يدعون الأموات ويسألونهم ويستجيرون بهم ويتضرعون إليهم. وربما كان ما يفعلونه بالأموات أعظم، لأنهم إنما يقصدون الميت في ضرورة نزلت بهم، فيدعونه دعاء المضطر، راجين قضاء حاجتهم بدعائه والدعاء به أو الدعاء عند قبره، بخلاف عبادتهم الله تعالى، ودعائهم إياه، فإنهم يفعلونه في كثير من الأوقات على وجه العادة والتكلف، حتى إن العدو الخارج عن شريعة الإسلام^٢ لما قدم دمشق خرجوا يستغيثون بالموتى عند القبور التي يرجون عندها كشف ضرهم، وقال بعض الشعراء:

يا خائفين من التتر لودوا بقبر أبي عمر
أو قال:

عودوا بقبر أبي عمر ينجيكم من الضرر

فقلت لهم: هؤلاء الذين تستغيثون بهم لو كانوا معكم في القتال لانهمزوا كما انهمز من انهمز من المسلمين يوم أحد، فإنه كان قد قُضي أن العسكر ينكسر لأسباب اقتضت ذلك، ولحكمة الله عز وجل في ذلك، ولهذا كان أهل المعرفة بالدين والمكاشفة لم يقاتلوا في تلك المرة لعدم القتال الشرعي الذي أمر الله به ورسوله^٣،

^١ «تلخيص الاستغاثة» (٢/٤٨٥).

^٢ يقصد بذلك التتر.

^٣ أي لم يغزو لقتال التتر لما رأوا الناس متعلقين بغير الله، لأن النتيجة حتمًا هي الهزيمة.

فلما كان بعد ذلك جعلنا نأمر الناس بإخلاص الدين لله والاستغاثة به، وأنهم لا يستغيثون إلا إياه، لا يستغيثون بملك مقرب ولا نبي مرسل، كما قال تعالى يوم بدر ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾.

وروي عن النبي ﷺ أنه كان يقول: يا حي يا قيوم، لا إله إلا أنت، برحمتك أستغيث.^١ وفي لفظ: أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين، ولا إلى أحدٍ من خلقك. ولما أصلح الناس أمورهم، وصدقوا في الاستغاثة برهم؛ نصرهم الله على عدوهم نصرًا عزيزًا، ولم تُهزم التتار مثل هذه الهزيمة قبل ذلك أصلاً لَمَّا صح من تحقيق توحيد الله تعالى وطاعة رسوله ما لم يكن قبل ذلك، فإن الله ينصر رسله والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد^٢.

وهؤلاء يدعون الميت والغائب فيقول أحدهم: (بك أستغيث، بك أستجير، أغثنا، أجرنا)، ويقول: (أنت تعلم ذنوبي)، ومنهم من يقول للميت: (اغفر لي وارحمني وتب علي)، ونحو ذلك، ومن لم يُثقل هذا من عُقلائهم فإنه يقول: (أشكو إليك ذنوبي، وأشكو إليك عدوي، وأشكو إليك جور الولاة، وظهور البدع، وجذب الزمان، وغير ذلك)، فيشكون إليه ما حصل من ضرر في الدين والدنيا، ومقصوده في الشكوى أن يُشكّيه^٣ فيزيل ذلك الضرر، وقد يقول مع ذلك للميت: (أنت تعلم ما نزل بنا من الضرر، وأنت تعلم ما فعلته من الذنوب)، فيجعل الميت والحي والغائب عالماً بذنوب العباد ومُجرياتهم التي يمتنع أن يعلمها بشر، حي أو ميت.

^١ رواه الطبراني في «الدعاء» (٨٨٠) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: رأيت رسول الله ﷺ وهو واقف على القرن - يعني قرن الثعالب - يوم النحر وهو يقول: يا حي يا قيوم، لا إله إلا أنت، برحمتك أستغيث، فأكفني شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين.

وروي النسائي في «الكبرى» (١٠٣٧٢) عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ لفاطمة: ما يمنعه أن تسمعي ما أوصيك به؛ أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين.

والحديث صححه الألباني كما في «صحيح الجامع» (٥٨٢٠).

وروي الحاكم في «المستدرک» (٥٠٩/١) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل به هم أو غم قال: يا حي يا قيوم، برحمتك أستغيث.

^٢ «تلخيص الاستغاثة» (٧٣١/٢-٧٣٨)، باختصار وتصرف يسير جداً.

^٣ علق هنا الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله فقال: يُشكّيه بضم الياء من الإشكاء، وهو إزالة ما يشكو منه من ضُرٍ.

وعقلاؤهم يقولون: (مقصودنا أن يسأل الله لنا)، ويظنون أنهم إذا سألوه بعد موته أنه يسأل الله لهم، فإنه^١ يُسأل وَيُشفع كما كان يُسأل وَيُشفع لما سألته الصحابة الاستسقاء وغيره^٢، وكما يشفع يوم القيامة إذا سُئل الشفاعة، ولا يعلمون أن سؤال الميت والغائب غير مشروع البتة، ولم يفعله أحد من الصحابة، بل عدلوا^٣ عن سؤاله وطلب الدعاء منه، وأن الرسول ﷺ وسائر الأنبياء والصالحين وغيرهم لا يُطلب من أحدهم بعد موته من الأمور ما كان يُطلب منه في حياته.

انتهى كلام الشيخ رحمه الله ملخصاً.^٤

فانظر رحمك الله إلى ما ذكره هذا الإمام من أنواع الشرك الأكبر الذي قد وقع في زمانه ممن يدعي العلم والمعرفة، وينتصب للفتيا والقضاء، لكن لما نبههم الشيخ رحمه الله على ذلك، وبين لهم أن هذا من الشرك الذي حرمه الله ورسوله؛ تنبه من تنبه منهم، وتاب إلى الله، وعرف أن ما كان عليه شرك وضلال، وانقاد للحق.

وهذا مما يبين لك غربة الإسلام في ذلك الوقت عند كثير من الأنام، وأن هذا مصداق ما تواترت به الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: لتبتعن سنن من كان قبلكم، الحديث.^٥ وقوله: بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ.^٦

^١ أي النبي ﷺ .

^٢ وكان هذا في حياته، فقد كانوا يطلبون منه أن يدعو الله لهم، لأن دعاءه قريب للاستجابة ﷺ، أما بعد موته فلم يحصل هذا البتة، لا مع النبي ﷺ ولا مع غيره من الصحابة.

^٣ أي تركوا ذلك، والتمسوا ما هو مشروع، كطلب الدعاء من الأحياء، كطلب الدعاء من العباس عم النبي ﷺ .

^٤ المؤلف لخص كلام الشيخ ابن تيمية من كتابين مهمين له وهما «اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم» وكذا كتاب «الاستغاثة في الرد على البكري»، ونقل أيضاً من ملخص الكتاب الأخير واسمه «تلخيص الاستغاثة» لتلميذه ابن كثير رحمهما الله، وقد بذلت جهدي في بيان مواضع النقول عن تلك الكتب، وميزته عن غيره بقوسين ()، والذي لم أجد مكانه قليل، والذي يظهر لي أن المؤلف لخصه بالمعنى، والله أعلم.

^٥ تقدم تحريجه.

^٦ رواه مسلم (١٤٥)، وابن ماجه (٣٩٨٦)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وللفائدة؛ فقد روى أحمد في «مسنده» (١٨٤/١) واللفظ له، وأبو يعلى في «مسنده» (٩٩/٢) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول:

وبهذا ينكشف لك ويتضح عندك بطلان ما عليه كثير من أهل الزمان، من أنواع الشرك والبدع والحديثان^١، فلا تغتر بما هم عليه.

وهذه هي البلية العظيمة، والخصلة القبيحة الذميمة، وهي الاغترار بالآباء والأجداد، وما استمر عليه عمل كثير من أهل البلاد، وتلك الحجة التي انتحلها أهل الشرك والكفر والعناد، كما حكى الله تعالى عنهم ذلك في محكم التنزيل، من غير شك ولا تأويل، حيث قال الله تعالى وهو أصدق القائلين، حكاية عن فرعون اللعين، أنه قال لموسى وأخيه هارون الكريمين ﴿فما بال القرون الأولى﴾، فأجابه عليه السلام بقوله ﴿علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى﴾.

فمن امتطى كاهل الصدق والوفاء، وسلم من التعصب والعناد والجفاء، وتوسط في المحجة، وقنع في قبول الحق بالمحجة؛ كان ذلك طريقه ونهجه، وأشرق في صدره مصباح القبول، وأوقد فيه بزيت المعرفة والوصول، وكان من ضوء التوحيد على حصول، قال ابن القيم رحمه الله في «الإغاثة»^٢:

قال ﷺ: (لا تتخذوا قبوري عيداً)^١، وقال: (اللهم لا تجعل قبوري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)^٢.

إن الإيمان بدأ غريباً وسيعود كما بدأ، فطوبى يومئذ للغرباء إذا فسد الناس، والذي نفس أبي القاسم بيده؛ ليأرزن الإيمان بين هذين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها.

قال محققو «المسند»: إسناده جيد.

ومعنى يأرز أي ينضم ويجتمع.

وروى مسلم (١٤٦) عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية إلى جحرها.

وروى الترمذي (٢٦٢٩) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء.

والحديث صححه الألباني كما في «صحيح الترمذي».

^١ الحديثان أي الأمور المحدثه في الدين، التي لم تأت بها الشريعة.

^٢ أي «إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان»، والمنقول من (ص ٣٦٠) إلى (ص ٩٦٢)، باختصار، وتصرف، (الناشر: دار ابن الجوزي - الدمام).

وفي اتخاذها عيداً من المفاسد ما يغضب لأجله من في قلبه وقار الله وغيرة على التوحيد، ولكن: ما لجرح بميت إيلام.

منها^٣ الصلاة إليها، والطواف بها، واستلامها، وتعفير الخدود على تراجمها، وعبادة أصحابها، وسؤالهم النصر والرزق والعافية وقضاء الديون وتفريج الكربات، (وغير ذلك من الطلبات)^٤ التي كان عبّاد الأوثان يسألونها أوثانهم.

وكل من شم أدنى رائحة من العلم يعلم أن من أهم الأمور سد الذريعة إلى ذلك، وأنه ﷺ أعلم بعاقبة ما نهي عنه وما يتوّل إليه، وإذا لعن من اتخذ القبور مساجد يعبد الله فيها، فكيف بملازمتها واعتياد قصدتها وعبادتها.

ومن جمع بين سنة رسول الله ﷺ في القبور وما أمر به وما نهي عنه وما عليه أصحابه، وبين ما عليه أكثر الناس اليوم؛ رأى أحدهما مضادا للآخر، فنهى عن اتخاذها مساجد، وهؤلاء يبنون عليها المساجد، ونهى عن تسريحها^٥، وهؤلاء يُوقفون الوقوف على إيقاد القناديل عليها، ونهى عن أن تُتخذ عيداً^٦، وهؤلاء

^١ رواه أبو يعلى في «مسنده»، (٣٦١/١) رقم (٤٦٩)، وإسماعيل القاضي في «فضل الصلاة على النبي» (٢٠)، وابن أبي شيبه في المصنف (٧٥٤١)، وعنه الحافظ الضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٤٢٨)، وقال الألباني في تحقيقه عليه: (حديث صحيح بطرقه وشواهده، وقد خرجتها في «تحذير الساجد»).

^٢ رواه مالك في كتاب قصر الصلاة في السفر، باب جامع الصلاة (١٧٢/١) عن عطاء بن يسار مرسلاً، وقد وصله البزار كما في «كشف الأستار» (٢٢٠/١) فرواه عن عطاء عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وفي سنده عمر بن صبهان، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣١/٢): وقد اجتمعوا على ضعفه.

ولكن يشهد له حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي رواه أحمد (٢٤٦/٢)، وأبو يعلى (٦٦٨١) والحميدي في «مسنده» (٤٤٥/٢)، ونصه: (اللهم لا تجعل قبري وثناً، لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)، واللفظ لأحمد، والحديث صححه الألباني رحمه الله في «تحذير الساجد»، وقال محققو «المسند»: إسناده قوي.

وانظر ما قاله الألباني في حاشيته على «إغاثة اللهفان» (ص ٣٥٥).

^٣ أي من المفاسد.

^٤ ما بين القوسين لم ينقله الشيخ من الأصل، وقد أثبتته لأن الكلام يستقيم به.

^٥ أي إضاءتها بالسرّج.

^٦ أي يعاودون زيارتها في أيام ومواسم معينة من السنة.

يتخذونها أعياداً، ونهى عن تشريفها^١ وأمر بتسويتها^٢ كما في صحيح مسلم عن علي رضي الله عنه^٣، وهؤلاء يرفعونها ويجعلون عليها القباب^٤، ونهى عن تخصيص^٥ القبر والبناء عليه، كما في صحيح مسلم عن جابر^٦، ونهى عن الكتابة عليها كما رواه الترمذي في صحيحه^٧ عن جابر، ونهى عن أن يزداد عليها غير تراهما، كما رواه أبو داود عن جابر^٨، وهؤلاء يتخذون عليها الألواح، ويكتبون عليها القرآن، ويزيدون على تراهما بالجص والآجر والأحجار.

وقد آل الأمر بهؤلاء الضلال المشركين إلى أن شرعوا للقبور حجاً، ووضعوا لها مناسك، حتى صنف بعضهم في ذلك كتاباً أسماه «مناسك حج المشاهد».

ولا يخفى على أن هذا مفارقة لدين الإسلام ودخول في دين عبادة الأصنام، فانظر إلى هذا التباين العظيم بين ما شرعه الرسول ﷺ لأمته، وبين ما شرعه هؤلاء، والنبي ﷺ أمر بزيارة القبور لأنها تُذكر الآخرة، وأمر الزائر أن يدعو لأهل القبور، ونهاه أن يقول هجراً^٩.

^١ أي مرتفعاً.

^٢ أي مساواتها بالأرض، إلا قدر شبر، ليعرف أنه قبر، فلا يوطأ ولا يجلس عليه.

^٣ روى مسلم في «صحيحه» (٩٦٩) عن أبي الهياج الأسدي قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ أن لا أدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرقاً إلا سويته.

^٤ يعقدون على القبور القباب أي يلصقون بعض حجارتها لبعض لتتماسك. انظر «المعجم الوسيط».

^٥ تخصيص القبور هو طلاؤها بالجص.

^٦ ولفظه: نهى رسول الله ﷺ عن تخصيص القبر، وأن يُقعد عليه، وأن يُبنى عليه.

^٧ لعل الأولى: «جامعه».

^٨ روى أبو داود (٣٢٢٥، ٣٢٢٦) عن جابر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ نهى أن يخصص القبر، أو يكتب عليه، أو يزداد عليه.

^٩ لفظ الحديث عن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فمن أراد أن يزور فليزر، ولا تقولوا هجراً.

رواه أحمد (٣٦١/٥)، وقال محققو «المسند»: إسناده صحيح على شرط مسلم.

ورواه مسلم (٩٧٧) بنحوه والترمذي (١٠٥٤)، والنسائي (٢٠٣٢)، وأبو داود (٣٢٣٥)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (٥٦٩/٣).

والهجر هو الفحش من القول، كالنباحة ونحو ذلك.

فهذه الزيارة التي أذن رسول الله ﷺ فيها لأمته وعلمهم إياها، هل تجد فيها شيئاً مما يعتمد عليه أهل الشرك والبدع، أم تجدها مضادة لما هم عليه من كل وجه؟ وما أحسن ما قال الإمام مالك رحمه الله^١: (لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها)، ولكن كلما ضعف تمسك الأمم بعهود أنبيائهم؛ عوّضوا عن ذلك بما أحدثوا من البدع والشرك.

ولقد جرد الخلف الصالح التوحيد وحملوا جانبه، حتى كان أحدهم إذا سلم على النبي ﷺ ثم أراد الدعاء جعل ظهره إلى جدار القبر ثم دعا، وقد نص على ذلك الأئمة الأربعة؛ أنه يستقبل القبلة للدعاء حتى لا يدعو عند القبر، فإن الدعاء عبادة.

وبالجملة؛ فإن الميت قد انقطع عمله، فهو محتاج إلى من يدعو له، ولهذا شُرع في الصلاة عليه من الدعاء ما لم يُشرع مثله للحَي، ومقصود الصلاة على الميت الاستغفار له والدعاء له، وكذلك الزيارة، مقصودها الدعاء للميت والإحسان إليه وتذكير الآخرة، فبدّل أهل البدع والشرك قولاً غير الذي قيل لهم، فبدلوا الدعاء له بدعائه نفسه، والشفاعة له بالاستشفاع به، والزيارة التي شُرعت إحساناً إلى الميت وإلى الزائر بسؤال الميت والإقسام به على الله وتخصيص تلك البقعة بالدعاء الذي هو محض العبادة، وحضور القلب عندها^٢ وخشوعه أعظم منه في المساجد.

(ثم ذكر حديث ذات أنواط ثم قال)^٣: فإذا كان اتخاذ الشجرة لتعليق الأسلحة والعكوف لها اتخاذ إله مع الله، وهم لا يعبدونها ولا يسألونها، فما الظن بالعكوف حول القبر ودعائه والدعاء عنده والدعاء به؟ وأي نسبة للفتنة بشجرة إلى الفتنة بالقبر، لو كان أهل الشرك والبدع يعلمون؟ ومن له خبرة بما بعث الله به رسوله، وبما عليه أهل الشرك والبدع اليوم في هذا الباب وغيره؛ عَلم أن ما بين السلف وبينهم أبعد مما بين المشرق والمغرب. والأمر والله أعظم مما ذكرنا.

وعمّي الصحابة قبر دانيال بأمر عمر رضي الله عنه.^٤

^١ في المطبوع (أحمد)، والذي في الإغاثة (مالك)، ولا شك أن مالك هو الصواب.

^٢ أي عند القبور.

^٣ ما بين القوسين من كلام الشيخ عبد اللطيف، وهو لم يذكر حديث (ذات أنواط) لأنه ذكره آنفاً.

^٤ دانيال نبي من أنبياء بني إسرائيل وجد الصحابة قبره في «تستر» - وهي مدينة بإقليم خوزستان، فتحها أبو موسى الأشعري رضي الله عنه في عهد عمر رضي الله عنه لما فتحوها - فما كان منهم إلا أن أخفوا قبره حتى لا يفتتن به

ولما بلغه أن الناس ينتابون الشجرة التي بويع رسول الله ﷺ تحتها؛ أرسل إليها وقطعها، قال عيسى بن يونس: هو عندنا من حديث ابن عون عن نافع.¹

فإذا كان هذا فعله في الشجرة التي ذكرها الله في القرآن، وبائع تحتها الصحابة رضي الله عنهم رسول الله ﷺ؛ فماذا حكمه فيما عداها؟

وأبلغ من ذلك أن رسول الله ﷺ هدم مسجد الضرار، ففيه دليل على هدم المساجد التي هي أعظم فساداً منه، كالمبنية على القبور، وكذلك قبابها²، فتجب المبادرة إلى هدم ما لعن رسول الله ﷺ فاعله، والله يقيم لدينه من ينصره ويذب عنه.

وكان بدمشق كثير من هذه الأنصاب، فیسّر الله سبحانه كسرها على يد شيخ الإسلام³، وحزب الله الموحدين.

وكان العامة يقولون للشيء منها إنه يقبل النذر، أي يقبل العبادة من دون الله، فإن النذر عبادة يتقرب بها الناذر إلى المنذور.

ولقد أنكر السلف التمسح بحجر المقام الذي أمر الله أن يُتخذ منه مصلى، قال قتادة في الآية: (إنما أمروا أن يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه، ولقد تكلفت هذه الأمة شيئاً ما تكلفته الأمم قبلها، ذكر لنا من رأى أثره وأصابه، فما زالت هذه تمسحه حتى اخلّو⁴).

وأعظم الفتنة بهذه الأنصاب؛ فتنة أصحاب القبور، وهي أصل فتنة عبادة الأصنام، كما ذكر الله في سورة نوح في قوله ﴿وقالوا لا تذرنا آلهتنا ولا تذرنا وداً ولا سواعاً﴾ الآية، ذكر السلف في تفسيرها أن هؤلاء

الناس إذا وجدوه فيغفلون في تعظيمه، قال الراوي: حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبراً متفرقة، فلما كان بالليل دفناه وسوينا القبور كلها لنعميه على الناس فلا ينبشونه.

وقد ذكر قصته محمد بن إسحاق في «مغازيه» (ص ٦٦ - ٦٧)، تحقيق سهيل زكار.

وكذا الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية»، (٤٠/٢)، ذكر شيئاً من خبر دانيال عليه السلام.

¹ «البدع والنهي عنها» لابن وضاح القرطبي، باب ما جاء في اتباع الأذان، وقد جزم ابن تيمية بثبوت الخبر كما في «مجموع الفتاوى» (٣٣/٢٧).

² أي القباب المبنية على القبور.

³ أي ابن تيمية رحمه الله.

⁴ معنى اخلّو أي يلي وصار أملس من كثرة ما يُتمسح به.

⁵ رواه الأزرقي في «تاريخ مكة»، باب ما جاء في الأثر الذي في المقام، وقيام إبراهيم عليه السلام عليه، (٥٣٢/١).

أسماء رجال صالحين في قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدهم.¹

وتعظيم الصالحين إنما هو باتباع ما دعوا إليه، دون اتخاذ قبورهم أعياداً وأوثاناً، فأعرضوا عن المشروع واشتغلوا بالبدع.

ومن أصغى إلى كلام الله بقلبه وتفهمه؛ أغناه عن البدع والآراء، ومن بُعد عنه فلا بد أن يتعوض بما لا ينفعه، كما أن من عَمَّر قلبه بحبة الله وخشيته والتوكل عليه؛ أغناه عن محبة غيره وخشيته والتوكل عليه، فالمعرض عن التوحيد مشرك شاء أم أبى، والمعرض عن السنة مبتدع شاء أم أبى، والمعرض عن محبة الله عبْدُ الصُّور شاء أم أبى.

وهذه الأمور المبتدعة عند القبور أنواع، أبعدها عن الشرع أن يسأل الميت حاجته كما يفعله كثير من الناس، وهؤلاء من جنس عباد الأصنام، ولهذا يتمثل لهم الشيطان في صورة الميت كما يتمثل لعباد الأصنام. وكذلك السجود للقبر وتقبيله والتمسح به.

(النوع الثاني) أن يسأل الله به، وهذا يفعله كثير من المتأخرين، وهو بدعة إجماعاً.

(النوع الثالث) أن يظن الدعاء عنده² مستجاب، أو أنه أفضل من الدعاء في المسجد، فيقصد القبر لذلك، فهذا أيضاً من المنكرات إجماعاً، وما علمت فيه نزاعاً بين أئمة الدين، وإن كان كثير من المتأخرين يفعله.³

وبالجملة؛ فأكثر أهل الأرض مفتونون بعبادة الأصنام، ولم يتخلص منها إلا الحنفاء، أتباع ملة إبراهيم، وعبادتها في الأرض من قبل نوح، وهياكلها ووقوفها وسدنتها وحُجَّابها والكتب المصنفة في عبادتها طَبَّقَ الأرض⁴، قال إمام الحنفاء عليه السلام ﴿واجنبي وبني أن نعبد الأصنام * رب إنهن أضللن كثيراً من الناس﴾، وكفى في معرفتهم أنهم أكثر أهل الأرض بما صح عن النبي ﷺ أن بعث النار من كل ألف

¹ انظر صحيح البخاري (٤٩٢٠).

² أي عند قبره.

³ إلى هنا اختصر الشيخ كلام ابن القيم من «الإغاثة» من (ص ٣٦٠) إلى (ص ٣٩٩)، بتصرف، وما بعده نقله مختصراً من (ص ٩٦١) إلى (ص ٩٦٢).

⁴ أي مألها.

تسعمائة وتسعة وتسعون^١، وقد قال تعالى ﴿فأبى أكثر الناس إلا كفوراً﴾، وقال تعالى ﴿وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله﴾.

ولو لم تكن الفتنة بعبادتهم الأصنام عظيمة لما أقدم عبّادها على بذل نفوسهم وأموالهم وأبنائهم دونها، فهم يشاهدون مصارع إخوانهم وما حل بهم، ولا يزيدهم ذلك إلا حبّاً لها وتعظيماً، ويوصي بعضهم بعضاً بالصبر عليها.

انتهى كلام الشيخ رحمه الله ملخصاً.

وقال الشيخ تقي الدين^٢ في «الرسالة السنية» لما ذكر حديث الخوارج ومروقهم من الدين، وأمره ﷺ بقتالهم، قال:

فإذا كان في زمن النبي ﷺ وخلفائه - ممن قد انتسب إلى الإسلام - من مَرَقَ^٣ منه مع عبادته العظيمة؛ فيعلم أن المنتسب إلى الإسلام والسنة قد يمرق أيضاً، وذلك بأسباب، منها: الغلو الذي ذمه الله في كتابه حيث قال ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم﴾ الآية، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه حرّق الغالية من الرافضة^٤، وأمر بأخاديد حُدّت عند «باب كندة» فقتلهم فيها، واتفق الصحابة على قتلهم، لكن ابن عباس رضي الله عنه مذهبه أن يُقتلوا بالسيف بلا تحريق، وهو قول أكثر العلماء، وقصصهم معروفة عند العلماء.

وكذلك الغلو في بعض المشايخ، بل الغلو في علي بن أبي طالب، بل الغلو في المسيح ونحوه، فكل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعاً من الإلهية، مثل أن يقول: (يا سيدي فلان، انصربي أو أغثني أو ارزقي أو أجري أو أنا في حسبك)، ونحو هذه الأقوال؛ فكل هذا شرك وضلال، يُستتاب صاحبه، فإن تاب وإلا قتل، فإن الله إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبدوه وحده، لا يجعلون معه إلهاً آخر.

^١ أي من كل ألف من أهل الدنيا يخرج تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار، جاء هذا في حديث رواه البخاري (٣٣٤٨) ومسلم (٢٢٢) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

^٢ يعني ابن تيمية رحمه الله.

^٣ المارقة هم الذين مرقوا من الدّين لغلوهم فيه، والمروق سرعة الخروج من الشيء. انظر «لسان العرب».

^٤ هم الذين يزعمون أن عليّاً هو الله، تعالى الله عن ذلك.

والذين يدعون مع الله آلهة أخرى، مثل المسيح والملائكة والأصنام؛ لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق أو تنزل المطر أو تنبت النبات، وإنما كانوا يعبدونهم أو يعبدون قبورهم أو صورهم، يقولون إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى، ﴿ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾، فبعث الله رسوله ينهى أن يدعى أحد من دونه، لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة، وقال تعالى ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً﴾* أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ﴿الآية﴾، قال طائفة من السلف: كان أقوام يدعون المسيح وعزيراً، فقال الله لهم: هؤلاء الذين تدعونهم يتقربون إلي كما تتقربون، ويرجون رحمتي كما ترجون، ويخافون عذابي كما تخافون عذابي.

إلى أن قال^١: وعبادة الله هي أصل الدين، وهي التوحيد الذي بعث الله به الرسل، وأنزل به الكتب، قال تعالى ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾، وقال ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾، وكان النبي ﷺ يحقق التوحيد ويعلمه أمته، حتى قال رجل: ما شاء الله وشئت.

قال: جعلت لله ندّاً؟ ما شاء الله وحده.^٢

ونهى عن الحلف بغير الله، وقال: من حلف بغير الله فقد أشرك.^٣

وقال في مرض موته: (لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)، (يحذر ما فعلوا)^٤.

ولهذا اتفق أئمة الإسلام على أنه لا يشرع بناء المساجد على القبور ولا الصلاة عندها، وذلك لأن من أكبر أسباب عبادة الأوثان تعظيم القبور، ولهذا اتفق العلماء على أن من سلّم على النبي ﷺ عند قبره أنه

^١ أي ابن تيمية رحمه الله.

^٢ رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٨٤).

^٣ رواه أبو داود (٣٢٥١) وابن حبان (٤٣٥٨) وأحمد (٦٩/٢)، وأبو عوانة (٥٩٦٧).

ورواه الترمذي (١٥٣٥)، بلفظ: من حلف بغير الله فقد كفر - أو أشرك - . (شك الراوي).

واللفظ الأول هو المعتمد لكثرة روايته، قاله الشيخ محمد علي آدم الأثيوبي حفظه الله.

والحديث صححه الألباني رحمه الله.

^٤ هذه الجملة من قول عائشة رضي الله عنها.

^٥ رواه البخاري (٤٣٥)، ومسلم (٥٣١) عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهما.

لا يتمسح بحجرته ولا يقبلها، لأن التقبيل والاستلام إنما يكون لأركان بيت الله الحرام، فلا يُشبه بيت المخلوق ببيت الخالق.

كل هذا لتحقيق التوحيد الذي هو أصل الدين ورأسه الذي لا يقبل الله عملاً إلا به، ويغفر لصاحبه^١ ولا يغفر لمن تركه، كما قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾.

ولهذا كانت كلمة التوحيد أفضل الكلام، فأعظم آية في القرآن آية الكرسي ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، وقال ﷺ: من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة.^٢

والإله الذي يألهه القلب عبادة واستعانة ورجاء وخشية وإجلالاً.

انتهى كلامه رحمه الله.^٣

فتأمل أول كلامه وآخره، وتأمل كلامه فيمن دعا نبياً أو ولياً، مثل أن يقول: (يا سيدي أغثني) ونحوه؛ أنه يستتاب، فإن تاب وإلا قتل؛ تجده صريحاً في تكفير أهل الشرك وقتلهم بعد الاستتابة وإقامة الحجة عليهم، وأن من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعاً من الإلهية فقد اتخذ إلهاً مع الله، لأن الإله هو المألوه، الذي يأله القلب، أي يقصده بالعبادة والدعوة والخشية والإجلال والتعظيم، وإن زعم أنه لا يريد إلا الشفاعة والتقرب عند الله، لأنه بيّن أن هذا هو مطلوب المشركين الأولين، فاستدل على ذلك بالآيات الصريحة القاطعات، والله أعلم.

وقال رحمه الله في الكلام على قوله تعالى ﴿وما أهل لغير الله به﴾:

(ظاهره أنه ما ذُبَحَ لغير الله سواء لَفَظَ به أم لم يَلْفِظْ، وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبحه^٤ للحم وقال فيه: باسم المسيح) ونحوه.

^١ أي صاحب التوحيد.

^٢ رواه أبو داود (٣١١٦) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه لما أدركه الموت، وأحمد في «مسنده» (٢٣٣/٥)، وصححه الألباني ومحققو «المسند».

^٣ «الرسالة السننية»، وتقع كاملة في «مجموع الفتاوى» (٣٦٣/٣-٤٣٠)، والجزء الذي تم اختصاره منه يقع مفرداً في الصفحات (٣٨٣ - ٤٠٠).

^٤ الفاعل مستتر تقديره: (هو) أو (النصراني).

كما أن ما ذبحناه متقربين به إلى الله سبحانه كان أركى مما ذبحناه للحم، وقلنا عليه (باسم الله)، فإن عبادة الله بالصلاة والنسك أعظم من الاستعانة^١ باسمه في فواتح الأمور.

والعبادة لغير الله أعظم كفرًا من الاستعانة بغير الله، فلو ذبح لغير الله متقربًا به إليه لحُرِّمَ وإن قال فيه (باسم الله) كما قد يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة^٢، وإن كان هؤلاء مرتدين لا تباح ذبيحتهم بحال، لكن يجتمع في الذبيحة مانعان^٣، ومن هذا ما يُفعل بمكة وغيرها من الذبح للجن^٤.

انتهى كلام الشيخ رحمه الله.

فتأمل رحمك الله هذا الكلام، وتصريحه فيه بأن من ذبح لغير الله من هذه الأمة فهو كافر مرتد، لا تباح ذبيحته، لأنه يجتمع فيه مانعان، الأول: أنها ذبيحة مرتد، وذبيحة المرتد لا تباح بالإجماع.

الثاني: أنها مما أُهِّلَ لغير الله، وقد حَرَّمَ الله ذلك في قوله ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رَجَسٌ أَوْ فَسَقًا أَهْلَ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾، وتأمل قوله: (ومن هذا ما يُفعل بمكة وغيرها، من الذبح للجن)، والله أعلم.

فصل

قال ابن القيم في «شرح المنازل» في باب التوبة:

(وأما الشرك فهو نوعان: أكبر وأصغر، فالأكبر؛ لا يغفره الله إلا بالتوبة منه، وهو أن يَتَّخِذَ من دون الله ندًّا، يحبه كما يحب الله، وهو الشرك الذي تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين، ولهذا قالوا لآلهتهم في النار ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ * إذ نُسَوِّيْكُمْ برب العالمين﴾، مع إقرارهم بأن الله وحده خالق كل شيء، وربهم ومليكه، وأن آلهتهم لا تخلق ولا ترزق، ولا تحيي ولا تميت، وإنما كانت هذه التسوية في المحبة والتعظيم والعبادة كما هو حال أكثر مُشْرِكِي العالم، بل كلهم يحبون معبوديهم ويعظمونها ويوالونها من دون الله، وكثير منهم بل أكثرهم يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله، ويستبشرون بذكرهم أعظم من استبشارهم إذا

^١ في المطبوع (الاستغاثة)، وقد صَحَّحتُها من (الاقتضاء).

^٢ هنا عبارة مهمة قالها ابن تيمية ولم ينقلها صاحب الرسالة وهي: الذين يتقربون إلى الأولياء والكواكب بالذبح والبخور ونحو ذلك.

^٣ يقصد: لكونه يجتمع في الذبيحة مانعان، وسيبين المؤلف ما هما قريبًا.

^٤ «اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم» (٢٥٩)، باختصار.

ذكر الله وحده، ويغضبون لمنتقص معبوديهم وآلهتهم من المشايخ أعظم مما يغضبون إذا انتقص أحد رب العالمين، وإذا انتهكت حرمة من حرمت آلهتهم ومعبودهم غضبوا غضب الليث إذا حرد^١، وإذا انتهكت حرمت الله لم يغضبوا لها، بل إذا قام المنتهك لها بإطعامهم شيئاً رضوا عنه ولم تنتكر له قلوبهم، وقد شاهدنا هذا نحن وغيرنا منهم جهرة، وترى أحدهم قد اتخذ ذكر إلهه ومعبوده من دون الله على لسانه ديدناً، إن قام وإن قعد، وإن عثر وإن مرض وإن استوحش، فذكرُ إلهه ومعبوده من دون الله هو الغالب على قلبه ولسانه، وهو لا ينكر ذلك، ويزعم أنه باب حاجته إلى الله، وشفيعه عنده، ووسيلته إليه.

وهكذا كان عبّاد الأصنام سواء، وهذا القدر هو الذي قام بقلوبهم، وتوارثه المشركون بحسب اختلاف آلهتهم، فأولئك كانت آلهتهم من الحجر، وغيرهم اتخذها من البشر، قال الله تعالى حاكياً عن أسلاف هؤلاء المشركين ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زُلْفَى﴾ إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون^٢، ثم شهد عليهم بالكفر والكذب، وأخبر أنهم لا يهديهم، فقال ﴿إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار﴾^٣، فهذه حال من اتخذ من دون الله ولياً، يزعم أنه يقربه إلى الله، وما أعزَّ^٢ من تخلص من هذا، بل ما أعز من لا يعادي من أنكره.

والذي في قلوب هؤلاء المشركين وسلفهم أن آلهتهم تشفع لهم عند الله، وهذا عين الشرك، وقد أنكر الله عليهم ذلك في كتابه وأبطله، وأخبر أن الشفاعة كلها له^٣، (قال الله تعالى ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير * ولا تنفع الشفاعة عنده إلا من أذن له﴾)، فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل له به من النفع، والنفع لا يكون إلا لمن فيه خصلة من هذه الأربع، إما مالك لما يريده عابده منه، فإن لم يكن مالاً كان شريكاً للمالك، فإن لم يكن شريكاً له كان مُعيناً له وظهيراً، فإن لم يكن معيناً ولا ظهيراً كان شفيعاً عنده.

فنفي سبحانه المراتب الأربع نفياً مترتباً، منتقلاً من الأعلى إلى ما دونه، فنفي المُلْك والشَّرْكَ والمُظَاهَرَة والشفاعة التي يظنها المشرك، وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك، وهي الشفاعة بإذنه، فكفى بهذه الآية نوراً وبرهاناً ونجاة وتجريداً للتوحيد، وقطعاً لأصول الشرك ومواده لمن عقَلَهَا.

^١ أي غَضِبَ وتغيظ.

^٢ ما أعزَّ أي ما أقل.

^٣ «مدارج السالكين»، منزلة التوبة (ص ٥٩٤ - ٥٩٦).

والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها، ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته، وتضمنه له، ويظنه في نوع وفي قوم قد خَلَوْا^١ من قبل ولم يُعَقِّبُوا وارثاً^٢، وهذا هو الذي يحول بين المرء وفهم القرآن.

ولَعَمْرُ الله ان كان أولئك قد خَلَوْا فقد ورثهم من هو مثلهم أو شر منهم أو دونهم، وتناول القرآن لهم كتناوله لأولئك، ولكن الأمر كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إنما تُنْقِضُ عِرى الإسلام عِروة عِروة؛ إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية)، وهذا لأن من لم يعرف الجاهلية والشرك، وما عابه القرآن ودَمَّه؛ وقع فيه وأقره، ودعا إليه وصَوَّبه وحسَّنه، وهو لا يعرف أنه هو الذي كان عليه أهل الجاهلية أو نظيره أو شر منه أو دونه، فيُنْتَقِضُ بذلك عِرى الإسلام عن قلبه، ويعود المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، والبدعة سُنَّةً، والسُنَّة بدعة، ويُكْفَرُ الرجل بمحض الإيمان وتجريد التوحيد، ويُبدَع بتجريد متابعة الرسول ﷺ ومفارقة الأهواء والبدع، ومن له بصيرة وقلب حي يرى ذلك عياناً، والله المستعان^٣.

(ومن أنواعه طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه إليهم، وهذا أصل شرك العالم، فإن الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً، فضلاً عما استغاث به وسأله قضاء حاجته، أو سأله أن يشفع له إلى الله فيها، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع له عنده، فإنه لا يقدر أن يشفع له عند الله إلا بإذنه، والله لم يجعل استغاثته وسؤاله^٤ سبباً لإذنه، وإنما السبب لإذنه كمال التوحيد، فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الإذن، فهو بمنزلة من استعان في حاجة بما يمنع حصولها، وهذه حالة كل مشرك، والميت محتاج إلى من يدعو له ويترحم عليه ويستغفر له، كما أوصانا النبي ﷺ إذا زرنا قبور المسلمين أن نترحم عليهم ونسأل لهم العافية والمغفرة، فعكس المشركون هذا، وزاروهم زيارة العبادة واستقضاء الحوائج، والاستغاثة بهم، وجعلوا قبورهم أوثاناً تُعْبَد، وسموا قصدها حجاً، واتخذوا عندها الوقفة وحلق الرأس، فجمعوا بين الشرك بالمعبود الحق وتغيير دينه، ومعاداة أهل التوحيد ونسبة أهله إلى التنقص للأموات، وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك، وأولياءه الموحدين له الذين لم يشركوا به شيئاً بذمهم وعييبهم ومعاداتهم، وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا، وأنهم أمروهم به، وأنهم يوالونهم عليه، وهؤلاء أعداء الرسل والتوحيد في كل زمان ومكان، وما أكثر المستجيبين لهم، ولله در خليله إبراهيم عليه السلام حيث

^١ أي مضوا وذهبوا.

^٢ أي يُخلفوا بعدهم قوم ورثوا فكرهم واعتقادهم.

^٣ «مدارج السالكين»، منزلة التوبة (ص ٦٠٠ - ٦٠١).

^٤ أي سؤال ذلك المدعو مع الله.

يقول ﴿واجنبني وبني أن نعبد الأصنام * رب إخن أضللن كثيراً من الناس﴾، وما نجا من شَرِكِ^١ هذا الشرك الأكبر إلا من جَرَّد توحيدَه لله، وعادى المشركين في الله، وتقرب بمقتهم إلى الله).^٢ انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

فتأمل رحمك الله كلام هذا الإمام وتصريحه بأن من دعا الموتى وتوجه إليهم واستغاث بهم ليشفعوا له عند الله فقد فعل الشرك الأكبر الذي بعث الله محمداً ﷺ بإنكاره^٣، وتكفير من لم يتب منه، وقتاله ومعاداته، وأن هذا قد وقع في زمانه، وأنهم غيَّروا دين الرسول ﷺ، وعادوا أهل التوحيد الذين يأمرونهم بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له.

وتأمل أيضاً قوله: (وما أعز من تخلص من هذا، بل ما أعز من لا يعادي من أنكره)، يتبين لك الأمر إن شاء الله تعالى.

ولكن تأمل أرشدك الله قوله: (وما نجا من شَرِكِ هذا الشرك الأكبر إلا من عادى المشركين إلى آخره)، يتبين لك أن الإسلام لا يستقيم إلا بمعاداة أهل هذا الشرك، فإن لم يعادهم فهو منهم وإن لم يفعله، والله أعلم.

وقال رحمه الله في كتاب «زاد المعاد في هدي خير العباد» في الكلام على غزوة أهل الطائف وما فيها من الفقه، قال فيها:

ومنها أنه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوماً واحداً، فإنها شعائر الكفر والشرك، وهي أعظم المنكرات، فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة البتة، وهذا حكم المشاهد التي بُنيت على القبور، التي اتخذت أوثاناً وطواغيت تعبد من دون الله، والأحجار التي تقصد للتعظيم وللتبرك والنذر والتقبيل، لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالته، وكثير منها بمنزلة اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى، أو أعظم شِرْكاً بها وعندها، والله المستعان.

^١ الشَّرِك هو الحِبالَة والمصيدة والفخ.

^٢ «مدارج السالكين»، منزلة التوبة، ص ٦٠٥ - ٦٠٦ .

^٣ هذا هو الشاهد من كلام الشيخ، وهو تقرير أن دعاء غير الله شرك أكبر، وأن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لما أنكر ذلك على قومه كان له في ذلك سلف ولم يأت بجديد، وأن إنكاره كان حقاً.

^٤ أي: ومن وفوائد القصة.

ولم يكن أحد من أرباب هذه الطواغيت يعتقد أنها تخلق وترزق، وتميت وتحيي، وإنما كانوا يفعلون عندها وبها ما يفعله إخوانهم من المشركين اليوم عند طواغيتهم، فاتبعوا هؤلاء سنن من كان قبلهم، وسلكوا سبيلهم حذو القُذَّة^١ بالقذة، وأخذوا مأخذهم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، وغلب الشرك على أكثر النفوس لظهور الجهل وخفاء العلم، فصار المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، والسنة بدعة، والبدعة سنة، ونشأ في ذلك الصغير وهرم عليه الكبير، وطُمست الأعلام، واشتدت غربة الإسلام، وقلَّ العلماء، وغلب السفهاء، وتفاقم الأمر، واشتد البأس، ﴿وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس﴾، ولكن لا تزال طائفة من الأمة المحمدية بالحق قائمين، ولأهل الشرك والبدع مجاهدين، إلى أن يرث الله سبحانه الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين.^٢

وقال الشيخ تقي الدين^٣ لما سُئل عن قتال التتار مع تمسُّكهم بالشهادتين^٤، ولما زعموا من اتباع أصل الإسلام:

كل طائفة ممتنعة عن التزام شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة - من هؤلاء القوم وغيرهم - فإنه يجب قتالهم حتى يلتزموا شرائعه، وإن كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين، وملتزمين بعض شرائعه، كما قاتل أبو بكر الصديق والصحابة رضي الله عنهم مانعي الزكاة، وعلى ذلك اتفق العلماء بعدهم بعد سابقة مناظرة عمر لأبي بكر رضي الله عنهما، فاتفق الصحابة على القتال على حقوق الإسلام، عملاً بالكتاب والسنة. وكذلك ثبت عن النبي ﷺ من عشرة أوجه عن الخوارج، وأخبر أنهم شر الخلق والخليقة، مع قوله (تحقرون صلاتكم من صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم)^٥.

^١ القُذَّة هي ريشة السهم.

^٢ «زاد المعاد» (٥٠٦/٣ - ٥٠٧).

^٣ أي ابن تيمية رحمه الله.

^٤ السؤال منصب على طائفة من التتار، وهم الذي غزوا بلاد المسلمين، ثم بعد هذا أظهروا الإسلام بنطق الشهادتين والتزام بعض أحكام الإسلام، مع رد كثير منه وعدم الإيمان به، فالشيخ يبين هنا أن هذا لا ينفعهم، وإنما الذي ينفعهم هو الإيمان بكل ما جاء به النبي ﷺ، وعدم جحود شيء منه، ومن ذلك ترك التعلق بغير الله، فمن لم يؤمن بذلك فلا ينفعه النطق بالشهادتين ولو نطقها ألف مرة، والله أعلم.

^٥ رواه البخاري (٥٠٥٨) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

فَعُلِمَ أن مجرد الاعتصام بالإسلام مع عدم التزام شرائعه ليس بمُسْقِطٍ للقتال، فالقتال واجب حتى يكون الدين كله لله، وحتى لا تكون فتنة، فمتى كان الدين لغير الله فالقتال واجب.

فأما طائفة امتنعت من بعض الصلوات المفروضات، أو الصيام، أو الحج، أو عن التزام تحريم الدماء والأموال والخمر والزنا والميسر، أو نكاح ذوات المحارم، أو عن التزام جهاد الكفار، أو ضرب الجزية على أهل الكتاب، وغير ذلك من واجبات الدين ومحرماته التي لا عذر لأحد في جحودها وتركها، التي يكفر الجاحد لوجوبها؛ فإن الطائفة الممتنعة تقاتل عليها وإن كانت مُقرّة بها، وهذا مما لا أعلم فيه خلافاً بين العلماء.

وإنما اختلف الفقهاء في الطائفة الممتنعة إذا أُصرّت على ترك بعض السنن، كركعتي الفجر والأذان والإقامة - عند من لا يقول بوجوبها - ونحو ذلك من الشعائر، فهل تُقاتل الطائفة الممتنعة على تركها أم لا؟
فأما الواجبات والمحرمات المذكورة ونحوها فلا خلاف في القتال عليها.

وهؤلاء عند المحققين من العلماء ليسوا بمنزلة البغاة الخارجين على الإمام، أو الخارجين عن طاعته، كأهل الشام مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فإن أولئك خارجون عن طاعة إمام معين، أو خارجون عليه لإزالة ولايته.

وأما المذكورون فهم خارجون عن الإسلام، بمنزلة مانعي الزكاة، وبمنزلة الخوارج الذين قاتلهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولهذا اختلفت سيرة علي رضي الله عنه في قتاله لأهل البصرة والشام، وفي قتاله لأهل النهروان، فكانت سيرته مع أهل البصرة والشاميين سيرة الأخ مع أخيه، ومع الخوارج بخلاف ذلك.

وثبتت النصوص عن النبي ﷺ بما استقر عليه إجماع الصحابة من قتال الصديق وقتال الخوارج.^١
انتهى كلامه رحمه الله.

فتأمل رحمك الله تصريح هذا الإمام في هذه الفتوى بأن من امتنع من شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة، كالصلوات الخمس أو الزكاة أو الحج، أو ترك المحرمات، كالزنا، أو تحريم الدماء والأموال، أو شرب الخمر أو المسكرات أو غير ذلك؛ أنه يجب قتال الطائفة الممتنعة عن ذلك حتى يكون الدين كله لله، ويلتزموا

^١ «مجموع الفتاوى» (٥٠٢/٢٨ - ٥٠٤).

شرائع الإسلام، وإن كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين، ملتزمين ببعض شرائع الإسلام، وأن ذلك مما اتفق عليه الفقهاء من سائر الطوائف، من الصحابة فمن بعدهم، وأن ذلك عملٌ بالكتاب والسنة.

فتبين لك أن مجرد الاعتصام بالإسلام مع عدم التزام شرائعه ليس بمسقط للقتال، وأنهم يُقاتلون قتال كفر وخروج عن الإسلام كما صرح به في آخر الفتوى بقوله: (وهؤلاء عند المحققين من العلماء ليسوا بمنزلة البغاة، الخارجين على الإمام، أو الخارجين عن طاعته ... بل خارجون عن الإسلام، بمنزلة مانعي الزكاة)^١، والله أعلم.

وقال في «الإقناع»^٢ من كتب الحنابلة التي يُعتمد عليها عندهم في الفتوى: وأجمعوا على وجوب قتل المرتد، فمن أشرك بالله فقد كفر بعد إسلامه، لقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، أو جحد ربوبيته، أو وحدانيته؛ كفر، لأن جاحد ذلك مشرك بالله تعالى.

إلى أن قال:

قال الشيخ^٣: أو كان مبغضاً لرسوله، أو لما جاء به اتفاقاً، أو جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم، ويتوكل عليهم، ويسألهم؛ كفر إجماعاً، لأن ذلك كفعل عابدي الأصنام، قائلين ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾.^٤

فصل^٥

^١ أي الذين منعوها بخلاً وليس جحوداً، لأن المنع بخلاً من الكبائر الغير مخرجة من الملة الإسلامية، والتي تستوجب العقوبة المؤقتة في الآخرة إلا أن يعفو الله، أما الجاحد لوجوب الزكاة فكالجاحد لوجوب الصلاة، يكفر ولو كان يدفعها، لأنه جحد أمراً معلوماً من الدين بالضرورة، ورد الآيات والأحاديث.

^٢ الكلام المذكور مختصر من كلام صاحب «الإقناع» وهو أبو النجا الحجاوي، مع شرحه «كشاف القناع عن متن الإقناع» للشيخ منصور بن يونس البهوتي.

^٣ أي صاحب «الإقناع».

^٤ انتهى كلامه رحمه الله.

^٥ سيرى القارئ هنا فيما نقله الشيخ من كلام علماء الحنفية أن صرف العبادة - أي عبادة - لغير الله شرك أكبر مخرج من ملة الإسلام، ليقرر أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لما دعا قومه لترك ما يعبد من دون الله من قبور وغيرها فإن دعوته كانت منطلقة من الكتاب والسنة وما أجمع عليه أئمة المذاهب الأربعة وغيرها، وليست بدعية، أو كما يسميها

وأما كلام الحنفية فقال في كتاب «تبيين المحارم المذكورة في القرآن»: باب الكفر، وهو البتّر، وجحود الحق وإنكاره، وهو أول ما ذُكر في القرآن العظيم من المعاصي، قال الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الآية، وهو أكبر الكبائر على الإطلاق، فلا كبيرة فوق الكفر.

إلى أن قال: واعلم أن ما يلزم به الكفر^١ أنواع، فنوع يتعلق بالله سبحانه، ونوع يتعلق بالقرآن وسائر الكتب المنزلة، ونوع يتعلق بنبينا ﷺ وسائر الأنبياء والملائكة والعلماء، ونوع يتعلق بالأحكام.

فأما ما يتعلق به سبحانه؛ إذا وصف الله سبحانه بما لا يليق به، بأن شبه الله سبحانه بشيء من المخلوقات، أو نفى صفاته، أو قال بالحللول^٢ أو بالاتحاد^٣، أو معه قديم غيره، أو معه مدبر مستقل غيره، أو اعتقد أنه سبحانه جسم أو محدث، أو غير حي، أو اعتقد أنه لا يعلم الجزئيات، أو سخر باسم من أسمائه، أو أمر من أوامره، أو وعده أو وعيده، أو أنكرهما، أو سجد لغير الله تعالى، أو سب الله سبحانه، أو ادعى أن له ولدًا أو صاحبة، أو أنه مُتَوَلَّد من شيء كائن عنه، أو أشرك بعبادته شيئًا من خلقه، أو افترى على الله سبحانه وتعالى الكذب بادعائه الإلهية والرسالة.

إلى أن قال:

وما أشبه ذلك مما لا يليق به، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا، يكفر بهذه الوجوه كلها بالإجماع، لأجل سوء فعله، عمدًا أو هزلًا، ويُقتل إن أصرَّ على ذلك، فإن تاب تاب الله عليه، وسَلِمَ من القتل.

انتهى كلامه بحروفه.

بعض الناس مذهبًا خامسًا ونحو ذلك من المسميات التي يرومون بها تنفير الناس عن دعوة الشيخ التي هي في الحقيقة دين الإسلام الذي دعا إليه النبي ﷺ قومه.

^١ أي يقع به الكفر.

^٢ الحلُولية هم الذين يقولون بحلول الله في خلقه، تعالى الله عن ذلك.

^٣ الاتحادية هم الذين يقولون باتحاد الخالق والمخلوق في ذات واحدة، تعالى الله عن ذلك، ونظيرتهم تُعرف بـ «وحدة الوجود»، أي أن الوجود كله هو الله - بزعمهم.

^٤ قوله (يكفر ... إلخ) جواب شرط، والشرط هو قوله المتقدم قبل ستة أسطر (إذا وصف الله بما لا يليق ... إلخ).

وقال الشيخ قاسم^١ في «شرح الدرر»^٢: النذر الذي ينذره أكثر العوام، فيأتي بعض قبور الصلحاء فيقول: يا سيدي؛ إن رُدَّ غائبي، أو عُوفي مريضِي، أو قُضيت حاجتي؛ فَلَكَ من الذهب كذا، ومن الطعام كذا، ومن الشمع كذا؛ فهذا النذر باطل بالإجماع لوجوه: منها أنه نذر لمخلوق، والنذر لمخلوق لا يجوز. ومنها، أنه ظنٌّ أن الميت يتصرف في الأمور دون الله تعالى، واعتقاد ذلك كفر.^٣ انتهى.

وزاد الحصفكي: وقد ابتلي الناس بذلك ولاسيما في هذه الأعصار.

وزاد ابن عابدين: ولاسيما في مولد السيد أحمد البدوي.

فصرَّح بأن هذا النذر كُفر يكفر به المسلم.

انتهى، والله أعلم، وصلى الله على محمد، وآله وصحبه، وسلم.^٤

^١ هو الإمام قاسم بن قطلوبغا، صاحب كتاب «تاج التراجم»، توفي عام ٨٧٩ هـ.

^٢ أي «درر البحار» لشمس الدين القونوي، المتوفى عام ٧٨٨ هـ.

^٣ نقل الشيخ كلامه باختصار، وجعل ما بعده من كلامه، وليس الأمر كذلك، فهو كلام الحصفكي وابن عابدين، كما بينته أعلاه، وقد استغدت نص كلامهم ومواطنها من الكتاب النفيس «جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية» للدكتور شمس الدين الأفغاني رحمه الله (ص ١٥٥٠ - ١٥٥١)، وقد نقل الكلام أعلاه من كتب الأحناف الفقهية التالية:

١. «البحر الرائق» لابن نجيم (٢/٢٩٨)، (الناشر: دار الكتب العربية بمصر).

٢. «الدر المختار» للحصفكي مع «رد المختار» لابن عابدين (٢/٤٣٩-٤٤٠).

٣. «الفتاوى الديوبندية» (١٢/٩٩).

^٤ انتهى كلامه رحمه الله، وهو مثبت في «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية»، (٣/٣٧٨-٤٢٩)، وكذا في «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (١/٣٧٢-٤٣٩)، وقد اعتمدت على المرجع الأول كأصل، وقابلته بالمرجع الثاني، وأثبت الفروقات، أما بالنسبة للنقولات العلمية فضبطتها من مصادرها الأصلية، وهناك تعليقات يسيرة من الله بها، فالحمد لله على منه.

وبهذا يتقرر أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لما دعا الناس لترك ما يعبد من دون الله من قبور وغيرها فإن دعوته لم تكن مبتورة ليس له فيها سلف، بل كانت مقررّة في كتب علماء المذاهب، وليس ذلك بمستغرب، لأن كتب المذاهب تغرف من معين واحد وهو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

فالشيخ محمد رحمه الله ليس إلا مجدداً من المجددين لدين الإسلام، وقد أخبر النبي ﷺ بأن الله يبعث على رأس كل مئة سنة من يُجدد لها أمر دينها، وهذا من رحمة الله بعباده.

تم الكتاب بحمد الله.
نفع الله به كاتبه وجامعه وناشره.
وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.
وكتبه، ماجد بن سليمان الرسي، بعد مغرب ليلة الأحد، السابع عشر من شهر شوال لعام ١٤٤٧
هجري.

فبهذا تبين أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب دعوة إسلامية صحيحة، وامتداد لدين الإسلام، تسير على منهج
النبي ﷺ في العقيدة والشريعة والسلوك، فالواجب قبولها ونصرتها، فإن السائر عليها سائر على دين الإسلام في الحقيقة،
والمتنكب طريقها قد تنكب طريق الإسلام عياداً بالله، والحمد لله رب العالمين.